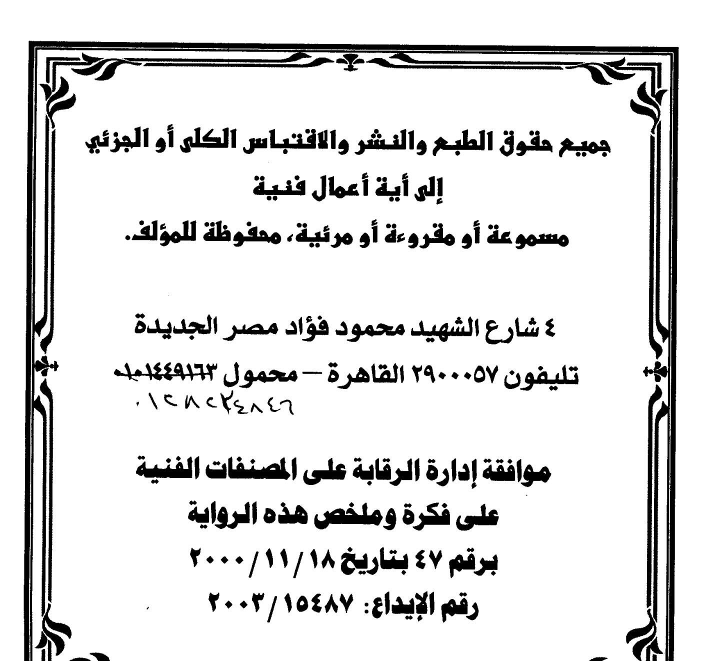
الجزء الأخير من ثلاثية

أشجار البروتين

زراعة اللحوم

رواية من تأليف

محمود عبد العزيز فرج



٤ شارع الشهيد محمود فؤاد مصر الجديدة
تليفون ٢٩٠٠٠٥٧ القاهرة – محمول ~~٠١٠١٤٤٩١٦٣~~
٠١٢٨٢٤٤٨٤٦

موافقة إدارة الرقابة على المصنفات الفنية
على فكرة وملخص هذه الرواية
برقم ٤٧ بتاريخ ١٨/١١/٢٠٠٠
رقم الإيداع: ١٥٤٨٧/٢٠٠٣




إهـداء

إلى روح الدكتورة سميرة موسى والدكتور مصطفى مشرفه والدكتور يحى المشد وكثيرين غيرهم من علماء مصر والدول العربية التى اغتالتها يد الغدر والعدوان حتى لا تتفوق الدول الإسلامية تكنولوجياً ... ونسأل الله أن يحمى ويحفظ من لم تطلهم هذه الأيادي.

محمود عبد العزيز فرج





بسم الله الرحمن الرحيم
﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ
وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾
سورة العنكبوت الآية ٤٣



مُقدِّمة

الحمــد لله الــذى وفقنا إلى نهاية مناسبة لرواية أشجار البروتين التى قصد بها وجه الله ســبحانه وتعــالى حتى يتبين للفاسدين كيف يمكن أن يكون عقاب الله لهم فى الدنيا، والعقاب والعــذاب الكبــير فى جهنم وبئس المصير، وفى هذا الجزء تتطور الأحداث، فيتحول هدوء وعطف وشفافية مصطفى الخوجة ليصبح نهما للمال ضاربا بعرض الحائط أية روابط سواء كانــت أخــوة أو نســباً، وذلك عقب اكتشافه خيانة الأخ والصديق وحتى العاملين لديه الذين تصــور أنه سيكسب ولاءهم بإشراكهم له فى نتائج أعماله، بذلك الأسلوب الذى تمنى لو يتم تعميمه على جميع العاملين بالشركات فى مصر، حيث ثبت نجاحه فى شركاته باليابان، ذلك أن العامليــن بــتلك الشــركات قاموا بإدارتها والعمل على تطويرها حتى أصبحت من أكبر شــركات إنــتاج الإلكترونيات فى اليابان وربما فى العالم، رغم غياب صاحب العمل عنهم ولفــترة طويلــة، وربمــا كان هذا نموذجا قد يفضل أن يحتذيه كل صاحب عمل مع عماله المخلصــين، حتى لا يسعى العاملون بشركاته إلى تكبيل الشركات بالخسائر، غير عابئين بما قــد يحدث لهم أو لأبنائهم وأحفادهم لو أن هذه الشركات أغلقت بابها دونهم.. أليس فى ذلك خسارة للعاملين بهذه الشركات قبل أن تكون خسارة لأصحاب الشركات فقط؟

لكن الله سبحانه لم يمهله، أعطاه من وسع حتى أصبح نجما من عباقرة المال والاقتصاد فى العالم، ثم تبين أن السبب فى رفعة شأنه هو نفسه السبب المباشر فى هلاكه، فإذا بأشجار البروتيــن الــتى بهرت العالم بمزاياها وفوائدها تنقلب نكبة على العالم، ليس هذا فقط وإنما العجيب أنه كانت هناك صعوبة كبيرة واجهت العالم للخلاص منها.

وربمـــا راعيــت فـــى هذه الرواية من أول حرف فيها فى الجزء الأول إلى نهايتها فى الجــزء الثالــث، أن يكــون هناك بعض الأمثال التى قصد بها تصحيح مسار البعض ممن اســتهوتهم الخطيــئة أو انجرفوا فى الضلال، تيمنا بما ضربه الله للناس من أمثال فى كتابه الكريم وذكر أنه لا يعقلها إلا العالمون.

وأســأل الله أن أكــون قــد وفقــت فى تقديم بعض ما يمكن أن يكون دربا من دروب الإصلاح والهداية إلى الله سبحانه وتعالى، وبالله التوفيق، والحمد لله رب العالمين.

محمود عبد العزيز فرج

١ـ ذكريات شجن

اطمـأن مصـطفى على صحة أخيه سعيد، فقد أصاب العائلة كلها القلق لتجمع كل هذه الكمية من الحصى فى كلا الكليتين والحالب، والعجيب أنها كانت مطمئنة فى مكانها لا تسبب لـه مشاكل ولا يشعر بها، لولا الإرهاق الذى أصابه خلال الأيام الأخيرة، وبرد ديسمبر فى ورشة العمل بالأتيليه حيث كان يعد أعمال المعرض، وفناجين القهوة التركية التى كان يعبها واحداً تلو الآخر، وهو ينعم بطعم البن الذى أحضرته مايسه معها علّ أباها يتذكّر نكهة القهوة الـتى كان يفضل أن يرشفها ببطء وهو جالس فى شرفة قصرهم باليابان، كل ذلك تسبب فى هذا المغص الحاد، الذى كشف عن كل هذا الكم من الحصى.

لقـد أثار ذلك عجب مصطفى، كيف أنه لم يفطن أن مايسه هى التى أحضرت هذا البن إلا عـندما أخـبره سعيد بذلك ! وأصابته الدهشة.. لماذا حجبوا عنه هذه المعلومة؟ فهذه من أخـص الخصوصيات التى لا يعلمها إلا هو ومايسه ووالدتها، وحيث أن والدتها قبضها الله، فإنـه لا يوجـد فـى العـالم أحـد يعرف بهذا الأمر إلا هو ومايسه، ولا يمكن لأى جهاز اسـتخبارات فى العالم أن يفطن إلى مثل هذه الأمور البسيطة، ذلك أن مايسه كانت دائما ما تصر وهى لم تتعد الرابعة بعد، على أن تحضر له بنفسها فنجان القهوة، والماء فى كوب من الكريستال الوردى، وتتهادى فى خطواتها، وترفض أن يساعدها أحد، فقد كانت تعتبر أن هذا من أهم واجباتها.

لم تـنس ذلك، وأحضرت البن معها علها تذكره بأنها ابنته فلا يتسرب الشك إلى نفسه، مهما بالغ الدخلاء فى إفساد العلاقة التى تربطهما، والعجيب أنها كانت تصر على القيام بهذا الواجـب منذ أن حضرت، بل وزادت بأن كانت هى التى تعد القهوة بنفسها، لكنها لم تستطع أن تـنعش ذاكـرته، ربما لأنه بعد أن عاد من اليابان كان يصر على شراء نفس نوعية البن وظـل مع المحمصة يشكل فى مكونات " تحويجة " البن إلى أن وصل إلى نفس النكهة، لذلك لم يستطع أن يفرق بينها وبين ما أحضرته مايسه من اليابان، إذ أن الأمر أصبح عنده سيان، لكـن أن تصر مايسه على إحضار نفس نوعية البن معها من اليابان، فذلك كان أقصى على

نفســـه مـــن أى تصور آخر، فقام على الفور باحثاً عنها ودهشت وهو يحتضنها بقوة ويقبلها بحرارة، ولما عرفت السبب لم تملك إلا أن تغفر، وهى تتساءل بينها وبين نفسها:

▪ " أما يزال الشك مسيطراً عليه؟ .

همـــس مصـــطفى فى أذن صفية أن تسافر معه خلال أجازة نصف السنة إلى اليابـــان، وكذلك الأولاد، وتمنعت صفية فى بادئ الأمر بأكثر من حجة، تارة حتى تتركه يتفرغ لعمله، وتـــارة بسبب حملها،ولما كان مصطفى قد سبق له أن سأل الطبيب، وعلم انه لا خطر على الحمل من متاعب السفر، قال لها متأثراً:

▪ " كنت أظنك ستسارعين بالموافقة كما عهدتك، أخشى أن تكون هناك بعض العوامل التى اعترتك، وتصبح كل الأمور خاضعة للنقاش، أين هى صفيه زوجتى؟ التى كانت تبادر وكانها تعرف ما يجول فى خاطرى حتى قبل أن أبوح به، أم أن محسن أفندى بدأت بركاته تهل، حتى قبل أن يشرفنا بطلعته البهية.."

تساءلت بشيء من العفوية، حتى تبعد عن زوجها شكه فى جدالها له:

▪ " ماما مريم ستسافر معنا كذلك..؟ "

وأجابها بتلقائية تقنعها بوجهة نظره:

▪ " الحقيقة أنها فرصة كى نترك سعيد يقضى شهر عسله مع عروسه فى جناحهما، حتى يشعر بانه لا يوجد أحد بالمنزل يتطفل عليه.."

وتساءلت بغضاضة:

▪ " تقصد أنك لا تريدنا أن نتطفل عليه بعد زواجه.. "

تساءل مع نفسه:

▪ "ماذا حدث؟ ما لها تكثر من الأسئلة، ومن الجدال؟ لم تكن كذلك، ما الذى جد؟ "

وبدا له أن يستعرض أحداث الأيام القليلة الماضية، لقد كانت مرهقة.. قاسية.. تحمل بين طـــياتها كـــل أنواع العذاب والمعاناة، ولا بد أن تكون قد تركت أثرها على صفيه، ابن عمها

يخـــتطفها، ويـــترك ذلك الأجنبى النجس يطلع عليها شبه عارية، وهو يحاول تذليلها له لينال غرضـــه منها، وأبوها يقابلها بصفعة عنيفة كادت تودى بها وبجنينها الذى لم تكن تعرف أنها تحمله، وتكتشف أن ابنها شريفاً ليس ابناً لمصطفى زوجها، إنها أحداث بالجملة، تجعل الحجر ينطق، فهل يستكثر عليها أن تجادل أو تعارض أو حتى ترفض؟

وربما خوفها من الجديد، وأى جديد هذا الذى سوف تذهب إليه، إنه مجهول تماماً، إنها بالكاد استطاعت أن تتقن بعض العبارات الهامة باللغة الإنجليزية، فما أن شعرت بمدى تخلفها فـــى اللغـــة الإنجلـــيزية عن منى خطيبة أخى زوجها سعـــيد، حتى سارعت تشترى أحدث مجموعـــة لتعلم الإنجليزية بدون معلم،وحفظتها صم، مما أذهل مايسه عندما وجدتها ترحب بجونـــيلا زوجـــة أولف وابنتها مارى، وتتجاذب معهما الحديث بإنجليزية لا ركاكة فيها ولا أخطاء.. بل وتقريباً بلكنة لا تختلف كثيراً عن أهل إنجلترا، والآن هـــى مقدمة على اليابان، بحضـــارتها المـــتطورة وتقدمهـــا المذهل، وأهلها.. إنه لا يذكر زوجته ماى سيتو إلا بابنة الشـــمس، وكثـــيراً مـــا يشير إلى مايسه ابنته بنفس الكنية، فماذا ستفعل ابنة الصعيد، فى بلد الشمس وأبناء الشمس، فبادرها مباغتاً:

- " إذا كنت تخشين السفر إلى اليابان ومواجهة مجهول لا تدرين عنه شيئاً، فتأكدى أننى إلى جانبك.. لست أنا فقط، وإنما مايسه ابنتك أيضاً، فممَ تخافين..؟ "

والعجيب أنها تشجعت، فألقت برأسها على صدره، وداعبت تلك الشعيرات الكثيفة التى تملأه، وقبلت بعضاً منها بتلقائـــية، وقالت:

- " ألا تـرى أن هـذا الأمر يحتاج إلى إعداد، وأولها دروس فى اللغة اليابانية، أم تريدنى أن أكون مثل الأطرش فى الزفة هناك.. "

وقاطعها:

- " تاهت ووجدناها، مـن باكـر إن شـاء الله سـيكون لديك أحدث مجموعة فى تعلم اللغة اليابانية بدون معلم."

وقبل أن يكمل، هجمت عليه توسعه تقبيلاً، وأضافت:

- "أريد أن أفاجئ مايسه بإجادتى لليابانية.. تماماً كما فاجأها سرعة تعلمى للغة الإنجليزية، وطبعاً لن تخبرها مثلما حدث فى المرة السابقة.. "

وأكد لها ذلك، بل وزاد بأنه يريد والدته أيضاً أن تتعلم معها إن أمكن، ثم توقف فجأة كأنما تذكر شيئاً هاماً:

- " ولماذا بأكر..؟ إن المجموعة التى كنا نعلم بها اليابانيين لدينا هنا، وسوف تشاهدينني وأنا أدرس لهم، فقد كنت المعلم. "

وكـان هذا بمثابة موافقة منها على السفر، أما والدته، فقد اكتشف أن مايسه سبقته إليها، ووجد السيدة ترحب بوجودها معهم فى أى مكان يريدون ويشاء الله به، وتردد مصطفى كثيراً قـبل أن يدعـو سعيداً وزوجته، ذلك أنه ما أن دعاه حتى انفرد بزوجته يتداولان الأمر، ثم أزلفـا إلـى جناحهما، وعادا بعد قليل ليعلنا موافقتهما على السفر، فذكره مصطفى بإنهاء أية ارتـباطات، سـواء كانت فنية أو علميـة، وكذلك من باب العلاقات الطيبة بينه وبين عائلة شكرى بك، فلا بد أن يعلمهم بهذه النية، إذ يجب أن يكونوا على علم بمكان ابنتهم.

أصدر مصطفى تعليماته لأحد موظفى الشركة لاستصدار التأشيرات، والحجز فى شركة طـيران اليابان، ويترك تاريخ السفر حتى يكمل كل فرد من أفراد الأسرة واجباته قبل الغير وقـبل نفسـه، وأولها أن تنهى ابنتيه دراسة الفترة الأولى من السنة الدراسـية، وحتى تكمل صفيه شهرها الثالث حسب توصية الطبيب، وحتى يطمئن هو على سير الأمور فى الشركة، واطمأن من الطبيب على صحة أخيه سعيد، وأسعده الحب الذى يربطه بعروسه، وبدا له أنه يفـوق الخيال، أو هكذا كان إحساسه، فهم لا يكادون يرونهما إلا أثناء لحظات الطعام، وربما عـنّ لهما أن يقضيا معهم سويعات قليلة من بعض الأمسيات، وفى أثناء وجودهما معهم، لا تكـاد تمـر لحظة دون همسة باسمة أو قبلة سريعة لا يلحظها إلا الأريب، وبالطبع يلحظها مصطفى، وربما مريم هانم.

أمـا صفيه، فقد بدأت تقلد منى، فبدأت تتقرب من مصطفى، وتبثه حبها ولا يمنع الأمر مـن همسة باسمة أو قبلة سريعة أو لمسات لخصلات شعره وبخاصة تلك التى خلف أذنيه، وكـان مصطفـى يشعر بالسعادة، فها هى فتاة البندر تلقى بظلها الرومانسى على سذاجة فتاة

الـــريف فتعلمها بأسلوب عملى أمور الحب وخواطره، وهل الحب فى حاجة إلى تعلم؟ أليس هـــو عاطفـــة جياشة قد تفقد الحبيبان أحدهما أو كلاهما رشده فيتصرف بشىء من الطيش قد يذهب بالحب معه، ذلك إذا لم يتم تهذيبه والتهذيب يعنى تعلم، يبقى الحب فى حاجة إلى تعلم، ومـــاذا كانت تفعل صفيه قبل قدوم منى؟ أما كانت تحب مصطفى؟ وكانت تصبغ عليه الكثير مـــن عواطفها ومشـــاعرها، أما كانت تستقبله عند الباب الداخلى للفيلا بالأحضان والقبلات؟ لقـــد كانت.. ولكن فى الخفاء، بعيداً عن الأعين، وإذا رصدت متلصصاً أو متطفلاً حتى ولو كـــان شريفاً ابنها، ابتعدت سريعاً وكأنها ترتكب إثما، حتى فى حضور أمها وأبيها، ما كانت لتتصـــرف على طبيعتها مثلما هى الآن، ذلك أن منى جعلتها تجترئ بعض الشىء على مثل هذه التصرفات فى العلن، فأصبحت لا تهتم بوجود أحد البنات أو شريف أو أبيها أو أمها، أو حـــتى مريم هانم، أما الخدم والسفرجية والأجانب، فلم تستطع بنت الصعيد أن تتجاوز الحدود أمامهم، وهل فى هذا تجاوز للحدود؟ زوجة مع زوجها، ما العيب فى أن تقبله أو تمسح على رأسه أو تحتضنه، لا.. إن أخلاق الإسلام تكره مثل هذه التصرفات فى العلن، لذلك.. انساقت المسكينة لبعض الوقت مع ما تفعله منى، لكنها ارتدعت عندما نبهها مصطفى إلى ما ورد فى القرآن الكريم من آيات تحث على التستر فيما يحدث بين الأزواج من تصرفات، وكذلك أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم التى تعنى " إذا بليتم فاستتروا " وهل علاقات الزوج مع زوجته بلاء؟ بالقطع لا.. ولكن ليس أمام الناس. وتعلمت منى الدرس، فأقلعت هى الأخرى عن مثل هـــذه التصـــرفات أمام الغير، لكن هذا لم يعجب سعيد، فأظهر بعض التذمر، وبسرعة تولى مصـــطفى هـــذا الأمـــر معه بهدوء وكياسة، فأعلن سعيد احتجاجه بالاحتجاب عن مجالسهم المسائية، لكنه لم يستطع، فاضطر للعودة إليها والتصرف بعقلانية حمدها له مصطفى.

ســـمعت مايســـه أصواتاً تنبعث من غرفة جدتها تتحدث باليابانية، فطرقت الباب طرقاً خفـــيفاً وهمـــت بالدخول، لكنها ذهلت عندما رأت والدتها على شاشة التليفزيون وهى تشرح دروس اللغـــة العربية للجالية اليابانية، ولم تستطع المسكينة أن تتحمل الموقف، فانهارت فى بكـــاء كالصـــراخ، فشلت معه كل محاولات التهدئة التى حاولتها صفيه ومريم هانم، وتطور الأمر مع المسكينة حتى أصابتها إغماءه فشل الطبيب الذى استدعته صفيه فى علاجها منها، ولم يكن هناك بدّ من استدعاء مصطفى الذى حضر على عجل، حتى أنه خشى أن يتسبب فى



حادث قد يتعس به خلق الله، فطلب من أحد سائقى الشركة قيادة السيارة إلى البيت، وأذهله ما رأى.. ابنته حبيبة قلبه ممدة على السرير فاقدة النطق والحركة، والطبيب يحاول إسعافها بكل مـــا لديـــه من خبرة، ولكن دون فائدة، أمسك بيديها وأخذ يبثها حبه ويقبلهما ويزرف الدموع الساخنة التى بللت كل ما لمسه من ملابسها، وأخذ الطبيب يهون عليه المصاب، فقد خشى أن يصـــيبه مـــا أصاب ابنته، لكن مصطفى تذكر النوت بوك، وقفزت إلى ذاكرته ما علمته له مايســـه عـــن كيفـــية تشغيل برامجه المختلفة كلها، وعلى وجه الخصوص البرنامج الخاص بـــالعلاج الطبى، ووجه إليها ما وجهته إلى عمها سعيد من أجهزة، عندما هاجمته آلام الكلى، وظهرت أمامه كل ما تسبب فى هذه الأزمة، والعلاج اللازم، والطبيب الذى كان يتابع.. قام علـــى الفـــور بتنفـــيذ تعليمات البرنامج، ومن العجيب أن مايسه بدأت تستجيب للعلاج، وبدأ النشـــاط يدب فى جسدها رويداً رويدا، وأبوها يعتصرها إلى قلبه حتى يشعرها بدفئه وبحبه، فوجدها تنتفض صارخة:

■ " أمى.. أمى.. أين أمى..؟ "

وعـــادت إلى الصراخ مرة أخرى، وكانت على وشك أن تصيبها الإغماءة مرة أخرى، ولكن مصطفى أخذ يكبر فى أذنيها، ويتلو كلام الله الذى يُذهب عن الإنسان رجس الشيطان، وتفـــاعلات الجاهلية الوثنية، ومن العجيب أن الله أتى بالشفاء لها، فاستعاذت بالله من همزات الشـــيطان ولمـــزاته، وعـــادت إلى رشدها بأحسن مما كانت، وطلبت تشغيل شريط الفيديو، ووالدهـــا يحتضـــنها وهى تتابع مشاهدة والدتها وهى تتكلم.. وهى تتحرك.. ومايسه تذرف الدموع تسيح على خديها دون شعور منها ودون تحكم، وهى تتفاعل مع ما كانت تطلقه أمها مـــن دعابات، أو تمثله من حركات، حتى تنقل المعنى إلى المتلقيين بالصوت والحركة، فتعم الفـــائدة، فقامـــت مايســـه بتســـجيل الشـــريط فى النوت بوك الخاص بها، وقبل أن تتركهما لدروسهما، ذكرها الطبيب بوعدها له بأجهزة الكشف الطبية الإلكترونية، مستشهداً بمصطفى الذى وافقه، فهزت رأسها مبتسمة، وأعادت وعدها له بأن تعطيه البرامج وأجهزة التحليل قبل ســـفرها، ولكـــنها نظرت إليه لتذكره بوعده لها، ألا يتقاضى أتعاباً من الفقراء الذين يستخدم معهم هذه البرامج والأجهزة، وذهبت إلى غرفتها لتنفرد بالمشاهدة، لكن والدها أسرع ليكون إلى جانبها يبثها حبه، والعبرات تخنق صوته، والنهنهات لا تبارح صدره.

٢- أطماع أم

رتب مصطفى لكل شئ، وأصدر أمره للجميع أن يتجهزوا للسفر إلى اليابان، واحتضن مريم ومها وهمس فى أذنهما مخيراً إياهما بين السفر معهم، أو البقاء مع والدتهما خلال فترة سفرهم، واحتارت الفتاتان بين البقاء مع والدتهما، أو السفر ورؤية بلاد جديدة قصت لهما أختهما مايسة الكثير والكثير عنها، وعرضت عليهما الكثير والكثير من الصور الفوتوغرافية وكذلك ما اختزنته فى الكمبيوتر من أفلام تسجيلية، بل لقد أفاضت فى وصف قصرهم فى طوكيو، واحتارت الفتاتان، فالمقارنة صعبة، وكان تردد مها واضحا، بينما مريم أعلنت بصراحة رغبتها فى السفر دون تردد، قالت مها على استحياء:

- " أنا أفضل البقاء مع ماما.. لكن السفر جميل، خاصة وأننى ساكون مع بابا طول الوقت، فانا لا أنعم به إلا للحظات قليلة، غالبيتها أثناء الطعام.. أنا فى حيرة من أمرى.. ما رأيك يا جدتى..؟ "

ولكزتها أختها مريم ببعض الخشونة، ودفعتها إلى الداخل وهمست فى أذنها:

- "ماما مَن أيتها العبيطة..؟ أليست هى التى لم تهتم بوجودنا عندها فى فيلا زوجها ! يكفيها الاهتمام بزينتها والوقوف أمام المرآة بالساعات، والخروج يوميا، ألا تذكرين أننا هربنا من عندها، وقررنا عدم الذهاب إليها مرة أخرى، ونعمنا بوجودنا مع أبينا وجدتنا وماما صفيه زوجة أبينا التى حاولت أمنا أن تزرع فينا كرهها، لكننا وجدنا أنها أفضل منها عشرات المرات، لا تذكرى مرة أخرى أننا نرغب فى الذهاب إليها، ولو حتى من قبيل المجاملة"

فهزت مها رأسها موافقة أختها فى كل ما قالت، وأظهرت موافقتها على السفر.. لكنها عادت مرة أخرى تعلن تراجعها، فسارعت مريم تذكرها بأعياد الميلاد التى لم تكن أمهما تهتم بها، وعندما يذكرنها تكتفى بإرسال الهدايا مع السائق، وكذلك الأمر فى مناسبات النجاح، وكأنما هذا هو واجبها فى مثل هذه المناسبات، كما ذكرتها بخشونة زوجها فى معاملتهما دون أن تفكر أمهما حتى فى الدفاع عنهما وليس حمايتهما منه، ألم يفكر مراراً فى ضربهما؟ لولا هروبهما السريع من وجهه، وما كانت تفعل أمهما إلا معاتبته بكلمتين، ولا تفكر حتى فى

ضمهما إلى صدرها لتهدئ من روعهما، فتقرر مها مرة أخرى السفر، ثم تعود فتقول:

- " ألم تُطَلّق أمى من زوجها من أجلنا..؟ "

وسارعت مريم:

- " لا يا ستى.. لقد قالت لى جدتى أنه طلقها لأنها هاجمت بابا فى الجرائد والمؤتمرات، فقد اعتبر ذلك نوعاً من عدم نسيانها له، وكذلك لأن ماما صفيه قررت أن تشكوها فى المحكمة لأنها وجهت إليها السب العلنى فى الجرائد، وشهرت بها، ونظراً لأنه يعلم أن الحق مع ماما صفيه، ومجرد الدخول فى هذا الموضوع سيفتح شهية الصحافة فتذكر جميع الأمور الظاهرة وغيرها كثير، يعنى مثلا محاولتها لتحريضنا على ماما صفيه كلما حضرت لزيارتنا، ولولا تهديد أبى لها بعدم السماح لها بدخول الفيلا، لما توقفت، وكذلك محاولتها معنا أن نكره شريف ابن ماما صفيه باعتباره ليس أخا لنا من الأب كما كنا نظن، شريف هذا الطفل الظريف الذى نسعد نحن بان نلاعبه ويلاعبنا، ما ذنبه أن تزرع فينا كراهيته؟ ولو أثيرت كل هذه الأمور فى الجرايد والمجلات، بالإضافة إلى معاملته الفظة لنا، فإن ذلك بالطبع سوف يحرج موقفه، لذلك طلقها، هذا ما أكدته لى جدتى عندما سالتها عن السبب.. "

وظلــت مريم مع مها فى أخذ ورد بين أن تسافر أو لا تسافر فترة طويلة من الزمن، ثم قدمت أمهما بناء على موافقة أبيهما، فاحتضنت ابنتيها، وتشبثت بهما، واستكانت مها فأسندت رأســها إلى كتفها، بينما أنهت مريم مراسم الاستقبال بسرعة، وانتصبت واقفة فى مواجهتها، وكأنها تعلن عن عدم رغبتها فى التمادى معها فى حنانها الزائف، فسألتها بمسكنة:

- " تعالى إلى حضنى، فكم أشتاق إليكما.. "

لكن مريم التزمت الصمت، ثم تركت الصالون وذهبت إلى غرفتها. كان واضحا أنها لا ترغب حتى فى بقاء أمها بالفيلا، أرادت أن تعبر عن رفضها هذا بأسلوب عملى، بينما ظلت مهــا متشــبثة بأمهـــا، وتفهم مصطفى الموقف، الكبيرة تعلمت الدرس جيداً، أما الصغيرة.. فالنسيان عندها سريع، لكن سرعان ما دخلت سميحه فى مناقشة مع مصطفى وصل الخلاف

بيـــنهما لدرجة الغليان، هى تريد أن تحتل الفيلا أثناء سفر مصطفى ووالدته وصفيه وشريف بحجـــة رعاية ابنتيها، وهو يقترح استئجار شقة مفروشة على حسابه خلال فترة غيابهم عن مصـــر وإذا بها تلقى بمها على طول ذراعها بعيداً، فارتطمت رأس الفتاة بالحائط، وصرخت صرخة ألم شديد، وأسرعت صفيه إليها تحتضنها وتربت عليها وتهدئ من روعها، بينما أمها لم تهتم بما حدث لها، بل استمرت فى صراخها، وأظهرت استعداداً للاشتباك بالأيدى لولا أن نهض مصطفى ثائراً، وأظهر استعداده أن يأمر الخدم بطردها شر طرده وتمادى فى غضبه فأمر زنوبه بأن تحضر السوط الذى كان يهددها به كلما تطاولت عليه بالصورة التى تخرجه عن جادة الصواب، فقامت والدته بتهدئة الأمور وسألتها ماذا تريـــد؟ وكان ردها عجيباً:

- **" أنا الآن ليس لى بيت، زوجى طلقنى وألقى بى فى الطريق، وبيت أبى استولى اخوتى عليه بعد وفاته وباعوه، وتقاسموا ثمنه بالنظر إلى أننى كنت فى حالة مالية جيدة، أما الآن وبعد الطلاق.. فقد أُغلقت كل الأبواب فى وجهى، وليس أمامى الآن إلا بيت ابنتى، وسى مصطفى بك.. بريد أن يحرمنى منه أيضاً.. "**

ثم علا صوتها وهى تقول:

- **" لا.. ده بُعده.. هو فاكر إننى سوف أتنازل عن حقوقى وحقوق ابنتى.. "**

واتضـــحت الصـــورة أمـــام الجميع، ليس حناناً ما تريد أن تظهره سميحه القرنفلى أم البنتين، ولا حتى استعطافاً، وإنما هو نوع من طلب الإحسان بتكبرٍ وتعالٍ، تطبيقاً للمثل القائل "حســـنة وأنـــا سيدك " وبالطبع لن يقبل أى إنسان أن يُفرَض عليه أمرٌ كهذا، فأمر مصطفى زنوبـــه وسعديه وعم نعيم بحملها قصراً عنها وطردها إلى خارج الفيلا شر طرده، ثم أعلنها بصوت عالٍ:

- **" غداً يا بنت القرنفلى سوف تجدين لك مكاناً مناسباً جداً.. "**

وأســـرع إلـــى الهاتف، وأدار القرص طالباً المحامى، حيث أمره بالسير فى إجراءات دعـــوى التشـــهير والقذف والسب فى حقه وحق صفيه زوجته. ثم احتضن مها ومريم وأخذ يقـــبلهما بلهفـــة أب ينعى حظه أن رزقه الله بأم لهما بهذه القسوة والأنانية، وتمتم بعبارات لم



تفهـم الفتاتان منها إلا خشيته عليهما إذا مات وهذه القاسية قلبها على قيد الحياة، تقاسم ابنتيها ما ترثانه من أموال أبيهما، بل ربما تحرمهما من هذه الأموال لتنفق منها على زينتها ولهوها وعبـثها وأرسـتقراطيتها المزيفة، وإذا بمريم ابنته تربت على كتفيه وكأنها تعاهده ألا يقلق، فسـوف لـن تمكنها من ذلك مهما حاولت، ومدت يدها لتحتضن أختها، وكأنها تطمئنها على مسـتقبلها مادامـت هـى علـى قيد الحياة، وليطمئن والدهما بأنها سترعى أختها فى جميع الأحـوال، والعجيب فى الأمر أن مها سارت على نفس نهج أختها، فربتت على كتف والدها واسـتكانت فـى كنفه، وربتت على أختها، وكأنهما تعاهدتا على أن يتكاتفا سوياً فى مواجهة جميع الاحتمالات من أمهما أو من غيرها وكأن المحن تشد العزم وتجعل الإرادة حديد.

لكـن مصطفى الذى لا يترك شيئاً دون تخطيط، سارع إلى الهاتف مرة أخرى، وطلب المحـامى، وأمـره بأن يعد وصيةً يحرم فيها زوجته السابقة من الوصاية على ابنتيه، ويعين سـعيداً أخـاه وصـياً على أولاده جميعاً، ومن بعده والدته، ثم صفيه، فمايسه. وجلس يلتقط أنفاسـه وكأنـه فـى صراعٍ مريرٍ مع الزمن الذى يترك فيه أولاده لامرأة مثلما هى سميحه القرنفلى، بينما أعلنت مها بإصرار استعدادها للذهاب معهم أينما أرادوا، وتعجب الجميع من أن مصـطفى ذكر سعيدا فى وصيته ليكون هو الوصى على أولاده كلهم ثم والدته.. فهل هو يعلـم أن سعيدا سوف يسبق والدته فى اللحاق بربه وتكتم كلّ ما يعتلج فى نفسه ولم يفصح، فقط حمدوا الله أن سعيداً لم يكن حاضر ليسمع ذلك بأذنيه.

دق جرس الهاتف، وأسرع مصطفى يستطلع الأمر، وجاءه صوت المحامى يطلب منه أية إثباتات لحرمان الأم من وصاية ابنتيـها، وتعجب مصطفى من هذا الطلب، لكن المحامى أفاده بأن محامى السيدة سميحه خابره محذراً من اتخاذ أية خطوة من شأنها حرمانها من رؤية ابنتيها أو الوصاية عليهما، وجال مصطفى بنظره، فعاجلته المنقذة وقت الشدة مهدئةً من روعه:

- " ما الأمر يا أبى؟ أراك تكدرت من هذه المكالمة، هل هناك ما يزعج؟ "

فأجاب مصطفى والدهشة تكاد تعقد لسانه:

- " هذه بنت القرنفلى.. سارعت بطلب محاميها وطلبت منه اتخاذ الإجراءات تحسباً من أن أحرمها من الوصاية على مريم ومها، وقد طلب منى المحامى الموكل عنى موافاته بأية

إثباتات تؤكد حرصى على بناتى وتؤيد طلبى حرمان أمهما من الوصاية عليهما، طبعاً بخلاف وثيقة تنازلها عن حضانتهما عندما اشترطت أنا ذلك للموافقة على طلاقها.."

فاصطحبته مايسه إلى غرفة المكتب، حتى يكونا وحدهما، وطمأنته، ثم أحضرت النوت بـــوك، وبعـــد إصدار بعض التعليمات، ظهر على الشاشة ما دار بين مريم ومها من حديث داخـــل الغرفة المغلقة، ثم ما دار بين سميحه ووالدها من حديث وشجار، فاعترض مصطفى على الأسلوب، لكن مايسه شرحت له وجهة نظرها وأقنعته بأن التعامل مع هذه النوعيات لا يتم إلا بهذا الأسلوب، ثم قالت:

- " الحقيقة أننى منذ أن قدمت، وأنا أجد الكثيرين من أهل بلدى، ينكرون ما سبق أن قالوه، ويتهمون بدون دليل ويأتون بشهود زور، بل ويزورون الحقائق، ويدلســون المشاعر، ولن أطيل عليك يا والدى، إذ يكفى ما فعله معى " علي " وهو من هو، تربية دينية، ونشأة جيدة، ووظيفة ميرى، لكن هذا لم يمنعه من تزييف مشاعره نحوى تمهيداً لخطبتى، ظناً منه أنه يستطيع أن يدلسنى بمشاعره الكاذبة، لعله لا يدرى أننى على اطلاع بكل ما دار بينك وبينه من أحاديث، ولا تظننى أستخدم هذا الأسلوب للإضرار بالغير، ولكنه أسلوب لحمايتى وحماية من أحب، ومن عندى أحب إلى قلبى منك يا أبى.. "

شـــكرها، ولكـــنه عاتبها، فقد كان من الواجب اطلاعه على هذه التقنيات التى تمكن من التنصت من خلف الأبواب المغلقة، فأكملت:

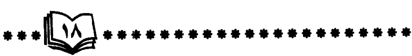
- " بل قل من خلف الجدران، يا والدى إن كل ما دار بينك وبين أى ممن تعاملت معهم خلال الفترة الماضية مسجل عندى فى النوت بوك، ولو أردت أن ترى وتسمع ما دار بينك وبين مستر نرسنج فى السفارة أو فى الحديقة أو فى أى مكان، فأنا على استعداد لأطلعك عليه، هذا بالطبع نتيجة دراسات وأبحاث تم تسخيرها كلها فى أعمال الاستخبارات،لقد أطلعك " علي " على من أكون، ومن هو مستر كيوكى؟ وهذه المعلومات يا والدى غاية فى السرية لو خرجت من بيننا لكان فيها هلاكى..."

وبعد فترة صمت استأنفت:

- "إن المخابرات اليابانية لم تقبض بعد على العصابة التى تريد التخلص منك ومنى، نحن لا ندرى ما هو السبب؟ لكن ما عرفناه عن عائلة والدتى باليابان، أن هناك ثأراً لهم عندنا، منذ أن قاتل جدى الأكبر لأمى الذى كان من الساموراى أحد رؤساء العصابات وصرعه فى ذلك الزمان الذى مضى عليه أكثر من مائتى عام، ولعل هذه المجموعة هى أتباعه أو من أفراد عائلته، وقد استطاعوا قتل جدى لأمى، ثم والد أمى، ثم خالى، ثم أمى، وهذه هى المفاجأة يا أبى، إن أمى بعد العلاج الأخير بالطب المصرى القديم والمواد التى كانت تستخدم فى التحنيط، وكذلك بعض مواد وأعشاب الطب العربى فى النوبة فى أقصى صعيد مصر، كانت قد شفيت تماماً من آثار الإشعاعات، ولكن ما تسبب فى تدهور صحتها، كان نوعاً من الكيماويات السامة التى لا تظهر لها أية آثار إلا بعد مدة طويلة، ولعل ذلك حدث أثناء تواجدها فى المستشفى أثناء ولادتى، بداية للتعرف على مكونات المواد التى استخدمها المصريون فى علاجها من آثار الإشعاعات، ثم وبعد ذلك بدأت محاولات قتلها انتقاماً لمصرع زعيمهم منذ أكثر من قرن، وربما لخشيتهم من افتضاح أمرهم واتهامهم بقتلها.."
- " إن أول ما فعلته الاستخبارات اليابانية، عندما قدمنى مستر كيوكى لهم، لأكون أصغر عنصر من عناصرها.. هو إخضاعى أولا وقبل كل شئ لمزيد من الأبحاث والتحاليل للتحقق من أن جسدى يخلو تماما من هذه العناصر المدمرة التى كانت السبب فى وفاة والدتى ثم بعد ذلك بدأ تدريبى وإعدادى الإعداد المناسب، الذى أستطيع به أن أحمى نفسى من هذه العصابة أو من غيرها، لكن مستر كيوكى لم يشا أن يطلعك على هذا السر حتى لا يزيد قلقك، والآن هم يعدون العدة لقتلى، لكن لماذا يريدون التخلص منك، هذا ما نحاول التوصل إليه، لقد أفضيت لك بكل هذه المعلومات حتى لا تتصور أننى أتجسس عليك أو على عائلتى أو أهل بلدى".

ورشفت من كوب ماء أمامها قبل أن تعيد استئناف الحديث مع والدها:

- كما أننى أخشى من أى هجوم قد يحدث أثناء نومنا، وهذه التقنيات تمكن من اتخاذ إجراءات معينة بناء على تعليمات مبرمجة فى مثل هذه الحالات، ولعلم سعادتك، لو حدث وتجاسرت بنت القرنفلى كما يحلو لك أن تنعتها، برفع يدها للهجوم عليك، لرأيت العجب، لكن الله سلم.."



■ لكننى عندما رأيت مريم وهى تنتصب واقفة رافضة وجودها مع أمها فى مكان واحد، أيقنت بان هناك خلافاً حاداً ومشاعر متضاربة تعتمل فى صدرها، أكدتها لى لكزتها لها عندما أبدت ترددها فى السفر، ومن حسن الحظ أن ما تم تثبيته من تقنيات التصوير والصوت كانت ما تزال فى غرفة المكتب، ووجدت النوت بوك قد سجلها، أما ما دار بينك وبين سميحه هانم، فقد بدأت بتسجيله منذ اللحظة الأولى لدخولها، فانا لا أدرى لماذا لا أشعر بالارتياح لها..؟ وسامحنى يا والدى.. "

وطبعت قبلة على جبينه، فاحتضنها بين يديه، وعاتبها أنها لم تخبره بكل هذه المعلومات من قبل، فاستسمحته وتعهدت بأن تخبره بكل شئ فى حينه، لكنها استثنت ما يكون منه طارئاً تستلزمه الظروف، أما ما يتعلق بتعليمات المخابرات اليابانية، فأعلنته أنها لن تخبره بها بالطبع، وتفهم مصطفى الوضع، وتناول سماعة الهاتف، وأدار القرص لطلب المحامى، لكن مايسه استمهلته، وقامت بتشغيل النوت بوك، الذى تولى طلب المحامى، فأكد مصطفى له أن لديه من المستندات بالصوت والصورة، ما يثبت أن هذه السيدة لا تصلح أن تكون وصيةً على ابنتيها فقط، ذلك أنها لا تصلح أصلاً أن تكون أماً، فضلاً عن أنها لا تصلح أن تكون زوجة، ويكفى زيجتان فاشلتان والبقية تأتى.

وسرعان ما استدار إلى مايسه بشيء من الغلظة:

■ " ومادام مستركيوكى يعلم تلك المعلومات التى قمت بذكرها عن أسباب مرض والدتك ووفاتها، فلماذا حملنى المسئولية فى وجودك دون أن تردعيه بما لديك من معلومات؟ "

وتلكأت مايسه فى الرد قليلاً، لكنها سارعت تدرأ عن نفسها تهمة تقاعسها فى الدفاع عن أبيها:

■ " لم أكن أعلم لحظتها، ولكنى عندما راجعت المعلومات المخزنة فى سجلات المخابرات حيث أن لى الحق فى الدخول على ما يسمح به منها، وهذه المعلومات كانت مما يسمح به، ووجدت كل ما ذكرته لك مسطراً، واجهت مستركيوكى به، فتبين أن أمى فعلاً كانت حاملاً فى ولد، تصور يا أبى، كنت سأحظى بأخٍ جميل مثلك، وحيث أنه من المعروف طبياً أن الحمل قد يؤدى إلى بعض التغيرات فى جسد الحامل أهمها ضعف

المقاومـة، وهذا يؤدى إلى سيطرة الإشعاعات وأمراض الذرة، فقد ساقها لك، حتى يَحْيك دورة مـع أفـراد العصابة، فلا تنسى يا والدى أن هناك نوت بوك آخر خاصاً بالعصابة كنت لا أشـغله إلا لما أرى تشغيله من امور ليست ذات معنى، وهذا طبعاً بناءً على تعليمات السـيد كـيوكى خالى وهـذا الحـوار كان لابـد أن يحـدث، حـتى نـبعد شـك العصـابة فيـنا وبالطبع كان لا يجب أن نذكر أن للعصابة يداً فى مقتل أمى.. "

وتأكد لمصطفى كم هى المسافة بعيدة جداً بينه وبين تقنيات ابنته وذكائها، لكن ذلك جعل قلقــه علـيها يزداد، فمادامت الأمور بهذه الخطورة، وهذه العصابات ليست بالبساطة بحيث يمكــن القضاء عليها بسهولة، فإن لها أكثر من رأس، وكلما قطع لها ذنب نما أكثر من ذنب، فقرر أن يتعلم على يديها ومنها كيف يحميها أولاً، وكيف يحمى عائلته، فقالت بنعومة ودلال، مستخدمةً اليابانية:

- " عـندما نصـل الـيابان يـا أبـى، سـوف أكرس وقتى لتلقين أفراد أسرتى كل فنون القتال الـتى تمكنهم من التخلص من أى عدو مهما كان حجمه، أو كانت قوته، وسابدأ بجدتى الحاجـة مـريم، وسـوف تدهـش يا أبـى عـندما تجـد أن الشـباب والحـيوية قد عادا إلـيها، ولكـن لا تحاسـبنى إن جاءك الخطاب يطلـبون ودهـا، إن الرياضـة وأسـلوب التغذية الذى يعـتمد عـلى الـبروتين الـبحرى، همـا أهـم أسـباب شـباب وحـيوية وقـوة وتقـدم الشـعب الـيابانى، وسـاحاول إن شـاء الله أن أنقـل هـذه التكنولوجـيا إلى أفـراد أسـرتى، ولنـبدأ بـتمارين الرياضـة الـتى ستمكن جدتى من حمل طن من الأثقال دون أن تشعر بثقله أو تشعر بالتعب والإرهاق.."

وكانــت جدتهـــا قـــد حضـــرت جـــزءاً من الحوار، وما أن أنهت مايسه حديثها، حتى احتضنتها جدتها، فأخذت مايسه بيديها، وبدأت تراقصها وتتمايل معها، والسيدة تجاريها ببطء فى البداية، سرعان ما تجاوبت معها فى بعض سرعة شبابها، وفوجئ بها مصطفى فى اليوم التالى وقد سبقته مع مايسه فى الهرولة حول حديقة الفيلا، ومعهما صفية ومريم ومها.

٣ـ أسامه

ما أن انتهت العائلة من صلاة الفجر، وجلست إلى مائدة الإفطار، حتى فوجئوا بقادمة قد توشحت بالسواد، وغطت وجهها بغلالة من الدانتيل الأسود، لم يتذكرها إلا الحاج وهدان، حيث قفز من كرسيه يواجهها بوابل من الاتهامات، لكن السيدة استوعبت ثورته، وتقدمت بهدوء نحو صفية، وناولتها كتيب شكله أنيق، لكنه لا يعدو أن يكون أجندة، وقالت السيدة بهدوء بعد أن ألقت تحية الإسلام:

- "أنت الوحيدة يا صفيه التى لها الحق فى محاكمة أسامه، سواء أثناء حياته أو بعد مماته، وساترك لك الحرية فى الحكم له أو عليه، لكن إذا كان الحكم له، فعليك أن تتقبلى شريفاً ابناً شرعياً منه، ومن ثم، عليك أن تتقبلينى جدةً له، على هذا الشرط فقط أترك لك يومياته تتصفحينها بكل ما تحمله له نفسك من حقد أو كره أو عدوانية، وإلا.. فاستسمحك أن تعيدى لى يومياته، وأنصرف فى سلام وكانكم لم تشاهدوننى، وكانى لم أحضر إليكم."

تعجب الحاج وهدان من هذا الأسلوب المنمق الذى طرحته سهير المرعشلى، وردد بصوت كسير خافت كثيراً من العبارات التى تؤكد على أنها لا يمكن أن تكون هى سهير المرعشلى التى يعرفها،أين تهجمها الدائم والسريع؟ أين استفزازاتها المتعاقبة، التى تشعرك بالرغبة فى الضغط على حنجرتها حتى تسكتها تماماً؟

لكن مريم هانم بكرمها التلقائى، سارعت بالترحيب بالسيدة، ودعتها لتناول طعام الإفطار معهم، لكنها اعتذرت بهدوء، وجلست فى أقرب مكان وجدته، وأحنت رأسها ورفعت يدها إلى عينيها بالمنديل الذى لم يفارقها، لتمسح به بعض العبرات التى انطلقت رغماً عنها، تأثراً بما قاله الحاج وهدان، أو لعلها عبرات تذكرها لابنها أسامه، حيث انطلقت فى نوبة من البكاء الحار بمجرد أن لامستها أيدى مريم هانم، وهى تحاول أن تهون عليها المصاب، إنها مشاعر السيدات التى لا يعرفها إلا السيدات، أما الرجال، فقد تكون لهم قلوب تُحَجِّرُها الأحداث، أو نوازع أخرى خليط بين الكرامة والثأر، ولكن هل يعقل أن يثأر الحاج وهدان لابنته من ابن أخيه؟

أنهــت العائلة طعام الإفطار بسرعة، والتفت حول السيدة يهونون عليها مصابها، وبعد جهـــد جهيد، استطاعت السيدة أن توقف سيل الدموع التى تنهمر من أعينها، والتفتت إليهم تستســمحهم عبراتها التى تتساقط رغماً عنها، كلما تذكرت شقاءها الذى بلاها الله به، وبدأت تسرد عليهم قصة حياتها:

- " والدى هو الحاج عبد الوهاب رفاعة حمدان أبو دومه، وطبعاً ده اسم صعيدى، من عيلة أبو دومة بأسيوط فى آخر قرى أسيوط، بينها وبين سوهاج عدة أمتار.. "

فقاطعها الحاج وهدان متسائلاً:

- " أمال إيه حكاية المرعشلى دى؟ "

وانتزعــت الســيدة ابتســامة، حاولت بها أن تغير من الجو القاتم الذى صاحب دخولها الفيلا، وقبل أن تنشر فيه سواد البؤس الذى بدأت به قصتها:

- " المرعشلى ليس اسماً، ولا هو لقب عائلة، ولكنه وصف استأثر به والدى نتيجة ما كان يلازمه من هيبة ورهبة، فما أن ينظر إلى خصمه حتى يرتعش خوفاً، يستوى فى ذلك إن كان الخصم مجرماً، أو أحد المتجاوزين من مستغلى النفوذ من رجال السلطة، أو حتى أحد عسكر الإنجليز حتى ولو كان برتبة جنرال ، فصار وصفه المرعش، وحرفه الأتراك إلى المرعشلى..."

وتعجــب مصطفى، فقد كان يظن أن اللقب مرتبط بمهنة الرقص ورعش الوسط، وليس ببطولة أب كما تدعى هذه السيدة، ثم استغفر الله لظنه فيها، لعلها صادقة من يدرى؟ وعاد إلى الإصغاء لحديثها.

- " لكن أبى فى الحقيقة لم يكن مجرماً، ولا أريد أن أصف لكم شجاعته، ودفاعه عن الحق حتى ولو كان فى ذلك تحديه لسلطة حاكم جائر، أو تسلط مستعمر غاصب، ولا أريد أن أثقل عليكم فى وصف كرمه وطيبة قلبه مع الجميع، الصغير قبل الكبير، والفقير قبل الغنى، لكنه كان يتحول إلى سيل هادر لا يبقى ولا يذر إذا واجه إجراماً من ضعاف النفوس، أو تسلطاً من صاحب نفوذ، أو تعدياً من مستعمر إنجليزى كان أو مملوكى، لكن



كتب التاريخ تحمل بعضاً من أطروحاته المتعددة التى سطرت عنه بالكنية دون الاسم، فقد كانوا لا يعرفون له اسماً، ولكن المستعمر الذى يأبى إلا أن يوصم كل وطنى كريم أبى، بصفات مشبوهة، ويجرحونه بإلصاق تهم ومخازى عارٍ ليس من السهل محوها، قرن بين الباشوية التى أنعم بها الملك فؤاد على أبى لما بلغه عنه من شجاعة وجسارة، وما تناولته الألسن عن عمليات فدائية كان لها بعض الفضل فى إجبار المستعمر على الجلاء عن بلدتنا كلية، وشوهوا هذه الباشوية على أنها ثمناً لخيانته لوطنه ولأهل بلدته، ولخدمات جليلة ألصقوا لأبى القيام بها للملك، منها ما يعتبر قذفاً فى شرفه، وأنا أحد هذه القذرات، رغم أن عمرى لم يكن قد تجاوز الخامسة عشر، بس بقى بنات الريف، عمر خمسة عشر سنة بالنسبة لهن عرايس".

وسـألها مصـطفى سؤالا مباغتا عن ملكية أبيها لهذا القصر المنيف المقام على شاطئ النـيل، حيـث لا يتجرأ أحد على إنشاء مثل هذا البناء الضخم على ضفاف النيل إلا العائلة المالكـة ومـن فـى مستواها من الأجانب الذين نصبوا من أنفسهم سادة على أفراد الشعب المصرى، وكذلك المرضى عنهم من الأغوات والمحظيات، فقالت:

- " أما عن القصر الذى ورثته عنه، فلم يكن من تصميمه ولا بنائه، وإنما شيده الإنجليز ليكون مقراً لجواسيسهم، ولذلك فهو يحتوى على العديد من الممرات السرية والسراديب، التى كانوا يستخدمونها فى تصفية المواطنين الشرفاء الذين يضعهم قدرهم فى قبضتهم، وقد استولى والدى ومجموعة الفدائيين الذين يعملون معه على هذا القصر، عندما داهم الإنجليز أحد اجتماعاتهم، وقبض على مجموعة كبيرة منهم وحبسوهم فيه.."

ثم ابتسمت السيدة ابتسامة عريضة قبل أن تسترسل:

- " بعد أن علم أبى بالمكان الذى احتجز فيه الإنجليز زملاء الكفاح الذين قاموا بالقبض عليهم أثناء أحد الاجتماعات، تقصى أبى حتى عرف المهندس الإنجليزى الذى صمم القصر، واستطاع الحصول منه على خرائطه، حيث عرف بأمر الممرات السرية التى تؤدى إلى النيل، والمخارج الأخرى التى تؤدى إلى الشوارع المحيطة بالقصر من الجهات

الأربعة، ونظراً لأنه بدأ يشك فى أن يكون أحد أفراد المجموعة التى تعمل معه، هو الذى تخابر مع الإنجليز ليعلمهم باجتماعاتهم، وهذا هو السبب فى القبض على مجموعة الشرفاء الذين كانوا معه.. "

وقاطعها مصطفى فقد وجد فى عباراتها الكثير من المجاملة لبطولات والدها على حساب الآخرين:

- " ولماذا لم يقبض على والدك فى هذه المداهمة؟ "

وفهمت السيدة سهير ما يرمى إليه مصطفى، ولم ترد أن تحرجه وهى فى بيته، فردت عليه بلطف:

- " كان من الممكن أن يكون معهم، لولا فطنته وخفة حركته حيث تمكن من الهرب بسرعة خاطفة فور شعوره بقلق أحد رفاق الكفاح، وكثرة تحول نظره إلى الباب، وشروده الذى كان واضحاً، هذا بالرغم من أنه فى البداية ظن ذلك خوفاً باعتباره الاجتماع الأول له معهم، لكنه عندما شعر بحركة غير عادية خارج الغرفة التى كانوا يجتمعون فيها، سارع بتحذير المجموعة، وأشار إلى مكان الهروب، وكان أول من بادر بالوصول إلى ذلك المكان، وتبعه البعض، ومنهم هذا الرعديد الذى تأكد والدى من أنه هو الذى قام بالتخابر مع الإنجليز بشان اجتماعاتهم، ولولا ذلك لاستطاع الإنجليز أسره معهم، لذلك قرر القيام بعملية الاستيلاء على القصر بمفرده دون الاستعانة بأحد حتى لا يكون جاسوسا للإنجليز، وخطط لدخول القصر خلسة، لذلك كان لابد له من التعرف على مخططات القصر ومخارجه، وتسلل إلى داخل القصر من تلك المخارج التى اطمأن الإنجليز إلى اعتبارها من النقاط صعبة الاختراق لأنه لن يفكر أحد فيها ولن يفطن إليها أحد، فهو أحد الممرات السرية التى تنتهى إلى عمق سحيق فى النيل، ولا يمكن لأحد الدخول إليها إلا إذا كان سباحا ماهرا وغطاسا مغوارا، ولحسن الحظ أن والدى كان يمتلك الميزتين، فاستطاع الدخول.. وقتل من وجده من الإنجليز فى طريقه، حارساً كان أو خادماً، حتى وصل إلى أبواب الزنازين التى حبس فيها رفقاؤه، وغيرهم كثيرون من أبناء الوطن، الذين كان يعرفهم أبى، أو حتى إن كان لا يعرفهم، فإن نصرتهم فرض عليه.. "

وقاطعها مصطفى مشككاً فى كل ما روته:

- " لكن من الثابت فى محاضر البوليس أن أباك هو الذى شيد هذا القصر، وأن السراديب الكثيرة التى به كانت لتصفية خصومه السياسيين.."

وطلبــت الســيدة كوبــاً من الماء، رشفت منه رشفتين، ثم اعتدلت فى جلستها لتواجه اتهامات مصطفى:

- " ذلك أن القصر مسجل باسم والدى أرضاً، فقد احتجز أبى ومعه من قام بتخليصهم من الزنازين، جميع الإنجليز الذين كانوا فى القصر، وأجبروا السلطات الإنجليزية على التنازل عن القصر، ودفع فدية ألف جنيه مصرى عن كل إنجليزى محتجز، ولعلك لا تعلم يا سيد مصطفى، أن الجنيه المصرى كان أيامها يساوى أكثر من جنيه إسترلينى وحوالى خمسة دولارات، ومش عايزة أقول قد إيه عملتنا رخصت هذه الأيام العصيبة عنها أيام من نُعِتوا بأنهم خونة ومتآمرون وصفات أخرى عديدة يعف لسانى عن ذكرها، ولعلمك يا سيد مصطفى.. كل ما كتب خلال السنوات الماضية عن أفراد أسرة محمد على، بل وعن محمد على نفسه، يكذبه ما يخرجه لنا التليفزيون من أفواه بعض المعاصرين، ومن البرامج التسجيلية التى تبث عنهم بين الحين والآخر، والأعجب أن ما يطول الأشراف من ملوك أو رؤساء، ليس إلا جروحاً فى تصرفاتهم الشخصية، التى ربما لا يكون لها صلة بقيادتهم للشعب.."

وفجأة انتصبت السيدة واقفة وهى تشهر يدها ولسانها، وكأنها فى خطبة عصماء:

- " كلها أقوال أجانب أو مصريين ماجورين، يستند إليها كتابنا دون خجل، وآخرها ما أذيع أن الملك فاروق كان مجنوناً، وهو الذى خرج من البلاد دون مقاومة رغم قدرته على ذلك، وقال قولته الشهيرة " إنه لا يريدها حرباً أهلية بين أبناء بلده " لا أظن أن هذا القول يصدر عن رجل مجنون، فليراجع رجال التاريخ مصادرهم مرة أخرى دون تحيز أو مجاملة، قبل أن تكشفهم الحقائق التى تذكر أن الملك فاروق أثناء حرب فلسطين كان يمر على الجنود فى الجبهة بملابس الميدان، ويسلم عليهم واحداً واحداً، بل إننى لن أنسى أبداً ما قاله لى أحد فلسطينى غزة، وهو يذكرنى ببطولات الملك فاروق، حيث كان الفلسطينيون فى

قرية قريبة من معبر أريئز يعتدى عليها اليهود بين الحين والآخر، وفى إحدى جولات الملك التفقدية لأحوال الجنود فى الجبهة، فوجئ بإطلاق نار على موكبه، فأمر بإسكاته، وخلال فترة وجيزة، كانت تلك المستعمرة اليهودية أطلالاً، وهَنأ سكان القرية الفلسطينية بالأمان، وغنموا ما تخلف عن المعركة من دواجن ومواشى، هذه الواقعة يستطيع رجال تلك القرية التى لا أذكر اسمها الآن أن يؤكدوها، فهل هذا التصرف يصدر عن مجنون..؟ "

فقال مصطفى بكل هدوء:

- " كلامك قد يكون صدقاً، ولكنى لست قاضياً لأحكم على هذا أو على ذاك، لكنك لم تذكرى لنا كيف أن قصر أبيك مسجل باسمه أرضاً قام هو بتشييده عليها؟ "

وهدأت السيدة حتى تتمكن من الرد على الافتراءات التى تطول والدها:

- "ذلك أن الإنجليز كانوا قد استولوا على أرض القصر دون شرعية، وهم لا يستطيعون التنازل عما لا يملكونه، فوافقوا على تسليم القصر على أن يسجل أرضاً باسم الوالد، ظناً منهم أنهم قد يتمكنون من زرع بذور الشقاق بين رفاق الكفاح، إلا أن الله رد كيدهم، فوافق جميع رفاقه على أن يسجل القصر باسم والدى، وذلك تقديراً له على بطولته التى أنقذتهم من موت محقق، وفى المقابل، تنازل أبى لهم عن نصيبه من الفدية المالية، فانتهزها الجميع فرصة، وتنازلوا هم أيضا عن نصيبهم ورصدوها كلها لمقاومة الإنجليز، ولما علم الملك فؤاد بذلك، أصدر فرماناً بالباشوية لوالدى، وأصبح عضواً بارزاً فى البرلمان ثم عضوا فى مجلس الشيوخ بعد ذلك. "

وتوقفت السيدة عن الحديث قليلاً، قبل أن تبدأ بسرد قصتها هى:

- " ذلك عن أبى وقصره، أما أنا.. فقد نشأت فى هذا الجو من الفدائية والبطولة، ووالدى بالرغم من أن القصر سجل باسمه أرضاً، إلا أنه احتل الطابق الأول منه فقط، أما الطابق الأرضى، فقد أوى فيه من لا مأوى له من الفارين من الإنجليز سواء كان فدائياً أو حتى من لصوص المعسكرات، والسراديب كانت تجمع فيها الأسلحة والذخائر، وكانوا يحضرون كل من يتمكن الفدائيون من قتله أو أسره من جنود أو ضباط إنجليز سريعاً إلى القصر، فيتم تجريده من ملابسه، وإلباسه ملابس السباحة، وإلقائه فى النهر من

خلال الممرات السرية التى تؤدى إليه، ولقد تم تحصين القصر جيداً، حتى أنه كان فى الإمكان ردع أى عدد من جنود الإنجليز الذين يحاولون الاقتراب منه، حيث يتم أسرهم جميعاً والتخلص منهم بنفس الطريقة التى سبق وقصصتها عليكم، حتى أصبح اسم القصر - قصر المرعشلى - مثار رعب فى قلوبهم".

وصمتت السيدة لبرهة ريثما تلتقط أنفاسها:

- " وكان والدى كثيراً ما يكلفنى ببعض المهام التى يرى أنه لا خطورة على منها، ورويداً رويداً أصبحت أنا التى أتسلم الأسلحة والذخائر التى يتم شراؤها من لصوص المعسكرات، ويعتبرونها أعمالاً بطولية مساهمة منهم فى الجهاد، لكن أبى كان يصمم على تعويضهم عن ذلك لتشجيعهم على جلب المزيد منها، وذلك لعلمه بان الحاجة إلى المال هى التى تدفعهم إلى السرقة، وأنه ربما ليست لديهم أية موارد مالية أخرى، كما كان بعض هذه الأسلحة يتم شراؤه من الجنود الإنجليز أنفسهم، مع علمهم بأنها سوف تستخدم فى قتل زملائهم، حيث كانوا يريحون ضمائرهم وذلك باخذ وعد ممن يبيعونها لهم بعدم استخدامها ضد زملائهم، ذلك أنهم كانوا على يقين من أن الذين يشترون هذه الأسلحة، لن يستخدموها ضدهم، حتى لا يذبحوا الدجاجة التى تبيض لهم ذهباً، وكذلك كنت استلم بعضها من فدائيين آخرين كانوا يهاجمون المعسكرات ويستولون على السلاح، وكانت فكرة والدى فى تكليفى بهذه الأعمال أنه لن يخطر على بال العدو أن يضحى أب بابنته الصغيرة، لتقوم بهذه الأعمال البطولية، وفى ذات الوقت، كان تعاملى مع الأطراف الأخرى يتم بشىء من الهدوء، والثقة المتبادلة، ذلك أنه بمجرد أن تتم الصفقة، ويبتعد الطرف الآخر، يتوافد أفراد جماعتنا واحداً بعد الآخر ليحمل كل منهم ما يستطيع حمله من أسلحة ويختفى كما ظهر.."

وانتابتها حالة من الصمت لفترة، ربما لتستأنف الحديث بعد الراحة:

- " لذلك، فقد كنت أمتطى صهوة الجواد، وأرمح فى الفلاة دون خوف، فقد كنت أشعر أن هناك أكثر من عين تحرسنى، فضلاً عن حراسة الله سبحانه وتعالى وحمايته لى، وقد تصادف فى أكثر من مرة، أن حاول بعض الإنجليز التعرض لى، والتحرش بى

عندما يكتشفون أننى فتاة، وكنت أجد الأرض قد انشقت وظهر منها أبطالنا من الشباب ليقضوا عليهم، ويتم التخلص منهم بالطريقة إياها أو بغيرها... وفى أحد هذه الجولات، والجواد يخترق حاجز السرعة المعقولة، اخترقت موقعاً من مواقع تصوير أحد الأفلام، ودون أن أدرى، تابعنى المصور فى رحلة ذهابى إلى المدى الذى استطاعت الكاميرا تصويره، وانتظرنى حتى العودة ، وعندما وصلت إلى موقع التصوير استوقفنى المخرج، وعرض علىّ العمل معه، فى البداية " دوبليراً " للبطلة بمعنى أن أقوم بالأدوار الصعبة أو الخطيرة التى لا يمكن للبطلة القيام بها أو يخشى عليها من الخطر إن هى قامت بها، ولما تكشف له جمالى، ووجد من البطلة بعض التمنع والمماطلة عن بطر وزهو بالنفس، قرر سحب الدور منها، وبدأ التفاوض معى على القيام به، خاصة وأن البطلة كانت غير مصرية، ولكنتها البدوية لا تقنع المشاهد، حيث كان الدور لبدوية بملامح ولكنة تؤكد مصريتها. "

- " وهنا وقعت إحدى الحوادث التى كان لها الأثر الكبير فى الترحيب بهذا العرض من والدى قبل الجميع، فقد تتبع الإنجليز رحلاتى، وقاموا بالقبض علىَّ، ولولا ما عرضه المخرج من لقطات امتطائى للفرس على أنه جزء من الفيلم الذى أقوم ببطولته، لما أفرج الإنجليز عنى، بل وبدأ ترحيبهم بى فى محافلهم، خاصة عندما اكتشف المخرج جمال صوتى، وبدأ تقديمى فى إحياء الحفلات، والغناء فى مسارح عماد الدين وروض الفرج والحفلات الخاصة بالأغنياء والعائلة المالكة، وقمت بدورى كما قامت به الكثيرات من الفنانات، فاوقعت بالكثيرين من الإنجليز، ولكنهم لم يتمكنوا من اكتشاف أمرى، لسببين، الأول أن فنانى جيلنا كانوا يصنعون الممثل بداية من الأداء الفنى وزرع الموهبة، ونهاية بالجمال الذى حبانى الله به فزادوه إبهارا بمساحيق المكياج، ثم وهذا هو الأهم كانوا يتفننون فى تلقيننا أصول الرقة والكياسة فى الأحاديث الصحفية وغيرها والأناقة فى التعامل مع الغير وخاصة أصحاب النفوذ والسلطان، وكانوا يركزون على تعلمنا للغات الأخرى وعلى وجه الخصوص الإنجليزية والفرنسية وذلك حتى يمكن التعامل مع جميع الجنسيات، ومع جمال صوتى ورقة تصرفاتى،كل ذلك كان يدرأ عنى أى شك فى أننى قد أقوم بأعمال عنف أو قتل، والثانى،إن الذين يعاونونى كانوا من الكثرة بحيث يتم

القضاء على أية محاولة للتعرف على ما يحدث أو الوصول للفاعل، وهكذا امتهنت الفن والغناء، جنباً إلى جنب مع الفروسية والفداء. "

وتنحنح الحاج وهدان، قبل أن يباغتها بهذا السؤال:

- " أمال كيف اتجوزتي المرحوم خوي؟ "

فانتزعت السيدة ابتسامة علها تخفف من حدة توترها فلا تخرج كلماتها قنابل، ثم تبسمت وقالت:

- " أخوك ده حكاية كبيرة.. كان يحرص على حضور الحفلات التي تقيمها الجمعيات الخيرية التي أتبرع بالغناء فيها، وكان يتبرع بسخاء وهو ينظر إليَّ بعينين كلها حب وتقدير، وفهم الجميع أن تبرعه لم يكن إلا من أجل عيوني، وتقديراً مني لكرمه، أهديته قبلة كانت مكافأة لمن يتبرع بأكبر مبلغ من أجل الطفولة المشردة، وتبرع هو بألف جنيه، وكان هو الفائز بأعلى مزاد، لكن هذه القبلة شعللت قلبه بحبي، وصار كظلي في كل مكان، مصمماً على الزواج مني، قال إيه.. ما دمت قد قبلته، فلابد أن أتزوجه، فهو لا يقبل أن يغضب الله، وسألته عن حملقته في أجساد الراقصات العاريات، فأقسم أنه لا يراهُن، ودققت النظر متتبعة إياه، فوجدته صادقاً.

- "ولما مات والدي، قدم لي أخوك واجب العزاء، وأعطاني عنوانه في سوهاج، عارضاً عليَّ مساعدته غير المشروطة وبلا حدود، ولما جدته شهماً كريماً محباً لي وبعد أن انكشف أمر القصر، وطاردتني القوات الإنجليزية في كل مكان، وكنت بعد صغيرة، فبحثت بذاكرتي في من ألجأ إليه، فلم أجد سوى الحاج عبد المعبود في سوهاج، فذهبت إليه وفي نيتي أن أبقى عنده حتى تنجلي الأمور. لكنه أصر على الزواج مني، فتزوجنا، وعشت حياة المرأة المصرية في صعيد مصر، فلم يتمكن أحد من التعرف عليَّ، وعندما اكتشفت عدم قدرته على الإنجاب، عرضته على أكثر من طبيب، وكانت التعليمات البعد عن الشاي الثقيل، والسجاير والمكيفات الأخرى، وعدم السهر، ولولا هذا لما جاء أسامه.."



وقاطعها الحاج وهدان:

- " أمال ليه ما كانش رايد يعترف بيه..؟ "

وابتسمت السيدة قبل أن تجيب:

- " ده موضوع ابقى اسأل قريبتك أم الخير عليه.."

ورجاها الحاج دهشان:

- " طب ما تجولى لى انت وتريحى جلبى، الله يرضى عليك.."

وقبل أن تجيبه، خرجت صفيه وقد احمرت عيناها من بكاء حار، وهى تلعن هذا المدعو جوبيتر ومن كان معه، وتترحم على أسامه ابن عمها، والأجندة فى يدها بللت أوراقها بالدموع، وكان لابد أن تفسر لهم الأمور، فقالت السيدة سهير لتريح صفيه من عناء الحديث أثناء البكاء:

- " مصيبتى الكبرى لم تكن اتهام أخيك لى، ولا عدم اعترافكم باسامه ابنى، ولكن المصيبة الحقيقية كانت فى زوجى الثانى البرنس المزيف عباس قللى، رجل كل العصور واللعب على جميع الحبال، كان يعرف سر القصر، فاستغل فترة إقامتى مع الحاج عبد المعبود فى سوهاج فى استعمال ممراته السرية وسراديبه فى تجارته الملعونة، وعندما رفض الحاج عبد المعبود الالتزام بنصائح الأطباء، قررت أن أتركه فترة من الزمن ريثما يعقل ما يفعل، وتركت له رسالة أفهمته فيها بان له حرية الخيار فى أن يتزوج من امرأة أخرى غيرى تقبل به زوجاً بلا أولاد، وكانت معاهدة ٣٦ قد وقعت، وتم جلاء القوات الإنجليزية عن مصر، وترحيلهم إلى مدن القناة، وأصبحت غير مطلوبة منهم، فعدت إلى القصر تاركة له سوهاج وكل شئ، وأخذت أم الخير معى، إلا أنه أمعن فى سهراته الصباحى، والكيف الذى لا يفارقه وكأنما هو ينتقم من نفسه، لكنه كان يرسل لى جميع نفقاتى ويزيد، لكن الشك الذى لا يترك لكم فرصة الحياة السعيدة، كان يقطع أحشاءه، فلا يلبث أن يتردد سراً على القصر، ويستجوب أم الخير عمن أقابلهم؟ ومن أذهب إليهم؟ ومن يزورونني؟ وأسئلة كثيرة كمن لا يصدق أننى أحببته، وأننى أخلص له، وفى إحدى زياراته السرية هذه، تعمدت اللقاء به ومواجهته بشكوكه، وطلبت منه الطلاق، وفى ثورة غضبه طلقنى.."

■ " وعدت مرة أخرى إلى الفن حيث استقبلنى أهله بكل الترحاب، وكان كل هدفى تكوين ثروة أستند عليها فى نهاية أيامى، فقد علمتنى فترة بعدى عن أخيك، كيف تكون الحاجة قاسية؟ ولولا النفقة التى كان يرسلها إلى قبل الطلاق، لكان الفقر قد أكل أحشائى، ولعلها أم الخير هى التى أبلغته بالحالة، فقدم سريعاً ملبياً طلباتى دون أن يقابلنى أو يفكر فى رؤيتى، فقد قرر أن يشعرنى بعدم أهميتى فى حياته.."

وقاطعها الحاج وهدان:

■ " أمال أسامه جه ميته..؟ "

فنظرت إليه السيدة شذراً كأنها تحذره من مقاطعتها مرة أخرى:

■ " اتبع أخوك كافة الطرق للتحقق من سلوكياتى، وبعد عامين من المراقبة الدقيقة، جاءنى وقد نفض عنه تماماً آثار الكيف.. حتى السجائر، وامتنع عن احتساء الشاى الثقيل واستبدله بالعصائر الطبيعية والأعشاب التى تزيد الخصوبة، وتطهر الأحشاء الداخلية، يعنى كان قد أصبح رجلاً آخر، وتاسف أسف النادمين على شكه فى، وتمنى لو أقبل العودة إليه، والعجيب أننى اكتشفت أن قليلات هن المصريات من بين العاملات بالفن، لا أدرى.. هل هى التربية؟ أم الدين.. وما أحلى الرجوع إليه.. "

ومرة أخرى قاطعها.. ولكن بتردد:

■ " وليه رفض الاعتراف باسامه؟"

وقالت السيدة بهدوء متعمد، علها تنقله إلى أخى زوجها:

■ " وجدته نشطاً قوياً ذا صحة وحيوية يحسده عليها الكثيرون ممن هم فى سنه، وتأكد لى أن خروجه من القصر لم يكن إلا للعمل، لكن يظهر إن أخاك أخذ على التبديل بين الحريم، استغل حبى له وثقتى به وبدأ يرسم على إحدى زميلاتى للزواج، فهو لا يغضب الله، وزميلتى هذه كانت جميلة والهرمونات عندها زايدة حبتين، وأخوك باسم الله ما شاء الله، بعد أن زالت آثار السهر والكيف والشاى، ومع العلاج المقوى الذى وصفه له الأطباء، بدا كبدر فى تمامه، طبعاً أنت لا تعى هذه الفترة، لأنك كنت فى سوهاج،

وكنت بعد صغير، وهذه الأحداث كانت فى القاهـرة، ونظراً لأن فكرة الإنجاب كانت قد بعدت تماماً عن تفكيرى، فقررت العودة إلى سوهاج فوراً، وتلكأ هو، فهددته بالانفصال، فرضخ، ولأن علاقـته بالزمـيلة إياها كانت مسـتمرة، فقد اسـتمرت سفراته إلى القاهرة، ولكنه لم يكن يقـيم فى القصر، وإنما كان يقيم معها فى شقتها.. والعجيب أننى بدأت أعانى مـن آثار بدايات الحمل، فقامت أم الخير باستدعاء إحدى الدايات، التى أكدت أننى حامل، وحمـدت الله، فقد كنت أقـترب مـن سـنوات اليأس، وأردت أن أزف الخبر لأخيك، لكنه كان قد تـزوج صاحبة الهـرمونات المتأججة، ويعيش فى غيه مع عروسه الجديدة، ولم يعد يهمـه حمل ولا أى شئ آخر سوى إرضاء صاحبة الهرمونات هذه، بل وزاد على ذلك أنـه عاد إلى معاقـرة الخمـر والمكـيفات وكـل ما نهاه الأطباء عنه، وكان لا بد لى من الـرد عـلى كل هـذا، فكتمـت عـنه مسـألة الحمـل، وعـدت إلى القصـر بالقاهـرة، وطلبـت الطـلاق عـن طـريق المحـامى، وزاولـت الفـن مـرة أخـرى، حيث أعجب فاروق بفنى، فكان يدعونى إلى حفلاته وسهراته.."

وقبل أن تسترسل.. استوقفها الحاج وهدان ليسألها:

- " فاروق مين..؟ الملك..!! "

وتأففت السيدة من سؤاله، فقالت مظهرة امتعاضها:

- " أيوه يا حبيب قلبى.. الملك فاروق.. هم يعنى باقى الفنانات اللاتى كان يدعوهن الملك لحفلاته الخاصة، تشجيعاً منه للفن، أحسن منى.. ! "

وتدخل مصطفى ليخفف من حدة النقاش:

- " الحاج وهدان ما يقصدش يا سهير هانم، بس أنت تعلمين أن ارتباط اسم الملك فاروق بأى من الفنانات كانت له دلالة واحدة.. أنت تفهمينها.."

وانفعلت السيدة سهير أكثر، فقالت بعصبية تصل إلى حد التسفيه:

- " وهـو يعـنى لما فـاروق نصـح أم كلـثوم بعـدم الـزواج مـن خالـه أو مـن الفـنان محمـود

الشريف أو غيره، كان يهدف من وراء ذلك إلى شئ، إلا رغبة ملكية، أو أمر.. سمها كما تشاء، أراد به أن يصون هذا الصوت الجميل، هبة الله لمصر والعالم العربى، من أن تكون زوجة، تحمل وتلد، وتضيع الموهبة..، والعجيب أنكم لم تلوثوا صورة أم كلثوم فى علاقتها بالملك، لكن بقى مفتريات الفن اللاتى رغبن أن يكون لهن نصيب من الشهرة ولو على حساب شرفهن، عنَّ لهنَّ إلصاق بعض الشائعات المغرضة عن علاقاتهن بالملك.. لكننى يا حبيبى لست منهن، ففاروق كان يعلم تماماً من أنا؟ ويعرف جيداً من هو أبى؟ لذلك دعواته لى لم تكن إلا للفن، والتعبير عن إعجابه بابنة السابعة عشر التى أفزعت الإنجليز، فرصدوا مكافأة كبيرة لمن يأتى بها حية أو ميتة.. ولك أن تسأل شكرى بك بتاعك عن هذه الوقائع، فقد كان أيامها صحفى صغير، ومثل هذه الأخبار كانت مثار اهتمامهم.."

واستاءت منى من ذكر أبيها على هذا النحو، وقبل أن تنطق بعبارات الاحتجاج، سارعت سهير بالاعتذار لها ولأبيها، بينما الحاج وهدان يصر عليها أن تكمل قصة عدم اعتراف أخيه بأسامه، فصرخت فيه السيدة بشدة:

- " أنا مش مسئولة عن غبائك، تكريم الملك فاروق لى معناه علاقة أثمة عند ذوى النفوس الضعيفة، وأخوك واحد منهم، شكاك حتى إصبع قدمه، وقد ظن أن قضية الطلاق هذه كانت من تدبير الملك، قال إيه.. ليتزوجنى ذلك أن الحكم فيها صدر بأسرع مما توقع، وبناء عليه، وبغبائه المتسرع، تصور أن أسامه نتاج علاقة أثمة مع فاروق، ومن ثم نسب أسامه له، وأخذ يردد فى كل مكان أنه ليس ابنه، ذلك أن أسامه ولد بعد الحكم فى قضية الطلاق، ولو كان أخوك ناصح حبتين، لقارن بين شبه أسامه وبين الملك، وأظن الفرق واضح جداً، فأسامه ليس شبيهاً بالأمير أحمد فؤاد بن الملك فاروق على سبيل المثال، كما أنه ليس شبيهاً بأى من الأميرات أخواته، كمان هو فيه شبه كبير منك يا حاج وهدان، هل هذا معناه أنك عاشرتنى لأحمل به..؟ "

وتذكرت أسامه، فانهالت عيونها أبحراً من الدموع، وبدأت نهنهاتها تعلو، ولم يشفع عندها ما أبداه الحاج وهدان من عبارات الأسف والتهوين، حتى أن رقرات دموعه بدأت

تـــتأرجح فـــى مقلتيـــه، وعلى وشك الانطلاق، لولا خشية من بعض هيبة يحلو له أن يتحلى بها، حتى فى أصعب المواقف،صمتت قليلا قبل أن تسترجع الذكريات:

- " مـش هـو ده أسامه اللى انت صممت على أن تقوم بتربيته قبل أن ترزق ببنيك؟ ومـش هو ده أسامه اللى خطبته لأول مولودة لك بمجرد أن ظهرت علامات الحمل على ستوته، وربما قبل ذلك، وأنت والحمد لله ربنا رزقك بذرية كلها أولاد، وصفيه لم تات إلا آخر العنقود، وبرضك صممت على إنها خطيبة أسامه؟ ليه نظرتك تغيرت عنه..؟ "

فقال وهدان بصوت كسير خافت:

- " يظهر إنك نسيتى يا حاجة سهير! لقد ألقيت أنت بأسامه لنا ولم يكن قد استكمل سنته الأولى، وكانك لا تريدين الاحتفاظ به.."

عاجلته حتى قبل أن ينهى جملته:

- " جحا أولى بلحم توره يا حبيبى، مش الباشا سعيد بجوازه مع بنت ال.. اللى خطفته منى، وهو بمنتهى البساطة لم يهتم بمولوده، ولد والا بنت، واكتفى بالطلاق ليتهرب من مسئولياته، وأنا لم يكن عندى ما أستطيع أن أتقوت به، فما بالك بطفل برئ، محتاج لرعاية وعناية ومصاريف، وكان لازم أرجع للشغل ثانى، رغم أننى لم أكن بعد فى السن أو الشكل اللذين يسمحان لى بالقيام بأدوار البطولة، لكن الحمد لله، وجدت من يقدر الموهبة، فخصص لى من يقوم على استنفار حياة الرياضة والفروسية التى كنتها قبل أن يبلينى الله باخيك زوجاً بدا حبيباً وأنهى العلاقة بعداوة غيرمحمودة الجوانب.. لكن هذا لا يعنى أننى تركت أسامه عندكم حتى كبر، لقد أخذته منكم بعد أشهر قليلة، عندما رسخت قدماى فى الفن مرة أخرى، ونظراً لأن ما كنت أرجوه من اهتمام أخيك به لم يتحقق.."

وقاطعها الحاج وهدان مرة أخرى:

- " ذلك أنه لم يعترف بالمولود ابناً له، وهذا الشك فى حد ذاته أرق عليه حياته.."

وكان ردها سريعاً:



- " لا يا حبيبى، الهانم مراته هى السبب.. رفضت أن يكون لوجود أسامه فى بيتها ما يعيد عبد المعبود إلى التفكير فى، فلفظته.. وشككته فى نسبه له.. فى البداية كانت بحجة زواجه من أكثر من امرأة رزقهن الله بالخلفة بعد أن طلقهن، فكيف ألد أنا منه، وعندما شعرت هى بأعراض الحمل.. أخفته عنه حتى تم لها الخلاص منه، لأنها لا تريد أن تترهل من الحمل والولادة، خوفاً من أن يبعدها ذلك عن الفن، فكما هو معروف، الفن يلفظ من نجوميته من تترهل.."

ولم ينتظرها تكمل:

- " يعنى هو ما عرفش بموضوع حملك باسامه.."

وانطلقت كلماتها كالطلقات .. لم تنتظره حتى ينهى حديثه:

- " لأ عرف، بس الملعونة فهمته أنه ابن الملك فاروق وليس ابنه.. وأصرت على عدم استقبال أسامه فى بيت أبيه للأسباب التى ذكرتها من قبل.. "

ورد عليها بأسرع مما خاطبته هى:

- " طيب.. ما إنت أيضا تركتيه عندنا دون أن يهتز لك طرف.."

وكالتها له:

- " أولا هو لم يبق عندكم لمدة طويلة حيث سارعت بأخذه منكم بمجرد أن استقرت قدمى فى الفن مرة أخرى، ثانياً أنت كنت تريد الاستحواذ عليه لأنك كنت تريد أن تستولى على أملاك أخيك، والطريق إلى ذلك هو أسامه، تربيه صغيراً، وتغريه باللجوء إليك بحججك الكثيرة كى تزوجه ابنتك بعدما يكبر، ومن ثم الاحتفاظ به كبيراً، وكلما طلبته كنت أنت وستوته تتلكأون، وكنت أراه ينمو عندكم بأفضل ما يمكننى توفيره له خاصة مع الجو الخالى من التلوث القاتل فى شوارع القاهرة، لذلك تركته للفترة التى ذكرتها من قبل.."

وأخذت تعصر ذاكرتها لتحدد المدة، لكنه كاد لها:

- " أولاً أنا خلفتى كلها كانت ولد زى ما جلتى، بنت إيه اللى كنت حجوزها له.. دى صفيه

اتولدت وهو عنده خمس عشرة سنة على الأقل.."

أخذت تحصى السنوات، فوجدت ما قاله صحيحاً، فألقت عليه بقنبلة من الوزن الثقيل:

- " انت عايز تبرئ نفسك وبس، أولاً فرق السن لم يهمك، وقلت ما هو أنا إتجوزت أخوك والفارق بينا أكثر من عشرين سنة، عرفت إن أخاك أشاع إن أسامه مش ابنه ولكنه ابن الملك فاروق، كتمت هذا الخبر حتى عن ستوته، وزقزقت من الفرحة عندما تم استئصال رحم الملعونة زوجته الثانية.. "

ثم استدركت:

- " لا ثانية إيه.. قول الثامنة.. وأخوك أكد لك هذه الفرحة بتطليقها، لأنه علم أن الرحم تهتك لكثرة عمليات الإجهاض غير السليمة، وأخوك تأكد من أن أسامه ابنه، وكلمنى تليفونياً واعتذر لى على أمل العودة إليه، خاصة أننى لم أتزوج فاروق ولا غيره، لكن الطعنه كانت قوية فلم أستطع حتى الرد عليه، وإنت تأكد لك أن أسامه سيكون هو الفائز بثروة أبيه دون أن يشاركه فيها أحد، لا أخ ولا أخت أشقاء أو غير أشقاء، ولا زوجة أب ولا حتى أم ولا خلافه، وعندما عاد أخوك إلى سوهاج، كان قد كبر سناً، وكان أسامه فى مرحلة الشباب، ولم تكن هناك الرابطة التى تجعله قريباً منه، فقد استطعت أنت تعويضه عن حنان الأب، لدرجة أنه أصبح لا يهتم بأبيه، وهذه فقط .. كانت أكبر ألاعيبك، وعلشان أثبت لك صدق قولى.. وحتى لا يتصور نسايبك أننى أفترى عليك، إزاى يا رجل يا ناقص تسيب بنتك لما تعدى الخامسة والعشرين ويمكن أكثر.. فى انتظار حصول أسامه على شهادته الجامعية..؟ وقال إيه البنت ما زالت تدرس.. تدرس إيه، الجامعة وحصلت على شهادتها.. وبعدين درست للماجستير وخلصته، إيه !! كنت ناوى تجوزها بعد الدكتوراة؟ ويمكن لولا انتشال مصطفى لها من مش عارفة إيه وما قد يلوك شرفها نتيجة ذلك، ولولا إنك وجدته لقطه ولو كان أسامه ما يزال حياً، لما قبلت بزواجها من مصطفى أو غيره، وربما تكون أنت الذى عرضت على مصطفى زواجها، رغم أن فارق السن بينهما يزيد كثيراً عن فارق السن بينها وبين أسامه.."

ومـــا أن نطقت سهير بعرض وهدان على مصطفى ابنها زواجه من صفيه حتى تذكرت مـــريم هـــانم كلمات الحاج وهدان التى كان يرددها كلما حضر ليطمئن على ابنته التى كانت طـــريحة الفراش من سموم المخدرات ومن وهن الحمل، وكانت تقيم هى ووالدتها عندهم فى المـــندرة التى حولها مصطفى إلى أتيليه لأخيه سعيد، حيث كان كثيراً ما يحلو لستوته ترديد تلـــك الكلمـــات أمامهـــا بمناسبة أو بدون مناسبة، حتى إنها تذكرت الطريقة التى كانت تردد ستوته بها تلك الكلمـــات، وكأنها تعبير عن إعجابهم بشهامة مصطفى وبطولته:

- " الحجيجة الحاج مجادرش ينسى شهامة مصطفى بك، ومش جادرين نعبر عن وجفتكم مع ابنتنا ولا كرمكم معنا، ده الحاج بيتمنى إنه يهدى صفيه لمصطفى بك، زوجة أو حتى جارية تخدمه وتخدمكم كلكم طول عمرها، ويرضك ده كله ما يوافيكمش حجكم. "

وتســـاءلت مـــريم هـــانم بينها وبين نفسها، هل هذه الكلمات كانت تعبيراً عن شعورهم بالجمـــيل، أم أنه كان يقصد ما تردده السيدة سهير الآن على مسامعهم، لتثبت طمعه وجشعه؟ ولـــم لا.. فيلا كما القصر، خدم وحشم وهيبة وأبهة، وشركة وعمل.. أشياء كثيرة تجعل من مصـــطفى ابـــنها عريســـاً لقطة لكل أب يريد لابنته زوجاً شهماً كريماً مثله، فلماذا لا يتمناه لابنته؟ لكن.. هل كان هذا من دافع حرصه على المال..؟

وأخـــذت السيدة تقلب الأمور فى رأسها محاولة أن تجد لأهل صفيه عذراً، لكن كلمات ســـهير، الـــتى أعجبت بها مريم هانم فى شبابهما سواء لبطولتها فى الفداء، أو لنجوميتها فى الفـــن، وصورها التى كانت تملأ صفحات الجرائد والمجلات، والثناء عليها من الجميع، حتى من زوجها الحاج محسن رغم أنه رجل دين، والشيطان عندما يبدأ خطواته، لا يترك ضحيته إلا والشـــك قـــد تملك منها، وهمت السيدة بأن تلقى بحجرها الذى كتم على قلبها، تأييداً منها لكلمـــات ســـهير، لولا أنها رأت الحاج وهدان وقد وضع يديه على رأسه وهو يندب حظـــه، وأخـــذ يتمتم بكلمات يبرئ بها نفسه، كيف لهذه الحيزبون أن تقلب أعماله الطيبة إلى جرائم بهـــذا الحجـــم، قبوله لرعاية ابنها حتى لا يضيع مستقبله، وتبنيه له وحرصه على تنشئته فى بلدته بين أهله، يرعى أملاك أبيه، ويباشر حياته بعد أن شعر بتعثره فى التعليم.. عدته سهير استحواذاً منه عليه، وأكدت ذلك بعدم اهتمامه باللغط الذى كان يردده أخوه من أن أسامه ليس



ابــنه، وعدّت انتظار صفيه حتى قارب قطار الزواج أن يغادر محطتهـــا، أكبر برهان على ذلــك، رغم أنه لما أعلن له أسامه عن رغبته فى الزواج منها، وذلك بعد أن كبر وتعدى سن الرشد القانونى، وافق بشرط أن يحصل على مؤهله العالى، فمن غير المعقول أن تكون صفيه مـــتفوقة فـــى دراستها، وهو متخلف عنها، وحرص على أن يتخذ من زواجه بصفيه وسيلة ليحمســـه علـــى الحصول على مؤهل عال ويحفزه على التعليم، بعد أن تأكد له تعثره وعدم مثابرته على التعليم.

وهـــل كانـــت صفيه فى انتظاره حقاً..؟ لقد حضر لخطبتها أكثر من زميل، وأكثر من معيد، بل وأساتذتها بالجامعة، لكنها كانت ترجئ كل هذه الأمور لما بعد تخرجها، وبمجرد أن أنهـــت مناقشة رسالة الماجستير، قام ابن الأكابر بخطفها.. فماذا تفعل سهير عندما تعلم بأمر إجـــبار أســـامه علـــى الزواج من صفيه قبل وفاته؟ ربما صورته على أنه تصميم من الحاج وهـــدان على الاستحواذ على ميراث أخيه إن لم يكن عن طريق ابنته - أرملةً لأسامه- يبقى بابنها شريف حفيد أخيه وحفيده.. وانطلقت منه عبارة:

- " ياه.. ده إنت واعرة قوى يا بوى.. ما ناقصش غير إنك تقولى إنى أنا اللى قتلت أخوى وابنه.."

وسارعت السيدة:

- " إذاً أنت تعترف بان أسامه بن أخيك، فلماذا لوثت سمعتى أمام الضباط أثناء التحقيق؟ لماذا لم تستقبله فى بيتك على أنه ابن أخيك، لا أن تعامله تلك المعاملة القاسية وتطرده من بيتك فيطارده ذلك الكلب المسعور جوبيتر، ويلقى به تحت عجلات القطار؟ ليتك احتضنته وتمسكت به حتى يقضى ليلته معكم، وتعامله لا أقول معاملة ابن الأخ ولا أقول معاملة زوج الابنة، ولكن لنقل معاملة ضيف لجا إليكم.. "

وقاطعها الحاج وهدان:

- " كفاك يا بنت الفرقوط.. قل لها يا مصطفى بك اللى حصل، يمكن كلامى ما يلدش عليها، والا تفتكر إنى بحاول أبرر موقفى.. "

وتدخل مصطفى:

- " الحقيقة إن الحاج وهدان والست ستوته حاولا معه بكل الطرق أن يبقى، لكنه كان فى عجلة من أمره، لا أدرى لماذا؟ "

وانطلقت صفيه تدافع عن أبيها:

- " أسامه لم يكن يستطيع الخروج من القصر، وربما يكون قد انتهزها فرصة بظنه أنه وجد نفسه حراً، فاراد أن يسرع لتسليم يومياته للشرطة.. لقد ذكر كل ذلك فى يومياته، كان يكتب وهو فى طريقه إلى قسم الشرطة، لكن يظهر أنه لم يتمكن من تسليم تلك اليوميات.. "

ومـلأت عينـيها العبرات، فانخرطت فى بكاء حاد، قام مصطفى مسرعاً ليهون عليها، ويأخذهـا بعـيداً عن هذا الجو المشحون، فانتهز الحاج وهدان فرصة خروجهما، ليهمس فى أذن سـهير، بأن صفيه ربما كانت تحب أسامه، وهذا هو سبب رفضها لكل من تقدم للزواج منها، وعندما وجد أن مريم هانم تتنصت، رفع صوته وهو يقول:

- " أسامه الله يرحمه.. مات، لكن للحقيقة، فقد كانت صفيه فى انتظار حصوله على الشهادة الكبيرة، وياما تجدم لها عرسان زى الفل.. أحسن وأغنى من أسامه ولد أخوى مئات المرات، لكنها كانت ترفضهم كلهاتهم، يمكن كانت فى انتظار حصوله على الشهادة الكبيرة.. إيه رأيك بجى..؟"

وتأكدت السيدة سهير من أنها انتزعت منه اعترافا بأن أسامه ابناً شرعياً لأخيه، ولم يبق إلا أن تؤكـد بـراءة أسـامه مما أصاب ابنته فى قصر المرعشلى، لكنه لا يجب أن يشعر بالأمان، لا بد وأن تضعه دائماً فى محك الاتهام:

- " أنا أعلم أن أخاك مات بالتسمم البوليني، وأسامه اعترف فى يومياته بانه يعلم تماماً بان هذه الجماعة لابد وأنها قاتلته، لقد كانت اليوميات معه عندما قمتم باختطافه، وسجل فيها كل شئ، حتى عملية اختطافكم له، وقرر أكثر من مرة أن يسلم اليوميات إليك، لكنه لم يشعر معكم بالأمان، هل يعقل أن يكون فى بيت عمه، ويعقد على



ابنته، دون أن تقوموا معه بواجبات الضيافة على الأقل؟ ألم يخبركم بانه سبق أن عقد عليها قبل أن يلمسها؟ وأقسم أنه برئ من تهمة الاشتراك فى وأدها ! لكنكم لم تصدقوه، فقام بالتوقيع على قسائم الزواج، وخرج من بيتكم كسير الخاطر، وأسرع متجهاً إلى قسم البوليس، لكن جوبيتر لم يمهله، كان يطارده إلى أن أوصله إلى محطة القطار، وهناك تم ما سبق أن ذكرتموه فى محاضر الشرطة، وكل ما استطاع أن يفعله ليبرئ نفسه وهو يرى الموت المحقق يحدق به، هو أن يلقى بالأجندة بعيداً، وفى الغالب لم يستطع جوبيتر أن يلتقطها للزحام الذى سارع لنجدته، وأراد أن يسلمها من وجدها إليكم بعد أن تعرفتم عليه، لكن الضابط " علي " أخذها، وضمها إلى أوراق التحقيق بسرية تامة، ذلك أن أسامه ذكر فيها جميع أعمال العصابة، وأسماء جميع أفرادها، وزعيمها.. البرنس عباس قللى.."

وانفجرت صفيه فى بكاء حار، ورددت ما يخصها من هذه اليوميات، وهو ما يتطابق مع ما ذكرته باسمه من قبل، أن أسامه كان صادقاً فى أن نيته كانت توصيلها إلى المحطة بالسيارة الفخمة التى تمتلكها العصابة والتى خصصتها لتنقلاته وخصصت جوبيتر ليكون سائقا وحارسا له، لكن الملعون جوبيتر، أراد أن يذله بابنة عمه، حتى يجبره على عدم إبلاغ الشرطة عن نشاطاتهم، وقد حاول أسامه أكثر من مرة، أن يخرج بها من هذا الوكر، إلا أنهم كانوا له بالمرصاد.

فقامت السيدة سهير باحتضانها، والتسرية عنها، حتى هدأت، وصدع المؤذن بصوت الحق منادياً لصلاة الجمعة، بعدها حان موعد الغداء، فدعت السيدة مريم الجميع إلى طعام الغداء، وجلسوا وشريف بين أحضان جدته لأبيه.

٤ـ البرنس عباس قللي

أقسمت السيدة مريم على السيدة سهير المرعشلى، إلا أن تغفو غفوة القيلولة عندهم، وسارعت بإحضار أحد ثياب نومها، وسلمتها إياه، واصطحبتها بنفسها إلى غرفة سعيد السابقة التى خصصت لمريم ومها بعد سفر الدكتور ناجا سيتو، بينما انسحب الحاج وهدان وستوته ومعهما شريف إلى غرفة مريم ومها، التى خصصت لهما منذ أن قدما، وعادت مريم ومها إلى غرفة مايسه بعد أن أخذتا كتبهما للدراسة، وبعد أن اطمأنت مريم هانم على راحة السيدة سهير، ذهبت إلى غرفتها قريرة العين، لا تدرى ما أصابها، لقد أحيت فيها هذه السيدة ذكريات عاشتها شابة يافعة، وتذكرت ما كان يقال عن بطولة الفنانات فى مكافحة الاستعمار، وهاهى ترى إحدى بطلات هذا الكفاح بأم عينيها، أى سعادة غامرة يهتز لها جسدها طرباً ! وأى استشراق يدعوها لتأنس بوجودها فى بيتها أطول ما يمكن من وقت ! وأى شئ تستطيع أن تقدمه لسيدة أحالت حياة المستعمر إلى جحيم، فأحالوا حياتها إلى بؤس ! وقد استاءت كثيراً من كلمات الإهانة التى وُجهت لها اتهاما أو تشكيكاً، وكادت أن تصرخ فيهم:

- " كفاكم بها بطلةً من أبطال الكفاح ضد الإنجليز، لا تفعلوا بها هكذا.."

لكن خشيتها من أن يتهموها بالتعاطف معها، جعلها تبتلع كلماتها، لكنها انتظرت حتى انتهى تحقيق من نصبُوا من أنفسهم قضاة عليها، وبدأت تظهر مشاعرها الحقيقية لها بعد أن أظهرت بطولاتها. وما أن تحولق الجميع فى التراس الذى ظل كما هو معداً لشرب شاى العصارى على الطريقة اليابانية، فالفيلا الآن بها أحد أهم عناصر هذه العائلة، ونصفها يابانى، فلا أقل من أن تنعم ببعض ذكرياتها عن اليابان، قالت مريم هانم، تستحث السيدة سهير المرعشلى أن تحكى بعضا من بطولاتها:

- "سمعنا الكثير عنك أيتها السيدة العظيمة، حتى إن زوجى كان يدعو لك باسمك فى صلواته مع باقى من لا يعرف لهم اسماً من الفدائيين، ليتك تذكرى لنا بعضاً مما أغفله التاريخ ".

واعتذرت السيدة بشىء من الرقة، فإن ذكرى ابنها أسامه، طغت على كل الأحداث، وعدم

اعتراف الحاج وهدان به ابناً لأخيه، شتت أفكارها، وسارع الحاج وهدان يؤكد أنه لم يكن يعلم تلــك المعلومات التى ذكرتها سهير هانم، لكنه الآن مقتنع تماماً بأن أسامه ابن أخيه قلباً وقالباً، ونعـــى علـــى أخيه حرمان نفسه من أسامه حيث مات ولم يستشعر أهم زينة للحياة بعد المال، فأســـرعت مـــريم هـــانم إلى موضوع انتهاز الحاج وهدان وجود مصطفى بشهامته ورجولته ووقوفـــه الـــبطولى إلـــى جانب ابنته فى محنتها، وأخذ يردد رغبته فى إهداء صفيه زوجة له وجارية لأولاده.. ولم يتركها الحاج وهدان لتكمل، فسارع يدافع عن نفسه وعن ابنته:

- " ما لا تعرفينه يا مريم هانم، أن صفيه تقدم لها الكثير من أساتذتها فى الجامعة، ليس واحداً فقط، ولكنهم أكثر من عشرة، وإذا كنت تريدين الإثباتات، لدينا منها الكثير، ويوم أن اختطفت، كان مقرراً إعلان خطبتها على أحدهم، وأسامه يعلم هذا جيداً، ولذلك فانا لا أستبعد أن فكرة اختطافها بدأت من أسامه، حتى لا تكون لغيره.. "

وقاطعه مصطفى:

- " يا أمى.. حتى ولو لم يعرض الحاج وهدان ذلك بنفسه الأبية وقلبه النقى، لسعيت إلى صفيه بالمشوار، فانا قبلت بها زوجة أنعم الله بها على وأما لابنتى اللتين لفظتهما أمهما، ولقد شهدت أنت بنفسك لها بذلك."

فقاطعته والدته:

- " ساءنى كثيراً أن ينفرد الحاج وهدان بسهير هانم بعد خروجك أنت وصفيه، ليهمس فى أذن سهير هانم ببعض العبارات، لم أتبين منها إلا أن صفيه كانت فى انتظار أسامه لأنها تحبه.."

وسارعت صفيه تزيد الأمر توضيحا لمريم هانم:

- " يا والدتى.. هذه الأمور كانت قبل اختطافى وتعذيبى باسم الحب الذى كان يدعيه لى أسامه أو غيره، أما أثناء هذه المحنة، فقد كنت أتمنى أن أقتل أسامه وجوبيتر وكل من ساهم أو ساعد فى إيلامى أو تعذيبى أو كشف ما ستره الله منا نحن الحريم عن الغير، وبكائى الآن على ظلمى لظنى السيئ باسامه، ولو أن أبى فسر الآن أن فكرة الاختطاف



ربما كانت نابعة من أسامه، حتى لا يتزوجنى غيره.. وأنا لو كان لقائى بمصطفى زوجى وحبيبى قبل ذلك، لما قبلت به بديلاً لا أسامه ولا غيره ، ويكفينى فخراً رغم عذابى الذى تفرضه على مشاعر الغيرة بالمرأة، أنه حتى هذه اللحظة، ما تزال فتيات فى عمر الزهور يتهامسن مشيرات إليه.. "

وأمام هذا لم يجد مصطفى بداً من إنهاء هذا الحوار، فقال مقاطعاً صفيه:

- " صفيه يا أمى ملاك أهداه الله لنا، فهى ابنتك التى تفاخرين بها فى كل مجالسك، وهى أم مريم ومها اللتان تفضلانها على أمهما، وقد أهدتنى الولد قبل أن ينعم الله به على من صلبى، ولو أخذت أعدد مزاياها لما وسعنى الدهر، وأحمد الله أن وهبنى زوجتين صالحتين من ثلاث، فأنا الكسبان، لكن المهم أن تقص علينا السيدة سهير حكايتها مع البرنس المزيف عباس قللى.."

بعد أن سمعت كلمات ابنها مصطفى، تلك العبارات التى صاغها مدحا فى صفيه، وضعت السيدة مريم يديها على وجهها، وكأنها تتوارى عن الجالسين، وتمتمت ببعض كلمات كلها مديح فى صفيه، وبعضه فى عائلتها، لكنها أظهرت غضبها الشديد من الحاج وهدان وهو يهمس فى أذن سهير هانم بهذه العبارات، فما كان له أن يفعل ذلك مهما كانت حجته، وسارع الحاج وهدان بتقديم شديد أسفه لتصرفه هذا، واعتذر لمريم هانم بشكل جعل السيدة ترجوه أن يكف، فهذا كاف وزيادة، فانتهزها سعيد فرصة ليطلق إحدى فكاهاته حيث انفجر الجميع فى قهقهة عالية كان لها أكبر الأثر فى مسح سحابة الصيف الثقيلة،التى شحنت الجو بظلال سوداء حالما انقشعت.

ما أن ذكر مصطفى ذلك الاسم البغيض على نفسها حتى توقفت السيدة سهير عن القهقهة فجأة، لتعلن على الملأ أنها كانت تظن نفسها ذكية الأذكياء، ولا يوجد من هو أشطر منها، وكان الجميع من أهل الفن أو من غيرهم، يعملون لها ألف حساب فى تعاملهم معها، ويأخذون رأيها فى كل ما يعنّ لهم من مشاكل، وجاء البرنس عباس قللى، ليثبت لها كم هى أغبى من كل الأغبياء فى العالم، وليس فى مصر وحدها، واسترسلت والكل مصغيا بانتباه فاق كل الحدود:

■ "وجدته يتقرب إلى بشكل ملفت للنظر، أجده فى مواقع التصوير وقد حمل معه هدية قيمة، وسبقته إلى الموقع أكاليل الزهور من أندر ما هو موجود فى العالم، وأجمع الجميع على أن هناك قصة حب سوف تربط بيننا فى القريب العاجل، لكننى كنت صغيرة على الحب على رأى المثل، والددبانات الذين لا يخلو مكان منهم يحرسوننى ويحموننى من كل متطفل، حذرونى منه.

■ "عندما ينتهى التصوير أجده منتظراً بسيارته الفارهة وقد قام السائق بفتح بابها الخلفى وهو يبتسم لى، لكن أحد أخوة الفداء يحضر سيارتى ويسارع ليفتح بابها، فأفضل سيارتى التى تعتبر (كحيانة بالمقارنة بسيارته) فقد كانت القاعدة لا تبذير فى الخصوصيات، الأموال كلها موجهة إلى العمل الوطنى، حتى ناتج أعمالى الفنية ويتعجب عندما يجدنى وقد اتجهت إلى سيارتى دون أن أكلف نفسى مشقة النظر إلى سيارته، وقال لى بعد أن تزوجنا، أنه حسبها لى، إنسانة ملتزمة شريفة مستقيمة، لكن هذا لا يمنع من أننى كنت أميل إليه، ولكن فى الحلال، وهو لم يعرضها على علاقة شريفة قبل زواجى من الحاج عبد المعبود، كان يريدها نزوة عابرة، لذلك وأمام هذا الإصرار، تقدم لخطبتى بعد انفصالى عن الحاج عبد المعبود مباشرة.."

وتســاءلت مريم هانم، التى كانت تطالع الصحف والمجلات خلال تلك الفترة، وما كتب عن تلك العلاقة، والصفات المقززة التى الصقوها بها:

■ " ألم يحدث أن دعاك إلى قصره أكثر من مرة..؟ "

وضحكت السيدة سهير وهى تشكر مريم هانم أنها كانت تتبع أخبارها:

■ " أولاً هو لم يكن يملك قصراً، ثانياً هو لم يكن مقيماً فى مصر، ثالثاً وهذا هو الأهم، إقاماته كلها سواء فى مصر أو فى الخارج كانت فى فنادق، ولا يحمل حقيبة ملابس، وما يحتاجه يشتريه ويتركه بالفندق عند المغادرة، فيحتفظ له الفندق بها حتى عودته، فقد كان زبوناً من درجة (VIP) وهذه الدرجة لها امتيازات يقدمها له الفندق بقدر ما يدفعه، ولعلك تذكرين من قام بتكذيب كل هذه الشائعات فى حينها، إنه شكرى السوهاجى نسيبكم، فقد كانت الحقائق هى شاغله الشاغل، لم يترك إشاعة دون تحقيق، وعندما

يصل إلى الحقيقة.. يطير فرحاً، فقد كان مثل معظم أبناء الصعيد ممن قابلتهم أو تعاملت معهم.. شهم صادق ذو نفس أبية، لكن من الواضح أن الشائعات هى التى تبقى، والحقائق كثيراً ما تطمس، حيث أن الجريدة أو المجلة التى تنشر الشائعات، لا يمكن أن تقوم بنشر الحقائق، والمجلة أو الجريدة التى تنشر الحقائق غالباً ما لا يقرأها إلا قراؤها، فتجدين القراء بين قارئ دائم للشائعات، وآخر قارئ دائم للحقائق، ولكى يلتقى الاثنان على رأى قاطع، يحتاج الأمر إلى من يكشف الحقائق لمن يقرأ الشائعات، وهذه فى الغالب لا تتم إلا عن طريق اللقاءات والأحاديث الصحفية، وأنا لم يكن عندى استعداد لهذه الأحاديث، ولا عندى وقت لها ولا رغبة فيها، وحيث أن جميع تحركاتى مرصودة بالخطوة، فإن والدى كان مطمئناً لسلوكياتى، وزملاء الكفاح كانوا يقرؤون هذه التفاهات ويضحكون من كاتبيها.. لأنهم على يقين من زيفها وكذبها."

وتساءل الحاج وهدان:

- " أمال كيف حصل الزواج..؟ "

رشفت السيدة سهير رشفة كبيرة من فنجان الشاى الذى قدمته لها مايسه بابتسامة عريضة، وتعلقت عيناها بهذا الوجه الصبوح الجميل البريء، وقالت بعفوية مطلقة:

- " سبحان الخلاق.. بسم الله ما شاء الله.. إنت فين يا بنتى.. خبراء السينما غايبين عنك إزاى..؟ "

فتنحنح مصطفى، وكأنه يقول لسهير هانم أن تكف عن هذا التلميح، فضحك الجميع إلا مايسه التى أرادت تفسيراً لكلماتها، فتهامست سهير مع مريم هانم لتعرف أنها نصف مصرية، وأنها حفيدتها من ابنها مصطفى.

لم تكن سهير قد طالعت الوجوه، وأكثر من سبعين عاماً، عمر يحتاج إلى مجهر، فعنَّ لها أن تحملق فى وجوه الموجودين، وبدأت فى إعلان ما تيسر لها من تقارب فى الشبه بينهم:

- " هذه صفيه.. بنت الحاج وهدان وستوته، والشبه واضح ولا يحتاج لتحليل للتحقق، ومصطفى بن مريم هانم، وبرضك الشبه واضح ولا يحتاج لتحقيق، والواد ده كمان،

شبه مريم هانم ومصطفى، ولازم يكون أخوه.."

واتجـــه بصـــرها إلـــى مـــنى، وأخذت تحدق فيها بشكل أرعب سعيداً، فسارع قبل أن تخلط الأوراق:

- "هذه منى زوجتى.. بنت شكرى بك السوهاجى الصحفى الكبير.. طبعاً حضرتك عارفاه.. "

فابتسمت السيدة وهى تقول:

- " آه.. مش الواد الغتت أبو دم خفيف زى السكر ده.. هو فين يا حاج وهدان؟ هو مش مقيم معك فى الفيلا هنا.. "

فتنحنح الحاج وهدان:

- " لا.. شكرى بك فى الفيلا بتاعته.. لكن ما تجلجيش.. زمانه جاى.. "

ثم فتل شواربه وهو يقول:

- " أهو هو ده اللى يخليك تجفى عند حدك تمام."

لم تسمعه السيدة سهير جيداً، لكنها ضحكت مع ضحكات الموجودين، فقد كانت منشغلة تماماً عنهم بالتحديق الدقيق فى وجه مايسه وملامحها وجسمها وفتنتها:

- " فيك شبه كبير من مصطفى بك ومريم هانم، لكن هناك الكثير مجهول الهوية.."

فرد مصطفى عليها سريعاً:

- " يا سهير هانم.. ألم تلاحظى الشكل اليابانى الذى دور الوجه وسحب العينين قليلاً..؟ "

لكن سهير هانم لم تلق بالاً لكلمات مصطفى، وسارعت تجرهم إلى موضوع عباس قللى:

- " انت كنت سألتنى عن إيه يا حاج وهدان..؟ "

وهم الحاج وهدان أن يعيد سؤاله، لكنها سارعت:

- " آه كيف تزوجت من عباس قللى؟ الله يرحمه أخوك هو السبب، أنا كنت حبيته قوى، ودى حقيقة لم أعرفها إلا بعد الطلاق، ولما توفى وجدت أن نفسى قد عافت كل الرجال

إلا ذكراه، تمنيت لو أنه أعادنى إلى عصمته ولو مع عشرين ضرة، ولم أقبل أباً ممن تقدم لى أصغر منه سناً وأكثر منه مالاً وأهم منه جاهاً، لكن أعمل إيه؟ لقد أثارنى زواجه من البنت المايصة، وكان لازم أرد عليه وبسرعة، وجاء البرنس الذى أظهر من الاحترام ما يوقع فيه أعتى النساء شرفا، الذى يعرف كيف يعامل السيدات لكثرة تعامله معهن، تبدأ بعلاقات عابرة حالما تتحول إلى عشق، وظن أن الأمر معى سيكون بهذه السهولة خصوصاً بعد طلاقى من أخيك، لكننى كنت بالنسبة له لغزاً، إذ أن هداياه لم تغرنى، بل على النقيض، فقد كانت جميعها ترد إليه وفى نفس اليوم، فإذا كان قد غادر الفندق، تترك له لحين عودته، ولم يجد للوصول إلىَّ بداً من الزواج، فتزوجنى.. هذه هى القصة ببساطة."

لكن هذه الإجابة لم تكف الحاج وهدان، وحضر شكرى بك وعائلته، والعجيب أن تحيته لسهير هانم كانت عناق أصدقاء، لم يجرؤ أحد من الموجودين على التعليق، ولا حتى زوجته نازلى هانم، بينما جحدت منى الشيخ مصطفى، كيف يتجاوز عن هذا التجاوز؟ فنظر إليها مصطفى ولسان حاله يقول:

- " ماذا يرجى من سيدة فى السبعين، إن شكرى بك بالنسبة لها ابناً وليس أخاً، ثم إن هذه هى أساليب أهل الفن فى التعبير عن مشاعرهم الأخوية.. "

وبسرعة استنجد الحاج وهدان بشكرى بك ليحل له لغز زواج سهير من البرنس عباس قللى، وتنحنح شكرى بك قبل أن يفجر القنبلة:

- " أنتم لا تطالعون الجرائد والمجلات، لقد أثبتت التحقيقات أن البرنس عباس قللى، من أكبر مصنعى المخدرات فى العالم، واسمه ليس عباساً ولا قللياً ولا حتى هو تركى الأصل كما كان يشيع، بل هو إيطالى من صقلية، بلد حوبيتر والكثيرين من أفراد العصابة التى كانت تحتل فيلا سهير هانم.. ما تقولى لهم يا سهير هانم."

وتحرجت سهير هانم فى البداية، ولكن إلحاح الموجودين بابتسامة الود التى أحاطوها بها، وتربيت مريم هانم على ظهرها وكتفيها، لترفع عنها الحرج، قالت:

■ " الفترة التى هربت فيها من السلطات الإنجليزية، واختفيت فى سوهاج عند الحاج عبد المعبود ثم زواجى منه، استغرقت ما يزيد على السنوات العشر، واستمرت إلى ما بعد جلاء الإنجليز عن كل أرض مصر لتنحصر فى منطقة قنال السويس، وهذه كانت فرصة للبرنس عباس قللى أن ينقل نشاطه من صقلية إلى القاهرة، حتى يكون الإنتاج والتسويق فى بلد واحد، أما المواد الأولية، فهذه كانت تهرب بطرق عدة، أغلبها عن طريق قنال السويس، وتحت سمع وأبصار القوات الإنجليزية، واستمرت بعد تأميم القنال مدة طويلة بنفس طرق الاتصالات، لكن بعد أن تم اكتشاف شبكة تهريب المواد الأولية، وتطور استخدام تكنولوجيا الأقمار الصناعية، بدأت الأساليب العلمية تتطور، وكان يتم تهريب المواد الأولية فى مخازن خاصة ببطن طائرة البرنس عباس وهو قادم من إيطاليا، وما أن تقترب من الفيلا، حتى تهبط إلى أدنى مستوى يسمح به الطيران الدولى، ودائما ما تكون الحجة أن ذلك بسبب بعض المتاعب فى أجهزة الطائرة، والحقيقة أنها كانت تهبط لكى تلقى بالحمولة الممنوعة فوق أسطح الفيلا، أما كيف تصل الحمولة إلى سطح الفيلا دون أن تضل؟ فهذه كانت مهمة التوجيه عن بعد، حيث تم تركيب جهاز توجيه أعلى الفيلا يتم تشغيله عن طريق الكمبيوتر حيث يتولى ذلك.. هذه هى كل المسألة.."

وتنحنح شكرى بك ليعلن:

■ " لقد كشف البوليس كل شئ، والحقيقة الفضل يعود لأسامه ابن أخيك يا حاج وهدان، فقد قادته دراسته للإلكترونيات إلى هذه الأساليب المتطورة فى التهريب، وبطبية أهل مصر التى تصل إلى العبط أحيانا، واجه جوبيتر بذلك، فنال ما يجعله لا يفكر بذكر هذه الأمور لأحد، وأغرقه فى الجنس والمخدرات، بل إنه أتى له بأجمل جميلات إيطاليا.. موديل رآها أحد فنانينا الشباب وهى تلقى بالبالطو الأحمر الذى كان يخفى تحته جسدها العارى تماما، وإذا به يفاجا بجسد من المرمر شكل مع جمال الوجه صاعقة أطاحت به مغشياً عليه، وهذا فنان تعود على رؤية أجساد الموديلات أثناء الدراسة بمصر، فما بالك بأسامه، الشاب الذى لم يغضب الله فى حياته، قبل أن تداهمه هذه العصابة التى كانت تعمل فى السر طوال الفترة منذ ما قبل اتفاقية الجلاء وإلى ما بعد زواج عباس قللى بالسيدة سهير وسفرهما إلى الخارج، وترْك الأمر لأسامه ليتولى بيع الفيلا بأفضل سعر. "

وتساءل مصطفى:

- " ألهذا منعك ضابط التحقيق من الاتصال بزوجك..؟ "

وتنهدت السيدة سهير بمرارة وحرقة وهى تقول:

- " ألم أقل لكم أن عباس قللى هذا أثبت أننى أكبر بلهاء فى العالم الإسلامى، لم أكتشف ذلك إلا بعد أن تم القبض على العصابة فى الفيلا، بعدها أو قبلها بقليل كان قد تم القبض على عباس قللى وهو يهبط بطائرته فى المطار وبها شحنة المخدرات، حيث زارنى أحد كبار رجال الشرطة فى اليوم التالى، أعتقده برتبة لواء، وقدم لى التعازى فى ابنى أسامه رسميا باسم السيد رئيس الجمهورية، وباسم رجال الشرطة جميعهم وعلى رأسهم السيد الوزير، وأشاد بكفاحى ضد الإنجليز، الذى ما زال مسطورا فى القلوب، ولم ينس أن يثنى على الفن الذى قدمته تمثيلاً وطرباً، وبعد أن اطمأن على صحتى وحالتى النفسية والمعنوية، طلب منى اصطحابه لإنهاء بعض الشكليات فى تحقيق الأمس، وفوجئت به ونحن فى سيارتى متجهين إلى مقر التحقيق، يمهد لى بنبذة سريعة عن عباس قللى، زوجى.. سابقاً، وكادت الدهشة تعقد لسانى، ووجدتنى على وشك أن أغيب عن الوعى، فحاول معى الضابط أن أتماسك، إنهم فقط يريدون منى أن أتعرف عليه، وأشهد بانه هو من يدعى عباس قللى، ذلك أن أسامه سجل اسمه فى يومياته بهذا الاسم، ومن صورة معى، تم رصده وتتبعه من لندن حتى دخل مصر بطائرته الخاصة، وفى بطنها حمولة الكوكايين، وكان أسامه قد أبطل مفعول أجهزة التحكم عن بعد، والغبى لحرصه على الحمولة وظنه أنه يستطيع التلاعب مع البوليس المصرى، لم يلق بالحمولة حيثما تصل، واحتفظ بها فى بطن الطائرة أملا فى أن يتمكن بطريقة أو أخرى من التصرف فيها فى مصر أو يعيدها إلى الخارج، وذلك مما سهل القبض عليه متلبساً وهو ينزل من طائرته الخاصة فى المطار، فانكر نفسه، وأظهر جواز السفر البريطانى الذى يستخدمه فى الدخول إلى مصر، والذى يحمل اسماً مغايراً تماماً لاسمه التركى أو العربى.. أياً كان، وفى النهاية تبين أن له اسم إيطالى، هو المثبت فى شهادة ميلاده الصادرة من صقلية.. "



وتساءل الحاج وهدان:

- " وطبعاً لم يكن مسلماً.. ! "

وأجابت السيدة، وقد كسى وجهها الخجل والعار، وتكاد تخفيه عن الجميع:

- " وهذا ما آلمنى وأهمنى بأكثر من مصيبتى فى ابنى، إنه لم يكن مسلماً.. "

وبدأت فى بكاء كالصراخ، ولم تجد معها محاولات الحاجة مريم وهى تهون عنها المصاب:

- " ليس لك ذنب فى هذا.. كيف عقد المأذون الزواج؟.. ألم يقدم له مستندات تثبت شخصيته، بطاقة أو جواز سفر..؟ "

وانتبهت السيدة سهير فجأة كأنما لسعتها حية، وأخذت تبحث فى حقيبة يدها بتسرع وعصبية، حتى أنها لم تنتظر أن تصل إلى ما تبحث عنه، فأفرغت محتويات الحقيبة بحثاً عن قسيمة الزواج، وبمجرد أن وضعت يدها عليها، فتحتها بعصبية كادت معها أن تتمزق القسيمة، ونظرت فيها سريعاً، لكنها لم تكن قد وضعت نظارتها، فألقت بها إلى شكرى السوهاجى، وهى تقول:

- " خذ يا واد يا شكرى، شوف المأذون ده سجل بيانات عباس قللى منين؟ أخشى أن يكون المأذون مزيف هو كمان.. وبعدين وحياتك يا شكرى تبقى تتأكد من إن الوثيقة مسجلة فى السجلات الرسمية.. "

وتلقى شكرى الوثيقة، وأخرج نظارة القراءة بسرعة غير معهودة فيه، ومسح الوثيقة بعينيه، ثم أعلن:

- " لا يا ستى.. البرنس المزعوم تزوجك ببطاقة شخصية مصرية، سجل فيها اسمه البرنس عباس قللى، والديانة مسلم. "

فربتت مريم هانم على كتفها وهى تواسيها:

- " عافاك الله أيتها السيدة المؤمنة، لم تعاشرى غير مسلم، وعلى كتاب الله وسنة رسوله، ولا حرج عليك إن شاء الله.. "

فتنحنح شكرى بك كعادته قبل أن يلقى بفكاهاته التى تفجر بركاناً من الضحك:

- " خلاص يا ست سهير.. السيدة الصالحة المباركة مريم هانم، أفتت لك بصحة الزواج.. وأن زواج سهير من عباس قللى غير باطل.. "

وضج الحاضرون فى ضحك غير مسبوق منذ أن قدمت السيدة سهير إليهم فى الصباح، وكانــت هى ومريم هانم أول الضاحكين رغم الحمرة التى علت وجه مريم هانم من عبارات شكرى، وهذا ما جعلها تنظر إليه نظرات تحفز لائمة له عباراته التى صاغها مفاكهاً.

لكن شكرى بك الصحفى.. ما لبث أن كرر سؤال الحاج وهدان، ولكن بعبارات أخرى:

- " لم تخبرينا بالتحديد.. كيف استطاع هذا الأفاق أن يغزو قلبك؟ "

فتنحنحت قبل أن تبدأ قصتها مع عباس قللى:

- " بعد زواج عبد المعبود من الراقصة إياها، ولا ألومه فمن الواضح أنه كلما قلت الفحولة عند الرجال.. بحثوا عمن تحرك فيهم هذه الفحولة، والواضح أن عبد المعبود كان قد استهلك كل فحولته مع هذا العدد الضخم من النساء اللاتى تزوجهن،وبعد أن أصبحت إقامته عندها ليل نهار، حيث أعادته إلى السهر والمكيفات والشاى اللى زى الزفت، فلم أجد بداً من طلب الطلاق.. "

فتساءلت مريم هانم وكأن أهم ما فى الزواج هو كفالة الزوج لنفقات زوجته:

- " ولماذا الطلاق..؟ هل قصر فى نفقاتك..؟ "

وأجابت سهير بعد أن أطرقت رأسها على إثر سؤال مريم هانم:

- " لا.. ولكنه مبدأ.. واتفاق.. فقد سبق أن اتفقنا ألا يخون أحدنا الآخر.. وألا يتزوج هو من أخرى إلا بعد أخذ موافقتى.. "

وسارعت مريم هانم:

- " وهل لو كان أخذ رأيك كنت توافقين..؟ "

وأجابت بهدوء:

- " ربما.. فقد كنت قد عقدت النية ألا أعود إلى الفن مرة أخرى، والحقيقة أنه لم يكن يقصر في طلباتي، راتب شهري لمصروف البيت تتصرف فيه أم الخير، ودفعات أخرى شهرية لملابسي واحتياجاتي الخاصة، متضمنة نفقات أسامه دون التصريح بها.. "

فاحتج الحاج وهدان:

- " لقد كنت أقوم بجميع نفقات أسامه منذ أن تركتيه لي آخر مرة، عندما قررت السفر مع عباس قللي.. لا تنكري ذلك."

واحتدت عليه سهير هانم:

- " وهل فيما قلته إنكار لذلك.. كثر الله خيرك، وخير ستوته التي عاملته كاحد أبنائها.. لكن لا تنسى أن أملاك أبوه كلها كانت تحت يدك بعد أن مات، وكذلك وهو عايش، يعني أنت لم تتجب عليه بشيء، وبعدين هو أسامه قعد عندك كم سنة؟ لو عدتهم يا حاج وهدان مش حتلاقيهم يزيدوا عن سنتين، حتى وهو صغير قبل أن يبلغ السنة مثل ما يحلو لك أن تتشدق، وبطل مقاطعة وإلا.. "

فآثر الصمت، بينما بدأت هي تكمل حكايتها:

- " حسبتها غلط، ظننت أن المبلغ الذي ادخرته من فني، سوف يكفيني ويزيد، لكنني وجدته يتناقص بسرعة غير معقولة، وكدت أجن.. لكن أم الخير أخبرتني بان القصر مسكون، وأنها تشعر بان هناك من يجوسون خلال الغرف، ويأخذون ما يريدون، وعلى الأخص ما يترك من الأموال التي لا أخفيها في المكان الذي لا يعرفه أحد سواي.. فضلاً عن أن بعض أصوات الصخب كانت تعلو ليلاً، كما لو كانت تحريك أثاث، أو آلات تعمل برتابة، وفجأة تشتعل النيران في المطبخ، أو في بعض الغرف المغلقة.. هكذا حاولوا إخافتي، فقررت عرض القصر للبيع، خصوصاً وأن أموالي كانت قد قاربت على النفاد.

- " وجاء عباس قللي.. البرنس.. أشقر الشعر تتخلله خصلات بيضاء، وعينان زرقاوان، وعرض شراء القصر بسعر يقل كثيراً عن سعره الحقيقي، لكن أسامه كان قد تقصى

الأسعار، ووجد أن السعر الذى عرضه يقل كثيراً عن الريع، فقرر أن يبقى بالقصر حتى نهاية امتحاناته، وإلى أن يحضر من يعرض سعراً أعلى، وصمم البرنس عباس على السعر الذى عرضه، بحجة أنه لا يملك أكثر منه، وأنه لا يريد إلا أن يريحنى من عناء ما يسكنه من أشباح، بل إنه وافق على البيع لغيره إذا عرض سعراً أعلى، لكن إذا عرض نفس السعر.. فهو أولى، والعجيب أنه بدأ يتقرب إلىَّ، بداية طلب استئجار الطابق الأرضى بسعر مناسب جداً يكفى نفقاتى ونفقات أسامه ويزيد، وكأنما هو معنا يعلم تماما كم هو حجم الإنفاق الشهرى، وحاولت أن أخفى سعادتى بالعرض الذى قدمه وحاولت أن أتريث فى الموافقة لكننى لم أستطع، فصدرت عنى الموافقة بشئ من العفوية التى لم تخل من نبرة السعادة، ثم بدأت هداياه فى شكل خضراوات وفواكه ولحوم ودواجن ومستلزمات المطبخ كلها تقريباً، باعتبارها من عزبته، ويحضرها مع ما يحضره لبيته، ثم بدأ فى ملاطفتى، وأخيراً عرض علىَّ الزواج، وكنت قد تعودت على وجوده فى حياتى، ولم يمانع أسامه ووافقت، فتزوجنا وسافرنا إلى لندن حيث مقر عمله، وترك جوبيتر تابليانو ليكون حارساً خاصاً لأسامه وسائقاً له.."

وقاطعها الحاج وهدان:

- " تقصدى العجل اللى كان يسوق لك السيارة.. "

وأكملت السيدة مجيبة على سؤاله:

- " تمام.. هو العجل اللى انت غرست النبوت فى صدره، وأولادك وأولاد اخوتك، خلوه زى القطة، أنا لم أر جوبيتر هذا سوى مرتين، الأولى عندما أحضره عباس ليكون حارساً لأسامه، والثانية، عندما عدت من لندن للاطمئنان على أسامه، وكان ما كان، وظننا أن أسامه اختطف ابنة عمه، وأنه شريك فى هذا الدمار الذى أشاعه فى البلد، لكن الحقيقة.. "

وقاطعها الحاج وهدان بكل اهتمام طالباً منها أن تعلن الحقيقة، وبقدر استيائها من أسلوب مقاطعاته لها، إلا أنها رحبت بفكرة إعلان الحقيقة، لكن شكرى بك تطوع قائلا:

- " أنا اللى حقول لكم الحقيقة.. التحقيق أثبت إن عباس قللى لم يعرض على سهير



هانم الزواج إلا بعد أن تأكد من أن أسامه على وشك اكتشاف أعمالهم عن طريق الكمبيوتر اللى كان يستعمله فى دراساته للإلكترونيات، ويعرج على الإنترنت لمزيد من المعلومات والتجارب، وهذا كان من أهم أسباب رسوبه، ذلك أن إجاباته لم تكن من كتب الأساتذة والمحاضرين، وكان يأتى بمعلومات أعلى بكثير من المستوى العلمى للمصححين، وكلنا يعلم أن الكثير من الأساتذة يتركون مهمة التصحيح للمعيدين، وهؤلاء كانوا يعتبرونه يتفلسف، لكن بعد أن طالبت مجلة كل العلوم موافاتها بنسخ عن أوراق الإجابة وقامت بعرضها على السلطات المختصة التى أمرت بإعادة فحصها وتبين لهم مدى عبقرية الطالب الذى تخصه هذه الإجابات، أمرت بمراجعة نتائجه فى الجامعة، ولم يجد الأساتذة الأفاضل إلا استحقاقه لدرجة البكالوريوس منذ أعوام خلت، وربما ما هو أعلى، لكنه كان قد توفى قبل ذلك طبعاً، ولا تسألونى عن الصحفى الذى طالب بمراجعة نتائجه من مجلة كل العلوم، إنه أحمد الجوهرى زوج ابنتى هدى، فقد آلمه أن يكون العقل الذى اكتشف الأساليب الحديثة فى تهريب المخدرات باستخدام الأقمار الصناعية والتكنولوجيا الحديثة، فاشلاً فى دراسته، وجاهد فيما اعتبره إنقاذاً للشباب من هدر طاقاتهم فى البلد، فقد عد رسوب نابغة مثل أسامه، مؤامرة على شباب هذا الجيل، فطالب على صفحات مجلة كل العلوم بإعادة مراجعة درجاته العلمية، وقمنا بإرفاق عدد المجلة الذى يشتمل على التحقيق الصحفى الذى يثبت دور أسامه البطولى فى كشف الأساليب الإلكترونية التى ابتدعتها هذه العصابة فى إنزال شحنات المخدرات إلى سطح قصر المرعشلى، وتقدمت بصفتى رئيس التحرير بطلب رسمى إلى وزير التعليم العالى الذى لم يجد بداً من التأشير بالموافقة، وكانت النتيجة.. منح أسامه درجة البكالوريوس فى الإلكترونيات.. "

وتشبثت بـه سهير والدموع تحجب عنها الرؤية، مطالبة إياه بتلك الشهادة، فلم يجد شكرى بك بداً من أن يطلب من منى محادثة زوج أختها ليحضر الشهادة التى كانت تحمل تاريخ نفس اليوم، وما أن طالعتها سهير هانم على عجل، حتى أطلقت للسانها التغريد بما يسمونه زغاريد، رغم عدم إجادتها لها، والدموع تنهمر من أعينها، حزناً على ابنها النابغة، الذى التهمته عداوة الغدر، لكن مصطفى قال لها أن الفرح لا يكون إلا بشكر الله سبحانه

وتعـــالى على نعمته، وهذا لا يكون إلا بالســـجود لله، فسجد الجميع شكراً لله سبحانه وتعالى، وهـــدأت نفس سهير، بينما ترقرقت الدموع فى أعين صفيه، حزناً منها على ابن عمها، الذى نعته الجميع بالغباء والفشل، وهى تقول:

- " لا يمكن أن يكون فى عائلة الدهشان حد فاشل.. حيطلع مين يعنى.. "

ثم توقفت لتشير إلى أبيها، واستأنفت مرافعتها:

- " الصعيدى اللى قدامكم ده.. معه البكالوريا.. ومن الفريز، والحاج عبد المعبود عمى.. كان متخرجاً من مدرسة الزراعة العليا، لكن فشله فى زراعة ابن أو بنت من صلبه، وجريه وراء الحريم ليثبت رجولته، أفقده صوابه، وجعله يترك الزراعة إلى المكيفات، لكن لا أحد يمكن أن ينكر أنه أدخل تحسينات كبيرة فى أراضى البلدة وزراعاتها.. واخوتى والحمد لله.. أكبر شاهد على نبوغهم درجاتهم العلمية، وأنا لولا هذه النكبة التى أفقدتنى ذاكرتى، ولم يعيدها إلى إلا أسامه فى مذكراته عندما ذكر أننى كنت قد أنهيت مناقشة الماجستير، لما تذكرت أنه كان فى إمكانى إنهاء دراسة الدكتوراه خلال السنوات الثلاث التى فقدت فيها الذاكرة، ويكفى ما شهدت به مايسه، عندما شاهدتنى أحادث زوجتى سفيرى السويد واليابان بإنجليزية ليس من السهل استيعابها خلال أيام قليلة.. "

فضمها مصطفى وهو يقول:

- " هذا بالطبع من سعدى ودعاء والدتى الحبيبة.. "

وفوجئ الجميع بمايسه وهى تسائل شكرى بك والصحفى أحمد الجوهرى:

- " تقولون أن أسامه حصل على درجة البكالوريوس بعد أن توفى، لأن إجاباته كانت فوق المستوى العلمى لأساتذته.. هل أستطيع أن أطلع على إجاباته تلك..؟ "

وتعجـــب الجمـــيع، ووالدهـــا أولهم، لكن أحمد الجوهرى أجابها إلى طلبها، وكأنما قد استشـــعر احـــتمالات هذا الطلب، فأحضر الملف الخاص بأسامه، وأخرج صوراً لمجموعة الإجابـــات، وســـلمها إلى مايسه، التى عملت لها مسحا ضوئياً بالنوت بوك الذى لا يفارقها، وبـــبَعض التعلـــيمات ثبـــت لها أنها تتقارب كثيراً مع ما قدم من أبحاث فى مجالات الهندسة

الإلكترونـــية مـــن واحد أو أكثر من الأساتذة المصريين ، فنظرت إلى سهير ، واقتربت منها بطريقة أرعبت الجميع، وقالت لها:

- " سيدتى.. إن ابنك لم يكن متفوقاً فقط. لقد كان عبقرياً.. رحمه الله.. "

وقاطعتها السيدة بصوت أرعشته المفاجأة، وخنقته العبرات:

- " إيه.. إيه.. كان عبقريا.. كيف..؟ "

تباطأت مايسه فى تفسير ما قالت.. واستحثها الجميع، فنظرت إلى أبيها الذى هز رأسه محذراً، فأخذت تردد الطرف بين أبيها وبين النظر إلى الأرض، ثم أعلنت:

- " هل تتكتمون ذلك حتى عن أنفسكم..؟ "

وأخذت الرهبة تتسرب إلى قلوب الجميع.. هاهى هتشكوك اليابان ترعبهم بحديثها، لكن مصطفى ترجم ذلك لهم بصرامة:

- " تقسمون على التكتم عن الجميع، وحتى لا تحادثون أنفسكم به أم لا.. "

وكأنما شعر شكرى بك بأنه وأحمد المقصودان بذلك، فكانا أول من أقسما، بينما ترددت سهير هانم كثيراً قبل أن توافق، ذلك أن مصطفى حتى يؤكد لهم أهمية التكتم أضاف:

- " ما ستقوله مايسه فى منتهى الخطورة، وأول من سيصيبهم ذلك هم نحن جميعاً.. "

وقاطعته مايسه معتذرة:

- " تذكر يا والدى عندما أخبرتك بأسباب قتل والدتى، أن هناك ثأر بين عائلة أمى وبين زعيم أحد العائلات من الساموراى، وأن جدى صارعه فصرعه، لكن الثأر استمر منذ ذلك الحين بقتل كل الأبناء والأحفاد، وقد أطلعتك على خطة اختطافى وتدبير بديلة عنى، لكنى كنت أتساءل، لماذا أنت مستهدف؟ وهذه هى الإجابة.. "

وصـــمتت، فقــد شـــعرت بأن حماسها جعلها تفضى بما لا يجب أن تفضى به، وكذلك مصطفى الذى نظر إليها معاتباً، ومع علامات الاستفهام والتعجب التى ظهرت على الوجوه، لم يكن أمامها إلا أن تكمل:

■ " لقد استطاع أسامه أن يدخل إلى برنامج القمر الصناعى الذى تستخدمه العصابة فى توجيه الشحنات، وذلك بهدف تضليله، وكانت النتيجة أنه غير مسار القمر، وضاعت تلك الشحنة على أفراد العصابة، وهذه العصابات كلها تشترك فى هدف واحد، وهو السيطرة على جميع عمليات تهريب المخدرات فى العالم، لا فرق فى ذلك بين أمريكا أو إنجلترا أو اليابان أو حتى.. المافيا.. كلهم واحد، وحدة فى الهدف، ووحدة فى التنفيذ.. "

ومع التساؤلات العديدة التى قرأتها فى عيون الجميع، أكملت:

■ " إن أساتذة أسامه كانوا يعلمون بتفوقه وعبقريته، ولذلك كان الاتفاق بينهم على عدم تخرجه، فقد كان كنزا ثميناً استطاعوا تسخيره لمصالحهم الشخصية، ما أسميتموه إجابات.. لم تكن فى الواقع إلا أبحاثاً هامة جداً كان يتولى هؤلاء الأساتذة ترجمتها، ووضع أسمائهم عليها، وتقديمها إلى الأجهزة المختصة فى ناسا، والشركات المثيلة فى العالم، إلا أن أسامه لم يذكر فى إجاباته شيئاً عن تمكنه من تغيير مسار القمر الصناعى، وكان لا بد لهم من معرفة صاحب هذه المعجزات، فامسكوا بالأستاذ الذى كان يقدم أبحاث أسامه باسمه، وغالوا فى تكريمه، لكن التكريم لم يجد معه، فاستخدموا معه بعض الأساليب الوحشية حتى استطاعوا معرفة الحقيقة.. وحيث أنه لا يوجد أحد باسم الدهشان فى القاهرة يمت بصلة قرابة لأسامه سوى ماما صفيه، وماما صفيه هى زوجة بابا مصطفى الخوجه، لذلك وضع الاثنان تحت المراقبة للحصول على أية مستندات تمكنهم من التعرف على إنجازات أسامه الأخرى.. "

وتساءل أحمد الجوهرى:

■ " يعنى صور أوراق الإجابة تعتبر مهمة بالنسبة لهم.. إذا كان ما تقولينه صواباً يبقى فيه خطورة علينا إحنا كمان.."

لكن مايسه طمأنته:

■ "لقد كشفت مجلتكم كل شئ، والإجابات والأبحاث لديهم، هم يريدون ما لم يقدم إليهم، وقد تصوروا أنه ربما يكون قد احتفظ بها لدى ابنة عمه، وربما كان هذا من أهم أسباب خطفهم لماما صفيه .. "

وتساءل مصطفى:

- " ولماذا أرادوا التخلص منها..؟ "

وبــدأت مايسه تبحث عن الاحتمالات فى النوت بوك الذى معها، بعد أن قامت بتغذيته بــبعض التعلــيمات، وبعــد أن مسحت ببصرها سريعا المعلومات التى اختزنتها المخابرات اليابانية قالت:

- " ربما لأنهم اكتشفوا عدم وجود أبحاث أو مسـتندات فى حقيبة الملابس التى كانت معها وهى تخطط للسـفر إلى سـوهاج، وهـم يعـلمون أنهـا كانـت تقـيم فـى مسـاكن الجامعة، والسفر بعد انتهاء الدراسة معناه عدم ترك أى شئ سواء كانت له أهمية أو لم تكن ، وكان لابد من التخلص منها، فتجربتها معهم لا تسر.. كما أنهم كانوا يخططون لقتل أسامه، عندما اكتشفوا لهفته على إبلاغ الشرطة عن نشاطاتهم.. "

عادت سهير مرة أخرى إلى البكاء، ولم تجد معها تهدئة خاطر، ولا مواساة، وبدت فى حالــة نفســية سيئة، حاول شكرى بك ومريم هانم والجميع أن يخففوا عنها لكن دون جدوى، وعــندما رغبت فى الاستئذان، صمم مصطفى على استبقائها معهم، خاصة وأن مايسه أبدت رغــبة ملحــة فى البحث عن مستندات ومذكرات أسامه، وهذه لن تكون إلا فى قصر سهير هــانم، أو فى الكمبيوتر الخاص بأسامه، وأثنت مايسه على البوليس المصرى سرعة تحركه، وخطــته الذكية التى أوقعت بالعصابة قبل أن تستحوذ على ذلك الكمبيوتر، والبحث لن يكون إلا فــى الصباح، فلتبق السيدة سهير معهم حتى الصباح، ثم تذهب هى ومايسه سوياً ومعهما مــن يــتولى حمايتهما، حيث تعهد مصطفى بإرسال اثنين من رجال الأمن بالشركة، وتبحث مايسه ما شاء الله لها البحث.

وخرجــت الكلمــات صــراخا مــن شكرى مع بعض الاحتجاج من أحمد، حيث عاتب مصــطفى علــى المعلومات الخاصة باختطاف مايسه دون إبلاغه بها، لكن مصطفى اعتبر الموضــوع مــن أهــم خصوصــياته هو ومايسه فقط، حتى أنه غير مسموح لمنى أو سعيد معرفته، ولا حتى صفيه، فابتلع شكرى غضبه ولم يعلق.



لكن مصطفى لكى يضفى على الموضوع أهميته أعلن:

- " إن هذه المعلومات لو تسربت خارج مجموعتنا لكان فيها الهلاك لنا أو على الأقل مايسه."

فأعلن شكرى اقتناعه بعدم ذكر شئ عن هذا الموضوع لا تعليقاً ولا نشراً ولا مداولةً.

٥ـ الاستعداد للسفر

نشـب خلاف حاد بين صفيه وستوته من جانب وبين صفيه وستوته وسهير المرعشلى من جانب آخر، سهير تصر على أن يبقى شريف معها خلال سفر والدته إلى اليابان، وستوته تصـر على أن يبقى معها هى فى سوهاج، وصفيه تصر على أخذه معها إلى اليابان، ومريم هانم عجزت عن أن تبدى رأياً يرضى الأطراف المتنازعة، ومصطفى مشغول مع مايسه فى ترجمة بعض التعبيرات التى عربها أسامه للكثير من المصطلحات الخاصة بالأقمار الصناعية والتوجيه عن بعد وغيرها كثير، فقد آثر الشاب ألا يستخدم كلمات أجنبية، وأعد لنفسه قاموساً خاصاً عرب فيه الكثير من المصطلحات الأجنبية.

لكـنه انـتفض علـى الخناقة الحريمى التى علت فيها الأصوات، وخشى أن تمتد فيها الأيـدى، وفى وجود الحاج وهدان، قد يتطور الأمر إلى أسوأ الاحتمالات، فأسرع إلى موقع الخلاف، حاول معهن أن يكون التفاهم بصوت هاد، ثم تدرج معهن فى تفسير الخلاف إلى أن وصـل إلـى المشـاعر، والمشـاعر أمور ليس من السهل تفهمها، وعلى سبيل المثال، فإن المشـاعر التى حاولت سميحه القرنفلى أن تضفيها على ابنتيها، تبينت فى النهاية أنها محاولة لاحتلال الفيلا مبدئياً، ثم تحويل ممتلكات مصطفى باسم ابنتيها لتبددها كيفما يحلو لها، والآن هـو أمـام مشـاعر سـيدة فى السبعينات من العمر، حرمت من وحيدها وتريد أن تكرس مشـاعرها كلهـا فـى حفيدها، وأمام أم لا تريد أن يغيب وحيدها عن عينيها، فقد عانت من الاختطاف، وترى فى استحواذ سهير المرعشلى على ابنها نوعاً من الاختطاف، والأمر سيان بالنسـبة لأمهـا سـتوته، وصـفيه لـن تقبل إلا بشريف معها، وهذا حقها، فأعلنه مصطفى بصراحة، فما دامت هى التى عانت فى الحمل والولادة والتربية، واحتضنته صغيرا حتى بلغ الثالـثة، ولـم يكن أى من الجدتين معها، سوى بضعة أشهر قضتها ستوته أثناء فترة الحمل وحتى الولادة، لكن بعدها، لم يرها أحد، ولم ير لها أحد لهفتها على حفيدها.

أمـا السـت سهير، فلولا الأحداث الأخيرة لما ظهرت، إنها لم تستطع أثناء سفرها أن تتبين صوت ابنها بين الزيف والحقيقة، وهى تعترف أنها تركت أسامه صغيراً لستوته والحاج

وهدان لتتفرغ لفنها، وتركته مرة أخرى عندما سافرت مع عباس قللى أو أياً كان اسمه، وهذا معناه أن المصالح الشخصية عندها تغلب على عاطفة الأمومة، فهذه ليست مشاعر، وبمجرد أن انـــتهى مصـــطفى إلى النتيجة الوحيدة التى تؤكد على ضرورة بقاء شريف مع أمه، حتى انفجـــرت سهير هانم فى بكاء حار، تخللته بعض العبارات التى تشير إلى قرب انتهاء أجلها، وهى تريد أن تشبع عينيها بمشاهدة حفيدها الذى تتجسد فيه صورة أسامه، وتؤثر فيه عوامل الوراثة بالشكل الذى يذكرها بابنها.

دق جرس الهاتف، وأعلنت مايسه أن المتحدث من السفارة السويدية، وتعجب مصطفى، لمـــاذا لم يطلبه أولف بشخصه، هل ما زال هناك توتر فى العلاقات نتيجة الشك الذى زرعه فـــيه نحو ابنتـــه، التقط سماعة الهاتف، فوجد نرسنج يحادثه، وبعد رد التحية، لامه مصطفى على توسيطه أحد موظفى السفارة، لكن نرسنج أوضح له الأمور:

- **" لم أشـأ أن أحادث أحدا غيرك، فانا أعـلم مـا آلـت إلـيه الأمور مع مايسه، وأخشى أن يكـون فـى نفسـها مـنى غضاضـة ولـو بسـيطة، ثـم أن الاتصـال فـى الحقـيقة مـن أجـل العمـل، حيـث أن المطلـوب تحديـد موعـد لمناقشـة شـروط الـتعاقد مـع إحـدى الشركات السويدية.."**

وكانـــت مايســـه تـــتابع المحادثة، وعلمت فحواها، وبمجرد أن نظر إليها مصطفى وردد عـــبارة مناقشـــة شروط التعاقد، حتى تفهمت الموقف وأشارت إليه أن يكون اللقاء بالفيلا، ولم يمانع نرسنج، استناداً إلى أنه يريد أن يعتذر لمايسه، وأن ماريا تريد قضاء بعض الوقت معها، فحدد له مصطفى الخامسة بعد الظهر، وانتظر نرسنج حتى يراجع ارتباطاته، ثم أعلن الموافقة.

تأزمـــت الأمور فى مشكلة سهير وصفيه وشريف وستوته، ونظر مصطفى إلى والدته يـــريد استطلاع رأيها، فهزت السيدة رأسها بما يفيد أنه ليس لديها جديد تضيفه، فهى تحكمها مجموعـــة من المشـــاعر، ربما تنحاز إلى سهير لإعجابها بفنها، ولكن مشاعرها نحو زوجة ابنها التى تعاملها كأم، وتعتبرها مريم هانم ابنتها التى كانت تود أن تلدها، بالقطع سيكون لها تأثيرها على ما قد تقترحه من حلول، أما ستوته.. فإنه بالرغم من أن الأيام التى قضتها معهم قلـــيلة، إلا أنهـــا بدأت تحتل مكانة خاصة فى قلب ومشاعر مريم هانم، فالسيدة كثيرة الكلام،



حلــوة الحديث، لديها كم من الحكايات والأمثال والحكم يملأ مجلدات، وكل هذا جعل التقارب قوياً بينها وبين مريم هانم، وبالقطع سيكون لذلك تأثير كبير فيما قد تقترحه حلاً لهذه المشكلة، ومن ثم فقد آثرت الامتناع عن المشاركة برأيها.

وأمـــام هــذا لم يجد مصطفى بداً من أن الحل الوحيد هو عدم سفر صفيه، والبقاء هى وشــريف بالقاهرة، حتى تستطيع كل من سهير هانم وستوته أن تنعما بحفيدهما وقتما تريدان وحيــثما يحلــو لهما، وأمام هذا لم تجد مريم هانم بداً من الاعتذار عن السفر حتى تكون إلى جانــب ابنتها صفيه، ووجد سعيد نفسه مندفعاً بحماسه المعتاد وعفويته التى تعبر عن شهامة ورجولة تترجمها أفعاله، بأنه سيبقى ليكون رجل البيت فى غياب أخيه وبناته، ومعنى اعتذار سعيد عن السفر، أن منى أيضاً لن تسافر.

وأســقط فى يد سهير هانم، هذه الأسرة لابد وأنها من الكرم وسخاء النفس للدرجة التى يضـــحى بها الجميع من أجل الفرد، وخشيت أن يمتنع مصطفى أيضا عن السفر إكراماً لها، فانتفضت كما لو كانت لدغتها حية، لتعلن:

- **" أبداً يا مصطفى بك، إن حضورى هنا كان عابراً، أرجو أن تعتبره كأن لم يكن، فلن أقبل أبداً أن أكون غراب البين الذى يفرق بين زوج وزوجته لأنانية انتابتنى فى لحظة ضعف، أنا اقترحت أن يبقى شريف معى خلال فترة سفركم، وقد أثارنى تشبث ستوته به ليبقى معها، لكن إلغاء مشاريعكم كلها من أجلى.. هذا ما لن أقبل به أبداً، وأهو أسبوع أو أسبوعين.. أو حتى شهر.. لن تكون المدة الطويلة التى سينفطر قلبى فيها على حفيدى، فقد حرمت منه ثلاث سنوات، كما حرمت من أبيه ما بقى لى من عمر.. "**

وغطــت عينـــيها بالمـــنديل، وانخرطت فى بكاء حار، اتجهت إليها الأيادى بالمواساة، وعقــدت الألســنة، فما عادت هناك كلمات عزاء تضاف إلى ما سبق أن قيل، فلملمت السيدة نفســها، وأعلنت عزمها على المغادرة، لكن الجميع تشبث بها، وأولهم مريم هانم، طالبة منها أن تمضى معهم الأيام القليلة القادمة وحتى موعد سفرهم، وبتشجيع من مصطفى، وافقت، ثم هاتفــت خادمــتها لــتحول على تليفون مصطفى جميع ما يرد إليها من مكالمات، واستأذنت مصطفى أن يمر على القصر، أو يكلف من يقوم بهذه المهمة، فهى تخشى أن يعاد الاستيلاء

علــيه مـــرة أخرى قبل أن تتمكن من بيعه، لكن مصطفى فاجأها برغبته فى الشراء، وطلب مـــنها أن تحدد السعر الذى يناسبها، وحدد لها يومين لتستطلع فيهما رأى اخوتها أو أى ممن يكـــون لـــه نصـــيب فى القصر، لكنه حرك بتلك العبارات شجونها، خصوصاً أنه أخذ منها العـــنوان لكـــى يمـــر عليه، وهذا معناه أنه يريد أن يشترى قصراً لم يره من قبل، وعرضه لشـــرائه لـــم يكـــن إلا من قبيل العمل على راحتها بأسلوب عملى، فسالت من أعينها بضع قطرات وهى تعلن:

- " تفتكر يا مصطفى بك أن أبى كان سيبخل على مصر بأولاده الذكور حتى يكلفنى أنا الفتاة الصغيرة على القيام ببعض المهام الفدائية، لقد فقدت أخوتى كلهم فى الكفاح ضد الاستعمار، ولا توجد غيرى مالكة لهذا القصر الممل الكئيب ..

احترم مصطفى حزنها على اخوتها، وطلب منها أن تحدد السعر الذى تريده ثمناً للقصر الذى لم يره، ومع تحديد الموقع والمساحة، حدد مصطفى سعر المتر السائد فى هذه المنطقة، ومن ثم قام بتحديد السعر المناسب للقصر، وفوجئ بالسيدة تفغر فاها اندهاشاً:

- " يا مصطفى بك.. ده سعر ربما يزيد عن ثلاثة أضعاف ما عرض على، إذا كنت تريد مجاملتى على حسابك.. فهذا ما لا أقبله.. "

فقال مصطفى:

- " ليست مجاملة، ولكن الذى عرض عليك هذا السعر أخذ فى اعتباره تكاليف الهدم، والتقسيم إلى قطع صغيرة مناسبة، لكنه لم يضع فى اعتباره بيع الأنقاض، وقصر بهذا الحجم. لابد وأن الأنقاض تقدر بمبلغ كبير.. "

فقاطعته سهير هانم:

- " أنقاض إيه يا مصطفى بك.. القصر مبنى بالدبش، والأسقف كلها خشب وقد تآكل بفعل الزمن والرطوبة والحمامات ليست لوكس ولا حتى أقل من ذلك بكثير، أنت لم تر القصر، قلت لك أن الإنجليز كانوا يستخدمونه لتصفية الفدائيين المصريين، لذلك أنا أقبل بنصف هذا السعر، وأرجو أن يودع المبلغ باسم شريف فى شهادات استثمار.. "

لكــن مصــطفى استوقفها عند هذه النقطة، ليوضح لها أنه لا مانع من أن يوضع المال باســم شــريف ولكــن بوصاياتها، والأرباح تودع فى حسابها للصرف منها على احتياجاتها، وقاطعته والدته:

- " وأين ستقيم سهير هانم..؟ "

فقال مصطفى:

- " ما رأيك يا أمى فى أن تقيم معنا.. نرعاها ونكون لها الأسرة التى حرمت منها.. ولو أننى أخشى أن تنافسك فى العرسان الذين يطلبون ودك.. "

فضــحك الجمــيع.. إلا أن سهير هانم ترددت فى قبول العرض، فهى لا تريد أن تكون ضيفاً ثقيلاً على أحد، لكن مصطفى بسط لها الأمور:

- " الحقيقة أننى أنوى بناء برج كبير مكان القصر، وستكون لك شقة كبيرة فى هذا البرج، لكن وإلى أن يتم ذلك، فستكونين ضيفة عزيزة علينا.. "

لكــن السيدة اعتذرت عن قبول ذلك الكرم المغالى فيه، فطلبت من مصطفى أن يشترى شــقة باسم شريف فى مكان قريب من الفيلا الخاصة بهم، وسوف تحدد ما يتم نقله من أثاث القصــر إلــيــها، وتضيف إليه ما تنتقيه صفيه ومايسه مما يجدانه مناسباً من أثاث أو تحف، فانتفض مصطفى واقفاً وهو يقول:

- " خير البر عاجله.. هيا بنا إلى البنك لإيداع المبلغ فى شهادات استثمار، ثم الذهاب إلى الشهر العقارى لتوكيلى فى تسجيل القصر باسمى، والذهاب إلى إحدى العمارات الحديثة بالمنطقة، لتختارين ما يناسبك من شققها، نكتب عقدها، وتوكلين صفيه فى التسجيل النهائى باسم شريف كما ترغبين، ثم نذهب إلى القصر لتحددى الأثاث الذى ترغبين فى نقله إلى الشقة، وأترك لكُنَّ أنت ومايسه وصفيه تحديد الموعد المناسب لاستكمال ما ترونه من الأثاث والتحف.. "

وتعبــيرا عــن إعجابها الشديد بهمة مصطفى، نهضت السيدة سهير بكل ما تعانيه من مشاكل عمرها، واندفعت إلى مصطفى الذى كان يحاول رفعها أثناء وقوفها، واحتضنته وهى



تــبكى تأثراً من شهامة رجل قام بحل جميع مشاكلها دفعة واحدة، بكرم وشهامة وعزة نفس، فقالت مايسه:

- " يا سهير هانم.. هكذا هو أبى.. ولولا ذلك لما قبلت أن أكون ابنته.. "

وانخــرط الجمــيع فى الضحك، بينما وقف سعيد مشدوها، ومنى إلى جانبه تهمس فى أذنه، وتفهم مصطفى الموقف، فقال وكما لو كان كلامه عفوياً:

- " إذا كنت ترغب يا سعيد فى المشاركة، فاعتقد أن لديك من السيولة ما يمكنك من ذلك وربما يزيد.. "

ولما وجد بعض التردد من سعيد، أضاف:

- " خذ وقتك حتى باكر صباحا.. وأعلمنى به.. أو أخبر به الوالدة.. "

أنهــت مــنى همسها لسعيد، بينما اكتشفت مريم هانم ما استجد من أمور، وتكشفت لها حقيقة منى وأنها ليست بالطيبة التى كان يعكسها سلوكها السابق، أيام لهفتها على الزواج من ســعيد، وكذلــك أيــام الــزواج الأولى، هاهى تودود فى أذن ابنها لتزرع بذور الشقاق بين الأشــقاء، حسبتها.. وربما يكون قد خطر على ذهنها أن مصطفى أودع أموال فن سعيد فى حســاباته، وأنــه يشــغلها لحسابه، وإلا فمن أين له بكل هذه السيولة، لكن حصافة مصطفى ألجمــتها.. فعــرض عليه المشاركة، فهذا معناه أنه إذا أراد أن يتملك فعليه أن يدفع ثمن ما يتملكه، وفى ذات الوقت، أفهمه هو وزوجته أن أمواله من الفن فى حساباته، ربنا يستر..

شــعر سعيد بما يدور فى رأس أخيه، وكيف كان تعبيره عن استيائه من تصرف منى، ووضح ذلك جلياً عندما لم يعارض إعلان سعيد عن عدم رغبته فى السفر بحجة أنه يريد أن يــترك لمصــطفى فرصـــة تمــتعه بوقته مع أولاده، وربما لأنه شعر بأن منى تحصى على مصطفى أمواله فى مصر، ولا يريدها أن تحصى عليه أملاكه فى طوكيو، كفاه ما بدر منها عــندما نطق مصطفى بما يفيد تملكه لمبالغ سائلة تزيد عن المليون، ومايسه تقول بأن شركته فى اليابان من أكبر شركات التكنولوجيا الحديثة، التى تبتز بها الدول الغنية فقر الدول الفقيرة، فمــاذا ســيكون رد فعلها؟ وقد تأكد له ذلك من رد فعل والدته الذى رآه ينعكس على وجهها أولا، ثــم بعــدم تعليقها على إعلان رغبته فى عدم السفر معهم، بل إنها حمدت للسيدة سهير



المرعشلى تخليها عن التمسك بشريف، وإعلانها أنها لا تريد أن تكون سبباً فى حرمان العائلة من تجمعها خلال فترة السفر، وإذا كانت السيدة قد أعلنت ذلك من منطلق ما قدمه لها مصطفى من حلول عملية، رفعت عنها كابوس البقاء فى قصر تسكنه الأشباح، ولم يبخسها أشياءها، حيث عرض عليها سعراً قامت السيدة بنفسها بتخفيضه، بل وزاد من كرمه بأن باعها شقة فى إحدى بناياته الجديدة باسم شريف، وحسناً أنه لم يعلن أنها ملكه، حتى لا تدخل فى دائرة الحصر الذى تعده عليه منى، بل إنه لم يترك السيدة سهير قبل أن يتأكد من استقرارها فى الشقة مع أم الخير، خادمتها التى لم تتخل عنها، حتى عندما تخلى عنها زوجها عم صفيه، ويكفى أن صفيه ومايسه هما اللتان أشرفتا على نقل الأثاث من القصر إلى الشقة، وقامتا بمساعدتها فى اختيار باقى ما رأت إضافته من أثاث وتحف، بل إن مصطفى عندما أصرت السيدة سهير على سداد قيمة الشقة من ثمن القصر قبل الإيداع بالبنك، جعلها تحرر له شيكات بالثمن تستحق فى مواعيد تتناسب مع مواعيد إيداع أرباح شهادات الاستثمار فى حسابها، ومبالغها لا تزيد عن مبلغ تلك الأرباح بعد خصم ما يناسب مصروفاتها هى وخادمتها وربما يزيد، وذلك حتى لا يشكل ثمن الشقة عبئاً مالياً على مدخرات عمرها التى تدخرها لحفيدها، فالسيدة تشعر بتأنيب الضمير، الناتج عن تجاهلها لابنها أثناء حياته، فلا أقل من أن تعوضه ذلك فى ابنه، ابنه الذى خرج إلى الحياة بأسعار تتصاعد كما هى ألسنة اللهب، لا تبقى ولا تذر، فالغنى يصبح فقيراً والفقير يزداد فقراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعاد سعيد إلى نفسه، هذا ما فعلته السيدة سهير لحفيدها، وتساءل:

- " ما هذا الذى فعله مصطفى مع السيدة سهير المرعشلى؟ وهى ليست من الأسرة، ولا حتى من العائلة؟ وهل يتناسب ذلك مع ما فعله مصطفى له؟ إن ما فعله يزيد كثيراً عن كل ما قيل، فيكفى رعايته له صغيراً وكبيراً، ويكفى رعايته له عاملاً ثم فناناً، ويكفى أنه هو الذى رسم وخطط وساهم وشجع لإتمام خطوبته على منى، التى ظن أنها ملاك فإذا بها تحصى على مصطفى أمواله وأملاكه، وسارع إلى دفع ثمن الشبكة حتى قبل أن يحدث لقاء بين الأسرتين، والأثاث الذى جاءت به مايسه من أين؟ أليس من شركته باليابان؟ والفيلا يقصد الجناح الذى يسكنه هو وزوجته، من الذى بناه له؟ ومن الذى دفع التكاليف؟ ومن.. ومن..؟"

وانتهى إلى حقيقة كبيرة سبق أن أعلنها فى أكثر من مناسبة، وهى أنه يدين لمصطفى أخيه بحياته وبكل ما يملك.

٦ـ السفر إلى اليابان

فوجئ مصطفى بأن نبتة شجرة البروتين كبرت بشكل غير عادى، فأصدر أوامره لنقلها إلـــى أصــــيص أكبر، وأمر بإعداد صندوق خاص بها، كى يأخذها معه إلى اليابان، وأصدر تعلــيمات مشددة لزنوبه بالاستمرار فى مراعاة تسميد الشجيرات التى تعودت على تسميدها بالمياه المخلوطة بدماء ما يتم ذبحه من دواجن وأرانب.

وفى المطار تعمد أن تدخل مايسه ومعها الشجيرة، وهى بشكلها اليابانى، ربما لن تلفت نظـــر رجـــال الجمارك، وسيتم التعامل معها باعتبارها سائحة يابانية أعجبتها إحدى نباتات مصر، فأرادت أن تحتفظ بها فى بلدها، لكن انضمامها إلى أبيها بعد العبور من منطقة رجال الجمارك، ووجه مصطفى الخوجة ليس غريباً على الكثيرين من أبناء مصر، جعل أحد رجال الجمـــارك يدقق فى شكل الشجـــيرة، ثم يحملق فى وجه مصطفى ويطلب منه جواز السفر، وحيـــث أنـــنا فـــى مصـــر، نعلـــم جيداً أنه لن تصدر إلينا الأوامر إلا من رجال السلطة أو المختصين، وهذا الرجل طلب جواز السفر، فلابد أنه من رجال السلطة، ولم يمانع مصطفى، أعطـــاه الجـــواز دون أن يسأله عن هويته، أو عن سبب طلبه جواز سفره، فنظر الرجل إلى الصورة وتأكد من الاسم، لكنه أخذ يردد النظر أكثر من مرة بين الشكل والصورة والاسم، ثم ابتسم ابتسامة صفراء ثم قال:

▪ " بروفيسور مصطفى الخوجه.. إذا لم أكن مخطئاً.. "

وأجـــاب مصـــطفى بهـــدوء، رغـــم أنـــه شعر بأن الأمور ليست على ما يرام، فتعبير بروفيســـور لا يـــتعامل به إلا القلة، وهؤلاء القلة، إما مثقفون ثقافة عالية جداً، وشكل وهيئة محدثـــه لا تـــدل على ذلك، أما الصنف الآخر.. ففى غالب الأمر مجموعة من الانتهازيين، الذيـــن لا هم لهم إلا أن يشعروك بأنك تستطيع أن تمتلك العالم من خلالهم، ولا تكون الألقاب الـــتى يضفونها على الضحية،إلا تملقاً ووراءه ما وراءه من محاولات الاستفادة أو الاستحواذ، أو يكـــون على وشك أن يواجه بكارثة، ومصطفى ليس لديه استعداد لهذا أو ذاك، الرد على قدر السؤال، وهو سأله عن الاسم، فقال له:

▪ " نعم.. "

فـــأخذ الرجل يردد النظر بين مصطفى وبين النبتة، لكنه قبل أن يوقع نفسه فى الخطأ، فهـــو لا يدرى من يكون مصطفى الخوجه هذا، سوى ما وصله عما نشر عنه بالجرائد، ولم يكـــن بذلك التفصيل الذى يجعله يحيط بكل الأمور، فسأله عن اسم النبتة، فهز مصطفى كتفيه وكأنما هو لم يفهم ما يقصده، فواجهه بحقيقة الشجيرة:

- " سـيادتك صـاحب الفضـل فـى اكتشـاف أشـجار الـبروتين، وأعـتقد أن هـذه النبـتة هـى شجيرة البروتين التى قدمتها فى المؤتمر إن لم أكن مخطئًا.. "

وأجاب مصطفى بكل هدوء:

- "نعم.. "

لم يكن يتوقع منه إجابة صريحة مباشرة، فتلجلج الرجل وقال:

- " بسـم الله مـا شـاء الله.. كبرت وترعرعـت، لكـن يؤسفنى يا بروفيسور أننى لا أستطيع السماح بخروجها.. إلا بعد الرجوع إلى المسئولين.. فى الحجر الصحى.."

ولـــم يعجب مصطفى الرد رغم أنه كان يتوقعه، ومايسه إلى جانب والدها، شعرت بما يدور فى خلده، هناك مشكلة، ومادام هناك مشكلة، فلا بد من استخدام التقنيات الحديثة، وأقلها النوت بوك، ضغطت على زر بالجهاز بشكل غير ملحوظ، فبدأ التسجيل بالصوت والصورة، فتساءل مصطفى ببعض العصبية التى حاول جهده ألا تعكسها نبرات صوته:

- " الحقـيقة أنـنى لا أدرى مـا هـى اختصاصـاتكم عـلى وجه الـتحديد، كل يريد أن يخضع عـباد الله لآرائه وما يقتنع به، هل من صلاحياتك أو صلاحيات أى موظف حكومى.. هذا إذا كنت موظفاً حكومياً ! أن يمنع خروج أى شئ..؟ إلا إذا كان هناك قانون.. "

وبـــدأ موظـــف الجمـــارك يـــراجع نفســـه، فأظهر له هويته.. موظف بالإدارة العامة للجمـــارك.. نظـــر فيها مصطفى سريعا ثم أعادها إليه، لكن طريقة مصطفى فى التحدث مع موظف الجمارك جعلته يراجع نفسه.. هل يتركه يخرج بالنبتة وكفى الله المؤمنين شر القتال، أو يتشبث برأيه ويستند إلى المنع قياساً بالآثار.. وأن قانون تجريم تهريب الآثار أو خروجها مـــن مصر، لم يقصد به فى الواقع إلا منع خروج كل ماله قيمة أثرية أو تاريخية أو فنية أو

علمـــــية أو زراعــية أو مالية.. إلخ ، لكنه لم يرغب فى الاستقلال برأيه، وردد فى نفسه عــبارة " فلــيفعلها غــيرى " وطلــب من رئيس الوردية عرض الأمر على مسئولى الحجر الزراعى، فإن أجازوا خروجها يصير الأمر مسئوليتهم، وإلا فهو عند رأيه.

وتدخــل المهندس الزراعى المختص بالحجر الزراعى، حيث رفض رفضاً باتاً خروج الشجيرة، إذ كيف يوافق على خروج هذه الثروة القومية، ثم لابد من الكتابة إلى سيادة النائب، وسيادة أل.. وعدد مجموعة كبيرة جداً من الألقاب التى يهتز لها البدن خوفاً وهلعاً.

واقترب موعد إقلاع الطائرة، والنداءات تلو النداءات على اسمه هو ومايسه، والكل عند رأيــه، ولــم يجد بداً من ترك النبتة التى ستعطله عن السفر، ولكنه يريد منهم أن يؤكدوا له الاهتمام بالشجيرة إلى أن يعود من سفره فيستعيدها منهم، أو يرسل من يتسلمها، فسألهم:

- " والحل.. "

والحقــيقة أنــنا نحن المصريون لدينا حل لكل المشكلات، فما من مشكلة إلا ولها حل، ولكن الحل لا يأتى إلا متأخراً، وربما متأخراً جداً، قال رجل الحجر الزراعى:

- **" تعود بالنبتة.. أو تتركها عندنا ولترسل من يتسلمها منا.. لكن أن تخرجها خارج البلاد.. فهذا غير ممكن إلا بعد الحصول على موافقات المسئولين.."**

وبــدا لمصــطفى أنـــه لا طـــائل من النقاش، وما قاله رجل الجمارك أو رجل الحجر الــزراعى، لــيس فــيه مـــا يعيــب، ولا ما يوجب المساءلة، حتى فى حجزهم للنبتة، فذلك لاســتطلاع رأى المســئولين، وهل سينتهى المسئولون إلى رأى مخالف؟ ذلك أن الكثير من القــرارات وربما القوانين يتم استنباطها من عمل هؤلاء الموظفين الصغار، أو أن يتقدم بها أحدهــم وينســبها المسئولون الكبار لأنفسهم، لكن هل يخرج مصطفى من هذه المشكلة خالى الوفاض؟ دون درس أو عبرة تصحح المفاهيم، وتؤدى إلى ترشيد القرارات، قال:

- **" إذا كان القرار ليس بأيديكم وإنما هو بيد المسئولين الذين لا أدرى من هم.. فلماذا لا يتواجد هؤلاء المسئولون لينهوا هذه المشاكل كلما حدثت، أم أن تعطيل مصالح الناس ليست بالأهمية اللازمة..؟ "**



وتكهرب الجو.. هاهو أحد المتحذلقين لا يعجبه رأيهم، ويريد أن يعلمهم شغلهم، هذا إذا لم يكن فى نبرة صوته ما يعنى أنه مادام كل شئ بيد المسئولين، فما الداعى إذاً لوجودهم ما داموا لا يحلون ولا يربطون؟ لكنهم حريصون على ألا يصدر عنهم عيب أو خطأ، وما دام الأمر قد تعلــق بالــنظام، فليأت رجال النظام لتكون إجاباتهم هى الحاسمة، ورجال النظام هم الشرطة، فأســرع رئيس الوردية إلى مسئول الأمن بالمطار، وهمس فى أذنه بالمشكلة من وجهة نظره، مــع بعض الإضافات التى تزيد الأمر تعقــيداً، وأسرع مسئول الأمن إلى حيث يقف مصطفى، وقــد أخذ يردد النظر إلى ساعته، حتى لا يتعدى الوقت المسموح به للطائرة انتظارهما، وكما هى عادة رجال الشرطة، سأل مصطفى عن المشكلة، فلخصها مصطفى فى كلمتين:

- " هذه الشجيرة.. هل هناك من يدعى ملكيتها وأخطركم عن فقدها أو سرقتها، ومن ثم.. أعتبر سارقاً لها، فأمنع من أخذها معى حيثما تطلب الأمر..؟ "

ووجــد رجــل الأمــن أن عرض المشكلة بهذه الصورة ليس عليه غبار، الرجل يملك الشــجيرة، ومــن حقــه أخذهــا معه أينما يشاء، فما مشكلة رجال الجمارك ورجال الحجر الــزراعى، فمط الرجل شفتيه، وزام بما يفيد اقتناعه بوجهة نظر مصطفى، لكن رجل الحجر الــزراعى، الذى سبق له أن تتبع أخبار هذا الكشف بكل ملابساته، انبرى خطيباً فقال موجهاً كلامه لرجل الأمن:

- " ده لو لم تكن هناك جهات أجنبية تريد الاستحواذ على هذا الكشف.. "

فــنظر رجــل الأمــن إلى مصطفى، وكأن ما قاله رجل الحجر الزراعى معقول، لكن مصطفى لم يرد أن يتجاوز عن كل ما هو حق له، فواجه رجل الأمن بهذه الحقيقة:

- " وسعادتكم بقى عندكم وطنية أفضل من كل أبناء الشعب المصرى، يعنى انتم عارفين أن هذه الشجيرة لها قيمة كبيرة فى الخارج، الأمر الذى يجعل خروجها من مصر فقداناً لثروة قومية لا تقدر، يعنى خروج مومياء رمسيس إلى فرنسا لعمل فحوصات ليس فيها ما يعيب، ليه..؟ لأن السادة المسئولين وافقوا على خروجها، وكأنما هم الذين يملكون القرار بالرغم من أنهم لا يملكون مومياء رمسيس أو غيرة من أجدادنا الذين ذهبوا بحضارتهم، ليتركونا مع من تيبست عقولهم، فأصبح المنع هو الأساس، حتى تحجرت

المفاهيم، وثبطت الهمم، وغاصت بنا الأيام فى مستنقعات جهل من بيدهم القرار ومن نصبوا من أنفسهم أوصياء على الشعب المصرى، وتفوق من أهملهم التاريخ على أرباب التقدم.. طب يا سيدى، هذه هى النبتة الوحيدة التى استطعنا استنباتها من كل تجارب الاستزراع التى قام بها عباقرة الزراعة فى مصر، ألا يحق لنا كشعب، ومش عايز أتكلم باسمى فقط، حتى لا تتصور أننى أريد إخراجها لتحقيق مصالح شخصية، وربما يكون قد دار بخلدك.. كما هى القاعدة التى أصبحت تعم الجميع، أنه إذا لم تتحقق لك مصلحة من شئ، فليذهب إلى الجحيم كل من يستفيد دونك.."

وقع فى المحظور.. هذه إهانة لا تغتفر.. لابد من ردع هذا المتهور، فقال رجل الحجر الزراعى:

- " يعنى سعادتك بتتهمنا بأننا نريد أن نحقق مصالح شخصية لكى نسمح لك بإخراج هذه الشجيرة.. طيب ما هياش خارجة، حتى لو وافق على خروجها رئيس الجمهورية.. "

وتجمع الناس.. فقد كان صوت رجل الحجر الزراعى من العلو بحيث يُسمِع من لا يسمع.. وتطوع كل برأيه، بين موافق على المنع باعتبارها ثروة قومية، ومعارض للمنع باعتباره حجراً على الحرية الشخصية بما يخالف الدستور، وتحذلق أحد المغادرين من العاملين فى الخارج، فقال:

- " يا سيدى.. لقد بح صوتنا فى إعلان اعتراضنا على تصاريح العمل التى تصدرها وزارة الداخلية، باعتبارها مخالفة للدستور وباعتبار أن أى مواطن فى أى دولة خارج حدود التجارب الثورية التى تمر بها المنطقة العربية أو حتى الأجنبية، كل شئ يحكمه القانون الذى يجب أن يكون منبثقاً عن الدستور، وأنت حر فى أن تفعل ما تشاء، لكن إذا خالفت القانون، يكون القصاص، تخرج.. تروح.. تيجى.. لكن إذا خالفت القانون ينالك ما تستحق من عقاب.. "

فقاطعه مصطفى:

- " أنا فقط أريد أن أعلن للأخ مهندس الحجر الزراعى .. وكمان لرجل الجمارك، ويبقى

مسئول الأمن شاهد على هذا الحوار.. أننا كلنا مواطنون صالحون، ومصر بلدنا كلنا وليست بلد مسئولين فقط، وأن العلاقة بيننا وبين المسئولين يحكمها دستور تنبثق عنه قوانين لابد أن يوافق عليها الشعب من خلال نوابه بالمجلس التشريعى، وأنه ما دام قد تابع أخبار الاكتشاف فى الجرائد والمجلات، ألم يطرق نظره ما عرضه المراسلون الأجانب من محاولات ما أسماه استحواذ على الكشف.. فماذا كان ردى عليهم أنا على وجه الخصوص..؟ ألم أعلن الرفض..؟ يعنى لا يظن نفسه المواطن الصالح الوحيد، هذا بالرغم من أننى أحيى فيه هذه الوطنية، ليتها تكون فى كل تصرفاتنا.. كلنا مواطنون صالحون، فأرجو أن تكفوا أيديكم عنا باسم مصلحة البلد، وأنا أتحداك لو كانت هناك إجراءات قانونية محددة للتعامل مع مثل هذه الأمور.. "

وتطور الأمر بين أخذ ورد، ومداخلات من عباقرة القانون والزراعة والاجراءات، وحضر باقى أفراد عائلة مصطفى لاستطلاع الأمر، وما كان لمصطفى أن يسمح لهم بالتدخل، وكان لا بد من إنهاء المشكلة، فقال بحزم أشعر الجميع أنه يضع حلاً عملياً للمشكلة:

- " شوفوا يا جماعة.. أنا ليس لدى وقت للعودة بالشجيرة، فموعد إقلاع الطائرة قد حان، فارجو أن تدلوا لى بمقترحاتكم، حيث أن النبتة تحتاج إلى رعاية خاصة، وحرصاً منى على هذه الثروة القومية، فإننى لا أترك هذه المهمة لأحد غيرى، وتركها هنا وأنا مسافر قد يعرضها للفناء، ويبقى عملنا زى الدبة التى أرادت أن تبعد الذباب عن صاحبها فقتلته، يعنى سعادتكم عايزين تحافظوا على هذه الثروة القومية فتمنعوا سفرها، فهل لديكم القدرة على المحافظة عليها لحين عودتى من السفر..؟ "

وصمت الجميع، بينما الهمس يدور بإجماع، على أن ما قاله مصطفى معقول جداً، وعلى الفور تناول مسئول الأمن الووكى توكى، وتخاطب مع مسئوليه عارضاً المشكلة برمتها، وجاءه القرار بمنع سفر النبتة، وربما كان هناك بعض التجاوز بمنع مصطفى نفسه من السفر إذا لزم الأمر، لكن مسئول الأمن خفف من حدة القرار، واكتفى بإعلان عدم جواز سفر النبتة، وعلى مهندسى الحجر الزراعى العناية بها لحين عودته من السفر، فطلب مصطفى إثبات ذلك فى محضر رسمى، يوقع عليه جميع الأطراف، ويحصل على نسخة عنه

ممهـــورة بخاتم الجمهورية، وأخذ منهم إيصالاً بالنبتة وتركها لهم، وسافر مع العائلة، بعد أن أكـــد على المهندس الزراعى بضرورة الاهتمام بها ورعايتها ريثما يحصلون على الموافقات المطلوبة، فهمست مايسه بضرورة تسميدها بسماد يحتوى على نسبة عالية من الأزوت، وفى الطائـــرة جلست ما يسه إلى جانب والدها، وصفية إلى جانب شريف، ومها ومريم إلى جانب جدتهما، وتساءلت مايسه:

- " ما هذا الذى حدث بالمطار يا والدى؟"

واحتار مصطفى.. هل يدلى لابنته بما يعانيه المواطن المصرى فى التعامل مع موظفى الحكومـــة، وبخاصـــة من نصب من نفسه راعياً لمصالح الستين أو السبعين مليون، وهو لا يســتطيع أن يهـــتم بمصالح أسرته؟ فتجده يعانى من قلة ذات اليد، وعدم قدرته على الاكتفاء الذاتـــى فى مشاكل السكن والأمن الغذائى والمواصلات والتعليم والعلاج الصحى له ولأفراد أســـرته، ويـــزيد الطين بللاً أنه يدخن، ويقضى بعض الوقت بالمقاهى مع أصدقاء الخير أو الســـوء، وربما تطور الأمر لكى ينسى همومه، بتعاطى المخدرات أو المشروبات الروحية، وكـــل شئ بثمنه، إما الرشوة وإما الاختلاس وإما خدمات خاصة تضيع على الدولة حصيلتها مـــن الضـــرائب أو الجمارك أو المخالفات بأضعاف ما يتقاضاه الموظفون كرشوة أو كقيمة للمعاملات الخاصة، وربما لو تقرر إعداد جداول رواتب يراعى فيها ألا تقل عن الحد الأدنى للحـــياة لكان فى ذلك الخير للمواطن وللوطن، أم يكتفى بما حدث، ولها أن تتعامل مع الأمور بما تعكسه مفاهيمها العلمية والتربوية، قال لها هامساً:

- " إن مـن أهـم المشاكل التى تواجه البلد التصرفات الفردية، فكل يتصرف وفق هواه وهم الأقـوى، فلـن تسـتطيعين الإصـرار عـلى موقفك، وإلا فلـن يوافقـوا على سفرك، فما هو الحل من وجهة نظرك؟ لكن للحقيقة يا مايسه لو أننى مكانهم لفعلت ما فعلوه، فأشجار البروتين بالضجة الإعلامية التى لم تنته حتى هذه اللحظة.. تمثل ثروة قومية ليس من السـهل التفريط فيها، فلدينا حاسة ترشـدنا إلى هـذه الأمـور حتى بدون قوانين، لذلك أعطيت خالك مجموعة مـن الأحجار عند سـفره تحسـبا لما حـدث.. خوفى حقيقة من الإهمـال فلـو أن الشـجيرة أهملـت ومـاتـت، ولـو أن الأحجار التى أخذها خالك لم نفلح فى استنبات نبته أخرى منها، لكانت خسارة كبيرة.. "

فعلقت مايسه لكى تهون الأمر على والدها:

- " البركة فى الكام نبتة التى زرعها خالى فى الحديقة الخلفية للفيلا.."

ورد عليها مصطفى:

- " الأحجار التى زرعها خالك ما كانت لتنبت لولا رعاية صفيه لها، وصفيه الآن معنا فى الطائرة إلى اليابان، وقد أكدنا على زنوبه أن تراعيها بمثل ما كانت تراعيها صفيه، فهل ستفعل..؟ بل هل سيكون هناك ذلك الكم من الدجاج والأرانب التى ستذبح بعد سفرنا؟ هل ستستطيع.. أو لنقل هل ستقبل زوجة عمك بنت البندر أن تتولى الإشراف على ذبح وتنظيف ذلك الكم من الدجاج والأرانب؟ إنها لا تفعل شيئاً سوى التمطى والأكل والتسامر معنا، وحتى الأكل لا تتعب نفسها فى إعداده بل تجده دائماً جاهزاً، هذه التى كانت تقول لن يأكل حبيب قلبى إلا من عمل يدى، ولو أننا تركنا عمك ليأكل من عمل يدها، لأكله الجوع.. "

وصدرت الضحكات عن الأب وابنته، لكن مايسه لا تعرف علاقة ذبح الدجاج والأرانب باستنبات الأحجار، لكن مصطفى بعد أن اطمأن إليها وتأكد من أنها ابنته وليست دسيسة، شرح لها الموضوع، فعانقته مهنئته على هذا الإنجاز الرائع، لكنه أشار برأسه إلى صفيه، فهى فى الحقيقة صاحبة الفضل، فانطلقت إليها تحتضنها وتشيد بعبقريتها رغم عدم اقتناعها، ذلك أن خالها هو الذى زرع وليس صفيه، فكيف يرد والدها الفضل إلى صفيه؟ ومع عجب صفيه من تصرفها غير المنتظر، التقت عيناها بمصطفى، الذى رفع عنها الحظر فى أن تقول ما شاء لها القول.

لكن مايسه لم تنس ما حدث فى المطار، وتعجبت من عدم موافقة من اتصل بهم مسئول الأمن على خروج النبتة، وهى تتصور أنه لو كان هذا هو موقف الحكومة والمسئولين، فلماذا لم ترصد أى تحرك منهم لرعاية الكشف والاهتمام به، ولا نقول الاهتمام بمكتشفيه، فقالت:

- " لكن يا والدى أنا لم أرصد أى تحرك أو تصرف حكومى يعكس الاهتمام بالكشف أو بتنميته.."

فقال الأب مهوناً على ابنته مرارة ما حدث:

- " لعل فيما حدث بالمطار ما يؤكد على اهتمام الحكومة بالأمر.. ذلك أن الحكومة تعلم تماماً أن الشعب المصرى لدية حاسة قوية ترشده إلى مصالحه دون تدخل منها، فلماذا تتعب نفسها بالاهتمام بالكشف، طالما أن المكتشفين سيتولون أمر الاهتمام به؟ ولعل ما لاحظتيه من تاكيدى على الاهتمام بالشجيرة بعكس ذلك، كذلك فإن مسئول الجمارك بتصرف عفوى لم يسمح بخروج الشجيرة باعتبارها ثروة قومية، أى أن أفراد الشعب هم الذين يحافظون على الثروات القومية، وإن كان هناك انحراف من البعض، فهم قلة، ولعلك لاحظت تدخل الكل فى هذه المشكلة، وكل أدلى برأيه، لكن لو تاكد لهم أن خروج الشجيرة يقصد به حرمان الشعب المصرى من خيراتها، لكان فى ذلك هلاكنا.. "

وعـدل من ظهر الكرسى وأطلق لرأسه الاسترخاء التام وخيم علية نوم تعجب الجميع منه، فلم يسبق له أن استغرق فى نوم عميق بهذه الصورة، ونظراً لأن صفيه تعلم مدى الإرهاق الذهنى والعصبى والجسمى الذى تعرض له منذ ذلك المؤتمر، والسهرة التى انتهت بخطوبة سعيد لمنى، والمشاكل التى أثارتها سميحه القرنفلى فى الجرائد، ثم التحقيقات التى كشفت عن ملابسات مقتل أسامه، والقبض على العصابة التى كانت تدير قصر المرعشلى باشا لأعمال تصنيع وتجارة المخدرات، والسرعة التى تمت بها تعديل المندرة إلى أتيلييه، ثم جناح يتضمن الأتيلييه ببناء جديد عصرى يتناسب مع إقامة سعيد وزوجته، وأخيراً عملية الكلى التى أجريت لسعيد ثم الاطمئنان على صحته، وما حدث مع زوجة مصطفى السابقة "سميحه القرنفلى" التى كانت تريد أن تحتل الفيلا بدعوى المشاعر الكاذبة للمحافظة على ممتلكات ابنتيها من مصطفى وهو على قيد الحياة، وحل مشاكل سهير هانم، كلها أوقات عصيبة عابسة، لابد له من أن يرتاح من عنائها، وكأنما خروجه من مصر هو الفرصة الوحيدة التى يبعد بها عن كل هذه المشاكل، فكان لابد لها من ردع كل من يريد إزعاجه، وقد فعلت، انتقلت للجلوس إلى جانبه، تاركة شريف فى أحضان مايسه، وأبعدت عنه المضيفات اللاتى جئن بالطعام والشراب مرجئة ذلك إلى ما بعد استيقاظه، وهى معه طبعاً.

واســتيقظ مع موعد أذان الظهر، فقام وتوضأ وكذلك فعل باقى أفراد العائلة وأمَّهم وهم جلوس فى صلاه الظهر قصرا مع جمع العصر، وتناول طعامه وشرابه، وتحدث مع الجميع، وتبادل معهم أماكنهم لكى يجلس بجانب كل منهم بضع دقائق فهو لا يريد أن يشعر أحد بعدم اهتمامه به.

٧ـ الخطوة الأولى

رصدت العصابة مايسه وهى تزلف إلى المنطقة الجمركية فى مطار القاهرة ومعها نبتة البروتيــن، ولم ينتظروا حتى يتأكدوا من دخولها الطائرة ومعها النبتة، حيث سارعوا بإبلاغ الــرأس المدبــر بأن نبتة البروتين فى طريقها إلى اليابان، فقام بالتخطيط للحصول على تلك النبــتة بأية طريقة، ويفضل أن يكون ذلك بمجرد هبوط الطائرة، وأية طريقة عندهم ليس لها ســوى مفهـــوم واحــد لا بديل له.. ألا وهو استخدام العنف، فهى الطريقة التى يجيدونها، وبدأت الاستعدادات لخطف مايسه مرة أخرى، لكن هذه المرة لن تكون وحدها، حيث سيشمل الخطف كل من معها. لم يكن قد وصلهم العلم بأنها تعمل مع المخابرات اليابانية، ولم يكونوا يحتســبون أن الاســتعداد لأى تصرف من جانبهم، سوف يقابل بحزم ربما يفقدون معه كل مقومات نشاطاتهم.

كان " المستر كيوكى " الذى يعرفه أفراد أسرة مصطفى ما عداه – بالدكتور ناجا سيتو فــى انــتظار مصطفى ومايسه ومن معهم من أفراد العائلة بالمطار، وأول بوادر القلق، أن مصطفى اكتشف أن كل الأمتعة قد تم العبث بها من قبل أن يتم وضعها على سيور الحركة، فــنظر مصطفى إلى مايسه وأومأ لها بما يفيد أن الأمتعة خضعت للتفتيش، والقلق يكاد يقتله، فطمأنــته، ذلك أنها لمحت تحركات غير عادية من بعض عناصر المخابرات الذين تعرفهم، وأصــبحت لغــة الــنظرات هى وسيلة التخاطب بينها بين والدها، نظر إلى ابنتيه وشريف ووالدتــه وزوجته، فهزت رأسها، حيث لوحت للدكتور ناجا سيتو، وأسرعت بالأولاد ومعهم الجــدة وصفيه، فاصطحبهم ناجا سيتو إلى بيتهم فى طوكيو، وكم كانت الدهشة عندما وجدوه من الخارج كما هو قصر يابانى، أما من الداخل فقد كان كأنه بيتهم فى القاهرة، فقد شيد وفقا للمعمـــار فـــى مصـــر، وتقريــبا بنفس النظام الذى بنيت عليه الفيلا هناك، حيث لكل مكانه المخصص بعيداً عن غرفة نوم ماى سيتو التى أغلقت على كل متعلقاتها.

انتهــت إجراءات خروج مصطفى ومايسه من المطار دون تعليق، وهم مصطفى بطلب ســيارة أجــــرة، لكن مايسه استمهلته، حيث أشارت إلى إحدى السيارات التى قدمت سريعاً



لتقلهم إلى البيت، لكن إحدى سيارات الأجرة زاحمتها، وخرج منها السائق بسرعة، ليفتح لهما الـــباب، بينما اثنان آخران يضعان الحقائب بها، ومن مسافة غير بعيدة، كان هناك رابع يتابع الموقف باهتمام، وقد تعمد إظهار ماسورة مسدس تم توجيهه إليهما، وفهم مصطفى الرسالة، وبحـــركة غير متوقعة، تم التخاطر بينه وبين ابنته، فتوليا أمر السائق والحمالين، بينما هجم ســائق الســـيارة الملاكى على الرجل ذو المسدس، وتم شل حركة الجميع، وقدمت الشرطة واحــتوت الموضـــوع بلـــباقة، وأخذت الجميع إلى مقر التحقيق، حيث تم توصيل مصطفى ومايسه إلى قصرهم، ووضع الآخرون رهن الاعتقال.

كانـــت مايسه قد وضعت النوت بوك بطريقة تمكنه من تصوير كل ما دار أمام المطار، وبمجـــرد أن وصلت المنزل، قامت بتشغيل النوت بوك، ولاحظت شبحاً غير واضح المعالم يتابع المعركة من بعيد، وعندما تواجدت الشرطة فى الساحة، ولىّ هارباً، وأطلعت والدها فى جلســـة سرية بينهما على ما سجله النوت بوك، وعندما هم بالتعليق، استوقفته ريثما تتأكد من خلو البيت من أجهزة تصنت أو تصوير، فحدثتها عيناه بتساؤل صامت:

- " كيف ونحن فى عقر دار المخابرات؟ "

فعلقت بحركة عينيها بما يفيد:

- " وهل هذا يمنع؟ "

ففغر مصطفى فاه مندهشاً، فهزت مايسه رأسها مرتين مؤكدة إمكانية حدوث ما هو أكثر مـــن ذلك، فالخيانة موجودة فى كل مكان، لكن العجيب أنها بعد أن أصدرت تعليماتها للنوت بـــوك الـــذى أظهر صورة واضحة للشخص الغامض، وخمنت إن لم تكن مخطئة أنه يشغل مركـــزاً حساســـاً فى المخابرات، وهذا معناه أن مستر كيوكى استطاع أن يخفى أمر التحاقها بالمخابـــرات حتى عن بعض قياداتها، والأمر يشمله هو أيضاً، وهذا ليس له إلا تفسير واحد، وهـــو أن رئيس المخابرات يعلم أن هناك من يخترقون صفوف عناصره، ولذلك فهو يوزع المهـــام بحيث لا يعلم أى من عناصر أية مجموعة، عناصر المجموعات الأخرى، وسارعت مايســـه إلى مستر كيوكى الذى أشار إلى الحمام حيث أنه المكان الوحيد الذى يتمكن فيه من التخاطب معهما دون رقابة، وأكد لهما أن هناك أجهزة تصنت وتصوير أيضا، قد تم دسها فى

جمــيع أنحاء القصر بمجرد أن حضرت مجموعات النظافة والصيانة، وأنه رصدها جميعاً، وأعطاهمــا نسختين عن تلك المواقع، وحسناً أنها لا تشمل الحمامات، وقد قام مستر كيوكى بتركيــب شــبكة تلــيفونات داخلية، تربط حمام مايسه بحمام والدها، وبقصر مستر كيوكى المجاور لقصرهم.

أبلــغ كيوكى مدير المخابرات بأمر هذا القيادى وأطلعه على ما قامت مايسه بتصويره، وأمر مدير المخابرات بوضعه تحت مراقبة شديدة، مع استخدام تقنيات غاية فى التقدم لرصد كــل ما يحدث فى منزله، بينما استطاعت المخابرات التوصل إلى أكثر عناصر الشبكة، التى كانت تضم شخصيات لم يكن يتطرق الشك إليها، وأشارت بعض أصابع الاتهام إلى المسئول الأول عــن كل هذه الأعمال.. إنه قيادى المخابرات إياه، حيث تم اعتقاله، واتخذت إجراءات محاكمته، وتعددت التهم والجرائم التى ارتكبها، وصدر الحكم بإعدامه.

لم يشعر مصطفى بالاطمئنان على عائلته إلا بعد أن تم إعدام قيادى المخابرات، لكن ما زال الخــوف مســيطراً عليه، ذلك أنهم لم يتمكنوا من التعرف على أهدافهم، وكان التساؤل الأكثر أهمية، لماذا هو وابنته؟ لذلك كان قرار مدير المخابرات عدم إغلاق الملف إلا بعد أن يــتم الكشــف عن أهداف هذه الجماعة، وإلى أن يتم ذلك، طلب مصطفى من "الضابط علي" تشديد الحراسة على الفيلا فى القاهرة، حيث تسرب إليه الخوف على أخيه وزوجته والخدم.

جــال مصطفى بالقصر، واطمأن إلى راحة أفراد عائلته، ووجد الجميع يشكرون مستر ناجــا سيتو على اهتمامه بتأثيث القصر بأثاث عصرى يتناسب مع أذواق المصريين، خاصة بعد أن عايشهم فى مصر، وسعدت صفيه بغرفتها وزوجها، فقد احتوت على كم من الأجهزة الإلكترونــية التى تحرك كل شئ، وتستجيب لكل نداء حتى ولو كان بالصوت، والعجيب أن الاســتجابة للصــوت العربى، باللهجة المصرية، الأمر الذى جعل مصطفى يشهد له بالذكاء والألمعية والكفاءة.

وبمجرد أن اطمأن مصطفى على الأمور داخل القصر، أرشده ناجا سيتو إلى غرفة ماى ســيتو، فســارع بدخولها والجلوس على التتامى يجتر ذكرياته معها، ثم قرأ ما تيسر من آى الذكر الحكيــم، واستسمح صفيه أن يقضى ليلته الأولى بتلك الغرفة، حيث شعرت صفيه بكم



الحـــزن الـــذى يسيطر على مشاعره، بينما مايسه تراقبه عن بعد، وقد ملأت عينيها قطرات ســعادة حزيــنة علـــى أم فقدتها وأب لم يستطع نسيانها. واستطاع مصطفى أن يرتب لنفسه موعــدا خاصـــا يقضـــيه فى هذه الغرفة يومياً ولو لبضع دقائق، يقرأ فيها القرآن على روح زوجته الراحلة، ويدعو لها ما شاء الله أن يدعو لروحها الطاهرة أن يتغمدها الله برحمته.

انهمـــك مصـــطفى فى العمل بالشركة، وقد تعجب ناجا سيتو من اهتمامه بأمور العمال قـــبل أى شـــئ، حيـــث كـــان قـــد وضع لائحة تمنح العامل سكناً عائلياً مؤثثاً، وتوفر له المواصـــلات إلـــى العمل والعلاج الطبى له ولأسرته، ومصاريف دراسة ثلاث من الأولاد، فضلاً عن السماح لمن يرغب من العمال فى استكمال تعليمه على حساب الشركة، وزاد على ذلك.. أنه كان يقتطع ربع صافى الأرباح لحساب العمال بعد سداد ضريبة الزكاة والضرائب الأخرى، وكان العمال يسارعون بشراء أسهم زيادة رأس المال فى الشركة، وربما كان لهذا دوره الفعـــال فى ازدهار الشركة على الصورة التى وصلت إليها رغم عدم وجود مصطفى، حـــتى أن الكثير من الشركات حذت حذو شركة الكازو والخوجة فى منح العاملين بعض هذه الامتيازات، وقد أشاد كيوكى بعقلية مصطفى التى سبقت الفكر الاشتراكى وتفوقت عليه، لكن مصطفى فلسف الأمور بطريقة مبسطة:

- " هل يستطيع رأس المال أن يقوم بالإنتاج أو التوزيع بدون العمال.. بالطبع لا.. ومن ثم فإن العمالة هى العنصر الأهم فى العملية الإنتاجية..؟ ومادام الأمر كذلك.. فإنه من الأهمية بمكان أن يكون الاهتمام الأول بالعامل، فهو الذى يفكر فى أفضل طريقة للإنتاج بأقل تكلفة ممكنة، وهو الذى يحافظ على المواد من الهلاك أو الضياع، وهو الذى يستخدم وقته بما يحقق أكبر كفاءة ممكنة، وإذا ارتبط العامل بالمشاركة فى ملكية المؤسسة التى يعمل بها، فسوف يحاول أن يرتقى بتلك المؤسسة لتحقق أكبر ربحية ممكنة، والكل يستفيد.. العمال وأصحاب الشركة والمجتمع والاقتصاد والدولة والجميع.."

ولـــم يجد كيوكى إلا كلمات المديح ليعبر بها عن ذكاء وألمعية مصطفى، حيث أن هذه الامتـــيازات الـــتى حققهـــا مصطفى مع عمال الشركة، لم تساعد فى تطور الشركة وتحسين إنـــتاجها وتحقيق معدل أعلى من الأرباح فقط، وإنما كانت دائما ما توضع كنموذج للشركات

الناجحة فى كل معدلات تقييم الأداء، وكان الجميع وأولهم الحكومة يسارعون للتعاقد مع هذه الشركة التى يمتلكها عمالها مع أصحابها الذين يعملون فيها أيضاً.

فضـــلت مايســـه أن تتفرغ لطلبات أسرتها حيث أن كلهن حريم، باستثناء شريف طبعاً، وتركت والدها ليتفرغ لأعمال الشـــركة، ويستوعب التطور الهائل والتوسع الكبير الذى حدث لهـــا خـــلال تلك السنوات الستة عشر التى تركها فيها. ولم يصدق مصطفى عينيه وهو يرى تلـــك العـــنابر الـــتى تصـــل مساحة أصغرها لأكثر من عشرة آلاف متر مربع، ولا الآلات والمعـــدات التى يحتويها كل عنبر والتجهيزات الإلكترونية التى تقوم بالكثير من العمل دون تدخل بشرى إلا للتشغيل والإيقاف، ورقابة الجودة والصيانة، ومع ذلك فإن عدد العاملين يزيد عـــن الخمسة آلاف عامل، ولا تجد لدى أى منهم وقتاً ليرد على سؤال تطرحه، أو حتى ليرد علـــى التحية، لكن المفاجأة الحقيقية أنه بمجرد أن انتهى وقت العمل، فوجئ مصطفى بالعمال القدامـــى الذيـــن شـــاركوه بداية الكفاح، والذين نعموا بتواجده بينهم هو وماى سيتو يعملان بأيديهمـــا معهم، ويحفران الصخر لإنجاح هذا الصرح الصناعى، وهم يلتفون حوله، والسلام عليه كان بالعناق الحار، ثم رفعوه فوق الأكتاف وأخذوا يرددون اسمه فى هتاف يصل عنان السماء، وبسرعة تفهم باقى العاملين الأمر، وسارعوا للتعرف على مصطفى، وبدأ الهتاف من الجميع، ثم افترشوا الشارع الرئيسى للشـــركة، وطالبوه بكلمة بعد أن قال أكبرهم سنا خطبة صـــغيرة رحـــب فيها بمصطفى باسمه وباسم جميع العاملين معه، وفى كلمة قصيرة أفاض مصطفى فى وصف سعادته بهم، وبالإنجازات الضخمة العظيمة التى لولاهم لما تحققت بهذا الإعجـــاز الفنى والتقنى خلال هذا الزمن القياسى وعلى وجه الخصوص فى غيابه، ووعدهم بالتواجد بينهم، يعمل معهم يداً بيد، ويعمل على التخفيف من معاناتهم ما وسعته قدرته، وتنفيذ ما يوافقون عليه من خطط وأهداف لشركتهم التى أصبحت عملاقة بجهدهم ومثابرتهم.

لم تترك مايسه مكاناً فى طوكيو، أو فى الضواحى المحيطة بها، لم تذهب بالعائلة إليه، وتستفيض فى الشرح، وتترك الفرصة لأختيها ولشريف أن يمارسوا الكثير من أنواع الألعاب المنتشـــرة فى كل مكان، حتى أن الفتاتين التصقتا بها كظلها، يهيمان بها حباً يفوق الوصف، أمـــا شريف، فقد أصبح لا يأكل إلا من يديها، ولا ينام إلا فى حضنها، مما أثار غيرة صفيه



الـــتى كانت دائماً ما تعلنها صراحة والبسمة تملأ وجهها، فقد كبر شريف قليلاً، ومع ما تمتع بـــه من تدليل جدتيه، أصبحت له بعض التصرفات التى تضايق أى زوجين، وكان لارتباطه بمايســـه ما أثلج صدرها، حيث وجدت الوقت الكافى لتخفف عن زوجها عناء العمل اليومى الذى بدأ يأخذه منها النهار بطوله.

اصـــطحبت مايسه أفراد عائلتها المصريين فى جولة للتعرف على المدينة، ثم اصطحبتهم لصلاة الجمعة بالجامع الكبير فى طوكيو، حيث عرفتهم بإمام الجامع الشيخ حمزة السورى الذى تعجـــب من أن عائلة هذه اليابانية الجميلة من مصر الحبيبة، وقد شملت رحلاتهم معها الانتقال إلى الجزر الأخرى للتعرف على جمال الطبيعة فى اليابان، وأن اليابان ليست طوكيو فقط.

انتهى أسبوعا أجازه نصف السنة بسرعة غير عادية، وكان لابد لمريم ومها على الأقل مـــن العـــودة حـــتى لا تـــتأخرا عن الدراسة، ومصطفى مازالت أمامه الكثير من الأعمال، وبخاصـــة أساليب إدارة الشركة والتعرف على أنشطتها وخططها وأساليب ونظم العمل بها، وعلـــى كـــل التفاصيل التى يجب على صاحب الشركة ورئيس مجلس إدارتها أن يكون ملماً بهـــا، حتى يمكنه دراسة الخطط التفصيلية لتحقيق أهداف الشركة وطموحاتها، وتكون قراءته للتقارير وهو فى مصر أمراً ميسراً، وصفيه لا تريد أن تترك مصطفى فى اليابان بدونها، أو هـــى لا تريده أن يبعد عنها ولو للحظة، إذ أنه منذ أن ألقى برأسه على ظهر كرسى الطائرة، وغفـــا غفوته الطويلة منذ ما بعد الفجر بقليل، وحتى موعد الظهر، ولم يخلو الأمر من أكثر مـــن زائرة فى عمر الزهور من بنات الشمس كما يحلو له أن يسميهـــن، بداية للتعرف على بطل اكتشاف أشجار البروتين، وبعد ذلك لأمور لا تستطيع أن تكتشفها إلا النساء الغيورات، حـــتى ولـــو اختلفت لغات التخاطب، فالوجد تفضحه عيون، وأى عيون تلك التى يمكنها أن تخفى إعجاب الأنثى بالرجل، حتى ولو كان فى عمر الجد، لكن لابد لها من أن تفلسف سبب تخلفها عن الركب الذى يجب أن يسافر إلى مصر، وقد حددت هدفها بكل دقة، إن مريم ومها لهمـــا أم غـــير صـــفيه، وهى وإن كانت ترعاهما بأفضل مما ترعاهما أية أم، وأم كسميحه القرنفلى على وجه الخصوص، فإن لها الحق فى أن تنعم بالحياة مع زوجها، بعيدا عن شقاوة مهـــا، الـــتى لا يحلو لها إلا أن تدفن رأسها فى صدر أبيها وخصوصا أثناء اختلائه بصفيه،



حتى بدأت تشعر بأنها دسيسة من أمها ألا تجعل صفيه تنعم بالقرب من أبيها، والأهم من كل هـذا.. حجـارة البروتين التى أرسلها مع مستر ناجا سيتو، لقد أحضرها الرجل من مخازن الجمـارك الـتى أودعـت فـيها منذ أن حضر من القاهرة، حتى لا يمكن تلك العصابة من الاسـتيلاء علـيها، بالرغم من أنه تأكد له أن المخابرات استأصلتها من جذورها بعد القبض علـى هذا القيادى الذى يعمل فى المخابرات، خاصة وأنهم لم يرصدوا أية تحركات لهم منذ تلـك اللحظـة، ومـن هـذا الذى سيرعى هذه الأحجار مثلما هى صفيه، التى كان لرعايتها للأحجار التى زرعت دون جدوى فى مصر، أهم الأثر فيما حققته من نتائج، إذاً فلتركز على هذه الجزئية، ولو أنها تخشى مبدئياً من أن مايسه سوف تقوم بهذا العمل، حيث بدأ مصطفى يثق بها ثقة عمياء، كما أنها تخشى أن تحرم من شريف نتيجة لذلك، فقد يصر مصطفى على أن يسـافر مع المجموعة، بحسب وعده للسيدة سهير المرعشلى جدته، لكنها أرادت أن تريح عقلها من هذا الجهد الذهنى المركز، فقالت بينها وبين نفسها:

■ " يفعل الله ما يريد.. "



٨ـ الإقامة الدائمة

اقترحـــت مايســـه أن تســـتقر العائلة فى اليابان، على أن يسافر والدها إلى مصر على فترات للإشراف على أعماله هناك كلما لزم الأمر، لكن مريم هانم صرخت فيها محذرة:

- " بل أنت التى يجب أن تعودى معنا إلى بلدك مصر.. "

وبالرغم من أن الصرخة أرعبت الفتاة، إلا أنها استوعبت ما فى قلب هذه الجدة من حب عمـــيق لـــبلدها.. مصـــر، وأنها لا تريد إلا أن ينعم جميع أفراد أسرتها بهذا الحب لهذا البلد العظيم الذى ذكره الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم، لكنها الآن أمام قضية كبيرة، حيث لا مجال للمقارنة بين ما يتمتع به والدها من أموال فى اليابان، تنمو وتكبر، ولا تجد من يكيد له فيها فيدمره أكثر من مرة،ولا المزايا التى يمكن أن تتمتع بها أفراد الأسرة من اهتمام ورعاية وسهولة فى التعليم.. بدون ثانوية عامة تكسر ظهر الأسرة مالياً ونفسياً وعصبياً قبل أن تكسر ظهـــر الطلـــبة بمناهج قد تزيد كثيراً عما يجب على طالب الثانوية العامة أن يستوعبها، ويا ليـــتهم يستوعبونها أو أن تلك المعلومات تبقى ولو بنسبة ضئيلة فى الأذهان وإنما هى تتبخر بمجـــرد الانتهاء من الامتحانات، ذلك أن التعليم فى مصر تلقين وليس تجربة وخطأ والطالب لا يرى ما يتم تدريسه كنماذج حية فى شكل زيارات أو برامج تشاهد أو أبحاث يقوم الطالب بهـــا تحـــت إشـــراف أساتذة متخصصين وليسوا مدرسين لم يتمرسوا عليها، وحتى الالتحاق بالدراســـة الجامعية أصبح يخضع لمعايير وأســـس، لا يعلم إلا الله من أين يأتى بها صانعو القـــرارات، ولا أمل فى العلاج من هذه العلل، فمادام من يتولى الأمور فى أى مجال، يشّرع مـــا يحلو له من تشريعات دون رقيب ولا حسيب، والضمير كما لو كان فى إجازة، والقضاء لـــه باعـــه الطويل الذى لا يفهمه إلا أربابه، وأربابه هؤلاء لديهم من الوسائل والأساليب ما يجعلـــون الحبة قبة، ويقلبون المجنى عليه متهماً، بل وربما أوصلوا رقبته إلى حبل المشنقة، والقضية التى يمكن أن يبت فيها بعد جلستين أو ثلاث، يمتد بها الأجل إلى ما شاء الله، ويكفى مـــا حـــدث فـــى المطـــار، ليثبـــت أن الكل يعمل وفق ما يريد، وفى غياب الوعى بالحقوق والواجبات، تتشابك الأمور، ولا يتم تنفيذ إلا ما يقرره من نصبوا من أنفسهم أصحابا لمصر،



أما باقى أفراد الشعب فلهم الله، قالت لجدتها:

- " أنا يا جدتى لم أقصد إلا الخير لأبى ولكم جميعاً، وأرجوك يا جدتى أن تراجعى الأمور وتقارنى بين ما يحدث فى بلدنا، وما هو سار هنا، يكفى كم الاحترام الذى يتعامل به الجميع مع الجميع، ولا يخترق سمعك كلمات تخدش الحياء فى كل خطوة تخطينها.. الكل يسير باحترام ووفقاً للقوانين والأصول، سواء على أقدامهم، أو فى سياراتهم .. "

ثم استدركت سريعاً:

- " أنا جد آسفة يا جدتى، فانت لا تتعاملين مع البشر، حتى تتبين لك أساليب البلطجة وانعدام الأخلاق التى تجدينها فى أرقى العائلات، وعبارات ما كانت لتظهر على سطح العلاقات البشرية بين أفراد يسود الحق والعدل والأخلاق بينهم، ولعل والدى لم يقصص عليك أطرافاً مما يعانيه فى التعامل اليومى مع الكثيرين، وعلى سبيل المثال.. لقد رأيت والدى وقد أصيب فى يديه ببعض الجروح التى ربطت بالشاش، ربما لا تكون قد لفتت انتباهك، أو أنك سالت وهون هو من الأمر، لكن الحقيقة أن صاحب العقار الوحيد الذى يقع فى الشارع الذى تتواجد فيه مكاتب شركة الوالد ومساكن العاملين فيها، حيث يمتلك الوالد باقى العقارات الأخرى جميعها، ولأن صاحب هذا العقار الوحيد كان يحمل إحدى الرتب الكبيرة فى البلد، قرر رفض تواجد هذا الكم الكبير من سيارات الشركة فى الشارع الذى لا توجد بناية به لا يملكها الوالد سوى بنايته، وعندما بدأ التخاطب بينهما أوضح له الوالد أن الشوارع ملكية عامة لجميع أفراد الشعب إلا ما يتم تخصيصه لفرد أو مجموعة أفراد بعينهم ولابد وأن يكون هناك مقابل لهذا التخصيص يتمتع به باقى أفراد الشعب، فالتخصيص معناه انتزاع لحق الشعب ليتمتع به هذا الشخص أو هذه الجماعة، وأن القانون والدستور يقرران ذلك، فاستهزأ الرجل بالدستور فلامه الوالد، فسحب الرجل أحد الكراسى وضرب به الوالد على رأسه ففقد والدى الرشد ولم يتركه وهو ملقى على الأرض بل مارس معه جميع أنواع اختبارات عضلات الأيدى والأرجل، والوالد غائب عن الوعى، ولما كسر الكرسى جاء بآخر حاول الوالد أن يتفاديه فقطعت أصابع يديه، ونشبت معركة لم يوقفها إلا تدفق عمال الشركة واستعدادهم



للدفاع عن الوالد، مما أرعب الرجل، وجعله يتوقف عن غيه، وبالشرح، تبين أنه لا توجد سيارة من سيارات الشركة تستخدم المساحات التى تحيط بعمارته، وهو ليس له أكثر من ذلك، حيث لا يوجد اعتداء على حرم العمارة، واعتذر.. لكن بعد أن قطع لوالدى إصبعى الإبهام والخنصر اللذين استلزما إجراءات طبية خاصة، وكذلك بعض الخدوش فى الرأس وأماكن متفرقة من الجسم، ذلك أن الوالد لم يكن يضمر شراً لأحد، لكن كم الشر والإضرار بالغير الذى تواجد عند هذا المواطن، وغيرة كثيرين، لا يمكن إرجاعه إلا إلى المشاكل المالية أو غيرها التى يعانون منها، وأما عن العبارات فستجدين أحد سكان عماراتنا القديمة قبل أن تحولها والدتى إلى سكن مفروش للجالية اليابانية، وهو يريد أن يحمل الوالد بما ليس له حق فيه، وحجته فى ذلك، أن من يملك يَجُبُّ على من لا يملك، وذلك المواطن يمتلك سيارة أفخم من سيارة والدى.. والأمثلة كثيرة يا جدتى، لكن والدى لا يتكلم بها، فهو لا يريد أن يثقل عليكم بمشاكله اليومية، ولا أحد يسأله أكثر مما لا يرغب الوالد الإجابة عليه.. "

ما هذا الذى تسمعه مريم هانم؟ مايسه التى لم يمض على وجودها معهم بضعة أيام تكاد لا تكمل الشهرين أو الثلاث، تعرف عن والدها أكثر مما تعرفه هى عن ابنها؟ إن المشوار بينهما أكبر بكثير مما قالته مايسه، هل انشغل كل فى نفسه بعيداً عن الآخرين إلى هذا الحد؟ وجدت نفسها تبحلق فى حفيدتها وهى تسألها المزيد، فأضافت مايسه:

- " أما عن الأمور المالية يا جدتى.. ومحاولات الاستحواذ على أملاك وأموال الغير سواء بحق أو بدون حق، فهناك منها الكثير وحدثى ولا حرج، ولن أبعد عن أمثلة ضربها لى والدى، وأولها وأقربها.. شركات توظيف الأموال، لقد أصدرت الحكومة قانوناً لينظمها.. فهل نظمها؟ أم أنه قضى عليها تماماً، والخاسر الوحيد فى هذه الشركات هو المودع.. المواطن البسيط الذى استبدل معاشه أو باع ما يملك لكى يحصل على النسبة التى كانت تصرفها بعض تلك الشركات باعتبارها دفعة تحت حساب الأرباح، لأن ما يملكه جميعاً لا يحقق له هذه النسبة سنوياً، وعلى سبيل المثال.. عقاراتنا القديمة التى لا يعادل إيجار المتر فيها بضعة مليمات، هل هذا عائد استثمار مناسب؟ بينما العقارات الجديدة يباع فيها المتر بأكثر من ألف جنيه، ويؤجر فيها المتر بأكثر من مائة جنيه سنويا.. إنه عدم التوازن يا

جدتى، لأن كل هذا لا يتناسب مع المرتبات التى يتقاضاها الموظفون عموماً.."

ووجـــدت الجدة نفسها وقد شدّها حديث الحفيدة، وتعجبت.. هل هى الثقافة والتعليم؟ أم التربية والنشأة؟ أم الجينات الوراثية؟ ولم تجد إلا أن تشجعها على الاسترسال، فقالت الفتاة:

- " أتعلمين يا جدتى.. إن أبى لم يشارك فى هذه التى تسمى شركات توظيف أموال، وعندما قرر المشاركة، كانت القوانين التى أزالتها كلية قد صدرت، أما عن مساهمات أبى فى أى من الشركات أو حتى مع الأفراد الذين قد يبدون لك قمة فى الثقة، فإنها جميعها لم يحصل منها على عائد، ولا ولن يستطيع حتى استرداد رأس المال، وهذه الشركات أو الأفراد لا يهمهم أية إجراءات تتخذ بحقهم، ذلك أنه إذا لجأ إلى الأجهزة الحكومية، فإنها غالباً ما تستخدم عبارة- على المتضرر اللجوء إلى القضاء - والإجراءات القضائية تستغرق من الوقت ما قد يمتد إلى ما بعد انتهاء الأجل، والمحامون يعرفون جيداً كيف يتعاملون مع هذه الأمور، لذلك فإن أبى لا يهتم إلا بالتعامل مع البنوك، وليغفر لنا الله.."

وتساءلت السيدة:

- " ألا يوجد فى اليابان نفس الأمثلة وربما أكثر..؟ "

وترددت الفتاة قبل أن تجيب، لكن الجدة استحثتها، فقالت:

- " الشركة التى يمتلكها أبى هنا، لم تكن سوى مبنى من طابقين، الأرضى.. وبه الآلات والمعدات وعمليات التشغيل والإنتاج والمخازن، والعلوى.. مكاتب وخدمات، وتركها والدى على هذا الحال منذ أكثر من ستة عشر سنة، وعندما عاد.. فوجئ أن مقر الشركة القديم ليس إلا مكاتب فخمة على المستوى الذى ترينه فى الأفلام، أما عنابر الإنتاج.. وليس عنبراً واحداً، فهى فى أماكن شتى، منها ما هو فى مدينة طوكيو وما حولها من ضواحٍ، ومنها ما هو فى الجزر الأخرى، ولعلك كنت تلاحظين أننا كنا نستقبل فى كل من هذه الجزر استقبالاً حافلاً، ذلك أننا قبل أن نشرع فى زيارة أى من تلك الجزر، يتم الترتيب مع موظفى العلاقات العامة بكل فرع من فروع الشركة فى هذه الجزر للقيام بواجبات الضيافة، وزيارة الأماكن العامة.. وأولها وأهمها.. زيارة مصانع شركتنا، لم أشأ أن أخبرك بذلك فى

حينه، لكنني أردت أن أقولها لك أنت وحدك.. ذلك أنني لاحظت همسات منى زوجة عمى سعيد عندما لفظ أبى بالرقم الذى حدده لشراء قصر المرعشلى، ولعلك شعرت بذلك أنت أيضاً، وربما كان هذا هو السبب الذى جعلك لا ترحبين بحضورهم معنا، ولم تعلقى عندما أعلن عمى عن عدم رغبته فى السفر، فماذا ستفعل منى أو حتى صفيه، لو علمتا بممتلكاته هنا؟ وماذا ستفعل بنت القرنفلى إذا أخبرتها ابنتاها بذلك؟ وهى التى تريد أن تستحوذ على ممتلكات والدى من الآن، باعتبارها إرثاً شرعياً لابنتيها، وغير مهم عندها باقى الورثة بعد العمر الطويل للوالد ، وغير مهم المولود الجديد الذى سترزق به صفيه، لعلها لم تعرف بأمره، أو تعرف وتريد أن تستحوذ على كل شئ قبل تشريفه، أما أنا فليس لى عندها مكان.. "

قامــت الجدة بالرغم من سنها، لكن تمارين الرياضة التى تمارسها مع حفيداتها وابنها، وتشاركهم صفية فى الخفيف منها، كان لها الأثر الكبير فى خفة حركتها، والتقطت مايسه بين أحضانها، ثم قالت لها بحزم:

- " لقد قلتيها يا ابنة الحبيبان أبيك وأمك، فإن الست منى ترسم هى الأخرى للاستحواذ على ما يمكنها من ثروة أبيك فى مصر، ولن يوقفها عند حدها سواى، وهو نفسه ما سافعله مع سميحه القرنفلى أو غيرها، وهذا ما يوجب وجودى فى مصر، أما عن أبيك وصفيه.. فهذا شانهما إن أرادا البقاء هنا، أو الإقامة الدائمة فى مصر.."

شــعرت بالحــنان الزائد من جدتها، ووجدت نفسها تريد المزيد، فقد حرمت حنان الأم، والجــدة ســو ليست فى سن تسمح لها بالدلع، فهى فى أواخر القرن عمراً، وتعيش فى قصر العائلــة فــى إحدى الجزر النائية، لعل الجزيرة كلها قصرهم ومزارعهم، وهى لا تذهب إلى هــذه الجزيرة إلا نادراً، ذلك لأنها ما زالت تختزن تلك الذكريات المريرة عن حرق جثمان أمهــا هناك، كما أن العصابة تتمنى زيارة لها كهذه فتقضى عليها، ذلك أن معظم أفرادها من أهــل هــذه الجزيرة، كان أجدادهم عمالا عند عائلة كازو وجاء الأحفاد والجفاء فى قلوبهم، والعداوة تتملكهم والثأر يأكل أحشاءهم، لكنها بعد أن تم إعدام قيادى المخابرات إياه حيث ثبت لهــا أنــه من أهالى تلك الجزيرة، وما استتبعه ذلك من القضاء على الكثير من عناصر هذه

العصـــابة، فإنهـــا تخطط لزيارة الجدة سو مع أفراد عائلة أبيها، ولابد أن يكون أبوها معهم، وهى تنتظر اللحظة المناسبة.

دفنت رأسها فى صدر جدتها، واعتصرتها إليها بحنان، ثم قالت:

- " جدتـى.. لا تخشـين شـيئًا عـلى أعمـال أبـى فـى مصـر، أتدرين من الذى كان وراء هذا الصـرح الضـخم لأعمال والدى هنا؟ إنهم العاملون فى الشركة، فالنظام الذى وضعه أبى، والـذى مـن شـانه أن تـتحمل الشركة جميع الأعباء الهامة فى حياة العامل وأسرته، وهى السـكن والصـحة والتعلـيم والمواصـلات، فضـلاً عـن أن والـدى كـان يقـتطع ربـع الأربـاح الصـافية للشـركة ويوزعهـا عـلى العمـال، ويرغـبهم فـى شـراء أسـهم زيـادة رأس مـال الشـركة، مما جعل الشركة مملوكة لهم وللوالد، هم بنسبة تقل قليلاً عن الربع، والوالد بالـباقى، وعـندما سـافر أبى، ولم يكن هناك من يرعى أمور الشركة، قام العمال بتكوين مجلـس إدارة، يترأسـه أبـى، ولـه نائب.. هو أحد مـهندسى الشركة، هو فى الحقيقة الذى كان يسـير أمـور الشـركة، ومعـه جمـيع العمـال، وعندما قرر مستر. أسفة.. أقصد خالى البروفيسـور ناجا سـيتو الـتعرف عـلى أحـوال الشـركة بعـد عودتـه مـن السفـر، واقترح.. مجـرد اقتراح أن تصـفى، فوجئ بعاصـفة مـن الاحـتجاج، ولم يجـد إلا الرضـوخ، فعينوه رئيساً فخـرياً للشـركة. هـل تعـلمى يـا جدتـى.. أن خـالى وكذلـك المهـندس الـذى رشحه العمـال لـيكون نائـباً للرئـيس، قـررا ألا يحصـلا عـلى أيـة امـتيازات عن ذلك، لا مرتب ولا مكافأة ؟ بينما فـى بلدنـا مصـر، بمجـرد أن يشـعر المسئول عن إدارة الشركة أنها بدأت تـنمو وتزدهـر، يعز عليه جهده الذى أوصلها إلى هذا النمو، ويبدأ فى استنزافها.. سرقةً أو اختلاسـاً، أو تحميـلها بجمـيع مصـاريفه العائلـية والشخصـية.. الخ، هذا هو الفرق بين الإدارة فـى مصـر والإدارة فـى الـيابان، وقـد فعـل والـدى خـيراً أن طـبق نفس النظم التى بدأها هـنا، فى مشروعاته بمصر، ولن يسمح العاملون لأحد أن يحل محل الوالد، أو أن يضـرب مصالحه مهما كانت صلة قرابته بالوالد.. "

فربتت الجدة عليها وهى تقول:

- " صـدقت يـا ابنـتى، فمـا مـن أحد تعامل مـع والـدك إلا وأحـبه، ومـا مـن أحد أحبه إلا



وأخلص له، وما من أحد أخلص له إلا وتفانى فى خدمته، ماعدا زوجته السابقة سميحه وعائلتها، فبالرغم من كل ما فعله مصطفى لها ولهم، إلا أن عداوتهم له لا توصف، ورغبتهم فى تدميره ليس لها حد.. "

فقالت مايسه ببراءة:

- " لعله الجشع يا جدتى.. فهو العدو الأكبر للكرم، فمهما كانت المبالغة فى إكرام الشخص الجشع فإنه لا يشبع، بل ويتفنن فى محاولة الحصول على المزيد.. حتى ولو كان فى ذلك فناء ما يملكه الكريم، أو حتى فناء الشخص الجشع نفسه.."

ودخل مصطفى، ليجد ابنته فى أحضان جدتها، أظهر سعادته بهما، وأراد أن يعلن للجدة بعض الأخبار عن ممتلكاتـــه فى اليابان، لكن الجدة سارعت:

- " لم أعرف بها إلا منذ لحظات.. قالتها لى مايسه.."

وأظهر مصطفى عجبه متسائلاً:

- " كنت أفضل أن يتم ذلك فى مواقع العمل التى قمتم بزيارتها يا مايسه، فربما كان له أثره الفعال.."

فقالت مايسه بدلال:

- " وماذا تفعل مع ابنة القرنفلى التى تريد أن ترث ممتلكاتك فى مصر وأنت على قيد الحياة..؟ "

فتساءل مصطفى متلاعباً بالألفاظ مثلما هى ابنته:

- " وأنَّى لها أن تعرف.. أيتها الحاذقة..؟ "

وشعرت مايسه بأن أباها يتحذلق معها، ودائماً لديها الرد، فجينات الساموراى ما زالــت تؤدى دورها جيداً، والهزيمة ليست أحد مفردات قاموسهم، إما النصر أو الفناء، وهى لا تريد أن تنتصر على والدها، ولا تريد أن تفنى نفسها، فالعقل مطلوب، والرد على قدر السؤال:

- " ألا تتصور أن ابنتها بدافع من التفاخر الذى حتماً هو أحد ما ورثته عنها، سوف

يخبران العالم كله بممتلكات الوالد فى اليابان، فضلاً عما يمتلكه فى مصر، وتصور يا والدى العزيز كم الفرح الذى ستسعد به بنت القرنفلى، أن ميراث ابنتيها يتعدى حدود مصر، إلى أكبر قوة اقتصادية فى العالم، ألا يكون التكتم هنا أفضل..؟ "

ورد عليها والدها:

- " هذا إن رأتهما مرة أخرى.. "

واندفعت مايسه إلى حضن أبيها تشبعه تقبيلاً، بينما الجدة التى لم تعى ما قاله ابنها، تقف مشدوهة مما ترى، وتتساءل عن معنى ما قاله ابنها، وحضرت صفيه مندفعة برغبة فى الإفصاح عما قررته، وما أن سمعت ما قاله مصطفى، وارتماء مايسه فى أحضانه وحيرة الجدة، حتى تفهمت الموقف، فسجدت لله شكراً أن حقق لها ما كانت تريد من قبل أن تفصح عنه، وكان لسجودها الذى يحمل معنى الشكر لله سبحانه وتعالى، مفهوم خاص لابد وأن تعلنه صفيه لهم، وسارعت صفيه بعد النهوض من السجود لتحتضن زوجها ومايسه، ووقفت السيدة العجوز مثلما هو الأطرش فى الزفة، لا تعرف سبباً للسعادة والعناق، فبسط مصطفى لها الأمر:

- " لقد تم الاتفاق مع مستر كيوكى.. "

وقاطعته ابنته بحركة عينيها التى تحذره من الإعلان عن المستر كيوكى.. لكنه استرسل:

- " كنت أقول تم الاتفاق مع مستر كيوكى للسعى لنا لدى السلطات اليابانية للحصول على الإقامة الدائمة، بحيث نعامل معاملة المواطنين، وهكذا يحق لنا الخروج من اليابان والدخول إليها والإقامة فيها كيفما نشاء، وأنا قررت أن نبقى فى اليابان.. فما رأيكن.. دام فضلكن..؟ "

انهارت السيدة مريم على أحد الكراسى، وعندما حاول مصطفى الاقتراب منها، دفعته بعيداً وهى تتمتم بعبارات الجحود للبلد التى أنجبته، وهنا علا صراخ مصطفى:

- " الأرض أرض الله يا أمى، وهى للإنسان كل الإنسان لا فرق بين جنسية وجنسية ولا دين ولا شئ بالمرة، ثم لنتساءل.. لِم لَم تقولى هذا لجدى الأكبر. الذى ترك الأندلس هارباً من معركة البقاء؟ بقاء الإسلام أولاً قبل بقائه هو وعائلته، ولِم لَم تقولى هذا لجدك

أنت الأكبر الذى ترك اسطانبول وهى فى عز زهوها وعظمتها أثناء الإمبراطورية الإسلامية، وترك كمال أتاتورك وكلابه السعرانة يحيلونها إلى بلدة علمانية ينتشر بين شعبها شرب البيرة والخمور بدلا من شرب القهوة التركى التى تحمل اسم بلدتهم؟ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن تقام ويذكر فيها اسمه، وهم يمنعون إقامة المساجد، ويمنعون امرأة مسلمة محجبة من دخول البرلمان إلا إذا خلعت حجابها، ولماذا لم تقولى ذلك للأعراق الأوربية الأخرى التى نزحت إلى مصر واستقرت فيها سواء من إيطاليا أو اليونان أو قبرص أو غيرها من دول أوربا؟ أو فلسطينى الحروب مع اليهود سواء فى ٤٨ أو ٥٦ أو ٦٧، أو شوام الانفصال أو السودانيين.. وغيرهم كثيرون؟ إن الملايين الستين أو السبعين أو أيا كان عددهم، تزيد فيهم نسبة الأعراق غير المصرية، ولذلك ظهرت طبقة المنافقين والمتسلقين وأصحاب الأطماع الخاصة اللذين لا يهمهم إلا الحصول على أكبر قدر ممكن من ثروات هذا الشعب، والهروب بها إلى بلدانهم الأصلية.. أو إلى أى مكان آخر يشعرون فيه بأنهم بعيدون عن أيادى المصريين.. "

ثم صمت قليلاً، بينما السيدة تحاول أن تستوعب ما يقول، وتستمع:

- " يا والدتى.. إن معظم إن لم يكن كل ما يحدث فى مصر من إرهاب أو فوضى، يكون المحرك الرئيسى فيها بعض كلاب هذه الأعراق، وأنا لن أنسى ذلك الطالب ذا الشارب الذى يستحيل معه أن يكون طالباً فى مدرسة ثانوية، ولكنه من المؤكد مدسوساً علينا ليثير الطلبة ليقوموا بالاضرابات، الهدف منها إثارة الفوضى والشغب، وهو يمسك بحزام بنطاله، ويضربنا به ونحن فى سن العاشرة أو الحادية عشر فى السنة الأولى ثانوى وفقاً للنظام السابق، لكى نشارك فى هذا الإضراب بالهتاف، وهم يقومون بالباقى، من قلب للترامات وتخريب للمنشآت.. إلخ.. "

فتنحنحت السيدة وهى تقول:

- " وما لنا نحن وهذا؟ أنت الآن تريد أن تهرب مع أسرتك من مصر، وقد أنعم الله عليك بالثراء والعز والجاه، فما حاجتك إلى دولة أخرى مهما كان ثراؤها، ومهما كانت قوتها.. مايسه مصرية ومصيرها إلى مصر أولاً وأخيراً، وأملاكك هنا.. تستطيع أن تبيعها، وتعيدها إلى مصر لتزداد ثراءً هناك.. "

فقاطعها مصطفى:

- " وأواجه مرة عاشرة بخربى الذمة من المسئولين الذين لا يريدون لك راحة تتعسهم، فيكيدون لى بأكثر من وسيلة، إن لم يكن من الضرائب.. فمن التامينات.. وإن لم يكن من هذا أو ذاك، فبالتآمر كى يجدوا أية ثغرة يستطيعون النفاذ بها إلى.. وفى النهاية.. نعود مرة أخرى إلى ما هو تحت الصفر. زمان يا والدتى كان فى شبابى القدرة على أن أعمل سباكاً أو نقاشاً أو فى أى مهنة أخرى، لكن عمرى الآن لا يمكننى من ذلك، كما وإن خلفتى كلهن نساء.. والقادم الله وحده يعلم هل هو ذكر أم أنثى، فماذا ستفعلن مع ابنة القرنفلى.. أو زوجة عمهن التى بدأت تحصى علىَّ أنفاسى، وبالقطع سوف أواجه الكثير من سعيد بمجرد عودتى.. وسوف ترين.. "

وشعرت السيدة بأن فيما قاله ابنها الكثير من الحقيقة، فقالت بصوت خافت:

- " وهل صفيه موافقة على البقاء فى اليابان..؟ "

واتجهت الأنظار إلى صفيه، رغم أنهما يعلمان سبب سجودها، فأعلنت صفيه رأيها بصورة لم تخل من الدبلوماسية:

- " أنا مع زوجى.. أينما شاء الله.. وحيثما حل.. "

فسألتها مريم هانم:

- " وماذا عن ابنك شريف..؟ إن له جدتين، لن تسمحا لك بإبقائه بعيداً عنهما.. "

فقالت صفيه بشىء من الدلال:

- " الجدة الصعيدية.. لا تريد لابنتها أو حفيدها إلا كل الخير.. وهذا لن يتوفر مع أحد إلا مع زوجى حبيبى، أما الجدة المرعشلية، فهذه مفتاحها أصبح فى يد زوجى، فما فعله معها أدمع عيون السيدة تأثراً بكرمه، وكانت نظراتها له كمن تريد أن تقول أيناك أيام شبابى..؟ ولا أظنها سوف تفعل ما قد يغضبه.. أما أنت يا أمى.. فلماذا لا تبقين معنا..؟ تسعدين معنا بحفيدك القادم.. "

فقالت السيدة:

- " حفيدى.. وكيف عرفت أنه ذكر..؟ "

فتنحنحت مايسه لتعلن:

- " لقد قمنا بتسجيلها فى مراكز الأمومة والطفولة، وأول ما يفعلونه هو التعرف على نوع الجنين، وقد زودونا بصور السونار التى تؤكد على ذكورته بإذن الله.. "

وأعلنت السيدة استسلامها:

- " يعنى طبختم كل شئ، ولم يبق لى إلا أن أوافق على البقاء معكم، أو السفر إلى مصر وحيدة.. هل هذا ما تريده يا ابن بطنى..؟ "

وأطرق مصطفى رأسه قبل أن يعلن:

- " أنت تعلمين أننى رفضت هذا فى السبعينات، عندما حضرت ماى سيتو ومعها تذكرة السفر، ولأنها تعلم أننا شعب موظفون ولسنا رجال أعمال، وخشيت أن أخيب أملها فيما خططت له هى وأخوها من تملك عمل خاص، فأحضرت معها عقد عمل فى إحدى الشركات التى كنت أعمل بها أثناء دراسة الماجستير، وكان الراتب والمزايا مما يسيل له اللعاب، لكننا الآن فى التسعينات يا أمى، وشتان بين زمن أعلن رئيس مصر فيه أنه لن يهان مصرى فى عهده، وبين زمن أعلن رئيس مصر أن الفساد فى كل البلاد وليس فى مصر فقط، وتعلمين أننى ما سافرت إلى اليابان إلا عندما اعتلت صحة ماى سيتو وظن بعض الأطباء أن العلاج فى اليابان أفضل، بينما الفضل لله ولما قام به الطب العربى والمصرى القديم."

وصمت برهة ليرى تأثير كلامه على والدته، ولما وجدها تنصت باهتمام، أكمل ما فى رغبته قوله:

- "لكن مع انخفاض القوة الشرائية للجنيه المصرى، واستمرار هذا الانخفاض بالشكل الذى يخشى معه أن يحمل المواطن كيساً من النقود لكى يحصل على كيس من الطحين، ولا أقول من الخبز، ذلك أن الجنيه الذى كان يساوى خمسة دولارات أصبح لا يساوى

سوى خُمس الدولار، وإلى أين تنتهى بنا هذه الموجة من الحالة الاقتصادية المتدهورة، ومعها فساد الأخلاق والذمم، وتريدينني أن أبقى فى بلد كانت الأخلاق دينها والدين عبادتها، لا فرق بين مسلم ونصرانى، الكل فى نهار رمضان صائمون، ولا نستمع إلى إشاعات الزنى إلا سراً، والخوف من الفضيحة فى فعل المنكرات، الآن التفاخر أصبح بارتكاب المعاصى، ولولا أننى أشركت العمال فى أعمالى، لكان الوضع أسوأ مما تتصورين، فالقوانين تمنع الفصل من العمل إلا بعد العرض على لجان ليس فيها قاض، حتى ولو أنهت الشركة أعمالها، والسرقة متفشية بين الجميع تقريباً، فماذا تظنينى فاعل؟ لو أن هذا الخراب طال أعمالى فى مصر، أبسطها أن يقوم كل من المهندسين بتكوين مجموعات من العمال ويستقلون بمشروعاتهم الخاصة، على حساب عملاء الشركة.. وهذه هى الظاهرة المتفشية الآن.. لا يوجد ولاء لشىء ولا لأحد، الكل لنفسه وفقط."

وأنهت صفيه المناقشة، وأعلنت بشىء من السعادة:

- " أتدرون لماذا سجدت لله شكراً..؟ "

واشرأبت لها الآذان، فأكملت:

- " لقد منَّ الله علينا، ونجحت فى استنبات كل ما زرعه الدكتور ناجا سيتو من أحجار البروتين.. "

واحتضنها مصطفى.. بينما وقفت مايسه مشدوهة:

- " تقصدين أنك أنت صاحبة معجزة الاستنبات وليس خالى.."

فهزت صفيه كتفيها، وأيدها مصطفى مذكراً إياها بما ذكره لها فى الطائرة، فبدا لمايسه أن تعترض:

- " ولكن خالى هو الذى استنبت الأحجار فى مصر.. أليس كذلك يا أبت..؟ "

ولم يجد الأب بداً من التصريح بالحقيقة:

- " سبق أن أوضحت لك هذه الحقيقة لكنك لا تريدين تصديقها يا ابنة الشمس، فكما

تعلمين.. فإن خالك سافر من مصر، والأحجار رغم زراعتها لمدة تزيد عن الأسبوعين لم تنبت، لكن عندما تعهدتها صفيه وزنوبة بريها بدماء ما يتم ذبحه من الدواجن والأرانب، تبرعمت ونبتت، هذا كل ما فى الأمر، ونحن نتكتم هذا الخبر عن الجميع الآن لسببين، أولهما أننا لا نعرف الأضرار التى قد تسببها هذه الأشجار، فكما تعلمين كل شئ مخالف للطبيعة يحمل بين ثناياه الهلاك، وثانيهما.. أنه لو منَّ الله علينا بالتحقق من سلامة هذه الأشجار من جميع الأضرار، فإن الاستثمار لا يكون بتسريب جميع الأسرار دفعة واحدة ، لا بد وأن نخفى بعض أسرارنا.. إلى حين طبعاً.."

لكن مايسه لم تقتنع، فأخذت تبحث حتى وجدت بعض الأحجار، وزرعتها.. وعكفت على رعايتها بالطرق العادية – أسمدة طبيعية وصناعية مشبعة بالأزوت – وظلت هكذا بضعة أيام لكنها لم تنبت، ثم بدأت فى ريها بدماء الدواجن والأرانب التى تذبح فى القصر، فوجدت أن البراعم بدأت فى الظهور، فتحققت من أن صفيه هى صاحبة هذه المعجزة، لكنها فوجئت بوالدها خلفها، وهى تنظر مشدوهة إلى النتائج، فابتسمت بخجل، بينما احتضنها والدها وهو يضحك، فاحتضنته وهى تحاول إخفاء خجلها، فطلب منها والدها عدم الإفصاح بهذا السر لأحد ولا لمستر كيوكى ، وقال متعجبا:

- " لعلك كنت تشكين فيما قلته لك فى الطائرة !!"

شعرت مايسه بأنها مخطئة فى حق صفيه، فقررت الاعتذار لها، وبمجرد أن انفردت بها، صارحتها بالأمر وشهدت لها بالعبقرية، إلا أن صفيه احتضنتها وأشعرتها بالأمومة التى حرمت منها، وتعجبت مايسه من كم الحنان الذى تختزنه صفيه فى قلبها، هل حبها لأبيها هو السبب.. أم أنها إنسانة معطاءة بدون حدود، مريم ومها يحبانها ربما أكثر من حبهما لأمهما، وشريف رغم كل المغريات التى حاولت كل من الجدتين ستوته وسهير المرعشلى جذبه بها إليهما إلا أن أمه هى الأحب.. وهى المقربة إليه التى يفر إليها كلما ضايقه أمر أو ألحت عليه حاجة، والآن يأتى دورها هى، إذ أنه منذ اللحظة الأولى التى عرفت فيها بصلتها بوالدها، وهى لا تفتأ تردد أمامها وفى غير وجودها مقدار حبها لها، وما كان لمايسه مفر من أن تحبها وربما بأكثر مما تستطيع مشاعرها أن تعبر عن هذا الحب.

٩- المؤامرة - ١

أرسل سعيد فاكساً لأخيه أن هناك شركات كثيرة تريد التعاقد على شراء أحجار أو أشجار البروتين، وهو لا يستطيع التعامل مع مثل هذه الأمور، ورجاه الحضور بأسرع ما يمكن، حيث أن رفاق الرحلة التى نتج عنها اكتشاف أحجار البروتين، بدأت أطماعهم تطفو فوق السطح، للدرجة التى هددوا فيها سعيداً بضرورة إعطائهم الضوء الأخضر للاتصال بهذه الشركات، وسوف يتولون هم تزويدهم بما يريدون.

سببت هذه الأخبار صدمة قوية لمصطفى، لكن لماذا؟ خير أرسله الله لهم جميعاً.. لماذا يستأثر به مصطفى وحده، حتى سعيد.. إن دوره فى هذا الاكتشاف لم يكن سوى التحليل الذى أجراه بناء على تعليمات مصطفى، ليتحقق من طبيعة البروتين الذى تحتويه هذه الأحجار، فقد تأكد لمصطفى أن البروتين فى هذه الحجارة بهذه الرائحة التى تماثل رائحة الكباب... لا يمكن إلا أن يكون بروتينياً حيوانياً، فرائحة الكباب لا تصدر إلا عن احتراق البروتين الحيوانى، وعلى هذا فإن هؤلاء الرفاق قد يكون لهم بعض الحق فى مشاركة مصطفى هذا النجاح العلمى، الذى سيترتب عليه نجاح مالى، ربما يفوق التصور.

عقد مصطفى اجتماعاً للعائلة لاستطلاع الرأى، قالت مايسه:

- **" أعتقد يا والدى أنها فرصة لكى تتابع أنشطتك العملية فى مصر، وتراعى ما سبق زراعته من تلك الأحجار، وتتبع آثار الشجيرة التى تركتها لمسئولى الحجر الزراعى. "**

ووجدت صفيه نفسها مندفعة بحبها لزوجها:

- **" إذا سافرت.. فسوف أسافر معك، فالزوجة مكانها دائماً مع زوجها.."**

بينما مطت مريم هانم شفتيها زائمة، وكأنما لتعلن لهم أن رأيها كان صائباً عندما اقترحت الإقامة الدائمة فى مصر، والحضور المتقطع إلى اليابان، لكنها لم تعلق بأكثر من قولها:

- **" ما ترونه مناسباً فانا معكم.."**

فأنهى مصطفى النقاش قائلاً:

- " أرى أن أسافر أنا وصفيه لمدة أسبوع، ومادامت صفيه ستسافر.. فلا بد وأن يسافر شريف أيضاً، أما مريم ومها.. فدراستهما تلزمهما بالبقاء مع جدتهما مريم هانم.. ومايسه هى رجل البيت أثناء غيابى.. وأرجو أن أعود لأجدها قد أنهت دراسة الماجستير، وتعتنى بشجيرات البروتين بالطريقة التى علمتها لها صفيه.. "

ابتسمن لعبارة " مايسه رجل البيت " وقالت مريم هانم:

- " ما قاله مصطفى أوامر يجب أن تطاع، فقط أريدك أن تحتضن لى سعيد وتقبله نيابة عنى، ولا مانع من أن تقرص أذنه، حتى لا ينساق وراء زوجته.. "

وقررت مريم هانم أن تكتب رسالة لمنى وسعيد، تبثهما فيها شوقها لهما، وتحذرهما من أى تصرف قد يضايق مصطفى، وفكرت مريم ومها فى كتابة رسالة لوالدتهما، واستطلعا رأى أبيهما الذى لم يمانع، وقرر مصطفى أن يسافر فجأة دون أن يخطر أحداً فى مصر.

فوجئ سعيد ومنى بالأنوار فى الفيلا قد أضيئت فى منتصف الليل، فخرج سريعاً ليستطلع الأمر، وخلفه بقليل سارعت منى، واحتضن سعيد أخاه، وكذلك فعلت منى مع صفيه وشريف، وعاتب سعيد أخاه لعدم إخباره بموعد الوصول حتى يكون فى شرف استقباله، فقال مصطفى رداً على عتاب أخيه:

- " أتعلم يا سعيد، أن أمور الحجز والسفر فى اليابان سهلة ومبسطة بشكل يجعل من السفر متعة، وحضورنا هنا لم يستغرق أكثر من دقائق، تم الحجز تليفونياً، وحضرت سيارة شركة الطيران لتقلنا إلى المطار ثم الطائرة، وفى دقائق انطلقت بنا الطائرة إلى هنا، إنها مثلما هو باص المواصلات، لا أحد يحمل أكثر من حقيبة صغيرة تحوى أوراقه وبعض الضروريات، لذلك لا يوجد تعطيل فى وزن أو نزاع على وزن زائد، أو شخص مهم تاخر ولا بد أن تنتظره الطائرة والمائتى راكب على متنها حتى يشرف بسعادته، كل هذه الأمور لا وجود لها، فالوقت هناك هو أهم عناصر الحياة.. فاعذرنى يا أخى، فربما حضورى أو سفرى يكونان دائماً بنفس الطريقة.. هيه.. ما هى أخبار الشركات التى ترغب فى التعامل معنا.."

وفرك سعيد عينيه، محاولاً أن يبعد عنهما النوم، وقال:

- " حسناً أنني كنت أستخدم غرفة مكتبك فى لقاءاتى معهم، والأوراق كلها هنا.."

ونهض متثاقلاً إلى المكتب، ليخرج منه الفاكسات والكتب التى وصلته من تلك الشركات، وملخص عن الاجتماعات التى عقدت مع مندوبيهم، كانت منى هى المساعدة الأولى له فى ترتيب اللقاءات والاجتماعات، وتحرير محاضر بما تم فيها، وتعجب مصطفى، لماذا لم يستخدم المسجلات؟ ألم يتعلم من مستر نرسنج؟ وعض سعيد على أصابعه، فقد غاب عنه ذلك، كان مصطفى يريد أن ينبه سعيد حتى لا يدس أنف منى فى كل شئ، ولم يفهم سعيد الرسالة إلا عندما نظر إلى مصطفى، ليرى عينيه وقد صوبتا إليه وهو يأمر صفيه بتجهيز العشاء، والترتيب للمبيت، والعمل على راحة شريف، ولما وجد منى لا تريد أن تتحرك لمساعدة صفيه، نبهها إلى ذلك، ثم قالها لسعيد مباشرة بمجرد أن غادرت منى غرفة المكتب، لدرجة أن منى ربما تكون قد سمعته، وربما يكون هو قد تعمد ذلك:

- " لا داعى لتدخل الحريم فى أعمالنا بهذه الصورة، أن تكون منى مطلعة على كل شئ بهذا التفصيل الممل، هذا أمر غير مرغوب فيه على الإطلاق، لو تركت لها الحبل على الغارب من الآن.. فلن تستطيع السيطرة عليها فيما بعد، وربما تصبح هى الرجل، وابحث لك أنت عن مكانك المناسب، مجرد ترس فى آلة جلب النقود لمتعة حضرة صاحبة العصمة، كان يجب أن تتعلم من تجربتى مع بنت القرنفلى، التى لم تكن ترتدع إلا بإظهار الحزم، الذى يصل فى بعض الأحيان إلى التلويح باستخدام السياط.."

وأطرق سعيد رأسه خجلاً، بينما بدأ مصطفى يحاسبه على ما اكتسبه من أعماله خلال فترة سفره، ولم يكن سعيد قد أمسك سجلات يسجل فيها إيراداته ومصروفاته، فطلب منه مصطفى أن يعد هذه البيانات بحيث تكون جاهزة فى صباح اليوم التالى، وحذره مرة أخرى من أن تطلع منى على شئ من هذه الحسابات، وإن كان ولابد، فليغلق باب مكتب مصطفى عليه، أو يذهب إلى مكتبه فى الشركة، ويمكنه تكليف أحد المحاسبين بمساعدته، ثم سأله:

- " وهل ما زالت الاتصالات مع تلك الشركات؟ وما هى الأخبار..؟"



ولمـــا وجــده قــد تلكأ فى الرد، وأخذ يتأتئ بما لا يفيد من عبارات، وانتابته حالة من التــثاؤب المســتمر، ووجده غير راغب فى تناول عشاء أو خلافه، لم يجد بدا من السماح له بالانصـــراف، بيــنما جلس يستطلع الفاكسات بعد العشاء، ولما وجد أن محاضر الاجتماعات الــتى قامت منى بتحريرها ليست بالكفاءة ولا الكفاية التى يستطيع منها اتخاذ قرار مناسب، لجــأ إلى تقنيات مايسه التى ثبتتها عندما حضرت أول الأمر ثم أكدت على تثبيتها قبل السفر إلــى اليابان بعد أن شرحت لوالدها كيفية التشغيل، ويا لهول ما رأى.. سعيد ورفاق الرحلة يخــرجون من المكتب بعد أن أكدوا تصميمهم على انتزاع كل ما يملكه مصطفى من أحجار البروتين، وسعيد يذهب معهم طواعية دون ضغط أو إكراه، وجلس يفكر فى هذه الكارثة التى أرقــت علــيه نومه، لكن صفيه بدلالها أخذته من يده إلى النوم، لكنه لم يستطع النوم، رأسه تملأهـــا آلاف الأسئلة التى لم تُجدِ معها محاولات صفيه لصرفه عنها بتحريك مشاعر الحب عــنده، ورغــم أنهــا ليســت عادته ألا يستجيب لنداء الحب من زوجته، فهو دائما يستجيب لمشــاعر الحب التى تحاول زوجته تحريكها عنده، ذلك أنه لا يمكنه أن ينصرف عن رغبات زوجــته، فتلك إهانة لمشاعرها، وإهمالاً لحقها المشروع، لا يمكن للزوجة أن تغفرها، وهو حريص على ذلك، لكنه فى هذه اللحظات كان يتعمد إبعاد أى مشاعر تشغله عن التفكير فيما حدث، أخوه.. ورفقاء الرحلة يخونونه.. أى فاجعة هذه ! لكنه تنبه إلى أمر على جانب كبير مــن الأهمية، أن الأمراض لا تأتى إلا نتيجة الحزن والغم، وقد شعر بأن بعض الآثار بدأت بوادرهـــا فى الظهور نتيجة عدم استجابته لرغبات زوجتـــه، التى بفطرتها وبعلم النفس الذى درســته، تعلم جيداً الآثار السلبية القاتلة لتركيز تفكيره العميق فيما جد من أحداث، ووجد أن العــلاج فى تسليم الأمر لله، والاستجابة لرغبات زوجته، فاستسلم لها، وهى وإن كانت منهكة مــن آثار الرحلة، وربما آلام الحمل، إلا أنها أغدقت عليه بكل الحب والعطف اللذين يبعدان عنه شبح الألم أو الحزن.

بمجــرد عودتهمـــا مـــن صلاة الفجر، سارعت صفيه إلى نباتات البروتين التى تركتها مورقـــة، فوجدتها وقد أصابها الهزال، وعلى وشك الفناء، ونادت على زنوبه، التى تلجلجت فى الرد عن الأسباب، وبعد زخات من العتاب المصحوب ببعض الغضب،قالت:

▪ " الست منى رفضت الذبح بأكثر من حاجتها هى وسعيد بك.. "

بمعنى أن كمية الدماء لم تكن كافية، وتعجبت صفيه:

▪ " ماذا..؟ ألم يكن لكم نصيب فيما يتم ذبحه..؟ "

فأطرقــت الســيدة خجــلاً، ولم تفصح، لكن صفيه سارعت بنقل الصورة المؤسفة إلى مصــطفى، وتفهم مصطفى الموقــف، فأومأ إلى صفيه بتجاوز الموضوع، ووضع نظاماً من شــأنه أن يضـــمن لهؤلاء معيشتهم الكريمة أثناء سفرهم، بعيداً عن تسيب سعيد، وتحكم منى زوجته.

واســتمر مصطفى فى قراءة ما وصله من فاكسات، وما سجلته منى من ملاحظات عن المحادثات التى تمت مع سعيد فى حضورهـــا، ونادى صفيه، وأمرها بأن تحدد مواعيد لقاء مع مندوبى تلك الشركات، إلا أنها عادت إليه لتعلن أن الشركات كلها قد اعتذرت عن التعاقد معهم، وعندما واجه سعيد بذلك، تلجلج وهو يقول:

▪ " لقد هجموا على الفيلا وكانهم التتار، وأرغمونى على فتح الغرفة التى تحتفظ فيها بالأحجار، واختطف كل منهم ما استطاعت يداه أن تحمل، وأسرعوا خارجين.. "

وبعــد جهد.. أدلى سعيد بأوصاف من قاموا بذلك، وبذكر بعض الأسماء، كان مصطفى يريد من سعيد أن يدلى باعترافاته دون أن يشعره بأنه يعرف ما حدث، فقال إن رفقاء الرحلة اقــتحموا الفــيلا وأرغموه أن يدلهم على المكان الذى يحتفظ فيه مصطفى بأحجار البروتين واغتصبوا ما ظنوه حقهم فى هذا الكشف."

وأخــذ مصــطفى يراجع نفسه، هل ذلك من حقهم وهو غفل عنه سهواً أو متعمداً؟ لقد كانوا معه، مجرد مرافقين.. السيارة سيارته، والطعام طعامـــه، ومخلص هو الذى دلهم على رائحـــة الشـــواء.. ومخلص هذا كلبه، وهو الذى استنتج وجود علاقة بين هذه الأحجار وبين البروتين الحيوانى، دون أن يفصح عن ذلك لهم، وقد أمر مخلص بجمع الأحجار له، وسارع كل منهم بجمع ما استطاع جمعه، ووضعه فى حقيبته دون اعتراض منه، بمعنى أن كل منهم حمل ما استطاع حمله من الأحجار بنفسه، فلماذا التعدى على حقوقه؟ لكن هذا لا يفسره سوى

شــئ واحـــــد، ألا وهو أن مخلص استطاع أن يجمع حجارة بروتين حقيقية، بينما ما جمعه الآخرون، لم يكن سوى بعض الحجارة الجيرية العادية، أو لعلهم حاولوا استزراع ما جمعوه مـــن أحجـــار، وعندما لم تنبــت، ظنوا أن الحجارة التى لدى مصطفى فقط هى التى يمكن اســتزراعها، فقـــام مصطفى بالاتصال برفقاء الرحلة واحداً واحداً، وجمعهم فى المكان الذى اعتادوا الالتقاء فيه، وواجههم بشناعة ما فعلوه، لكن ردهم جميعاً كان متشابهاً:

- " لم تكن وحدك الذى اكتشف أحجار البروتين.. وأنت لم تعرض علينا نصيبنا..! "

فقال لهم مصطفى:

- " وبهـذه الطـريقة تكونـون قـد حصـلتم عـلى نصـيبكم.! لا تلومونـى بعـد ذلـك، فقـد اسـتبعدتم أنفسـكم مـن أية نشـاطات أقـوم بهـا لاسـتثمار هـذا الاكتشـاف، وقـد أقنعـتم الشـركات الـتى كانـت تتراسـل معـى لاسـتثماره بالـتعامل معكـم، أرجـو ألا تحـاولوا مجـرد محاولـة أن تقتربوا من بيتى، ولا تلومون إلا أنفسكم.. فقد جمعتم بأنفسكم ما استطعتم جمعـه مـن الحجارة، كمـا قمـت أنا بجمع ما استطعت جمعه، أنا لم آخذ من الحجارة التى جمعتموها شـيئاً، أما ما أخذتموه أنتم من حجارتى، فإنه يعتبر سرقة.. وبالإكراه.. "

وقبل أن يتمادى، قاطعه أحدهم:

- " نحـن لسـنا لصوصـاً يـا عزيـزى مصـطفى، لكـن اللصوصـية الحقيقـية هـى أن تنسـب لنفسك فخراً لا تستحقه، وتستأثر لنفسك بذلك الشرف وتحرمنا منه.. "

وقاطعه مصطفى:

- " أى فخـر وأى شـرف.. أنـتم عـندكم حجارة كمـا هـى عـندى تمامـاً، أنـا دفعت بها لأحد المعـامل لكـى أتحقـق مـن مكوناتهـا، وعـندما تحققـت مـن أنهـا تحـتوى عـلى بـروتين حـيوانى، بـدأت إجـراءات الاسـتزراع حـتى يعم الخير على العالم كله.. فماذا فعلتم أنتم؟ انـتظرتم حـتى تحقـق الانتشـار، وتجسسـتم عـلى فاكسـاتى، وقمـتم بالاتصال بالشـركات الـتى كانـت تـتفاوض معـنا عـلى أسـلوب الـتعاون، وربمـا تكونـون قد قمتم ببيع الحجارة التى تخصنى والتى سرقتموها من بيتى إليهم. "

وقهقــه أحدهم بسخرية فقد استشعر احتمال مطالبة مصطفى لهم بنصيبه من بيعهم تلك الحجـــارة، وطلب من باقى الرفقاء الاحتفاظ بنصيب مصطفى حتى يطلبه هو، وعندما لامهم مصـــطفى على سرقة الأحجار التى تخصه، قهقه هذا الرفيق ليعلن لباقى رفقاء الرحلة صدق حدسه وأنه المغوار الذى يستطيع أن يتحسس ما قد يفكر فيه الآخرون، ثم نظر إلى مصطفى وما زالت قهقهته تجلجل فى المكان وهو يقول:

- " هـذا مـا يقلقك.. أنـنا انتزعـنا مـنك بعضاً مما كنت على وشك أن تستأثر به لنفسك.. أتـدرى بكـم بعـنا القطعـة الـتى تـزن عشـرة جـرامات من هذه الحجارة؟ إنها بأسعار تفوق سعر الذهب عشرات المرات.. وقمنا بتوزيع العائد علينا جميعا، وهذا هو نصيبك.. "

ودفـــع إليه بحقيبة فتحها مصطفى ليجدها مليئة بالدولارات، لم يصدق عينيه.. ففركهما حـــتى يســـتطيع أن يستوعب الأحداث بالسرعة التى تجرى بها، لكنه رفض الحقيبة وأعادها إلـــيهم، طالـــباً منهم أن يوزعوها على أنفسهم، فهو ليس فى حاجة إليها، لكن عليهم فقط أن يتحملوا النتائج.

- وأقلقتهم عباراته الأخيرة، أى نتائج هذه التى يتحدث عنها.. فأجابهم

- " لقـد قمـتم ببـيع حجـارة لا تنبـت.. وسـأعـيد علـيكم مـا سـبق أن قلـته فـى المؤتمـر وسمعتموه جميعكم، إننا لم نستطع أن نستنبت بالطرق العادية إلا النبتة التى عرضـتها فـى ذلـك المؤتمـر، وهـذه تم مصـادرتها فـى المطار قـبل سفرى، ومن المؤكد أنها هلكت، فلـن تجـد مـن يـرعاها كمـا يجـب، وسـوف تعـود علـيكم الشـركات تطلب ما دفعته لكم، ولعلـهم سـوف يسـتخدمون معكـم أسـاليب لـن يقبل بها أحد، وربما أفقدتكم أرواحكم ثمـنا لبضـعة دولارات أعمـاكم جشـعكم بهـا عـن بعـض الحقـائق الهامـة، ألا وهـى أنكـم أخذتموها حجارة، لماذا لم تكن شـجيرات رغـم وجودها فـى الجـو المناسـب لذلـك..؟ ثم ومـاذا بعـد الاسـتنبات؟ هـذا بفـرض الـنجاح فى الاستنبات، ألم يخطر على بالكم أن هذه الأشـجار ربمـا تكـون غـير صـالحة للاسـتخدام البشـرى أو الحـيوانى .. أو أن تكـون ضـارة بالصـحة العامـة؟ لهـذا أيها الأصـدقاء الأعـزاء.. أهنـئكم بحصـيلتكم الدولاريـة.. وأتـرككم لمصيركم وأنا مرتاح الضمير، فقط أرجو عدم إزعاجى بما قد يحدث لكم مستقبلاً.. "

وقـــام من فوره، وانصرف على عجل حتى لا يسأله أحدهم عما يمكن أن يحدث لهم، إنهم لا يعـــرفون مـــع مـــن يـــتعامـــلون، إن معظم إن لم يكن كل الشركات الكبيرة حيتان فى مياه ضـــحلة، كـــل يبحـــث عمـــا يمكن افتراسه، وهم لا يثبتون شراستهم وقوتهم إلا على الأسماك الصغيرة الضعيفة التى لا حول لها ولا قوة، لكن عندما تعييهم الحيل، فإنهم سوف تظهر أنيابهم علـــى بعضهم البعض، ونسيت هذه القوى الكبيرة.. أن الهرة الصغيرة مهما بلغ ضعفها، قادرة علـــى الدفـــاع عـــن نفسها ضد أعتى القوى، حتى لو كان الهلاك مصيرها، فإنها لا تترك تلك القوى دون جراح عميقة، قد تستمر معاناتهم منها دهوراً، وربما يكون الهلاك مصيرهم.

أثناء طعام الغداء، أثار انتباه مصطفى الهمس المتزايد بين سعيد ومنى، وشعر بأن هناك شـــيئاً ما يحدث فى الخفاء، وهو لا يريد أن يحرج أخاه، ولكن لكل شئ حدود، وهو لم ينس الهمس الذى دار بينهما بمجرد أن اتفق مع سهير المرعشلى على صفقة شراء قصرها، حيث اتســـعت حدقـــتى منى بشكل أرعبه، وكأنما مر طيف مايسه به يذكره بالتجهيزات التى قالت بأنهـــا ثبتـــتها فى الفيلا لكى تكشف أى اقتحام من أى نوع، وربما ساعدت فى القبض على المجرميـــن أو قـــتلهم، لكـــنها لم تخبره عن كيفية تشغيل تلك البرامج، أو أماكن تثبيت تلك التجهـــيزات، وكذلـــك الأمر بالنسبة للتعرف على ما يدور فى المكتب أو غيره من الأماكن ســـواء داخـــل الفيلا أو خارجها، وما إذا كانت قد تركت كل هذه التجهيزات أم أخذتها معها، وكأنما شعر بالحيرة من أمره، فتمناها أن تكون معـــــه، وتعجب من نفسه، كيف يكون بهذه الســـذاجة فى التفكير، لقد علمته كيفية التعامل مع الإنترنت، وتركت له نوت بوك تماماً كما الذى معها، حيث يستطيع أن يراها وهو يخاطبها، فأسرع يخاطبها ويراها وكأنه جالس معها، وشـــرحت له كل ما عنّ له من أسئلة، وحادث باقى أفراد الأسرة، أمه وابنتيه وهو يجاهد أن يكون طبيعياً بالذات مع أمه التى لاحظت خلجات صوته حيث كانت تظهر بعض أنات الأسى فـــى بعض العبارات، خصوصاً عندما ذكرت اسم سعيد ومنى، لكنه حاول أن يطمئنها، لكن علـــى من؟ الأم التى حملته تسعة أشهر كعضو من أعضائها، قطعة منها، ثم لازمها بعد ذلك لمـــدة تزيد عن العامين، تطعمه من طعامها، ومع هذا الطعام تنقل إليه أحاسيسها ومشاعرها، وربمـــا عصبيتها وأفكارها، وتتحسس منه ضحكاته وآلامه، وتتعرف على دمعاته وأمراضه، الأم هـــى الأم، تشعر بما يعانيه ولو كان بينهما آلاف الكيلو مترات، وقد عبرت عن ذلك إلى

حفيدتها مايسه، التى سارعت بالاتصال بأبيها لتستطلع منه الأخبار، لكنه طمأنها ووعدها بأن يقص عليها كل شئ بمجرد أن يلم بكل الأمور.

قـــام مصطفى من فوره بتشغيل برنامج التجهيزات، وقضى فترة بعد الظهر كلها دون نوم القيلولـــة، وهو يعيد ويزيد فى تشغيل تلك البرامج، وانتابه العجب المصحوب بالمرارة من أنه لـــم يجد اقتحاما للفيلا كما ذكر له أخوه، وتعجب من حصافة ابنتـــه، فقد أبت أن تشغل أياً من هـــذه البرامج فى حضور أحد سواه، ربما كانت لا تشعر بالاطمئنان لأخيه.. عمها.. ربما، فقام بتشـــغيل النظام الآخر للتعرف على ما دار فى المكتب أو الفيلا أثناء غيابه، ويا لهول ما رأى، أخـــاه وزوجته يتفقان مع رفقاء الرحلة على خيانتـــه، وكأنما لمح أحد موظفى الشركة من بين الحاضـــرين وعـــرفه، إنـــه أخ لأحد رفقاء الرحلـــة، عينه بالشركة كنوع من المساعدة، أهكذا يكـــون رد الإحســـان؟ ثـــم تدارك.. ولم لا؟ إن أول من تمتع بخيرات الله التى أنعمها عليه هو ســـعيد، فهل صان سعيد الجميـــل؟ هل استطاعت زوجته أن تغير سلوكياته إلى هذا الانحراف الإجـــرامى الخطير؟ وهل يسكت ويتعامل معهما بحذر أم يترك الأمور للقدر؟ وهل يمنع حذر من قدر؟ وهل يأمن لهما جانباً بعد ذلك؟ لعلهما يأتيانه من حيث لا يدرى، بأمور أخرى لم يأخذ حذره منها، الأفضل أن يخرجهما من حياته كلية، وليغفر الله له، سعيد الآن لديه من الأموال ما يجعلـــه فى غنى عن الحياة هو وزوجته عالة عليه، فليعلنهما بقراره، ولكنه تراجع، ووجد أنه مـــن الأفضـــل أن تتولى والدته ذلك، وهل يستطيع الانتظار حتى تحضر والدته وتنهى علاقة الأخوة التى تربطهما، والتى لا تحمل سوى مفهوم المصلحة الخاصة من طرف واحد؟ أو لعل ســـعيد يتصور أنه شريك لمصطفى فى كل ثروته باعتبارها ناتج إرث من والده، ومن يستطيع أن يقـــنعه بـــأن الوالـــد لم يترك إرثاً سوى ديون قام مصطفى بسدادها خلال فترة طويلة من الزمـــن، ومصـــروفات أسرة حاول مصطفى الوفاء بها دون تقصير، ومصروفات تعليمه من المـــرحلة الابتدائية وحتى الدكتوراهين مروراً بالماجستير من الجامعة الأمريكية وما أدراك ما الجامعـــة الأمريكـــية، ثـــم زواجه من حبيبة قلبه، وكذلك ما بعد الزواج وحتى هذه اللحظات.. والعجيـــب أنه يحرم الخدم من خيرات الله، ولا يدرى.. كيف استطاع أن يستسيغ الطعام الذى حـــرمهم منه، وربما نسى أنهم هم الذين صنعوه له ولزوجته، وبالقطع لابد وأن راودتهم بعض مشاعر الغيظ أو الحنق أو الحسد أو الدعاء بعدم الهناء والشفاء، لحرمانهم من طعام هم يعلمون

صاحبه، وهم الذين صنعوه بأيديهم. إن مصطفى هو الذى يتولى جميع نفقاته بالرغم من الآلاف الـــتى بالمـــئات، حصيلة فنه الذى خطط مصطفى له بنجاح، وربما تكون قد زادت بنصيبه من تلك الدولارات حصيلة السرقة التى ساعد الرفقاء عليها.

نهـــض مـــن نومــــه متـــثاقلاً فقد أنهكه التفكير، واعتصرت قلبه خيانة الأخ قبل خيانة الصديق، وأرجع الهمس الذى دار بين سعيد ومنى إلى احتمال أن يكون قد بلغه هو وزوجته ما فعله مع رفقاء الرحلة، بقى أن يصل إلى سعيد العلم بما سيفعله مع موظف الشركة المتآمر معهما، فقام من فوره تاركاً صفيه تعد طعام الإفطار، وأسرع خارجاً لدرجة أن صفيه وقفت تتعجـــب والســـيارة تنطلق من الباب الخارجى للفيلا، وكان عجبها الأكبر أن سعيد ومنى لم يذهبا معهما لصلاة الفجر، ولم يهتم مصطفى بدعوتهما أو النداء عليهما، هناك شئ ما يحدث، ولا بد وأنه شئ جلل.

أســـرع إلـــى البـــنك أولاً، قابله مدير البنك بالترحاب، فهم أصدقاء وزملاء دراسة منذ التوجيهية، وصعق من المعلومات التى أبلغه بها مدير البنك، لم يعتبرها مدير البنك أسراراً، فالحســـاب الخاص بسعيد، مصطفى هو الذى فتحه له بولايته عندما كان دون السن القانونية، وعندما بلغ السن القانونية، حرر له توكيلاً بالإيداع فقط دون السحب ودون الحق فى التعامل مـــع الحساب بأية طريقة من طرق التعامـــل، والشركة باسمه، ولا يوجد تفسير لفتح حساب آخر لها بتوقيع المدير المسئول إلا أن هذا المدير يريد تحويل الشركة لحسابه، فقام مع مدير البـــنك بمـــراجعة حســـاباته وحســـاب أخـــيه وحسابى الشركة، ثم سأله مصطفى عن مبالغ الـــدولارات التى أودعها سعيد فى حسابه، وصعق عندما علم بأن الإيداع تم فى حساب جديد باسم منى شكرى السوهاجى، فهز مصطفى رأسه مطمئناً المدير باعتبار أن هذا ما تم الاتفاق علـــيه مـــع ســـعيد ذلك أن منى هى زوجته، وأطلعه المدير أيضاً على تفاصيل هذا الحساب الدولارى، وخرج مصطفى من البنك وهموم الدنيا كلها قد تراكمت فوق رأسه، وفوق قدرته على الاحتمال، لكنه تذكر قول الله سبحانه وتعالى ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ وكأنمـــا جاءته هذه الآية لتهون عليه المصاب، وتعطيه فرصه من الوقـــت ليمعـــن التفكير فى كيفية التعامل مع هؤلاء البشر، فتذكر قول الله تعالى ﴿**الَّذِينَ إِذَا**

أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فاستعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وقال حسـبى الله ونعـم الوكيل، وأخذ يتلو ما تيسر له حفظه من آيات الذكر الحكيم، حتى وصل مكاتب الشركة، ولم ينتبه إلى غياب المهرجانات التى كانت تعمل له عندما تهل سيارته على المـكان، فلا الشرطى أوقف المرور، ولا صف العمالة الهامشية سارع لينال بعض البركات، مـع الطلـبات الخاصة، وحمل الحقيبة إلى مكتبه، وتعجب.. أين ذهب كل هذا؟ وكأنما لمح شرطى المرور وقد وقف منادياً إلى جانب أحد الأرصفة القريبة من الشركة، لم يلقِ له بالاً، وأسرع يعدو درجات السلم بهرولة غير معهودة، ولما أفاق لنفسه، حمد الله أنه لم يره أحد.

شعرت مايسه بأن أباها يعانى من بعض المشاكل، فجاهدت حتى استطاعت التوصل إلى الـنوت بوك فى الفيلا، ثم قامت بتشغيل البرامج، وأحيطت علماً بكل الأمور، فنادت جدتها، وأطلعـتها على ما اختزنه النوت بوك من أحـداث، وجلستا تتشاوران، الجدة لا تريد لابنيها الصراع أو الخصام أو ربما القتال، والابنة لا يهمها سوى أباها، وليذهب الجميع إلى الجحيم، فذكـرتها الجدة بأواصر الرحم، وذكرتها الحفيدة بأن عمها لم يراع أواصر الرحم هذه، وأنه طعـن أباها فى ثقته به، فنهضت الجدة ثائرة.. تريد السفر سريعاً إلى القاهرة حتى لا يحتدم الصراع بين الشقيقين، لكن الحفيدة استمهلتها، فقد يسافروا جميعاً، وقامت بالاتصال بأبيها، لم يكن بالفيلا، فقامت صفيه بالرد عليها، وأفرغت لها بما يشغلها، فقامت مايسه بالاتصال بأبيها علـى المحمـول، كان قد وصل مكتبه بالشركة، وفوجئ بأنها على علم بكل الأحداث، وأنها أطلعت جدتها على ما اختزنه النوت بوك منها، وحادثته والدته:

- **" خذ الأمور بهدوء ولا تتسرع، الظفر لا يخرج من اللحم، وسعيد أخوك الذى اعتبرته ابنك البكر، وإن كانت هناك بعض التأثيرات من منى زوجته، فانا على يقين من أنك تستطيع أن تعدل المايل، وهذه ليست أول عثراتك.."**

وتفهم الموقف.. إنها أم، وتخشى الجفوة بين أبنائها، لكن ما فعله سعيد ليس هيناً، خاصة مـع الحساب الذى افتتحه لمنى، وأودع به الدولارات، وسعيد هو الذى افتتح الحساب، يعنى موافق على ذلك، سواء كانت منى هى المحرضة أو أن طبيعته ليست بنقاء طبيعة مصطفى، ونقل مصطفى كل هذه الخواطر إلى أمه، التى أعلنتها صراحة:

■ " فى غيابى.. اتخذ معه الإجراءات التى تراها مناسبة، دون قطع أواصر الرحم، ولا تنس أن تطلع شكرى بك على خيانة ابنته، فإن شعرت بانه موافق على ما حدث هو أو زوجته نازلى هانم، فاطرد أخاك وزوجته من الفيلا فوراً، ومعهما والداها.. ونادى البواب وأملى لهم الأوامر بعدم السماح لأى منهم بالدخول مهما كانت الأعذار. "

وأغلقــت السيدة الهاتف بعصبية خشيت معها مايسه أن يصيبها هبوط أو إغماء، فربتت عليها تهون من مصابها، وأقنعتها بأن أباها قادر على حل أعصى المشكلات، وبعد أن هدأت السيدة، طلبت من حفيدتها أن تتصل بوالدها، حيث أخبرته بالمكان الذى تحتفظ فيه بمستندات ملكــية مصطفى لما كان يملكه أبوه بيعاً وشراءً قبل وفاته، وأن ذلك حدث بعد أن اشتدت به الأزمــات المالــية نتيجة المرض ومسئولياته الأخرى، وأنه كان ينوى البيع لدائنيه، لولا أن وردت لمصطفى موافقة اليابان على المنحة، وحرر مصطفى تعهدات للدائنين بأنه سيقوم هو بالسداد، فقام والده بنقل الملكية لمصطفى، ولم ينس أن يؤكد على زوجته، بإرفاق المستندات التى تثبت سداد مصطفى لثمن هذه الممتلكات، والتى تثبت أن ذلك كان قبل وفاته بزمن غير قصــير، بمعــنى أن مصروفات العائلة كلها بما فيهم الوالد، كانت على عاتق مصطفى قبل وفاته، كما أرفق مستندات مديونيته للآخرين، وأصل العقود غير الموقعة التى كان البيع سيتم بموجبها لهؤلاء الدائنين، تلك المديونية التى قام مصطفى أيضاً بسدادها بعد وفاة الوالد بزمن غير قصير، ذلك أن الدائنين كانوا أصدقاء مقربين من الوالد، ولم يرغب أحدهم فى استيفائها مــن الابــن إلا بعد جهد جهيد وصل بمصطفى درجة الاستجداء، فهو لا يريد لأبيه أن يقابل ربه وفى رقبته دين لأحد.



اسمه سليمان، ذلك الموظف المتآمر.. أخ أحد رفقاء الرحلة، توسط له أخوه ليعمل عند مصــطفى، ليســت معـــه مؤهلات تؤهله لأى عمل ذى قيمة بالشركة، فعينه مراسلا ووعده بترقيــته إلـــى سكرتير إذا أثبت صلاحيته لتلك الوظيفة، وعلمه كيف يحضر له البريد ويرد علـــى التليفونات ويرتب المكتب وينظفه، ويسجل المواعيد ويجهز قاعة الاجتماعات للقاءات ويعد قائمة بالمواعيد يعرضها عليه صباح كل يوم، ويحمل الحقيبة بمجرد حضوره فيفتح له غــرفة المكتب ويعيدها إلى السيارة عند مغادرته الشركة، وعلمه كيف يحفظ الملفات، إلا أن ذلك أوغر صدره، وأوجد بعض الغضاضة فى نفس أخيه صديق مصطفى، حيث أوعز لأخيه أن يتجسس على كل صغيرة وكبيرة تحدث بالشركة، وكانت الفرصة التى يستطيع أن يرد بها كيده وغيظه من مصطفى لأنه عين أخاه فراشا بالشركة أن وقعت فى أيدى سليمان الفاكسات التى أرسلتها الشركات الأجنبية، فأخذها إلى أخيه الذى جمع باقى المجموعة، وقرروا بيع ما لديهم من حجارة لتلك الشركات والانفراد بالغنيمة دون علم مصطفى، لكن الشركات رجعت عليهم بعد أن فشلوا فى استنبات تلك الحجارة، فظنوا أن الحجارة التى عند مصطفى فقط هى الــتى يمكــن أن تســتنبت، فقرروا الاستيلاء عليها، وكان لابد من إشراك سعيد معهم، حتى يتمكنوا من الحصول على تلك الأحجار.

نـــادى علـــيه فلم يجده فى المكان المخصص له وحضر جمعه الفراش الخاص بمكتبه مهــرولا مرحباً بصاحب الشركة، فأمره بإحضار سليمان، لكنه وجد منه ومن باقى العاملين معـــه بعـــض الـــتلكؤ فتعجب، ووجد كماً هائلاً من شكاوى العملاء، كلها عن التأخر والتلكؤ والإهمال وعدم الدقة فى إنجاز الأعمال والتأخر فى مواعيد التسليم.

نـــادى مدير كل مجموعة فى حضور المدير المسئول، وبدأت المساءلة، وكانت الأجوبة كلها متشابهة تقريباً، كل مجموعة عمال انفردوا بالأعمال التى خصصت لهم، بداية بالإهمال والتســيب، ثــم بالاتفاق مع أصحاب الأعمال بالقيام بها لحسابهم، وتبين له أنه لم يصمد فى العمل، بل وحاولوا جهدهم أن ينقذوا الموقف، سوى مجموعة أرباب المعاشات، الذين شعروا

بـــأن الشـــركة هى مصـــدر رزقهم، فإذا عملوا على فنائها ربما أفنى رزقهم معها، فثابروا وصـــابروا بل واستعانوا بمن يحل محل من استهتروا وتمردوا وتغيبوا عن العمل، ولكنهم لم يقومـــوا بالتعيين وتحرير عقود والالتزام بالسكن والمواصلات والتعليم والعلاج ونصيب من الأرباح مثلما كان يفعل مصطفى، حيث كانوا يذهبون كل يوم إلى حيث يتجمع العمال طالبى رزق الله، فيختاروا من يجدوه مناسباً، فيعمل لمدة يوم واحد، فإذا كان ملتزماً وأمينا، يظل فى العملـــية بالأجـــر الـــيومى حتى تنتهى، ثم مع السلامة، وربما يأتى فى عملية أخرى بنفس الشـــروط.. وهكذا، وصمم مصطفى على البقاء فى الشركة حتى يعود هؤلاء الأبطال، ويرى ما يجب عليه عمله معهم، وتساءل مصطفى:

- " وماذا عن سليمان؟ "

وجاءه الجواب:

- " لا ندرى.. لقد انقطع عن العمل فجاة بعد أن عاتبه " جمعه " فراش مكتبك على أخذه معه أوراقاً تخص الشركة، لكنه سرعان ما حضر إلى سكن الشركة، وجمع حاجياته من السكن المخصص له، وأغلقه ولم يترك المفتاح ولم يقدم استقالته.."

وسأل مصطفى:

- " منذ متى وهو متغيب..؟ "

وأجاب المدير المسئول:

- " منذ أكثر من شهر.."

أراد مصـــطفى أن يعنف المدير المسئول على ترك الأمور على هذه الحالة، لكنه كظم غيظه ثم سأله بكل هدوء:

- " لماذا لم تطبق القانون، وتتخذ إجراءات فصله؟ "

وكان الجواب:

- " خشيت أن يغضبك هذا التصرف.. فانا أعلم أنه أخ لأحد أصدقائك، وكان دائماً ما

يتفاخر بذلك.."

فقـــال مصـــطفى بصــــوت ظهرت به رعشة الغضب بوضوح، وذلك بالرغم من تعمده عدم الثورة:

- " اتخذوا معه ومع كل العمال المتسيبين الإجراءات القانونية فوراً، وافتحوا سكنهم لمن يستحقه من العاملين الجدد.. وإلا فاحضروا لى تلك المفاتيح بعد تنظيف المساكن، لا مجاملات على حساب العمل أو القانون.. "

تلكأ المدير المسئول بعض الوقت ثم قال له:

- " لا يوجد مراسلين ولا فراشين.. كلهم تركوا العمل بالشركة إلى أعمال أخرى.. وتركوا السكن كذلك، لم يبق بالشركة سوى أرباب المعاشات الذين لم ينتقلوا إلى مساكن الشركة، وفضلوا البقاء فى مساكنهم مع التمتع ببدل السكن، فهو من وجهة نظرهم أكثر بكثير من إيجارات مساكنهم الحالية.. "

إذاً فالخــراب كله سببه هذا المدير المسئول الذى كان يريد أن يحول الشركة إلى حسابه الخــاص، أولاً بتخريب أعمالها وعمالها، ثم بالتزوير فى كتاب تفويضه مديراً مسئولاً عنها، حــتى يتمكــن من افتتاح حساب يودع به عرق وجهد هؤلاء الشيوخ أرباب المعاشات الذين رفضــوا إلا أن يتعاملوا باسم الشركة، حتى يمكنه التمتع بما فى هذا الحساب من أموال دون علــم مصـــطفى، فقــد ظن أن غيابه عن الشركة سيطول، وقد عمل مصطفى خيراً بأن قام بالتحفظ على ذلك الحساب، وألغى اعتماد توقيعه.

أما عن سليمان فقد فعل فعلته وهرب، وعندما قدم أرباب المعاشات، علم مصطفى منهم أنـــه يـــنفق الأموال ببذخ فى البارات وعلب الليـــل، وأن البوليس قبض عليه أكثر من مرة، وربما يكون حالياً نزيل أحد السجون، ولم يحرك مصطفى ساكنا، فقط أصدر تعليماته للمدير المسئول بالاستمرار على سياسة عمال المياومة التى ابتكرها أرباب المعاشات، والإبقاء فقط علـــى من يثبت إخلاصه للشركة، ثم همس له برغبته فى بيع نصيبه فى الشركة لمن يرغب مـــن العامليـــن بها أولاً، قبل أن يبحث عن مشترٍ آخر، وتعجب أن المدير المسئول يعرض

شـــراء حصــــته، بل ووافق على الرقم الذى طلبه مصطفى ونقداً، حيث حرص مصطفى أن يكـــون المبلغ المطلوب مساوياً لرصيد الحساب الذى افتتحه المدير المسئول باسم الشركة فى البـــنك، فأمر مصطفى المحامى بإعداد المستندات لنقل الملكية فى الشهر العقارى بأسرع ما يمكـــن، وتســـلم مـــن المديـــر المسئول شيكاً بالمبلغ، وعندما تفحصه.. وجده مسحوباً على حساب الشركة الذى افتتحه المدير المسئول بالبنك.

أمـــر مصـــطفى بـــإخلاء عماراتـــه من العمال الذين يسكنونها، فالتفت حوله مجموعة المعاشـــات يعاتبونه على رغبته فى بيع الشركة، لكنه طمأنهم بأنه سوف يقوم بنفس النشاط، ولكن بعد عودته من اليابان، واتفق معهم أن أول عملية للشركة الجديدة، هى تحويل عماراته إلـــى شقق سكنية يمكن بيعها، وكلف أكبر المهندسين سناً بمسئولية الإدارة، ورتب معه كيفية الاتصال به وإعلامه بكل ما يدور من أمور، ثم التفت إلى المدير المسئول وقال له:

- " قدم استقالتك بكل هدوء بدلاً من بهدلتك فى المحاكم.. وربما سجنك.. "

واعـــترض المديـــر مغاضـــباً بصوت عال، وكأنما هو كتلة الشرف التى تتحرك على الأرض، فقام مصطفى على الفور بالاتصال بالضابط "علي" باعتباره ضابط شرطة وهو يريد اتخـــاذ الإجراءات القانونية مع ذلك المدير المتسيب، وظل مصطفى فى جدال مع ذلك المدير المسئول الذى ظن أنه بهذه الهيصة سوف يرعبه، لكن صوته أخذ يخفت رويدا رويدا مع كل حكاية من الحكايات التى يندى لها الجبين التى أخذ أرباب المعاشات سردها فضحا للكثير من أعماله القذرة، التى كانت تهدف إلى خراب الشركة، وعندما حاولوا الاستفاضة بشرح الأمور الملـــتوية التى كان يتبعها ذلك المدير غير المخلص لعمله،أمرهم مصطفى بالصمت، فهو لا يريدهم أن يفضوا بكل ما لديهم إلا فى تحقيق رسمى، أو فى المحكمة إن لزم الأمر.

وحضـــر الضـــابط "علـــي" بناء على بلاغ من المهندس مصطفى صاحب ومدير شركة الخدمـــات المنزلية الحديثة، ومعه لفيف من عناصر الشرطة للقبض على المدير المسئول، الذى أرعـــبه تصرف مصطفى غير المتوقع، وافتتح الضابط علي محضراً سجل فيه اتهام مصطفى، وشـــهادة أرباب المعاشات، وأقوال المدير المسئول، الذى وافق على الاستقالة الفورية، والتنازل عـــن أيـــة حقوق تكون له قبل الشـــركة، وطلب من مصطفى أن يتنازل هو أيضاً عما يكون

للشـــركة أو لـــه بصفة شخصية فى حقه، إلا أن مصطفى رفض، ثم أعلن ما كان يخفيه المدير المســئول، حســـاب الشركة بالبنك الذى افتتحه ذلك المدير، وكان يودع فيه ناتج العمليات التى يقوم بها هؤلاء الأبطال أرباب المعاشات، وكانت صدمة للمدير المسئول، أن الشيك الذى حرره لمصــــطفى هـــو بكامل رصيد ذلك الحساب، وهو ما يعرفه المدير بالقطع، لكنه لم يتنبه إلى أن المـــبلغ الـــذى طلبه مصطفى ثمناً للشركة يتطابق تماماً مع ذلك الرصيد، هفوات يوقع الله فيها المجـــرمون دون أن يشعروا، ليحق الله الحق بكلماته، ثم أعلنه مصطفى بأنه ألغى توقيعه على هـــذا الحســـاب، كـــل ذلك سجل فى المحضر الرسمى الذى يكتبه أحد أمناء الشرطة بناء على تعليمات الضابط "علي"، وأصر مصطفى على تسجيل اعتراف المدير بالتزوير فى توكيل إدارة الشـــركة، حيـــث قام بمحو كلمة " لا " التى كان مصطفى قد أثبتها قبل عبارة " يصرح له بفتح حســـابات باسم الشركة بالبنوك أو التعامل مع الحسابات الحالية للشركة بالبنوك بأى صورة من صـــور الـــتعامل " وهـــذه وحدها تهمة تزوير كفيلة بالقبض عليه، فأخرج أحد أمناء الشرطة الكلبشـــات، وأمسك بيد المدير المسئول، ولفها حول معصمه، وهنا فقط.. بكى المدير المسئول طالـــباً مـــن مصطفى الرحمة، من أجل عائلته وأولاده، فطلب منه مصطفى أن يسجل اعترافه بأنـــه هو الذى حرض العمال على الإهمال، وأن التعاقدات تمت مع عملاء الشركة باسمه، وأن يحـــرر ســـندات ديـــن بالمبالغ التى حصل عليها من الشركة بدون وجه حق،يحدد بها تواريخ الســـداد، وأن يـــتعهد بإحضـــار مخالصـــة من العمال بكافة حقوقهم مع الشركة، والتنازل عن حصصـــهم بالشـــركة، وفى المقابل اكتفى مصطفى باستقالته وبتحميله بجميع المسئوليات التى تترتـــب نتـــيجة إدارته للشركة خلال فتره سفر مصطفى للخارج، وطلب مصطفى من الضابط علي، أن يوثق هذا المحضر ويحضر نسخة عنه معتمدة وممهورة بخاتم الجمهورية.

لكن الضابط علي تلكأ بعض الشيء، وقال لمصطفى:

- **" أرجو أن تراجع نفسك، لعلك ظلمته فى الأجر فاراد أن ينال منك بتجريدك من أملاكك، فلا تنسى أنه يعمل ربما باكثر مما يعمله مالك فى الشركة.."**

وتفهم مصطفى الرسالة، أن يكون المدير المسئول لديه إحساس بالغبن، فأراد أن يستوفى حقه بهذه الطريقة، فقال مصطفى:

■ " أولاً هو يعمل ويتقاضى راتباً يسيل له اللعاب، وأنا أعمل بدون راتب، ومع ذلك فنصيبى من صافى الأرباح يعادل نصيبهم تقريباً، أنا دفعت رأس مال، وهم حصلوا على نصيبهم من صافى الأرباح التى توزع عليهم، ولتساله أنت عن الرواتب والبدلات الأخرى التى يحصل عليها شهرياً من الشركة.. وأنا سوف أصحح ما قد يكون غير صحيح.. "

وسأله علي، فقال المدير المسئول:

■ " أنا أحصل على مائتين فقط، ومثلهم بدلات.. "

وهم علي أن يصدر صرخة اعتراض من ضآلة المرتب والبدلات التى صورها مصطفى على أنها ثروة لا يستهان بها، لكن مصطفى أوضح له اللبس الذى حاول ذلك اللئيم أن يصوره للضابط:

■ " يا سيدى.. إنها مائتى جرام ذهب.. ومثلهم بدلات.. يعنى جرام الذهب اليوم بمبلغ ستون جنيها، يبقى مرتبه الشهرى مع البدلات أربع وعشرون ألف جنيه.. ونصيبه السنوى من الأرباح يبلغ ضعف هذا الرقم، يعنى السيد المحترم يحصل على راتب وبدلات ونصيب فى الأرباح يبلغ ثمانية وأربعون ألف جنيه شهرياً تقريباً.. ماذا يريد أكثر من ذلك.."

وهنا أصدر علي صرخة استهجان، راتب شهرى أربع وعشرون ألفا، وأربعة وعشرون ألفاً نصيبه فى الأرباح، ماذا يريد أكثر من ذلك؟ فسأله علي:

■ " ولو افترضنا أنك حولت الشركة باسمك، هل تتوقع أن تصل أرباحك منها أكثر من هذا الرقم..؟ "

وأجاب بتبجح غير منقطع النظير:

■ " ربما أكثر.. إنه يحقق أرباحه من عرق العمال والمهندسين.. "

وكان السؤال الطبيعى الذى طرحه علي:

■ " وما هى رواتب العمال والمهندسين يا سيد مصطفى..؟ "



فقال مصطفى:

- " فليعلنها هو.. أليس المدير المسئول..؟ "

وأجاب المدير المخلوع:

- " إن جدول المرتبات بالشركة يبدأ من عشرة جرام ذهب، يعنى ما يعادل ستمائة جنيه، وذلك للعامل العادى الذى يجب أن يكون حاصلاً على الإعدادية.. سعادته لا يقبل غير المتعلمين.. "

وقاطعه مصطفى قبل أن يسترسل بتخريفه المتعمد الذى لا محل له من الصدق أو العدل:

- ● " أريد أن أمح الأمية بأسلوب عملى، هل هذا خطأ أم حرام أم غير قانونى..؟ العمل عندنا يستلزم الاحتكاك بعملاء على درجة عالية من الثقافة، وهؤلاء القوم يرتبون حياتهم بأسلوب علمى منظم، ولن يسمحوا لأسلوب البلطجة وعدم الاهتمام والتعامل مع ممتلكاتهم بإهمال أو عدم مبالاة، يعنى.. هل يرضيك يا حضرة الضابط أن يأتى لك سباك ليسلك البالوعة، فيسلكها.. ولكنه يخرم ماسورة الصرف؟ أو أنه بقذارة غير معهودة، يمسح يديه الملطختين بقذارة البالوعة فى الحائط. سواء كان سيراميك أو دهان بلاستيك أو زيت.. أو أن يتمشى فى المكان وكأنه ملك اللى جابوه، وبقايا مياه الصرف تتناثر من يديه وربما من ملابسه وحذائه اللى زى الطين يلطخ كل ما يلمسه من سجاد أو أرضية رخام أو سيراميك.. قال يعنى.. الولد ليس لديه وقت لتنظيف نفسه، أو أن الجهد قد بلغ غايته، فلم يتمكن من الحياة بنظافة مثلما هم خلق الله، وكل هذا من أجل بعض المليمات التى قد يتفضل بها عليه صاحب البيت، ولا يتصور أن هذا الأسلوب ليس إلا أسلوب شحاذة.. لكن حتى العامل العادى الذى يعمل عندنا له تعليمات مسجلة فى كتيب يسمى تعليمات العمل، تلزمه بان يخلع ملابسه بمجرد وصوله إلى مكان العمل، ويلبس ملابس العمل التى نصرفها له، ويضع قفازات على يديه، ويقوم بما يكلفه به الأسطى أو المهندس دون تململ، ولا يتنطع كى يحصل على إكرامية أو خلافه، يعنى سعادته مكلف بان يدخل مكان العمل فى قمة النظافة والأناقة، ويخرج من مكان العمل كذلك، وغير مصرح له إطلاقاً أن يتسبب فى تلطيخ أو تكسير



أو تشويه أى من ممتلكات العميل أيا من كان، والتعليمات للمهندس المسئول أن يقوم بطرد من يخالف هذه التعليمات فوراً، لذلك فإن فترة التجربة عندنا سنة كاملة، إذا أثبت العامل فيها كفاءته والتزامه بتعليمات وسلوكيات العمل، يتم تثبيته، وتثبيته معناه حصوله على سكن على حساب الشركة، وتوفير المواصلات وتعليم ثلاثة من الأولاد والعلاج الطبى له ولزوجته وأولاده، كل ذلك على حساب الشركة، أو أن يحصل على ربع الراتب مقابل كل من هذه الخدمات، وسعادة المدير المسئول، أبو عين زايغة، رغم حصوله على مقابل هذه المزايا نقداً، إلا أنه يستخدم العلاج المجانى على حساب الشركة وطبعاً الخدمات تقدم له بصفة خاصة فهو المدير، ويستخدم سيارات الشركة فى مواصلاته لشقته التى يستاجرها بملاليم وفقاً لقوانين الخمسينات، والتى بالقطع تقل عن مبلغ الستة آلاف جنيه التى يتقاضاها بدل سكن ومثلهم بدل انتقال بينما هو يستخدم سيارات الشركة فى تنقلاته وتنقلات أولاده للمدارس وتنقلات عائلته الخاصة بزيارة الأهل والأصدقاء، وبالسائق الذى تتحمل الشركة مرتباته والمزايا العينية الأخرى التى يتمتع بها باقى العاملين بالشركة.. بالإضافة إلى ستة آلاف أخرى بدل علاج طبى له ولأسرته حيث يعالج هو وأسرته على حساب الشركة، يعنى الباشا يتقاضى من الشركة ثمانية وأربعون ألف جنيه شهريا رواتب وبدلات بخلاف المكافأة، وغير راض..."

وفغر الضابط على فاه، وهو يحصى ما يحصل عليه العامل العادى فى شركة مصطفى الخوجة، ثم نطقها بصوت مسموع:

- " يعنى العامل العادى بالشركة يحصل على ستمائة جنيه مرتب أساسى، ومثلهم مقابل المزايا فى حالة عدم تمتعه بها على حساب الشركة، يعنى ألف ومائتى جنيه، بخلاف الألف ومائتى جنيه نصيبه من الأرباح فى نهاية كل سنة.. فكم تراه يحصل العامل الفنى والمهندس.. الخ ".

فقال له مصطفى:

- " العلاوات عندنا عشر الراتب سنوياً، وبعد خمس سنوات يكون راتب العامل العادى قد بلغ خمسة عشر جرام ذهب، ويكون قد تلقى تدريباً عملياً وعلمياً لكى يكون صبى،

وبعد خمس سنوات يصبح راتبه اثنين وعشرين ونصف جرام ذهب، ويكون قد تلقى تدريباً عملياً وعلمياً ليصبح مساعد فنى، وبعد خمس سنوات، يصبح راتبه ثلاثة وثلاثين وثلاثة أرباع جرام ذهب، ويرقى إلى فنى بعد اختبار فنى ومهنى وعلمى دقيق، ويجب أن يكون قد حصل على دبلوم فنى أو الثانوية العامة، ويصبح راتبه الأساسى ما يعادل ستين جرام ذهب، وهكذا، أما المهندسون فإنهم يعينون بداية بمائة جرام ذهب، ويتم منحهم علاوات سنوية بمقدار العشر، وإذا استحق أن يكون مديرا أو مسئولا عن مجموعة عمليات، فيصبح راتبه الأساسى مائة وخمسين جرام ذهب.. وهكذا "

ولم يعلق الضابط علي، بينما الأمين الذى قام بتحرير المحضر، اقترب من المهندس مصطفى، وهمس إليه بما لا يمكن الضابط علي من الاستماع:

- " هل أجد لديكم مهنة عامل عادى يا مصطفى بك، بالرغم من حصولى على الثانوية العامة كما تعلم، بالإضافة إلى معهد الأمناء.."

فقال مصطفى بصوت عالٍ:

- " ربما افتتحنا فرعاً جديداً للحراسة والأمن.. وفى هذه الحالة، قد نحتاج إلى أمثالك.. وربما إلى ضباط شباب ومتقاعدين."

ولم يجد الضابط علي ما يعلق به، فقد شعر بمقدار ما يتمتع به العاملون بشركة مصطفى قريبه من مرتبات ومزايا وبدلات.. فقط اتجه نحو الباب، وودع الموجودين، وخرج وخلفه الأمين الذى كان يكتب المحضر، بينما باقى مجموعة الشرطة كانوا ينتظرونهم بالخارج، وما أن قص عليهم زميلهم بعض ما دار بالداخل من حوار ومعلومات، حتى تجمعوا حول الضابط علي يطالبونه برفع الأمر للمسئولين، حيث أنهم يقومون بأعمال تعرض حياتهم للخطر، ولا يحصلون إلا على ما لا يسد رمق أسرهم.

١١- المواجهة

كانت المرة الأولى التى تهاتفه فيها صفيه على المحمول، قالت بدلال:

- " أردت الاطمئنان عليك، فقد خرجت دون قبلة الصباح، وكذلك دون إفطار. "

أراد أن يـــرد علـــيها مطمئـــناً، لكـــن صوته كان لا يكاد يسمع، فتنحنح وكأنما ليسلك حـــنجرته، لكن صفيه تعلم تماماً أى مرارة يعانيها، وربما وجد فى الشركة ما لا يسره أيضاً، يـــا لفجيعته، كل الذين أكرمهم خذلوه، هل انتهى الخير من الدنيا، استعجلته الحضور، حيث ســـهير هانم المرعشلى حضرت بمجرد علمها بخبر عودة حفيدها، وهى متشوقة لرؤيته، وقد دعتها إلى الغداء معهم، واستسمحته أن قامت هى بهذه المبادرة قبل استئذانه، قال لها:

- "حسناً فعلت.. فقد تستطيع هذه السيدة الكريمة أن تخرجنى من هذا الغم الذى أحاط بى من كل جانب، لكن لا تقلقى.. فقد تم السيطرة على الأوضاع بأفضل مما تتصورين .."

لكـــن كيف للزوجة المحبة أن تطمئن، وهى تعلم ما سيواجهه زوجها من مخاطر، هو لم يقـــل لهـــا شـــيئاً، ولم يظهرها على ما يختزنه الكمبيوتر من أحداث، لكن مجرد ما قاله سعيد، كـــان يحمـــل كل الخـــوف والهلع، كما أن انفراده بسعيد دونها وزوجته، ليس له سوى معنىً واحـــد، ألا وهـــو أنه يريد أن يؤنبه بعيداً عنهما، وهذا فى حد ذاته قد يأتى بأحداث ربما تفوق مجـــرد التصـــور، فسعيد الآن انضم إلى عائلة لا يعرفون عنها شيئاً، حقيقة أنها تعرف شكرى بك، ولكن كرئيس عمل يمت بصلة قرابة إلى والدها، كانت تعمل معه أثناء دراستها للماجستير، لكـــن لم يحدث أى لقاء عائلى، وبالكاد كانت تعرف أن هدى ابنته زميلة لهما بالمجلة، لكنها لم تلـــتق بـــنازلى هـــانم، ولا حتى والدتها ستوته قابلتها، فقط أبوها هو الذى أقام عندهم لمدة من الزمن عندما كانت تحت العلاج من الإدمان، لكنه تركهم وغادر إلى سوهاج بمجرد أن اطمأن علـــى صحتها، وعندما عاد من سوهاج قبل الولادة، وتذكر بعض ما كانت تبديه زوجة شكرى الســـوهاجى من بعض التململ.. فضل الإقامة فى فندق قريب من فيلا الخوجة، ثم سافر وترك والدتها ستوته عند مصطفى الخوجة زوجها بمجرد أن اطمأن عليها بعد الولادة.

دعـــت الله أن يســـترها، فقد أقلقتها مكالمة مايسه، ثم بعد ذلك مكالمة والدته، لابد وأنهما

تحمــــلان أمـــوراً خطيرة، هى لا تريد أن تتدخل حتى إذا ما انتهى كل شئ، ربما يلقون عليها اللـــوم باعتـــبارها المحرضة، فلتكن بعيدة عن كل شئ، ولا تتدخل إلا إذا طلب منها ذلك، ولا تفعل إلا ما يأمرها به زوجها، هذه هى الحصافة التى يجب أن تتمتع بها الزوجة فى أى خلاف بين الاخوة، لكن هذا لا يمنع من أن تعطيه بعض الدفعات القوية من الحب والدفء واللهفة التى تشـــعره برعايتها له وحرصها عليه، واستعدادها للتضحية بنفسها فى سبيله، لكن دون أن تؤثر على علاقاته الخاصة، سواء مع أخيه أو عائلته أو أصدقائه، أو حتى زوجة أخيه وعائلتها.

أخذتـــه ســــهير المرعشلى بالأحضان، وزودتها حبتين، وهى تدعوه بحبيب القلب، وأنه الأثير لديها، وأن مكانته عندها ربما بأكثر مما كانت مكانة ابنها، ولو كانت فى مثل عمره لما قبلت بأحد غيره زوجا مهما كان من الجاه أو السلطان، وأخذت تعدد الكثير من مآثره ، فهو الشـــهم الكـــريم المعطـــاء، لم تجد منه إلا كل الخير، فلولا ما فعله قبل سفره من حل لجميع مشـــاكلها حـــتى أنها استعادت ثقتها فى نفسها، وعادت إليها نفسها التى كادت تهجرها سهير المرعشـــلى بنـــت المرعشـــلى باشا وليست فنانة معتزلة كبرت فى السن وانفض عنها كل محبـــيها، ونفـــد رصيدها الفنى فلم يعد عليها طلب، كما نفد رصيدها النقدى، ولولا ما فعله مصـــطفى لكانت الآن فى حال لا تسر، لكنه أنقذها من كل ذلك فى دقائق معدودات، وقالت صفيه وهى تبتسم ابتسامة عريضـــة:

- **" أهو ربنا عوضك عن كل متاعب أمس واليوم، بهذه الأم الطيبة التى أغدقت عليك بحنان قد يعادل حنان ماما مريم.. "**

بيـــنما طأطـــأ ســـعيد رأسه إلى الأرض، ولم يصدر منه أى صوت، أما منى فإنها لم تحضر، ادعت بأن وعكة صحية قد أصابتها، فنظر مصطفى إلى سعيد شذراً وهو يقول:

- **" وعكة صحية أم وعكة بنكية، لقد أصدرت الأوامر إلى مدير البنك بالتحفظ على حسابها الدولارى، وعلى حسابك كذلك، وذلك حتى توافينى بكل الأموال التى لى فى ذمتك، هذا إذا كنت تريد أن تبرئ ذمتك أمام الله، أو لعلك نسيته، فالمؤمن لا يسرق . والإيمان فى قلبه.. "**

فصبغت الحمرة وجهه، وأخرج من جيبه بضع وريقات قدمها إلى مصطفى بيد ترتجف،

مسحها مصطفى بعينيه سريعا ثم قال:

- " لم تسجل مصروفاتك منذ وفاة الوالد وحتى الآن، وعلى وجه الخصوص مصروفات زواجك وإقامتك فى فيلا لا تملكها، وتمتعكما بأثاث ليس لكما، وحرمانكما للخدم من طعام هو ملكى أنا، قاموا هم بتسويته، وقبلتم التهامه دونهما.. يا لبخلكما.."

واندفعت منى التى كانت تدعى الوعكة الصحية لتعلن مصطفى:

- " الفيلا يا حبيبى بعض ميراثه من أبيه، وما تعايره به الآن من طعام ومصروفات وخلافه، هى بعض من نصيبه فى ميراث أبيه، والحساب الدولارى الذى تتحدث عنه، هو نصيبه من جهده الذى بذله ليثبت أن البروتين الذى فى هذه الحجارة هو بروتين حيوانى وليس بروتين نباتى.. "

ولم يجد مصطفى بداً من طردهما من الفيلا فوراً، وإعلانهما رغبته فى عدم رؤية وجه أى منهما، وحاولت سهير هانم التدخل، إلا أن مصطفى أظهر من التصرفات ما جعلها تحجم عن ذلك التدخل، وزاد مصطفى من جرعة الإهانة أن نادى عم حسين الجناينى وعم محمد البواب، وأمرهما أن يحضرا لهما سيارة أجرة، ولا يتركاهما حتى يغادرا من فورهما، دون الذهاب إلى جناحهما، ودون حمل أى شئ لا يخصهما، ذلك أن الجناح بما فيه كله ملك لمصطفى، حتى المواد التى يصنع منها تماثيله وحتى ملابسه وكذلك ملابس الهانم زوجته، اشتراها لهما من حر ماله، والتزم عم حسين وعم محمد بالتعليمات حرفياً، بل إنهما أظهرا لهما احتمال استخدامهما للقوة إذا لزم الأمر، وكأنما أوامر مصطفى لهما تشفى غليل البخل الذى عاناه هما وباقى الخدم خلال فترة سفر مصطفى، فنادى عم حسين باقى الخدم لمعاونته فى تنفيذ تعليمات مصطفى وهو يعلم كم السعادة التى ستغمرهم بالمشاركة فى طرد تلك البخيلة التى علمت سعيد بك البخل، هذا بالرغم من كم الألم الذى يعتصر قلوبهم على طرد سعيد بك المسامح الطيب الذى كان كريما، لكنه تطبع بأخلاق البخلاء.

همست صفيه فى أذن سهير هانم بالتزام الحذر فى التعامل مع مصطفى هذا اليوم على وجه الخصوص، فإن هناك من الأمور الجسيمة ما غيرته بهذه الدرجة، لكن مصطفى بمجرد أن انتهى من وجود سعيد ومنى، اتجه إلى سهير هانم بكل الود والحب والابتسام، وتجاذب

معهـــا أطـــراف الحديث فى أمور شتى، إلا موضوع سعيد ومنى، حتى صفيه لم تجرؤ على مجرد الاستفسار عما فعلاه، ثم نادى مصطفى على زنوبه، وتضاحك معها وهو يسألها:

- " ألا تـريدين أن تطعمـينا مـن طعامك الطيب.. أينما السيدة الطيبة، أم أن بخل البخلاء قد أصابتك لعنته.. "

وابتسمت الخادمة ابتسامة عريضة، وأسرعت تصف الأطباق، وتعيد ذكرى مضى عليها أكثر من شهر، لكن مصطفى لم ينس أن يسأل صفيه كالعادة عن طعام الخدم، ثم سأل زنوبه عمـــا إذا كانت الكميات كافية، وإن رغبوا فى المزيد، فلا يوجد ما يدعو للاستئذان، وخرجت زنوبه وهى تدعو له بالخير والبركة فى ماله وصحته وأولاده.

وجلـــس يـــتجاذب أطـــراف الحديـــث مع زوجته وسهير هانم، التى ابتدعت الكثير من القصـــص التى لا يعرف عنها أحد، سوى من عاش حياتها، فن وفداء وحب وزواج أكثر من مـــرة وطلاق أكثر من مرة كذلك، وما بين ذلك سنوات فى سوهاج، وليالى رعب فى قصر الأشـــباح، ومـــا أن ذكرت قصر الأشباح.. حتى سارع مصطفى إلى التليفون، واستفسر من المدير الجديد أكبر أرباب المعاشات سناً:

- " ماذا تم فى مشروع برج المرعشلى..؟ "

ومـــا أن سمعت سهير هانم هذه العبارة حتى ابتسمت ابتسامة عريضة، وهمست فى أذن صـــفيه، عمـــا إذا كانـــت قد سجلت هذا اللقب فى قسيمة زواجها بأسامه مضافا إلى اسم الأم، وهـــزت صفيه رأسها بالإيجاب، فسرت فى جسد السيدة العجوز نشوة سعادة، اهتز لها جسدها، وهى تحتضن حفيدها بقوة، فقد أسعدها أن يرفع رأسه عندما يكبر، ويتباهى على الآخرين، بأن برج المرعشلى هذا لم يقم إلا على أنقاض قصر جده لأم أبيه، المرعشلى باشا، وأخذت توصى صـــفيه بـــأن تزرع فيه هذه الحقائق بعدما توافيها المنية، وسوف تزودها بما أمرت بأخذه من صـــور للقصر قبل هدمـــه، حتى تكون مستندات وأدلة تعزز بها أقواله فى المستقبل ثم استأذن مصـــطفى لـــنوم القيلولة، واصطحبت صفيه سهير هانم إلى غرفة مريم هانم، وتركت معها شـــريفاً، بينما لحقت هى بزوجها، حتى تغدق عليه بجرعات الحنان التى هو فى أشد الحاجة إليها مع هذا الجهد الذهنى والعصبى، والطعنات التى تأتيه يميناً وشمالاً من أقرب الناس إليه.

١٢- شروع فى قتل

انزعج شكرى السوهاجى وهو يرى ابنته وزوجها ينزلان من السيارة الأجرة ويدخلان الفــيلا دون حقائــب، وبملابس لا تتناسب مع الخروج، فبادرهما متسائلا، وحاول سعيد أن يخفف من المصيبة لكن ابنته قالتها له فى ثورة عارمة:

- " مصطفى بك طردنا من الفيلا، ولم يسمح لنا بحمل شئ معنا.. "

مما جعل الدم يغلى فى عروق الأب، إذ كيف لمصطفى أن يفعل ذلك بأخيه، ثم تدارك.. هو حر يفعل ما يشاء بأخيه لكن ليس بابنته، فاندفع إلى الهاتف.. ثم تراجع، لا بد من مواجهته، فأسرع إلى السيارة التى قدم بها أحمد ليقله معه إلى المجلة، وأمره أن يتوجه إلى فيلا الخوجة، لــم يقم البواب بفتح الأبواب كما جرت العادة، فلم ينتظر شكرى حتى يقوم أحمد بوضع السيارة فـــى مكـــان مناســب بجوار الفيلا ثم يوقفها تماما، بل فتح الباب بعصبية، واندفع منه إلى باب الفــيلا، وأمـــر البواب بمصاحبته حيث يكون مصطفى بـــك " بتاعهم " وابتلع البواب الإهانة، وقرر ألا يبلغها لمصطفى حتى لا يكون سببا فى زيادة الشقاق بين الأشقاء.

قابلـــه مصـــطفى مقابلة غاية فى البرودة، حتى لكأن ثورته كادت تذهب هباء، وهو لا يريدها كذلـــك، فصرخ فيه طالبا توضيحا فقال له مصطفى بهدوء متعمد:

- " والهانم بنت سعادتك، ألم تخبرك بأسباب طردها هى وزوجها من أملاكى.. "

فنهره شكرى قائلا:

- " أليس سعيد شريكا لك فيما ورثته عن أبيك من الأملاك..؟ "

فتبسم مصطفى مما زاد من حنق شكرى، وانتظر برهة قبل أن يعلنه:

- " هذا الجاحد ليست له أملاك.. وهو يعرف جيدا أن الوالد لم يترك ما يورثه لنا، أما ما فعله هو وزوجته بنت سعادتك من سرقة وتحايل يعاقب عليهما القانون فهو أخطر من أن أسامحهما أو أسمح لهما بالبقاء فى أملاكى، حيث يتبين أنهما يخططان للاستيلاء عليها، وهذا ما لن أسمح به، ولا يرضاه أى إنسان يؤمن بالله ولديه ضمير.. "

وحاول شكرى أن يعرف شيئا عما فعلاه، لكن مصطفى طلب منه أن يعرف ذلك منهما إن كان لديهما قدر ولو ضئيل من الصدق، وهو ما لا يعتقده.

فعاد شكرى إلى السيارة كسيف الخاطر وأمر أحمد أن يعود به إلى بيته ويذهب هو إلى المجلـــة، ولم يحاول أحمد أن يسأله عن الأسباب، ولكن بدا له أن شيئا ما قد حدث، فما هكذا كان يقابل شكرى بك فى فيلا الخوجة، لا يسمح للسيارة بالدخول، ولم تظهر منى ابنته لا فى الاســتقبال ولا فى المغادرة، هناك أحداث جليلة وقعت، وهو صحفى ولابد له أن يعرفها، إن لم يكن من شكرى بك أو أى من ابنته، فيكون من سعيد أو مصطفى أو ربما صفيه، المهم أنه يريد أن يعرف ماذا حدث؟

ما أن وصل شكرى إلى داره، حتى انفجر فى سعيد يوبخه على المعلومات الخاطئة التى أحرجته مع أخيه، ولما حاولت زوجته أن تدرأ عن زوجها التهمة واجههما شكرى بما أصمت الجميع وأولهم سعيد:

- " أنت تعلم أن والدك لم يترك لكما إرثا.. فلماذا تخالف الواقع وتدعى أنك شريك مصطفى فى كل ما يملك !! "



وعــندما همــت ابنته أن تتكلم، وجه إليها لطمة أطاحت بها مما أثار زوجته التى دائما ما تحاول أن تظهر للجميع أنها سيدة الموقف وأنها هى رجل البيت وليس هو، فهم أن يلطمها هى أيضا حتى لا تتطاول عليه مرة أخرى، فتصدت هدى مبعدة والدتها عنه، وقد شعرت أن والدها ربمــا يكــون قــد تحمل إهانة من مصطفى ما بعدها إهانة، خاصة بعد أن أوضح لها أحمد ما حــدث عــند فيلا الخوجة، وجلس شكرى يجتر الأحداث بصوت خفيض كسير، ثم علا صوته وهــو يطلــب منهما إيضاحا لما أسماه مصطفى سرقة وتحايل يعاقب عليهما القانون، وصمتت الأصــوات، فــتأكد الــرجل من أن ما فعله مصطفى يقل كثيرا عما كان يمكن أن يفعله هو لو تعرض لمثل ما تعرض له، ولما لم يجد ردا من ابنته أو زوجها ثارت ثائرته موبخا ابنته على هــذه التصرفات التى لا يعرفها، وأكد أنها هى المحرك الأول لسعيد ضد أخيه، فما كان سعيد هكــذا حــتى زواجــه منها، وأخذ يردد خيبته فى تربيتها، ويسب زوجته التى أهملت تربيتها لابنــتها، وعــندما همــت زوجــته بالرد عليه، شرع يصوب لها ضربات هستيرية، وعندما

اعترضت ابنتاه على تصرفاته، شرع يوجه الضرب إليهما، وحاول سعيد أن يهدئ من ثائرته، فكـــاد أن يناله بعض ما نال زوجته وابنتيه، فآثر الصمت، لكن الرجل مع انفعاله وهو مصاب بارتفـــاع ضـــغط الدم أصلا، شعر بالدوار، وبألم خطير فى رأسه ثم سقط أرضاً مغشيا عليه، وهرعت هدى إلى أبيها سريعا تحاول تطبيبه، بينما الأم تصدر بعض عبارات التشفى، ومنى لم تحـــرك ســـاكنا وكأنهـــا تعلن بأن هكذا هو جزاء من يتطاول عليها، وأسرع سعيد يستدعى له طبيـــبا، وهـــو يتعجب من سلوكيات زوجته التى كان يظنها وديعة، وقفزت إلى ذاكرته كلمات أخـــيه عنها من أنه كان يظنها وديعة مؤدبة، وما دامت قد أظهرت الجوانب الخفية من أخلاقها وطبيعـــتها، فهـــى تماما كما هى أمها مستفزة مسيطرة تدفع إلى الشر، بينما هدى على العكس تمامـــا، ربما ورثت أخلاق أبيها، هذه المنى لا تصلح أن تكون زوجة، ولا بد أن يتخلص منها، والحمـــد لله أنـــه لـــم يرزق منها بأطفال وكأنما رحمة الله به أن حرمه من هذه النعمة قبل أن تتكشـــف لـــه حقـــيقة أخلاقها، وتذكر كلمات أخيه عن اختيار الزوجة والتى استنبطها من قول عثمان بن أبى العاص من أن العرق السوء قلما ينجب، وتأكد له أنها عرق سوء.

ومـــا زاد الطين بله وأجج عزيمته على طلاقها وبأسرع ما يمكن، ما حدث والأب ممدد فى انتظار الطبيب ولا أحد من أهل بيته إلى جواره سوى ابنته هدى، بينما عمدت الأم ومنى إلى الخلوص نجياً لرسم الخطة التى يستطيعون بها تمكين سعيد من استرداد ما ظنوه حقا له فى أموال أخيه، حيث مازال الشك يساورهما فى شأن تركة الخوجة والده، قالت الوالدة:

- " حسنا فعل مصطفى أن خلفته كلها بنات.. "

واستوضحتها منى، فأضافت الأم:

- " لأن سعيد يستطيع أن يرث شرعا نسبة من أموال أخيه قد تصل إلى الثلث "

وتساءلت منى:

- "وماذا لو رزق بولد من صفية "

فأجابت الأم بأنه يحجب عن سعيد أن يرث أخاه، وبدأت الاثنتان فى رسم خطة للتخلص من الجنين الذى تحمله صفيه والذى يطلق عليه مصطفى اسم والده محسن، فتساءلت الأم:

■ " كيف يمكن التخلص من الجنين؟ "

واقترحت منى عدة اقتراحات رفضتها الأم جميعها انطلاقا من أن تنفيذها يستلزم وجود منى بفيلا الخوجة وقد طردها مصطفى منها، وصمتت الأصوات، إلا أن منى اقترحت اقتراحا إجراميا خطيرا، استفز سعيد فترك الفيلا هاربا بجلده ولم ينس أن يبلغ صاحبة العقل الإجرامى بطلاقه لها، وهو يلعن اليوم الذى تحرك فيه قلبه بحبها.

وما كاد سعيد يغادر الفيلا حتى صدمته سيارة مسرعة وولى السائق هاربا، فأسرع بواب الفيلا إلى منى ووالدتها يستحثهما المبادرة لإسعافه أو طلب النجدة له، ولما لم يجد منهما استجابة، سارع بنقله إلى فيلا الخوجة، حيث سارعت سهير هانم بالصعود إلى التاكسى الذى قدم فيه سعيد مع البواب، وأوصت صفيه التى لا تستطيع أن تغادر البيت دون إذن مسبق من زوجها، بمخاطبة مصطفى وإبلاغه بما حدث وحددت لها المستشفى الذى ستنقل سعيداً إليها.

ما أن علم مصطفى بإصابة أخيه، حتى هرع سريعا إلى المستشفى حيث حاولت سهير هانم أن تستعطف قلبه على أخيه لكنه رفض انطلاقا من أمور كثيرة أهمها أنه كذب عليه، وهذا معناه أن أخلاقياته كلها انحرفت، ولن يقبل به أخا إلا إذا أصلح نفسه، وكان سعيد قد استعاد وعيه بعد أن قام الأطباء فى المستشفى بإجراء العلاج اللازم، وتصادف أن مر موكب شكرى وعائلته يدفعونه بالنقالة المتحركة، وشاهد سعيد منى، فأعلنها مرة أخرى بأنها طالق وأن ورقتها ستصلها بأسرع ما يمكن، وقد تعمد ذلك فى حضور مصطفى عله يصفح عنه ويعلم أن زوجته هى أساس الفساد، وطلب من أخيه أن يحضر مأذونا إلى المستشفى ليطلقها رسميا، لكن مصطفى لم يعر الأمر أى اهتمام، فتعهدت سهير هانم بأنها ستتولى الموضوع، ولم تنس أن توجه نظرات عتاب إلى مصطفى، الذى أعلن بأنه سيتولى محاسبة المستشفى، وأنه سوف يستأجر شقة مفروشة باسم سعيد إلى أن يتخذ ما يراه مناسبا لسكنه، ثم ذكره بأن لا ينسى أن يضيف كل هذه المصاريف إلى قائمة المبالغ المستحقة عليه، لكن سهير هانم أعلنت مصطفى بأنها سوف تستضيف أخاه سعيداً عندها إلى أن يتدبر أمره، وأيضا لم يبد مصطفى أى تعليق وكأن الأمر لا يعنيه، فقالت له سهير هانم:

■ " لا داعى لسداد فاتورة العلاج، فسوف أتولى أنا ذلك .. "



وتعجـــب مصطفى من موقف سهير هانم، بينما تمادت هى، وطلبت من المحمول الذى معهـــا رقما هاتفيا، واستعجلته الحضور إلى المستشفى، وتلكأ مصطفى متعمدا ليرى من هذا الذى طلبت منه السيدة الحضور فورا، وإذا بشيخ وقور يحضر ومعه مساعده يحمل سجلاته، وما أن رأى سهير هانم، حتى بادرها:

" زواج أم طلاق.. "

فقالت السيدة بنعومة أيام الصبا:

■ " بل طلاق يا سيدنا "

فـــارتعدت فـــرائص الشيخ، وهو يحملق فى الشاب الملقى على فراش المرض، ثم زام مســـتبعدا فكرة أن تكون قد ارتبطت برجل مريض، فنظر إلى مصطفى، إلا أن السيدة جرته مـــن معطفه، ونادت على الممرضة وهمست فى أذنها ببعض العبارات، ذهبت الممرضة من فورهـــا وأحضرت منى معها، وما أن رآها سعيد وفى حضور الشيخ الذى خمن بأنه مأذون اســـتدعته ســـهير ليـــتم الإجراءات القانونية للطلاق، حتى بادرها بيمين الطلاق وطلب من المأذون إصدار القسيمة فورا، لكن المأذون من الواجب عليه أن يلقى كلمته التى يوضح فيها الأبعاد الدينية والقانونية لهذا اليمين، بينما منى كانت تتصور أنه سيعيدها إلى عصمته، لكنها مـــا أن ســـمعت اليميـــن مرة أخرى حتى انهارت وسقطت مغشيا عليها، فحملتها الممرضة وأعادتها إلى غرفة والدها حيث سارعت الأم لتكيل لمن تسبب فى ذلك من العبارات الجارحة ما أفاق شكرى، فنهض من رقدته سريعا وجرها من شعرها أمام الجميع وأوسعها ضربا مرة أخـــرى ثم انهار متهالكا فتداركه الأطباء الذين لم يتركوا أسرته دون توجيه نظرهم إلى عدم إثارته أو القيام بتصرفات تجعله عصبيا، ونبهوا عليهن أن أى انفعال قد يؤدى إلى نزيف فى المـــخ لا يعلـــم إلا الله مدى نتائجه، فلامت هدى والدتها على ما قامت به من تصرفات بينما منى مازالت فى غيبوبتها المصطنعة، حيث أنها أفاقت منها مذعورة عندما هم الأطباء بحقنها بترياق منشط، لأنها تخاف الحـــقن.

اصـــطحب مصـــطفى سهير هانم إلى خارج غرفة سعيد وسألها عن مغزى تصرفاتها، فقالت له:

- " لا تصل قسوتك باخيك إلى هذا المدى، أنا أعلم جيدا أنك تتألم، لكن العقاب لا يصل إلى هذا الحد.."

فقال مصطفى:

- " أريده أن يعرف حدوده، ولا أريده كاذبا، فانت تعلمين أن الكذب أحد صفات المنافقين "

فنادى سعيد مصطفى قبل أن يكمل عبارته:

والعجيب أن مصطفى ترك سهير هانم سريعا ملبيا نداء سعيد الذى قال له:

- " لقد طلقت منى، لكنى لا أعرف العواقب، أرجو أن تنتبه جيدا لزوجتك، حيث أنها وأمها تدبران لها أمرا خطيرا قبل أن تلد لك محسن.. "

فانطلق مصطفى سريعا إلى غرفة شكرى، وبعد أن سأله للاطمئنان، بادره:

- " أرجو يا شكرى بك ألا تضطرنى إلى اتخاذ إجراء يتناسب مع المؤامرات التى تحيكها زوجتك وابنتك ضدى أنا وأهل بيتى وأولادى.."

فهز الرجل رأسه ونظر إلى زوجته وابنته منى وقال لهما:

- " نحن لسنا فى مثل قدرات مصطفى، وليس فى وسعنا تحمل تهديداته، والأفضل الابتعاد عن هذه العائلة كلية، هو أو أخوه أو زوجته أو أى من بناته..."

ونظر إليهما نظرة قاسية ليؤكد على كل كلمة قالها حتى رأى كل منهما وهى تهز رأسها بالموافقة على أوامره.



١٣ـ تصفية حسابات

فوجـئ شـكرى بمن ينتزعه من السرير انتزاعا، وحاول أن يستجمع أفكاره، أين هو؟ ومـن هؤلاء الذين يقلقون راحته، وتذكر.. إنه فى المستشفى على أثر ارتفاع حاد فى ضغط الـدم كـاد أن يؤدى إلى انفجار فى المخ، وما هكذا يعامل مريض فى مستشفى محترم، فمن يكون هذا الشقى؟ وجاءه صوت كأنه من أعماق بحر أو من كوكب آخر غير كوكب الأرض:

■ " أين ابنتك المدعوة منى...؟"

وأجـاب الـرجل بعصـبية غير الراغب فى سماع ذلك الاسم ويده على الجرس يطلب النجدة.. الممرضة أو أمن المستشفى.. :

■ " لا أدرى.. وإن كنت أدرى فلن أدلكم على مكانها، قل لى أولا من أنت؟ وكيف اقتحمت على خلوتى وهدوئى فى مرضى؟"

وأجابه الصوت الذى تخفى فى حلة سوداء واعتمر قبعة تفنن فى أن تخفى نصف وجهه الأعلي، فلا يمكن استيضاح ملامحه:

■ " أنا الذى سوف أعصرها بيدى الاثنتين إن لم ترد إلينا أموالنا.. "

وقال شكرى وقد تحشرج صوته عندما وجد النجدة قد تأخرت:

■ " أموال إيه أيها المخبول.. هل منى أخذت منك أموالا..؟ "

فجاءه رد الصوت وكأنه فحيح ثعبان:

■ " دعك من هذا التذاكى.. فلن نترككم حتى نستخلص منكم أموالنا، قل لى أين هى الآن، لقد سألنا عنها فى منزلكم فدلونا على المستشفى فهل من مكان آخر يمكنها الاختفاء فيه بعيدا عنا..؟ "

ولاحـظ الصوت أن شكرى يضغط الجرس، فانتزعه منه بغلظة، وقطع الأسلاك ثم قال له باستخفاف:

▪ "من تطلب نجدتهم فى حاجة لمن ينجدهم.."

وظـن فـى بادئ الأمر أن مصطفى هو الذى أرسلهما لكى يثبت له قدراته التى توعده بها، لكنه يعرف جيدا أن مصطفى ليس من ذلك النوع الذى يستخلص حقه بمثل هذه الطريقة، فتأكد له أنه أمام الجحيم الذى حذرهم منه مصطفى، إنهم أناس لا تجدى معهم الرحمة، حقيقة أنه حانق على ابنته منى لتدبيرها المؤامرات مع أمها وأشركت زوجها فيها، لكنه لا يمكنه أن يقدمها إليهم مهما كلفه الأمر، لكن الصوت بدأ الضغط على أجزاء معينة من جسده مما جعله يشـعر مع كل ضغطة بآلام مبرحة، يتمنى أن ينتهى منها بأى ثمن، وجاءه هاتفه الذى ينقذه دائمـا مـن كـل مشكلاته، لقد ارتكبت منى مجموعة من الأخطاء فلتتحمل هى النتيجة التى حذرها منها مصطفى، وهم أن يدلهم على مكان ربما تكون منى فيه، لكنه فوجئ بمنى تقتحم الغرفة يحيط بها مجموعة من رجال أمن المستشفى الذين يبدو عليهم مظاهر الإعياء نتيجة ما تلقـوه مـن ضربات موجعة، وآثار الحبال التى كانت تربطهم واضحة للعيان، وجهت منى بعـض الكلمـات الـنارية للعنصرين الذين لم يبديا أى تخوف بل على النقيض من ذلك نفخ أحدهما فى الهواء ناحية رجال الأمن الذين أحضرتهم منى معها فتفرقوا وابتعدوا وبقيت منى التى حاولت أن تريهم بعض جرأتها.

فوقفت وقفة الاستعداد لمقاتلتهما، ظنا منها أن ما تعلمته من فنون الكاراتيه قد يكون لها نتائجها فى أول اختبار حقيقى لتطبيق التمرينات التى مارستها من قبل، لكنها فوجئت بأحدهما وهو يقطع عليها نشوة الصيحات التى يطلقونها لتخويف العدو فأمسكها من يديها ورفعها عاليا ثـم تركها لتهوى وتتهشم عظامها على الأرض، بينما رجال الأمن الذين أمدتهم شجاعة منى ببعض القوة، وتحرك بعضهم ليثبت رباطة جأشه، ما أن رأوا ما حدث لبطلتهم حتى انسحبوا سريعا، وحاول أحدهم أن يستخدم وسائل الاتصال بالشرطة فانتزعها أحد العنصرين وهشمها بينما وقف الآخر يدعو منى للنهوض وإكمال ما بدأته، وعندما وجدها لا تستجيب انتزعها من الأرض نـزعا ، واعتصر ذراعها خلف ظهرها حتى تستجيب لأوامرهما الخاصة بضرورة تسـليمهما المـال الذى سبق أن استولت عليه من الشركة التى يمثلونها، وكلما هزت رأسها رفضا، اشتد الضغط على ذراعها فتتلوى من الألم، والأب المريض المسكين العاجز لا يملك

إلا أن يحـثها على تنفيذ ما يطلبونه، ولكى يظهر العنصران سعادتهما بتصرفات الأب، ربت أحدهمـا علـى ظهـره وكأنه يقول له " برافو "ولما سمع العنصران وقع أقدام تدل على أن القادميـن عددهم كثير، وربما يكون من بينهم عناصر شرطة، لمس أحدهم رقبة منى فإذا بها تفقـد الوعى، وبسرعة غير معهودة أمر الآخر رجال الأمن الذين أذهلتهم المفاجأة فضلا عن الخوف الذى سيطر عليهم فجعلهم عاجزين حتى عن الفرار بإحضار نقالة متـحركة، وضعا مـنى عليها وأمر أحد رجال الأمن بتحريكها خارج المستشفى بينما اختفى الآخر ليظهر بعد قليل بملابس الهيئة الطبية للمستشفى حيث سارع الأخر بالاختفاء والعودة مرتديا نفس نوعية الملابـس، وتجاوزوا كوكبة الأطباء والممرضين الذين كانوا لا يعلمون شيئا عنهما، ونهض شـكرى مهرولا خلف ابنته دون أن يتمكن من خلع كل ما قاموا بتثبيته به من أسلاك لقياس الضغط والتنفس والنبض وخلافه، والعجيب أن كوكبة الأطباء والممرضين لم يلتفت أى منهم لهرولـته علـى هذا النحو ربما كان هناك ما هو أهم، وعندما لم يجد منهم اهتماما بهرولته أسـرع الـرجل ليلحق بابنته وهو يعلم تماما أنه لن يتمكن من إنقاذها، ولكنه لا يملك إلا أن يفعـل ذلـك على الأقل للتعرف على ما سيفعلونه بها، وما أن وصلت المجموعة إلى سيارة الإسعاف التى تخفوا بالحضور بها، ووضعوا منى داخلها وهم السائق بالتحرك ، حتى فوجئوا بالشـرطة تحيط بسيارة الإسعاف، وتصدر أوامرها للعنصرين والسائق بالخروج من السيارة ووضـع أيديهم فوق رؤوسهم، ثم قاموا بتفتيشهم بدقة ليستخرجوا السلاح الذى أتقنوا إخفاءه، لكنهم أخبروا الشرطة باتهامهم لمنى:

- " إنها استولت على أموال إحدى الشركات الأجنبية بالدولار بطريق الغش، وعليها أن تعيدها إلى الشركة فورا، وإلا فإن الشركة سوف ترسل عناصر أخرى ربما أكثر شراسة منا، وربما إذا لم نفيدهم بحصولنا على أموالهم الآن فسوف يرسلون من يقتلها ويقتلنا نحن أيضا، إنهم لا يعرفون الرحمة أمام المال، فنرجوكم أن تجبروا هذه السيدة على تسليم الأموال لنا الآن لنرفع عنا وعنها هذا البلاء ."

وصل شكرى والد منى وهو على حاله من الأسلاك التى كانت موصلة بجسده، وتساءل بلهفـة عن ابنته ووصلته كلمات العنصرين عن قتلها إذا لم ترد للشركة الأموال التى أخذتها

بـــدون وجه حق، وحاولت الشرطة مع منى بعد أن تم حل وثاقها، لكنها رفضت فى البداية، ولمـــا لم تجد بداً أمام أسئلة الشرطة، طلبت الذهاب إلى البنك، وتم سحب المبلغ، وتم تسليمه للعنصـــرين، وقـــبل أن يذهـــب الجمـــيع، فوجئوا بمصطفى يدخل وينتزع الأموال من أيدى العنصرين، ويقول:

- " هذه الأموال ليست من حق الشركة فقد كانت ثمنا لحجارة تم تسليمها لهم، ومن ثم فلا يحق للشركة المطالبة برد الثمن لأن الحجارة ما زالت عندهم، ولكى يستردوا الثمن عليهم أن يعيدوا الحجارة.."

فتساءل ضابط التحقيق:

- " ومن هو صاحب الحق فى هذه الأموال.. هل هى مدام منى؟"

فـــنظر مصطفى إلى الضابط ليعلنه بأنه هو الذى تقدم بالبلاغ لأنه هو صاحب الحق فى هذه الأموال وكذلك فى الأموال التى سبق لهذين العنصرين الحصول عليها من الآخرين، لأنه لـــيس مـــن حقهم الحصول عليها، وعاتب مصطفى الشرطة على اهتمامهم بمنع مصرى من الخروج بنبتة البروتين من المطار بينما آلاف النباتات تخرج مع الأجانب دون حساب، فنظر الضابط مستفسرا، فقال مصطفى:

- " هذه الأحجار عزيزى الضابط هى أحجار البروتين التى دوت فى العالم شهرتها، وتتصارع أكثر من دولة للحصول عليها، واعتراض الشركة على الصفقة أن الحجارة لم تنبت، ذلك أن الخبراء الوحيدين لزراعة هذه الحجارة عندى، ولا يمكن لأحد فى العالم أن يتولى هذه الحجارة حتى الإنبات سوانا."

وفوجـــئ الضـــابط بأحد العنصرين ذو الوجه الأجنبى وهو يحاول الاتصال من محمول معـــه، ثـــم يـــتجه إلى مصطفى للتفاوض معه على استزراع هذه الحجارة، لكن مصطفى لم يتفاوض فى أتعاب الزراعة وإنما بدأ التفاوض على السعر المناسب للحجارة، ومرة أخرى تم الاتصـــال وحصـــل العنصر على الموافقة على المفاوضة، وطلب مصطفى عشرة أضعاف الأمـــوال التى سبق لمنى ورفقاء الرحلة الحصول عليها، والعجيب أن الشركة وافقت، ثم بدأ مصـــطفى فى التفاوض على الاستزراع، وتمت الموافقة على إيفاد مدير لكل مشروع وثلاثة

خـــبراء ومائة مساعد خبير، وذلك بالنظر إلى أن المساحة التى يتم زراعة الحجارة بها تقدر بمائـــة هكتار، والأتعاب مائة ألف دولار شهريا للمدير الذى هو مصطفى، وخمسة وسبعون ألفا للخبير وخمسون ألفا للمساعد، بخلاف تذاكر السفر درجة أولى، والإقامة الكاملة فى فندق خمس نجوم، وتحمل الشركة بالمكالمات الهاتفية، والمدة سنة كاملة، ووافقت الشركة على كل شـــروط مصــــطفى التى نقلها العنصر إليهم، فطلب مصطفى إرسال فاكس بالموافقة، وتعهد بإرســـال البـــيانات الخاصة بالمدير والخبراء ومساعديهم خلال أسبوع من وصول الموافقة الخطية، ثم نظر مصطفى إلى النوت بوك الذى كان يسجل كل ما يحدث وقال:

- " استعدى يا مايسه للحضور فورا ورتبى الأمر مع جدتك للبقاء مع مريم ومها.."

وتعجـــب الجمـــيع، كـــيف له أن يصدر الأوامر لمن ليست موجودة معهم، وعلى وجه الخصوص منى وشكرى والدها الذين تحقق لهما أنهم يتعاملون مع الجن نفسه، أصر الضابط علـــي تحريـــر محضر بالوقائع، وتحرر المحضر، وتم إثبات تنازل مصطفى عن اتهام منى بالحصـــول على أموال تخصه من الشركة الأجنبية، وتنازلت منى وشكرى والدها عن اتهام العنصـــرين بالـــتعرض لهما وانتهى المولد بحسرة منى على فقدانها الذخيرة التى ظنت أنها سوف تحميها وزوجها من غدر الزمان، ففقدتها وقبلها فقدت زوجها، وأثناء المغادرة، لمحت مـــنى وجه زوجها السابق سعيدً الذى لم يعرها أى اهتمام، وكأن حضوره لم يكن إلا للتشفى، بيـــنما كانت حسرة عمال شركة مصطفى الخوجة الذين سبق أن حاصروه فى مبنى الشركة بـــناء علـــى إيعاز من موظف الشئون الإدارية الطالب الفاشل بكلية الحقوق، وذلك نتيجة ما أخبرهم به زملاؤهم من أرباب المعاشات الذين تم اختيارهم للسفر إلى الخارج لتنفيذ العقد مع الشـــركة الأجنبـــية برواتـــب تفوق الخيال وبالدولار، بينما أى من الشباب يبحث عن شركة تنظيف أو حراسة ليدفع لها مبلغا من المال يفوق القدرات، كى يسافر إلى إحدى دول البترول بالخلـــيج العربى بدون عمل حقيقى، فيذوق الويلات حتى يحصل على عمل حارس عمارة أو مـــرمطون فـــى مطعم أو ربما عامل نظافة مع إحدى الشركات الكثيرة والمتعددة التى يتعثر معظمهـــا عن عمد لكى لا يدفعون أجور هؤلاء العمال، وربما يسعده الحظ فيعمل مع إحدى شركات الحراسة الكثيرة والمتعددة والتى تتعامل مع العاملين بها بنفس أسلوب تعامل شركات النظافة، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

١٤ـ نبتة البروتين

بعد عودته من حرب العصابات التى كان من الممكن أن تضيع منى ضحية لها، وربما بعض أفراد عائلتها معها، ولولا أن أحد رفقاء الرحلة أبلغ مصطفى بما حدث معه ومع باقى الــرفقاء، فأصبح من المؤكد أنه سيحدث مع أخيه سعيد ثم منى زوجته التى طلقها منذ قليل، فأســرع يحذر أخاه حيث بقى معه فى المستشفى إلى أن حضر العنصران المذكوران، فوقف مصــطفى لهما محذراً من أى تصرف قد يقدمان عليه فيندمان ما بقى لهما من عمر، هذا إن بقى.. وقال لهما:

- **" أنتم تريدون المبالغ التى أخذها سعيد.. لقد أعطاها لزوجته فاودعتها فى حسابها بالبنك، اذهبا إليها فهى التى معها المال، لكنكم لن تنعموا به فإن البوليس فى طريقه إليكم.. "**

ومــا أن انصـــرفا بعد أن حدد لهما مصطفى أين يمكن أن يجدا منى، حتى وضع خطة لتخلــيص مــنى من هذه العصابة والحصول على الأموال التى أخذها العنصران من رفقاء الــرحلة ومن منى فهى من حقه هو وليس لأى فرد آخر الحق فيها، وكان ما كان، وبعد أن عاد إلى منزله والابتسامة تعلو ملامح وجهه مما حدا بصفيه لسؤاله عن سر السعادة الغامرة التى جاءت بعد يومين من المعاناة، فقال:

- **" أتعلمين ما هو سبب طردى لسعيد وزوجته من الفيلا؟ لقد اتفقا مع رفقاء الرحلة وسرقوا ما تبقى من حجارة بروتين عندى، وباعوها للشركات التى أرسلت الفاكسات تطلب شراءها، ولذلك كان عدم اهتمامهم بالرد عليك عندما طلبت منك الاتصال بهم، وعندما واجهتها تبجحت منى بشىء من قلة الذوق والأخلاق، وكان لابد لها أن تتأدب، فقام سعيد بتطليقها بعد أن اكتشف كم الإجرام الذى تحتوى عليه نفسها، لدرجة أنها كانت تخطط مع أمها لقتلك حتى لا تلدين مولوداً ذكراً يحرم سعيد من أن يرثنى، باعتبار أن خلفتى كلها بنات، وطبعاً لم يكن لك ولا لوالدتى اعتبار فى هذه التركة، ربما كانوا يخططون لقتل الوالدة أيضاً، ثم ماذا بعد؟ لابد وأنهم كانوا يخططون لقتل سعيد بعد أن تؤول إليه التركة، حتى تنتقل ملكيتها للست منى ببضة مقشرة.. "**



فقاطعته صفيه متسائلة:

- " وكيف حصلت على أموالك منهم جميعاً..؟ "

فأجابها ببسمة انتصار:

- " اتفقت مع الضابط علي، وقمنا برسم خطة، بحيث لا أحصل على هذه الأموال إلا بعد تسليمها لعنصري العصابة، حتى لا يتصور أي منهم أنني حصلت على الأموال منهم فيحاول مضايقتي بعد أن يتركنا البوليس، حتى مني، ولكي أثبت لهم جميعاً مدى قصور مداركهم، فقد طالبت بمضاعفة السعر عشر أضعاف وقد رضخت الشركة لطلباتي، فاخذت من العنصرين التي أرسلتهم تلك الشركات المبالغ التي حصلوا عليها من رفقاء الرحلة ومن مني، على أن يتم إبرام عقد مع تلك الشركات بالمبالغ والشروط كاملة فيما بعد، وقد تركت لهم فرصة من الوقت لإعداد تلك العقود، تنتهي باكر، لكنني كنت أود أن تشاهدي مني وعنصري العصابة يسلمانني المبالغ التي قامت بسحبها من حسابها بالبنك، لقد احمر وجهها وظهرت عليه بقع أكثر احمراراً وكأنها دمامل، وبدا عليها علامات ضغط الدم المرتفع.. "

فباغتته صفيه:

- " ولهذا أنت سعيد !! "

فقال لها:

- " ليست سعادة ما ترينها، ولكنه نوع من الشكر لله سبحانه وتعالى أن الحق يعود لأصحابه إن لم يكن رضاء فقصراً رغم ما أظهرته من سماحة.. "

وفجـأة تذكـر ما حدث معه عند خروجه من المطار ومن ثم تذكر نبتة البروتين التي تـركها فـي عهدة رجال الحجر الزراعي قبل السفر إلى اليابان، وبمجرد الانتهاء من تناوله لطعـام الغداء، أسرع يفتش عن الإيصال، ولما وجدته صفيه وقد احمر وجهه غضبا بعد أن طـال بحثه دون طائل.. سألته، ثم أخرجته له من حقيبة يدها التي كانت معها أثناء الخروج من الدائرة الجمركية بسهولة ويسر لم يكن يتوقعهما، فشكر لها ذاكرتها القوية، لكنها أسهبت

فـــى شـــرح أهمية أن يتم وضع الأشياء المهمة وعلى وجه الخصوص المستندات فى أماكن محـــددة يسهل تذكرها ومن ثم الوصول إليها، شكر لها نصيحتها القيمة، وترك معها الإيصال على أن تسلمه له فى اليوم التالى صباحا، وذهب يكمل باقى برنامجه اليومى.

مـــع إشراقة صباح اليوم التالى، سارع مصطفى بالذهاب إلى الحجر الزراعى بالمطار، وقابلـــته أولى المفاجآت، المهندس الذى أوكل إليه أمر النبتة.. مات، أصمتته الدهشة للحظات ثم تساءل:

- " ألم يعهد بها إلى أحد غيره بعد وفاته؟ "

وكانت الإجابة مما يغيظ:

- " الحقيقة أنه لم يتسن لنا ذلك.. لأن الوفاة كانت مفاجأة لم يتوقعها أحد، فالفقيد لم يتجاوز الأربعين.. "

وهـــل يجب على الموت أن يرسل إشعارا بقرب الأجل، أم كان من الأجدر أن يصلهم قـــرار بموعد موته، أو تقدم مذكرة ولابد أن تتمغ أو تعتمد من سلسلة المسئولين والإجراءات الإدارية التى أوصلتنا إلى الحالة التى نحن فيها الآن، ضرب كفا بكف عسى أن يتفهم السادة المسئولون مقدار المصيبة التى ألمت به، لكنه فوجئ بهم وقد انصرفوا كل إلى شأن ربما فيما ليس له شأن بالعمل الحقيقى المكلف به، إذاً.. هذه هى نهاية هذا الكشف الذى تتصارع عليه الـــدول وتـــتدخل فى بعض أنشطته العصابات، وسأل عن المدير، فأشاروا إلى مكتبه، مكتب فخـــم تمـــلأ أركانه نباتات الظل والزهور على الطاولات وجهازى تكييف جعلا الغرفة كأنها فـــوق جبال الهملايا، والعمر لا يتجاوز الأربعين، قص عليه القصة منذ المنع وحتى وفاة من كلف بالنبتة، كان المدير يستمع لحكايته بعدم اكتراث، وهو يداعب مجموعة من الأوراق التى ليســـت لها أية أهمية، وكأنما هو منغمس فى العمل وليس لديه وقت لهذه التفاهات، مما زاد حـــنق مصطفى الذى تعود أن يهتم هو بكل من يحادثه ولا يقبل من أحد مهما كان منصبه أن يـــتغافل عـــن وجوده ، بدأ يهدد بالذهاب إلى أعلى سلطة فى البلاد، لم يهتم المسئول، فطالبه بكـــتاب يـــرد به على الإيصال الذى معه، فطالبه بالإيصال، وما أن أصبح فى يده حتى بادر



بتمزيقه، وقال:

- " ماذا لك عندنا أيها البطل الهمام؟ "

ثم سأل لفيف المهندسين الذين تجمعوا على صراخه:

- " هل شاهدتم هذا المواطن قبل هذه اللحظة، وماذا فعل عندما دخل مكتبى؟"

تدارك مصطفى الموقف، هؤلاء أهم عناصر الفساد فى البلد، ولابد لأحد أن يوقفهم عند حدهــم، ولــن يفعل ذلك إلا رجل ليست له مصالح عندهم أو عند غيرهم، رجل لا يهمه إلا تحقيق العدل وأن يأخذ كل حقه شريطة أن يؤدى ما عليه، رجل لا تهمه عبارة وراء الشمس الــتى كانت تسمع من كل من هب ودب منذ ما قبل الهزيمة وحتى نهاية الستينات، رجل لا يهمـــه أن يحرم من حريته فى سبيل تخليص الوطن من أمثال هؤلاء، وخرج وهو يتوعدهم بضرورة رفع الأمر إلى الرجل الوحيد الذى عينه الشعب رئيسا للجمهورية، وهو الذى عين مــن عيــن هؤلاء فى هذه المراكز وغيرها، هو كمواطن ليست له علاقة بهؤلاء الموظفين المنحرفيــن، علاقــته برئــيس الجمهورية فقط، وعلا صوته بالتهديد برفع الأمر إلى رئيس الجمهوريـــة، ولحق به أحد المهندسين بإيعاز من الرئيس الفاسد سريعا، وحاول أن يعيد إليه هــدوءه، إلا أن تهديداته مازالت بالصوت العالى جداً حتى يسمعه ذلك المسئول الذى سرت رجفــة الرعــب فــى أوصاله هو وجميع من معه، والعجيب أن المسئول أرسل من يصور صـــراخه هذا بالفيديـــو " صوت وصوره " كما لو كان يقول له "اضرب دماغك فى الحائط" وازدادت ثورته وهم بأن يمسك بالمصور ويكسر الكاميرا، إلا أن المهندس الذى حاول تهدئته أسر فى أذنه مخلصا:

- " هـذا مـا يتمـناه ذلـك المغرور.. إنه قريب أحد المسئولين الكبار، ويظن أنه فوق الشبهات وأنه فى معقل من المساءلة، وأنت تعطيه فرصته الذهبية بانفعالك هذا.. لا تضيع عليك حقك، إن كنت تسعى حقا للنيل منه."

سأله سؤالا مباغتا:

■ " هل لديك استعداد أن تشهد معى؟

تلجلج المهندس وسأله سؤالا آخر أكثر صراحة:

■ " هل تريد المشاكل.. أم تريد النبتة؟"

وعندما سمع مصطفى كلمة النبتة تشبث به وقال:

■ " دلنى عليها ولك ما تريد.. لكن هذا المغرور لا بد وأن يقف عند حده ولن أتركه "

فهز المهندس رأسه عجبا وهو يقول:

■ " دعه للخالق، فيكفى أن الله سلبه السعادة والصحة، لا يغرنك مظهره إنه يعانى من جميع الأمراض التى قد تخطر أو لا تخطر على بالك، ومشاكله العائلية يفرد لها كتب.."

فسأله إن كان يعرف مكان النبتة فقال:

■ " أنا المهندس أسطفانوس، ونختصرها إلى أسطفان، الحقيقة إن المهندس " عاطف " رحمه الله كان قد اصطحبنى إلى المكان الذى غرس فيه النبتة منذ أكثر من ثلاثة أو أربعة أشهر، ومنذ ذلك الوقت لم يذهب، لا هو ولا أنا، لكننى أعرف مكانها وسوف أصحبك إليه باكر إن شاء الله العاشرة صباحا حيث أن ورديتى مسائية، إن كان هذا الموعد يناسبك "

فسأله مصطفى بلهفة :

■ "تمر على أم أحضر لآخذك "

فقال له:

■ " سوف نحدد ذلك ونحن فى الطريق.. ألن توصلنى؟ لقد منحنى هذا المغرور الإذن بالانصراف إذا استطعت تهدئتك، وأعتقد أننى نجحت.."

فقال مصطفى:

- " بلى.. سوف أوصلك... أين يقع منزلك؟ "

فرد عليه المهندس متأسفا:

- " لا.. منزل إيه يا مصطفى بك !! إنه فى أدغال المناطق العشوائية.. يكفينى مكان قريب من المواصلات.. أقصد الميكروباصات التى توصل إليه.. وأكون شاكرا لك كثيرا "

لكــن مصطفى أعجب بالمهندس وشهامته وصمم على توصيله إلى منزله حتى ولو كان فى بلاد الواق واق، فقدم المهندس الكثير والكثير جدا من الاعتذارات سلفا مما قد يواجهه من عقبات وموانع وطرقات كلها مطبات وهضاب وقنوات جافة، وكأنك تشاهد مسلسل فواجع أو مــآسٍ مــن النوع الثقيل جدا، ووافق مصطفى على استعداده لتحمل كل ما قاله المهندس من متاعب فقال المهندس وهو يتنهد:

- " توكلنا على الله، وأرجو أن يقدرنى الله على تحمل امتعاضاتك أثناء القيادة دون أن أتجشم ترديد عبارات الأسف "

لــم يكــن مصــطفى يتصور أن هناك بشراً يعيشون فى منطقة مثلما هى تلك المنطقة العشوائية التى يقطنها هذا المهندس، وأول ما لاحظه أنها أنشئت على أراض كانت زراعية، فتعجــب !!كــيف لنا أن نبنى على الأراضى الزراعية ونستصلح الصحراء؟ والسؤال الأكثر غــرابة هــو، كــيف يتم البناء على الأراضى الزراعية وهناك قانون يجرم هذا العمل؟ لكن المهــندس هــز رأسه بما لا يفهم قصده، هل هو موافق على تساؤلات مصطفى أم معترض علــيها؟ لكــن الإعلان السلبى عن رأيه بهذا الأسلوب أغاظ مصطفى، هل كتب علينا السلبية حــتى فــيما يــتعلق بالأمور المعيشية والمحافظة على حياتنا؟ تآكل المساحة الخصبة معناه تناقص فى الإنتاج الزراعى الذى يعتبر حصن الأمان من أهوال الجوع إن لم تكن المجاعات، ومما يزيد من اعتمادنا على الاستيراد، وزيادة اعتمادنا على الاستيراد معناه زيادة حاجتنا إلى العملات الأجنبية وهذا يؤدى إلى ضعف قوة الجنيه المصرى الذى هو رمز القوة الاقتصادية للمواطن المصرى.



أفضى بهذه العبارات بالشكل الذى لا يشعر المهندس بأنه يخاطبه أو يأخذ رأيه، وتفهم المهندس الموقف، هذا الرجل ليس مدسوسا من الحكومة، وربما لا يهدف إلى الإضرار به، وبدأ يفتح له قلبه، ويسايره فى مناقشة همومه التى هى فى الغالب هموم معظم أبناء الوطن، والتى تتركز أغلبها فى احتكار الرئاسات بالقرارات دون إشراك المنفذين، مما يفقد هذه القرارات فعالياتها، فيقوم المنفذون بالتنفيذ دون تفكير، ربما ودون محاولة للتبصر فى أهمية هذه القرارات أو تأثيرها على العمل أو على المواطنين أو حتى على الوطن، وإذا اعترض أحدهم سفه رأيه أو تم نهره بكلمات هو فى غنى عن سماعها، وربما ناله بعض العقاب أقله عدم إدراج اسمه فى كشوف الحوافز التى ينتظرها الموظفون بفارغ الصبر، وعندما يرى باقى الموظفين ما حل بزميلهم، يرتدعون عن المناقشة فى أى قرار أو تعليمات مكتوبة أو غير مكتوبة، وما أكثر التعليمات غير المكتوبة والتى إذا ما كان نتيجتها تحقيق أو عقاب، يتحمله الموظف الذى قام بالتنفيذ ولا يمس المسئول أى عقاب وكأنما هم معصومون من الخطأ أو أنهم فوق أن ينالهم ضرر مما يفعلونه، وانتقل مصطفى إلى الظاهرة الأكثر غرابة، وهى تسرب مياه الصرف الصحى فى الطرقات الطينية حتى أصبحت القاعدة هى الطين والروائح الكريهة والذباب والناموس، وبرر المهندس ذلك بأنهم ببساطة تعودوا عليها، وتساءل مصطفى كيف يتم السماح بالبناء ومد الكهرباء والمياه دون تدبير أبسط وسائل المحافظة على البيئة ومن ثم أرواح البشر، وبرر المهندس ذلك بأن الإيجارات فى هذه المناطق رخيصة، وكذلك أسعار الشقق، ذلك أن الأراضى وضع يد يقوم بعض المتنفذين بوضع أيديهم عليها وتقسيمها وبيعها لمن يقوم بالبناء، ولا تورد لخزينة الدولة أية أموال، بمعنى أنها اغتصاب لحقوق باقى أفراد الشعب الذين يملكون كل تراب مصر.

وصل المهندس إلى بيته فأصر أن يصحبه مصطفى ليقدم له واجب الضيافة، وفى البداية تمنع مصطفى متعللا بارتباطات وأعمال وخلافه، لكنه رضخ أمام إصرار المهندس، وفوجئ مصطفى بشقة المهندس وقد طالها الإهمال فى كل شئ والأثاث ليس قديما فقط، وإنما يكاد يكون متهالكا، حتى أن المهندس أخذ ينظف عشرات المرات الكرسى الذى حدده لمصطفى، ولما يقضى على كل الأتربة، فهون عليه مصطفى وجلس قبل أن ينهى نظافته للكرسى، لكنه أسرع إلى البلكونة ينادى البقال ليحضر " حاجة ساقعة " رغم اعتراض

مصطفى والتحجج بموعد الغداء، وبادره المهندس:

- "الحقيقة أنني أردت أن أتشرف بك في هذا المكان لسببين، الأول هو أن ترى أن حالتي

لا تدل إطلاقا على أنني أتمتع ببعض الكفاف ولا أقول الرفاهية، فيتأكد لك أنني لست ممن يتعاملون مع الرشاوى أو أية تصرفات تؤدى إلى الثراء غير المبرر، بمعنى أنه ليست لى مصلحة فى أن أعطل أو أعرقل أو أنفر حتى يتم دفع المعلوم كما هو سائد فى الكثير من الدوائر الحكومية، ويتعلل الموظفون بأننا فى مثل عام الرمادة فكل ما هو ممنوع يصبح مسموحا، وذلك ينطبق تماما على المرحوم المهندس "عاطف" الذى تشدد معك عند خروجك بنبتة البروتين، فلا تتصور أنه فعل ذلك من منطلق إرغامك على تفتيح المخ، وسوف استسمحك أن نمر على منزل المرحوم عاطف أثناء عودتك حتى يتبين لك مدى الشقاء الذى تعيشه أرملته وأولاده، هذا أولا..

وقاطعه مصطفى:

- " وثانيا.. "

فأكمل المهندس " أسطفان ":

- " وثانيا.. لكى نتفق على بعض الأمور التى فيها خير لك ومصلحة لنا.. "

وهنا تأكد لمصطفى أنه لم يفعل ذلك من أجل البراءة فقط، وأحس أسطفان بذلك فسارع:

- " المصلحة التى أقصدها لنا هى الخير الذى أقصده لك فكلاهما مرتبط ببعضهما، فما هو مصلحة لنا هو فى حقيقته خير لك وسوف ترى.. "

وشد الحديث مصطفى، هذا الرجل فيلسوف، يأتى بألغاز .. وقاطعه أسطفان:

- " لا تتصور أننى غير متزوج، ولكننى اتفقت مع والد زوجتى على إقامة ابنته الوحيدة وأحفاده معه، فهم لم يألفوا الحياة الشاقة التى يعانيها البشر هنا، أما أنا فقد ألفتها ريفيا، ولولا الحب الذى ربط زوجتى بى وإصرارها على الزواج منى لما وافق والدها على زواجنا، وأنا أذهب إليهم أول كل شهر أسلمها كل ما أتقاضاه من راتب ونوبتجيات

وأحتفظ بالحوافز فقط فهى بالكاد تكفينى، وهى تعرف ذلك وتدعو لى الرب أن يحفظنى من كل سوء، ووالدها يقدر فىَّ هذه التضحية رغم أنه لا يزال يلوم نفسه لموافقته على زواج ابنته منى، وذلك بالرغم من مرور أكثر من عشرة أعوام على الزواج، والنبتة التى تركتها لـلحجر الزراعى، ورط مسئولنا الهمام إياه المرحوم عاطف وأوقعه فى شر أعماله،حيث وجه إليه الكثير من اللوم والتعنيف على تصرفه معك، ليس من قبيل حرصه على المصلحة العامة، ولا من قبيل حرصه على مصلحتك، وإنما للحرج الذى أوقع المصلحة فيه من إعطائك إيصالا بالنبتة، ومن ثم كيف له أو للمصلحة أن تتولى هذه النبتة بالرعاية حتى نعيدها إليك دون جفاف أو ذبول، ولذلك فقد أوكل إليه مهمة الحفاظ عليها حتى عودتك والمطالبة بها، ولم يجد المهندس عاطف أمامه إلا زراعتها فى قطعة أرض مساحتها حوالى عشرة أفدنه خصصت له من بين مساحة قدرها ألف فدان، فى هضبة كانها جزيرة تعتبرها الحكومة منفى، لا يوجد فيها سوى منارة وطبعا موظفيها حيث كيفوا حياتهم باستخدام ما أتيح من تسهيلات حكومية، حتى يمكن لحياتهم أن تكون فى المستوى المناسب والدخول تكفيهم وتكفى أولادهم وأولاد أولادهم.

- " ونظرا لأن الأرض هناك رخيصة جدا، فقد انتهزوا فرصة الصندوق الاجتماعى وقروضه الميسرة، وأقاموا مزرعة ومسلخاً للدجاج والأرانب، وكان ذلك سببا فى انتعاش حالتهم ففضلوا الإقامة الدائمة فى هذه الجزيرة عمن سواها من أراضى الجمهورية، واتفقنا نحن مهندسى وموظفى الحجر الزراعى على أن نحذو حذو هؤلاء الرواد، وحيث أننا نتبع وزارة الزراعة، فقد طلبنا تخصيص مساحة الألف فدان لنا، وقمنا بتوزيعها علينا، فخص كل من المهندسين عشرة أفدنه أما باقى الموظفين فقد خص كل منهم خمسة أفدنه، ونظرا لأننى والمرحوم عاطف زملاء وجيران سكن، وجيران أرض كذلك، فقد اصطحبنى المرحوم عاطف إلى تلك الأرض وزرعنا فيها النبتة، لا أحد فى المصلحة يعرف مكان النبتة سوانا. وحيث أن المهندس عاطف توفاه الله فلم يبق غيرى الذى يعرف مكانها، وسوف أصطحبك إليها فى الوقت الذى حددته سلفا.. "

فقاطعه مصطفى سريعا حتى يبين له أنه لم ينس الموعد:

▪ " غدا فى العاشرة صباحا إن شاء الله.. "

ووافقـــه المهندس أسطفان، الذى شرح لمصطفى بينما كان يشرب " الحاجة التى لم تكن ســـاقعة " أنهما قاما بحفر مجرى صغير لتوصيل ما يطفو من خزان مياه ودماء ذبح الدجاج إلـــى النبـــتة، وهـــى دائما طافية، لأن الخزان لا يتم رفع ما فيه من مياه، وتركناها منذ ذلك الحين، ولعل الله يكون قد حماها من التلف، وابتسم مصطفى ابتسامة الرضا أنهما قاما بدون قصد بتزويد النبتة بحاجتها من الأزوت بنفس الطريقة التى قامت بها صفيه ربما بدون قصد أيضاً، بينما فهم المهندس أسطفان أن مصطفى سعد بجهدهما فابتسم أيضا ثم استمر فى طرح مصلحته هو والمرحوم عاطف:

▪ " وحيث أننى كما رأيتنى، وكما ستلاحظ عندما نزور أرملة المرحوم عاطف، دون الكفاف الذى لا يسد الرمق، فقد يكون من الخير لك أن تشترى تلك الأرض وكذلك الأرض أو الأراضى المجاورة لها، وبذلك تتحقق مصلحتنا بما فيه الخير لك.. "

أعجـــب مصـــطفى من فصاحة المهندس أسطفان وأسلوبه فى معالجة المواقف الحرجة بغـــض النظر عما قد يعتبره سلبية فى مواجهة الانحراف، لكن السلبية فى بعض المواقف قد تعتبر محمودة شريطة ألا يترك المخطئ دون عقاب.

هـــم مصطفى بالانصراف، فأصر أسطفان على اصطحابه إلى منزل المرحوم عاطف، المســـافة قريبة بين المنزلين، وخرجت أرملة عاطف، شابة فى ريعانها، لم يتمكن الخزن من إخفـــاء مســـحة الجمـــال التى تتمتع به الكثيرات من بنات النيل العظيم، قوام لفه شقاء الأيام ورياضـــة الكدح لتدبير الطعام لأفواه أربعة من الأيتام تركهم عائلهم بتركة كلها ديون، كانت تغســـل ملابس الأيتام أبناءها، فخرجت سريعا تلبى طارق الباب، نظرت من العين السحرية، وجدتـــه أســـطفان، أجابته دون الفتح ولما علمت أن معه ضيف هام مسحت مياه الغسيل فى ملابســـها، وهندمـــت مـــن نفسها بالقدر الذى سمح به الوقت ونادت أكبر أولادها، طفل فى العاشـــرة من عمره استطاعت بالتعليم الإعدادى الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع، أن تؤهله ليحل محل والده فيما يواجه الأسرة من أمور تفرض وجود رجل، وما الموقف الحالى إلا أحد إن لـــم يكـــن أهم تلك الأمور، استقبلهم حمادة برجولة لم يكن يتوقعها مصطفى من طفل فى

سنه، وسبقهم إلى الصالون، لا يزيد كثيرا عن صالون أسطفان إلا فى الترتيب والهندمة، فقد تفننت بنت الثلاثين عاما مع قلة تعليمها فى أن تحيك لهذا الصالون " بياضات " من قماش رخيص علم مصطفى أنها اشترته من أحد المحلات" بوكالة البلح " اخفت بها قدم الأثاث وتهالكه، فبدا كما المنسق، مع بعض الإضافات من ديكورات بسيطة، تمكنت من صنعها خلال الوقت الذى كان يمتد منذ خروج عاطف إلى العمل وحتى عودته، مدة لا تقل عن اثنتى عشر ساعة، لكنه أضاف إشراقة إلى المكان تفوق بكثير ما تتفنن به سيدات المجتمع الراقى من إضافته إلى الأثاث الفخم الذى تتكدس به صالوناتهن.

لا يدرى لماذا قفزت إلى ذاكرته أيام بنت القرنفلى؟ أشاد بالذوق والترتيب والفن الذى يعبر عن أريحية سيدة تفوق المهندسات، حمدت الله وتولى حمادة السؤال عن المشروبات، وسارع يعد الليمون، بينما الأرملة وأولادها يحيطون بها وهى تتطلع محاولة التعرف على ما قدم من أجله ذلك الغريب الذى أحضره أسطفان، هى تثق فى أسطفان ثقة كبيرة، ولكن ليست للدرجة التى تسمح له بإحضار رجل غريب إلى منزل مات راعيه، وأسطفان يفهم هذا جيدا، لكنه يرجئ الحديث حتى حضور حماده رجل البيت كما يعن دائما لأمه أن تسميه، لكنها التمست له العذر، فهو يريد أن يخفف عنها عناء المسئولية، فيقوم بكل ما يطرأ من أعمال ليست فى جدول مشاق الأم، قالت:

- " ربنا يحميه، مش كفاية إنه بيساعد أخواته فى المذاكرة وبيوفر على الدروس الخصوصية، وأخواته صلاة النبى أحسن دائما من الأوائل، أبوهم الله يرحمه عودهم على كده، وحماده استمر بعد وفاة والده على نفس النهج، ربنا يوفقه وينجحه ويسعده "

فعن لمصطفى أن يسألها عن كيفية تدبير حياتهم قالت:

- " المرحوم توفى منذ أكثر من شهرين، وطبعا إجراءات صرف المعاش ليست سهلة، والمعدات فى حاجة إلى طعام، وصاحب البيت لن يصبر على الإيجار، وكذلك باقى الديانة، وكان لا بد لى من العمل، وعمل المرأة مع هذا العدد من الأولاد، وفى هذه المنطقة التى تبعد عن العمار، ليس سهلا، فانا أقوم بمساعدة سيدات البيوت العاملات فى إعداد الطعام لبيوتهن، وبعد قليل سوف تجدهن يحضرن واحدة بعد الأخرى لتسلم الطعام الخاص بها وسداد الثمن.. وربنا سترها والحمد لله."

أسـلوب عملى لتخطى الأزمات دون لعن الأيام أو الظروف، ذكره ذلك بمهنة السباكة التى امتهنها عندما قضى عليه فور عودته من اليابان، وحضر حماده بالليمون، وما أن جلس بعد تقديم واجب الضيافة حتى بادر أسطفان:

- " مصطفى بك يا ست أم حماده قادم اليوم لشراء أرض المرحوم عاطف إذا ما كانش عندك مانع.. "

تسـاءلت السـيدة بعفويـة عما يعنيه أسطفان، فأدرك أن عاطف لم يخبرها بموضوع الأرض، ربمـا لأنـه لم يهتم بأمرها، وبدأ أسطفان فى شرح الأمر برمته، ثم أوجز فى ذكر السـعر المناسب للبيع، وكان متساهلا، لكن مصطفى أراد أن يجعل من السعر مبلغا تتناسب أرباحـه من شهادات الاستثمار مع مصروفات تربية هؤلاء الأيتام، وكان للمبلغ الذى رفع به مصـطفى السـعر أثـره البالغ فى عيون الجميع التى ترقرت بها الدموع فى مآقيها فأخرج مصـطفى مـا كـان معه من نقود تفوق الألف وأعطاه للسيدة على أن يتولى أسطفان إنهاء إجراءات إحلال شركته مكان المهندس عاطف فى تخصيص الأرض، ولم ينس مصطفى أن يوصـى السيدة بإيداع باقى المبلغ فى شهادات استثمار لتساعدها إلى جانب عملها على تربية أيـتامها، ونهض مصطفى وأسطفان يتبعه، واستسمحه أسطفان إن كان لا يزعجه اصطحابه فـى طريقه لزيارة أولاده بمصر الجديدة، ورحب مصطفى بذلك، ولم ينس أن يفاتح أسطفان فى شراء الأرض المخصصة له، فقد شعر بأنه تحرج من التحدث فى هذا الأمر، وكم كانت السـعادة وعبارات الشكر التى أطلقها أسطفان، فعرج مصطفى على أحد البنوك وكان مغلقا لكـنه اسـتخدم مركز الصرف الآلى، فصرف منه المبلغ المسموح بصرفه يوميا، واشترى بعـض الحلوى واللعب لأولاد أسطفان وأعطاه مبلغا كعربون شراء أرضه بنفس السعر الذى اشـترى بـه أرض عـاطف، وكم كانت سعادة أسطفان الذى تحمس فطلب من مصطفى أن يساعده بوظيفة مناسبة يعمل بها فى وقت الفراغ، ووعده مصطفى خيرا، وتواعدا على اللقاء صباح اليوم التالى وتركه أمام منزل والد زوجته رغم تشبث أسطفان به ليعرفه على أولاده، لكـن مصـطفى اعتذر بلطف لأن الوقت غير مناسب ولارتباطه ببعض الأعمال، وقبل أن يغادر أسطفان السيارة، أعطاه مصطفى بطاقة العمل الخاصة به، والتى سجل بها جميع أرقام تليفونات بيته وعمله.

١٥- المزرعة

مع الأخبار السعيدة التى زفها أسطفان لزوجته، والحلوى والألعاب التى أحضرها لأولاده، والفرحة التى عمت جميع من بالمنزل، حتى والد زوجته الذى كان دائما ما يتعمد إظهار بعض التذمر كلما حضر، وجده يحتضنه وكأنه الفارس المظفر، وأقسم عليه إلا أن يقضى ليلته معهم، وسعد أسطفان بهذا الكرم الذى لولا الألف جنيه الدفعة تحت الحساب من ثمن أرضه التى يبلغ ثمنها بحسابات مصطفى ما يزيد على المائة ألف جنيه، حسبها له حماه رجل البنوك السابق بسرعة ووجد أنها من الممكن أن تعطى عائدا شهريا لا يقل عن ألف جنيه إذا وضعت فى شهادات استثمار، وعرض عليه عدة خيارات أخرى من الاستثمار قد يعطى بعضها عائدا أفضل، لكنه خشى التعامل مع رجال الضرائب، ومفتشى التأمينات، والصحة، والعمل.. سلسلة طويلة من رجال الرقابة تجعل التعامل مع أساليب الاستثمار الأخرى ميدانا للمشاكل، وهو لا يحب المشاكل ولا يسعى إليها، فالأفضل كما سبق لمصطفى أن أوصى أرملة عاطف، هو الإيداع فى شهادات الاستثمار، وألف جنيه شهريا مبلغ مناسب مع الراتب والحوافز، وظل طوال الليل وعقله مع الحسابات، وزوجته معه فى هذا الرزق الذى ساقه الله لهم، لكن لا بد من شكر الرب وسوف تذهب من الصباح الباكر إلى الكنيسة وتشعل عددا من الشموع أخذ يتزايد مع كل رعشة سعادة يهتز بها بدنها ، ومما زاد من سعادتهم أن الوالد أعلن موافقته على إقامته الدائمة معهم بشقته بمصر الجديدة، فاحتضن أسطفان زوجته وكأنما يشكر لها تحملها لظروفه، وأن الرب قد عوض صبرهم خيرا.

تذكر موعده مع مصطفى، وأنه لابد أن يعدل مكان اللقاء، فنهض سريعا إلى التليفون وهاتفه وحدد له مكان اللقاء، أمام العمارة التى بها شقة والد زوجته، وسعد مصطفى أنه أمضى الليلة مع زوجته وأولاده، فقد كان بعده عنهم من أهم أسباب شقائه، وهاهو ينعم بالقرب من زوجته وأولاده، ولم يبق إلا أن يعمل بجد واجتهاد فيما خططه له مصطفى كعمل إضافى كما طلب، والعمل الإضافى سيكون منحصرا فى أمرين: الأول رعاية مزرعة أشجار البروتين، والثانى: متابعة تحويل تسجيل الأرض باسم الشركة، ولا مانع من ضم أراضى من يرغب من زملائه فى البيع، وكلف مستشاره القانونى فى دراسة كل ما يتعلق بهذا الأمر من

مواد قانونية وقرارات أيا كانت جمهورية أو وزارية، أو مما جرى عليه العرف والتعامل.

وباعتـــباره الـــيوم الأول، فـــلا بد من أن يتعلم أصول التعامل معه، ولا يكون ذلك إلا بالالـــتزام الحـــرفى بالمواعـــيد، وأولها أن يكون مصطفى أسفل العمارة فى الموعد المحدد بالضـــبط دون زيادة أو نقصان، نظر أسطفان فى ساعته، فوجدها قد أتمت العاشرة، ألقى فى حلقـــه بمـــا تبقى فى الفنجان من شاى، فالزوجة المحبة تصر عليه أن ينهى إفطاره ويشرب شـــايه كاملا قبل المغادرة، أعطى الفنجان فارغاً لزوجته بدلال كاد يتطور إلى لحظات حب حرم منها طويلا لولا صوت سيارة مصطفى الذى أيقظه من لحظات الحب تلك فانتزع نفسه ســـريعا وهـــرول ناحـــية الباب الخارجى للشقة، وألقى لزوجته قبلة عبر الأثير وكذلك تحية ســـريعة لحمـــاه الذى كان يرقبه وهو سعيد أن قراره الموافقة على حياته معهم كان له الأثر الكبـــير فـــى السعادة التى أدخلت على ابنته، ليس هذا فقط، بل إن أحفاده قبلوه قبل مغادرتهم إلى المدارس وهذا ما لم يكن يحدث سابقا.

مـــا أن اقترب أسطفان من باب السيارة حتى نظر مصطفى إلى ساعته منبها إلى أنهما تأخـــرا عـــن الموعـــد عدة دقائق، قد تتقاذف السيارات خلالها بالآلاف مما يعطل وصولهم، فاعتذر بلطف ووعد بالالتزام التام بالمواعيد، وهز مصطفى رأسه علامة الرضا، وسأله عن زوجـــته وأولاده، وأخذ أسطفان يُشعِر واصفا السعادة التى يعيشها هو وعائلته، ثم أعلن خبر موافقة والد زوجته على الإقامة الدائمة مع أولاده بفرحة غامرة لا تصدر إلا عن مكروب فك الله كربه، وتلقى مصطفى الخبر بسعادة لا تدانى سعادته، مما أشعر أسطفان أنه لا يتعامل مع رجل ثرى ربما لا تكون للأحاسيس والمشاعر عنده حساب، ولكنه يتعامل مع رجل المشاعر والأحاســـيس لهـــا عنده مكانة كبيرة، فهاهو منذ اللحظات الأولى يتعامل معه وكأنهما أخوان وليســـا مجرد اثنين من المصريين جمعتهما الصدفة فتفاعل مع المشاكل دون نظر لاعتبارات الســـن أو الجـــنس أو الديـــن، هذه هى سماحة أبناء الوطن الواحد، الغنى يعطف على الفقير ويساعده ويشد من أذره ويعاونه، والفقير ماذا يفعل؟ الاحترام والالتزام والدقة فى العمل وفى المواعـــيد كل ذلك بحب وتقدير وليس بتأفف وحسد ونقمة، هكذا يبارك الله للجميع، وبالبركة يعـــم الخير على الجميع، لاحظ مصطفى بعض الإشارات من أسطفان الذى فاجأه بالاستئذان

للحظـــات سابق خلالها الريح وعاد وقد حمل حقيبة صغيرة، سأله مصطفى عنها فأخبره بأن بها بعض الطعام وترمس شاى لزوم الرحلة، وكذلك بعض معدات الزراعة، واصفا الشخص الذى لا يستعد للمهنة بمعداتها فإنه لا يستحق أن يحمل لقـــبها، وهو مهندس زراعى وذاهب إلـــى مـــيدان عمله، فلابد أن يتسلح بأسلحة العمل وهى معدات الزراعة، وضحك مصطفى وأعلنها له صراحة:

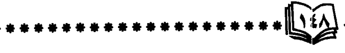
- **" مـنذ الـلحظات الأولى اكتشـفت أن لديـك بعض الفلسـفة، أما الآن فإنى أعلنها صراحة أنك لست فيلسوفا فقط وإنما أنت حكيم أيضا.."**

تجاذبا أطراف الحديث، مصطفى يشرح ما قرر إسناده له من أعمال وأنه مسئول أمامه شخصـــيا عـــن هـــذا العمـــل، ويجب ألا يطلع أحد عليه حتى زوجته، كل ما هو مسموح له التحدث فيه، هو أنه كلف بإنهاء إجراءات تسجيل أرضه وأرض المهندس عاطف، وكذلك من يرغب من الزملاء فى بيع أرضه، باسم الشركة التى يملكها مصطفى، ووصلا بعد جهد جهيد إلـــى موقـــع الأرض، وفوجئ مصطفى بأن النبتة قد تضاعف حجمها أكثر من عشر مرات، وعلق المهندس الزراعى أسطفان بأنه معدل أكثر كثيرا من المعتاد بالنسبة للنباتات الأخرى، ولاحـــظ مصـــطفى كذلـــك أن العـــروق التى تمر داخل الأوراق يزداد احمرارها كثيرا عن الســـابق، لم يعلق، ولكن الملاحظة الأكثر غرابة أن هناك الكثير من النباتات المشابهة، ربما أقـــل حجما وأحدث إنباتا قد انتشرت حول النبتة الأم، وعلق أسطفان بأنه ربما كانت الجذور مـــثلما هو البوص أو البطاطس، أينما وصل الجذر أنبت نباتا، فاقترح مصطفى على أسطفان أن يفصـــل أحـــد هـــذه النباتات الصغيرة ويعيد زراعتها فى أرضه هو التى تبعد عن أرض عاطف مئات الأمتـــار، وسارع أسطفان إلى السيارة ليحضر منها الحقيبة التى أثبتت حكمته، وأخرج منها بعض المعدات، وبدأ يتعامل مع الأرض وكأنما هو فلاح بالسليقة، أخرج قطعة مـــن الجذور وسارع بها إلى الأرض المخصصة له وزرعها فيها، ثم عاد إلى مصطفى الذى أشاد بنشاطه وهمته، فكافأه أسطفان بأن قدم له كوبا من الشاى ومعه بعض البسكويت، شكر لـــه مصـــطفى كرمه فرده أسطفان لصاحبة الفضل، إنها زوجته التى لا تتركه يذهب خارج المـــنزل بـــدون هذه الزوادة، فهو يحملها إلى عمله يوميا كلما كانت زوجته معه، أما بدونها



فالأمر لله وحده، وعندما هم مصطفى بتشغيل السيارة للانصراف استوقفه أسطفان قليلا ريثما يوصـــل قناة المياه التى تتدفق من خزان مياه الذبح بمسلخ الدجاج إلى النبتة التى زرعها فى أرضه حتى يمدها بما يلزمها من مياه، فشكر له مصطفى حسن إدراكه للأمور.

اقـــترب مـــنهما مجموعة من طالبى الرزق، فطلب مصطفى من أسطفان أن يختار من يتوسم فيه الأمانة ليكون خفيرا على الأرض، وتقدم أحدهم فرشحه أسطفان حيث أنه سبق أن سارع إلى تقديم خدماته له عندما حضر مع المهندس عاطف، لكن مصطفى طلب بناء مكان لإقامته وكذلك استراحة لهما عندما يحضران وسور حول الأرض، فدلهما الخفير الجديد على المقـــاول الذى يتولى هذه الأمور، واقترح المقاول أن يتم بناء السور من الخرسانة المسلحة، ذلك أن الرمل والزلط متوفران مجانا، ولا يبقى سوى الأسمنت وحديد التسليح، وحدد المقاول الكمـــيات المطلوبـــة والأثمان، وأجور المصنعية وأتعاب الإشراف، وتم الاتفاق على أن يتم الحفـــر إلى أعمق من مستوى جذور النباتات، فسارع أسطفان لقياس هذا العمق ، وتم تحرير عقـــد وقع أسطفان عليه شاهدا، وحرر مصطفى شيكا بدفعة تحت الحساب، ولما وجد الحيرة قد بدت على وجه المقاول حيث أنه لم يعتد التعامل مع مثل هذه الشيكات تعهد مصطفى بنقله معـــه إلى القاهرة حتى يتم صرف الشيك، وكم كانت سعادة المقاول حيث أن زوجته وأولاده بالقاهرة، وهذه فرصة لزيارتهم، كما أن مصطفى طلب منه المرور على الشركة عصرا حتى يمكـــن أخـــذ الرســـومات التفصـــيلية للأعمال المنوط به تنفيذها، ويتم شحن كميات الحديد والأسمنت المطلوبة.



١٦- الخبراء

بـدأت الاسـتعدادات لتنفـيذ العقـود مع الشركات الأجنبية، وتم تشكيل فرق الخبراء والمساعدين والعمال، لكن كان لابد من الإعداد الجيد للخبراء والمساعدين والعمال، وبمجرد وصـول مايسـه بـدأ التدريب، أولا فى الشكل، حيث كان من اللازم تدريبهم على الملابس المناسبة واللغة وأسلوب التعامل، ثم بعد ذلك التدريب على الأعمال المنوط بكل منهم تنفيذها، كلهـم مهندسون زراعيون، وتم إشراك أسطفان فى عمليات التدريب، خاصة بعد أن نجحت عملـية استزراع قطعة من الجذور وتلاها الكثير حتى عمت كل من فدادين عاطف وأسطفان ومـن وافق على بيع أرضه من الزملاء بالحجر الزراعى، وتم تحرير عقود بأتعاب الخبراء والمساعدين ومديرى المشروع مع الشركة، وكانت صفيه مديرة لتنفيذ تعاقد الشركة مع إحدى الشركات، وكذلك مايسه، وكان أسطفان هو المنسق العام لجميع مديرى المشاريع باعتباره هو مديـر أول مـزرعة بروتين فى العالم، وهى مزرعة البروتين فى مصر، أذ يلزم الأمر أن يقضـى مـع كـل مدير مشروع الفترة الأولى من بداية تنفيذ العقد حتى تكتمل كل مقومات الـنجاح، فيتركه ويذهب إلى مشروع آخر... وهكذا، ودائما العودة إلى مصر للإشراف على مزرعة البروتين بها.

جمـع كل مدير مشروع خبراءه ومساعديهم والعمال الذين سيعملون معهم وسافر حيث يتم تنفيذ العقد، والبداية فى كل مشروع كانت بتحديد المساحة ثم يذهب المهندس المقاول الذى نفـذ أول سور بالخرسانة المسلحة فى جزيرة المنارة مع عماله للقيام بنفس العمل الذى سبق أن قـام به فى مزرعة البروتين بجزيرة المنارة، كل ذلك تحت إشراف أسطفان الذى واكب هذه الأعمال منذ بدايتها.

بـدأ الدخـل يـنهال على الشركة بملايين الـدولارات، لم تستطع الضرائب الاقتراب مـنهـا، لأنهـا كلها دخول من خارج الجمهورية، وازداد الطلب على أشجار البروتين، وتم ترقـية مجموعة من الخبراء إلى مديرى مشاريع، كما تم ترقية مجموعة من المساعدين إلى خـبراء، لكـن الأهـم من كل هذا هو خلطة التسميد التى تعمد مصطفى أن تتم داخل مصر



وتحت إشرافه هو شخصيا، وذلك بالتعاقد مع مجموعة من المسالخ لتوريد الدماء والمخلفات الحيوانية المتخلفة عن الذبح، وخلطها بمجموعة عناصر أخرى يمثل الأزوت فيها النصيب الأكبر، ويتم تصديرها إلى المشاريع التى يتم التعاقد عليها، وهكذا فتحت أشجار البروتين مجالا جديدا يفوق فى الأهمية إيرادات قنال السويس والبترول، وبدأ المتحذلقون من خبراء الاقتصاد وكبار الصحفيين الذين تراءى لهم أن يطلقوا على أنفسهم هذه الألقاب أو مجدتهم الصحافة أو قدمتهم بعض الجهات العلمية المختصة أو غير المختصة بهذه المسميات، بتفنيد فكرة عدم خضوع دخل الشركة من العقود الخارجية للضرائب، بل وطالبوا بضرورة خضوع الخبراء والعاملين فيها لتصاريح العمل رغم أن عقودهم مع شركة وطنية وليست شركات أجنبية، ولم تفلح معهم كل الحجج والبراهين القانونية، ولم يجد مصطفى بدا من مقابلة السلطة الأعلى فى البلاد، حيث شرح له ما يعانيه من صلف بعض المتشددين الذين لا يرحمون ولا يتركون رحمة الله تنزل، فقاموا أولا بتجريف الأرض الزراعية ثم قاموا بتجريف البلاد من العملات الأجنبية وكأنها مؤامرة على الجنية المصرى أن تظل قيمته فى التناقص إلى أن يأتى اليوم الذى تتلاشى فيه، وكل ما يقدم من حلول إن هى إلا حلول ترقيعية لم يحاول المختصون دراسة المشكلة بجدية ليقدموا الحل المناسب، لكن أى حل يناسب شعبا كان يصدر المواد الغذائية وأصبح يستورد معظم إن لم يكن كل المواد الغذائية من كل دول العالم حتى البسكويت أصبحنا نستورده من السعودية، وأى خبراء زراعة هؤلاء الذين جعلوا الشعب المصرى يستجدى القمح من أمريكا، وهى تستغل هذه الحاجة لكى تجعله يركع لكل طلباتها أو لنقل أوامرها، وأى حكومات تلك التى جعلتنا نستدين من طوب الأرض حتى وصلنا لما كان مجلس قيادة الثورة ينشره كأكبر جريمة ارتكبها الخديوى إسماعيل رحمه الله وهى صندوق الدين، ولا أدرى ماذا ستفعل الحكومة الحالية فى مسألة الحجز على إيرادات قناة السويس لتأمين سداد فوائد القروض، وليست أصول القروض، لنا الله.

انتهت السنة الدراسية وكانت سميحة القرنفلى قد تعودت على اختفاء ابنتيها من حياتها، لكن عاطفة الأمومة تفجرت فجأة فى جنباتها، وذهبت إلى مصطفى تستسمحه وتتوسل إليه، لكن مصطفى لم ينس تصرفاتها السابقة التى أغلقت عليها جميع الأبواب، لكنه لا يستطيع أن يحرم أما من رؤية ابنتيها، فحادث أمه فى الأمر واستحثها الحضور مع البنتين ورتب مع مسئولى



الشركة باليابان كل ما يتعلق بتذاكر السفر والحجز والتوصيل إلى المطار والتحقق من راحتهم حـتى وهـم فـي الطائرة، وهو أن يتم معاملتهم ككبار الشخصيات، بينما كان مصطفى وبعد المقابلة التى تمت مع رئيس الجمهورية قد أصبح من الشخصيات البارزة فى الوطن، وأصبحت تفتح له جميع الأبواب، ومنها استقبال والدته وابنتيه فى صالة التشريفات ككبار الزوار، خاصة بعد أن أرسل السفير المصرى تقريرا عن الأسلوب الذى يعامل به مصطفى وعائلته فى اليابان، ومصر أولى بأولادها من أية دولة أخرى خاصة فى المعاملة الطيبة.

وذهـب مصـطفى إلى قاعة كبار الزوار لاستقبال والدته وابنتيه، بينما مندوبو الشركة ممـن يحملون تصاريح دخول المطار، كانوا فى انتظارهن عند باب الطائرة، وكن أول من خـرج مـن الطائـرة بتكريم من طاقم الطائرة وبتفهم من جميع الركاب بعد أن عرفوا من يكونون، وأنهم عائلة رائد زراعة اللحوم فى العالم، وشعرت سميحه بمدى أهمية والد ابنتيها، ولابـد وأن هـذا أضاف الكثير إلى غرورها رغم شعورها بالمرارة، والندم يكاد يقتلها أنها طلقـت منه بناء على رغبتها.. لا.. بناء على غبائها، لماذا؟ لأنه يعمل سباكا.. ليتها تعرف مـدى ما تعانيه الخادمة حتى لا تمد يدها لاخوتها لمساعدتها فى تربية أولادها، بينما شعرت مريم هانم بمكانة ابنها وبالسعادة الغامرة للمعاملة التى تعامل بها باعتبارها شخصية مهمة.

جلسـت مريم هانم إلى سميحه القرنفلى، وأفاضت فى شرح كيفية أن تكون أما صالحة، فما كانت تسمح لها بأن تترك لها البنتين دون أن تتأكد من كيفية معاملتها لهما، وأوضحت لها من هو مصطفى ومكانته سواء فى اليابان أو فى مصر، وأن أية هزة فى مركزه سيكون لها عواقبها السيئة على ابنتيها قبل أى شخص آخر، وأوضحت لها ما فعله سعيد وكيف تصرف مصطفى معه ومع زوجته، وسألتها عن محل إقامتها فعلمت أن اخوتها لم يسمحوا لها بالتشرد فخصصـوا لها شقة فى العمارة التى أقاموها على أرض فيلا والدها بعد أن هدمها المقاول، وكـان الاتفـاق على تخصيص بعض شقق العمارة لهم كسداد لجزء من الثمن، مما كان له الأثـر البالغ فى هدوء بال السيدة العجوز، وأوصت مصطفى بالسماح لها بأخذ ابنتيها، لكن مصطفى وزيادة فى حرصه على ابنتيه خصص لهما زنوبه لتكون فى خدمتهما، وتكون عينه التى تحرس ابنتاه من طيش بنت القرنفلى، وتقبلتها سميحه على مضض، خاصة وأنها شعرت



بـــأن مصطفى لن يسمح لها بأخذ ابنتيه ما لم تكن زنوبه معهما، كما شعرت بأنها إذا عاملت زنوبـــه بخشونة أو قسوة فسوف يتصرف معها تصرفاته السريعة القاطعة الفاصلة التى تردع كل من تسول له نفسه أن يستغل الجانب الإنسانى فيه بسوء نية.

بدأت بعض الجهات العلمية فى الدول التى أقام فيها مصطفى مزارع أشجار البروتين فى إثـــارة المشـــاكل، بدايـــة فى التشكيك فى إمكانية أن تحل هذه الأشجار مشكلة نقص البروتين، ونهايـــة بأنهم أولى من خبراء الدول الأفريقية " دول العالم الثالث " فى استزراع هذه النباتات، وتغلبت اللعبة السياسية على كل ما عداها من مفاهيم، فثارت وسائل الإعلام وداومت على نشر تلـــك الآراء دون التبصـــر فـــى العواقـــب، وأجبرت الشركات على فسخ العقود مع شركات مصطفى، وطالبهم مصطفى بالتعويض، وسحب الخبراء والعاملين معهم، واضطربت الأحوال فى مزارع البروتين، وعادت الشركات للتفاوض مع مصطفى الذى رفض إلا أن يعود الخبراء والمســـاعدون بضعف الأتعاب، لكن الشركات اشترطت أن يعين بعض المختصين من مواطنى تلك الدول، ووافق مصطفى على أن يكون ذلك على سبيل التدريب وبمقابل مناسب.

علم سعيد أن مريم هانم والدته عادت من اليابان، فراودته فكرة أن تكون حمامة السلام بيـــنه وبيـــن مصطفى، لكن المشكلة كيف له أن يزورها فى فيلا مصطفى الذى طرده منها، فمهما كان التنازل فلا يجب أن يصل إلى الدرجة التى يحطم كبرياء المرء، ناقش الموضوع مـــع ســـهير المرعشـــلى، الـــتى سارعت إلى الهاتف وناقشت مريم هانم من منطلق عاطفة الأمومة،لكـــن مريم هانم سارعت بشرح مقدار غضبها على سعيد، وأنها لن تغفر له ما فعله هو وزوجته ما بقيت لها حياة، قالت:

- **" لا يمكن لى أن انسى له أنه خان أخاه الذى لم يبخل عليه بالغالى والرخيص حتى أصبح الدكتور سعيد، والأكثر من هذا تآمره مع زوجته ضد أخيه، إنها أفعال لا يقوم بها إلا المجرمون، وإنا لم أنجب مجرما، وإن كانت زوجته قد غيرت من أخلاقه إلى هذه الدرجة، فليتحمل هو نتيجة ذلك، أما أنا فإن قلبى وربى غاضبان عليه، رغم علمى بأنه لم يسعد بالملايين التى حققها من أفعاله هذه ... "**

وتســـاقطت من أعين السيدة الكثير من العبرات، مما جعل الحديث معها فى هذا الأمر

محفوفـــاً بالمشـــاعر القاتمة التى تفتح الباب للأشجان والحزن، لكن سهير مقاتلة، ولن تغلبها دمـــوع مـــريم هانم، لابد وأن هناك أكثر من وسيلة تستطيع أن تنفذ منها إلى قلب تلك السيدة الـــذى يقطـــر عطفـــا وحنانا، وما نقمتها هذه إلا رد فعل طبيعى لما نقله إليها مصطفى من مشـــاعره هو وأحاسيسه التى لمحت فى عينيه مدى عدم اقتناعه بها، فما لهفته على الذهاب إلى المستشفى للاطمئنان على أخيه رغم مظاهر القسوة التى حاول أن يظهرها، إلا نوع من أنواع الدروس العملية التى يجب أن يصهر بها خبرات أخيه القليلة فى الحياة، فمن سعيد هذا؟ دراسة وفن ومشاعر فياضة منه للأهل ومن الأهل له، لكن داخله جيد، وإن كانت زوجته قد اســتطاعت أن تتغلـــب علـــى مواطـــن الضعف فيـــه، فقد استطاع أن يتغلب عليها أخيرا، وطلقهـــا.. طلـــق زوجته ومع طلاقها طلق مواطن الضعف التى كانت قد استطاعت أن تنفذ منها إلى موافقاته السلبية، قالت لها:

- " إن سعيد بشر، وكل ابن آدم خطاء، وخير الخطاءين التوابون، وقد تاب سعيد... "

وقاطعتها مريم هانم:

- " هذا عند الغفور الرحيم.. لكن البشر شئ آخر لديهم حساباتهم التى لا ترحم، وحسابات مصطفى بالنسبة لسعيد أكبر بكثير من أن يغفر له هذا الجرم، لقد كان يعامله كابن وليس كأخ، وكان ينوى إشراكه مع بناته فى الميراث بعد وفاته، لولا فعلته هذه، ومع ذلك فقد فتح الله له على يدى أخيه مصطفى أبوابا كثيرة للرزق، تجعله فى غنى عن أموال مصطفى وميراثه، فماذا يريد أكثر من هذا..؟ "

وفكـــرت ســـهير هانم سريعا، ووجدت أنها تتحدث بذلك لأن سعيد بعيد عنها، لكنها إذا واجهته لن تتمكن من إخفاء مشاعر الأمومة مهما قسى قلبها، وهو غير ذلك، دعتها لزيارتها مـــع الكثـــير من الإلحاح، وأنها من واجبها عليها أن تبارك لها شقتها الجديدة التى أعدها لها مصـــطفى، ورحبـــت السيدة مريم بذلك وحددت موعدا، لكنها استمهلتها حتى تخبر مصطفى بذلك، فسارعت سهير:

- " هاتفيه، وإليك رقم تليفون عمله، وسامر عليك الآن لأصحبك إلى شقتى.. "

لقد وضعتها أمام الأمر الواقع، ومنذ متى وهى تستأذن ابنها عندما تريد الخروج، لم يكن ذلـــك إلا من قبيل تدبير وسيلة انتـــقال، ووسيلة الانتقال جاهزة، فما حاجتها لإذنه، لكنها لم تستطع، فتربيتها ونشأتها التى تعودت عليها، والتى تفرض عليها ضرورة الحصول على إذن مـــن تعيش فى كنفه، تجبرها على ذلك، كانت تأخذ الإذن من أبيها، ثم من زوجها، والآن من ابـــنها، ولماذا تسميه إذنا؟ أليس من حقه عليها أن يعرف أين هى؟ وهل هى أدرى بسلوكيات البشر مثلما هو؟ إذن لابد من محادثته وإعلامه بذلك.

كانـــت المرة الأولى التى تهاتفه والدته فى مكتبه، سعد بصوتها وهلل لها، وشعرت بما انـــتابه من القلق عندما أعلمته بنيتها لزيارة سهير هانم، هو يعلم أن سعيداً أخاه مقيما عندها بصفة مؤقتة إلى أن يجهز لنفسه بيتا، لكنه يعرف أخاه جيدا، فلماذا يتعب نفسه فى البحث عن سكن؟ بينما هو مقيم فى شقة سهير هانم التى من الاتساع والرحابة والديكور الفاخر والأثاث المنتقى بعنـــاية، والخدمة الممتازة ! النتيجة فى غير صالحه، ثم إن سعيداً لا يفكر فى الأمور الحياتـــية إلا إذا حـــركه أحد، وسهير هانم لن تطلب منه أن يترك شقتها إلى سكن آخر وهى تعلـــم كم سيكون ذلك شاقا عليه، خاصة وأنه لا يعرف عن أمور المنزل إلا سرير ينام عليه، ومرحاض يقضى فيه حاجته، إنه حتى لا يعرف كيف يسلق البيض، فكيف له أن يعيش بعيدا عن بيت فيه من يرعـــاه؟ وتنبه.. ومادام الأمر كذلك فمن الأولى برعايته؟ سهير المرعشلى أم أخيه !! فابتلع غضبه، وخلصت نفسه، ووافقها على طلبها بطيب خاطر، فشكرت له السيدة موافقته، وجلست إلى نفسها تحادثها عن السبب الذى تلكأ به مصطفى عن الرد عليها، لم يكن هكـــذا قـــبل بعدهـــا عنه، أو لعل أحداث أخيه هى السبب، قامت من فورها بالاتصال بسهير وأعلنتها برغبتها فى زيارتها، ورحبت السيدة أيما ترحيب، وأخبرتها بأنها فى طريقها إليها، فقامـــت مـــريم هـــانم لتســـتعد، وكم كان اللقاء حاراً بالقبلات والسلامات والأشواق، وأثناء الطريق، قامت سهير بالتمهيد لملاقاة سعيد:

- " لقد أعددت لك مفاجأة ستسرك حتما.. "

وشـــدت الكلمـــات كـــل انتباه مريم هانم وهى تستجديها أن تفصح عن طبيعة المفاجأة المنـــتظرة، لكن سهير تأبى أن تفصح عن المفاجأة إلا عندما تصبح حقيقة أمام عينيها، فربما

لو أخبرتها بها قبل الوصول إلى بيتها الذى لا يبعد كثيراً عن فيلا الخوجة، لرفضت الذهاب معهـــا، لكـــنها لا تعـــرف أن مريم هانم ومنذ أن وصلت القاهرة وشوقها إلى سعيد لا يدانيه شوق، فليست من ولدت مثلما من تربى،والطفل للفراش وليس للمأكل والملبس والرعاية، ولا يمكـــن أن تتساوى مشاعر الأمومة بين طفل ولد من الأحشاء وطفل لقيط أو متبنى، لابد وأن يكـــون هناك اختلاف فى المعاملة مهما بالغت الأم فى محاولة المساواة بينهما، وسعيد ابنها، وإن كـــان مصطفى هو الذى تولى الإنفاق على التربية والتعليم والتخرج والتفوق، فهى التى حملـــت وولدت وربت ورعرعت، وإن كان مصطفى حانق على أخيه التآمر مع زوجته على ســـرقة حجـــارة البروتين، فليس معنى ذلك أنه يكره أخاه، وتصرفه معه لم يكن من منطلق النكاية به بقدر ما هو درس له لكى يراعى الله فى تعامله مع الجميع، مهما كان تأثير زوجته علـــيه أو محاولـــتها الاستئثار به دون باقى أفراد عائلته، هى تعلم أن سعيداً مقيم عند سهير، وتعلـــم أن سهير تريدها أن ترى سعيداً لعل الوفاق يعود بين الأخوين، لكنها أرادت أن تخفى ذلك حتى ترى تصرفات سعيد على طبيعتها.

وكانـــت مفاجـــأة لسهير أن تسألها مريم عن سعيد، فقد كانت تظن أنها لا تعلم أنه يقيم عندها، فقالت بدلال الفنانة التى لعبت بالقلوب قبل العقول:

- " حرقتى المفاجأة يا مريم هانم، لم أكن أعلم أنك تعرفين أنه يقيم عندى.."

فقالت لها الأم:

- " مصطفى لا يخفى عنى شيئاً، وهو وإن كنت قد وافقته على طرد أخيه من أملاكه، إلا أنه لا يمكن أن يترك أخاه دون أن يعرف كل شئ عنه، ولعلك لا تدرين أن الشركات التى حصل سعيد منها على مقابل أحجار البروتين، قد ذهبت إلى مصطفى قبل أن تذهب إلى سعيد الذى دلهم على مكان منى، وأن مصطفى كان يترصدهم خطوة بخطوة حتى استردت الشركات الأموال من منى، فهاجمتهم الشرطة بناء على بلاغ من مصطفى حتى يعلم الجميع أنهم حصلوا على أموال لا تخصهم، وقد استعاد مصطفى كل المبالغ بأكثر من عشرة أضعاف ما سبق أن حصلوا عليه من بيع حجارة البروتين التى سرقوها من منزله، ثم بدأ التفاوض مع الشركات مرة أخرى على أساس

سليم وتعاقد واضح، لا بالأسلوب الهمجى الذى اتبعه سعيد وزوجته ورفقاء رحلة مصطفى، والكل أخذ جزاءه، أما عن موافقة مصطفى على زيارتك فقد كنت أريد أن اختبر حب مصطفى لأخيه، هل زال حبه لأخيه أم لم يزل؟ وموافقته كانت الإجابة على هذا السؤال.. "

وكانـت سـهير تظن أنها الأريبة التى لا يمكن أن ينازعها أحد فى شدة الذكاء والقدرة على تدبير المكائد، لكنها اكتشفت أن مريم هانم تسبقها فى ذلك بزمان، أما مصطفى فإنها لم تقـابل من هو فى شدة ذكائه وألمعيته ودهائه، طوت نفسها على ما اكتشفته فى نفسها أخيرا، وكان سعيد يراقب حضور سهير ومعها والدته على أحر من الجمر، وما أن وصلت السيارة، وشـاهد أمـه وهى تحاول الهبوط منها، حتى سالت الدموع من عينيه أنهاراً، وسارع قدميه يسـابق بهما الريح هابطا الدرج غير منتظر لمصعد أو خلافه، وتلقاها وهى تكابد مصاعب خـروج سيدة مسنة من سيارة صغيرة هى بالكاد حشرت نفسها فيها أثناء الركوب، ساعدها علـى الخـروج مـن السيارة وتلقفها فى صدره يبثها حبه وشوقه وكأنه طفل صغير حديث الفطـام، وأنكـرته أمه.. فقد التف شعر ذقنه على ملامح وجهه فلم يظهر منها سوى عينيه الضـيقتين، تأملته مرة أخرى وتأكدت منه فعانقته ثم عنفته وهو مطأطئ الرأس لم يرفع فيها عينيه خجلاً واعترافاً بخطئه فقالت له:

- "وما دمت معترفا بخطئك لماذا فعلت فعلتك؟"

وأجابها بعفوية مطلقة:

- " منها لله.. لم أتبين مقدار الشر الذى تنطوى عليه نفسها إلا بعد فوات الأوان، لكن الله أظهر الحق ونالت جزاءها، يكفيها الرعب الذى عايشته منذ أن أنذرها مصطفى بما يمكن أن تفعله هذه العصابات وحتى ما حدث لها ولأبيها، ولولا مصطفى لما رحمها منهم أحد.. "

ثم استدرك سريعا:

- " ولكنى طلقتها وسهير تشهد على ذلك، فهى التى أنقذتنى بالمأذون "

تعجبـت السيدة من لفظه اسم سهير مجردا من كلمة هانم أو غيرها مما ينادى به كبيرات

السن أو المقام، لكنها طمأنته وطلبت منه أن يذهب إلى أخيه يستسمحه ويطلب منه أن يغفر له.

فهــز رأســه بالإيجــاب، ودخل يجمع حاجياته، فأرادت الوالدة أن تتحقق من شكوكها، فنبهته إلى ضرورة الاستئذان من سهير هانم وشكرها على استضافتها لـــه، لكن المفاجأة أن سهير هانم رفضت الإذن له قائلة:

- **" بقدر ما كنت متشوقة للصلح بينه وبين أخيه، إلا أن وجوده عوضنى عن غياب أسامه، فقد كان لى نعم الابن، وأنا كما تعلمين وحيدة، وهو أنيسى فى وحدتى "**

فقالت لها مريم:

- **" ألا يكفيك شريف بشقاوته؟ "**

وهنا فجرت سهير القنبلة التى كانت مريم تشعر بها:

- **" شريف حفيدى.. لكن سعيد زوجى..."**

وعندما وجدت الذهول وقد خيم على السيدة دون قصد منها، أضافت:

- **" أو كنت تتوقعين أن يقيم رجل غريب فى بيتى دون علاقة شرعية بيننا.. هذا لا يرضيك، ثم أنه كان ابنا قبل أن يكون زوجا ولكن الحقيقة أنه أفضل من الابن وأروع من الزوج.. "**

والدمـــوع تنســـال من عيون مريم هانم ولا تدرى ماذا تقول، هل هو خطأ مصطفى أن مكـــن هـــذه السيدة من الاستحواذ على سعيد لهذه الدرجة؟ أم أنه خطأ سعيد أن استكان لهذه السيدة حتى مكنها من نفسه، وهنا فجرت سهير قنبلة أخرى:

- **" يا مريم هانم.. إننى حامل، وسوف أضع له ابنا خلال أشهر قليلة وهذا ما لم تستطع بنت شكرى أن تفعله.. "**

فانسحبت مريم هانم دون أن تنبس بأية كلمة، وسعيد يتعلق بها، لكنها لم تأبه لتوسلاته، وعادت إلى فيلا الخوجة والدموع تكاد تحجب عنها الرؤية، لولا أن مصطفى لم يتركها تذهب بسيارة سهير دون أن يرسل لها أحد سيارات الشركة ومع سائق من قبل الشركة يعرف الفيلا ويعرف شقة سهير المرعشلى جيدا، ربما لما وصلت إلى الفيلا سالمة.



١٧- عتاب

أســـرع مصـــطفى إلى الفيلا بمجرد أن أخبره السائق بحالة الوالدة بعد الزيارة، وجدها والدموع تملأ مقلتيها، حاول التهوين عليها والتسرية عنها، لكنها والحزن قد ملأ أرجاءها، لا تتكلم، وأخيرا قال لها مصطفى:

- " أليست حياته.. وهو حر يفعل ما يشاء..؟"

علقت بشيء من الحنق:

- " كنت تعلم، ولم تفعل شيئا.. أليس هو الذى كنت تتباهى بانه ليس بأخيك .. ولكنه ابنك البكر؟ يا لك من والد يخاف على ابنه من الشطط !!"

فحاول تبرئة نفسه:

- " ترك لى رسالة هاتفية يخبرنى فيها بزواجه منها.."

وتساءلت السيدة:

- " ألم يفاتحك فى الموضوع قبل الزواج.. "

فأجابها بقسوة:

- " وحتى لو كان فاتحنى.. ما كان فى مقدورى منعه.. أنت تعلمين ابنك.. إنه يفعل كل ما يريد... فى العلن إذا وافقنا، فإن لم نوافق يفعله فى السر، ويكفى أنه خالف وصية والده ودرس الفن سراً إلى جانب العلوم، ليس هذا فقط، ولكن دراسته وصلت إلى الدكتوراه، وكلنا باركنا له تلك الخطوة الجبارة... "

وتنهد بعمق، وبعد فترة من الصمت قال مواسيا:

- " لا تنس يا أمى أنه قارب على الأربعين، ولا يستطيع الحياة بدون زوجة، ولا توجد امرأة فى حياته، وأكبر الظن.. أنه أحب زوجته السابقة لأنها ربما كانت الوحيدة من بنات جنسها التى بادرته بأحاديث الحب، وربما لو أنه لم يستجب لما ظنه نداء قلبه، وربما

بكثير من الإلحاح الذى تتقن منى استخدامه لتحقيق أغراضها، لما تزوجها، وأكبر الظن أنه كان يعلم بسهرتهم فى ذلك الكازينو تلك الليلة، وإلا..لما أحضر معه حقيبة العجائب التى تحوى كل ما يعن له استخدامه، لأنها كانت تشتمل على شبكة الهانم، تلك الشبكة التى ألح عليك لشرائها، حتى أنك كنت على استعداد لبيع ذهبك الذى احتفظت به لحفيداتك لشرائها له، لقد تعلم منها الإلحاح.. "

بعد صمتها القاتل، قالت موبخة:

- " لا تحاول أن تتنصل من مسئوليتك عن هذا الخطأ الفادح.. لقد ترك لك الرسالة حتى يفتح معك باباً للحوار، لقد طلق منى رغم حبه لها إرضاء لك، وساعدك فى استرداد ثمن حجارتك تكفيراً عن أخطائه، وترك لك الفيلا بناءً على طلبك، فماذا تريده أن يفعل لتسامحه؟ يقبل قدميك !! إنك لم تترك له مجالاً آخر إلا الارتماء فى أحضان من يسرت له كل الأمور، طردته من الفيلا فوجد فى فيلا السوهاجى ملجأ له، وعندما اكتشف مؤامرة قتل جنينك قبل أن يخرج إلى النور.. طلق منى وفر من فيلا السوهاجى ولم يجد أحداً يهتم به بعد أن صدمته السيارة سواها نقلته إلى المستشفى، وطلب مأذونا ليطلق منى فوقفت متفرجا ولم تحرك ساكنا وقامت هى بالواجب لكى يخلو لها وتستطيع أن تتزوجه بدون ضرة، وبعد أن طلق منى لم تصبح فيلا السوهاجى مكانا مناسباً لإقامته،فطلبت منه أن يبحث له عن سكن له فسارعت هى تعرض السكن أولاً، كانت ترسم خطة الاستحواذ عليه وأنت كالمتفرج، أليس باخيك هذا الذى ألقيت به إلى هذه الحيزبون؟ "

وأرادت أن تشعره بفداحة خطئه:

- " إنها حامل يا ابنى.. كيف لعجوز فى السبعينات أن تحمل؟ "

فأجابها على تساؤلها ببساطة كادت تنفجر السيدة منها غيظاً:

- " كانت تحتفظ بمجموعة من بويضاتها فى أحد المعامل فى لندن، وسافرا لإتمام الحقن المجهرى... "



قالت بشيء من المرارة:

- " كأنى بك على علم بكل الأمور الخاصة بهما .. "

قال لها مراوغا:

- " حتى تتأكدى من أننى لم أتركه دون متابعة "

وسايرته فى مراوغته:

- " كأنى بك واقفاً على الشط يرقب غريقاً، ولا تمد له يد المساعدة، ومن هذا الغريق..؟ إنه أخوك.. يا لسعادتى بك خلفاً لوالدك.."

فقال بشيء من الكسوف:

- " أخبرتك يا أمى.. إنه أكبر من أن يقبل النصح، ثم إنها حياته، لقد كنا كظله، لا يفعل شيئًا دون موافقتنا أو مشورتنا، دعيه يجرب التجربة والخطا، حتى يعرف الصواب "

سألته مؤنبة:

- "وماذا عن المضار التى سيعانى منها صحيا نتيجة زواجه من عجوز فى سنها..؟"

أجاب بكياسة:

- " أعلم أنه كان يعالج ذلك بشيء من الحكمة، فهو لا يتركها لنزواتها، ولكنه كان يجبرها على القراءة والتعلم حتى تكون قريبة من مستواه العلمى، وتتفهم مركزه فى الجامعة وفى الأوساط الفنية "

قالت وهى تشيح بوجهها عنه:

- " أراك تعرف كل شئ عنهما... وتقف بلا حراك.."

قال وكأنه حكيم:

- " هكذا يتعلم كيف يحل مشاكله بنفسه.."

فسألته سؤالا مباغتا:

■ " وهل تقبل عودته إلى الفيلا.. "

أجاب بحذر:

■ " قولى إلى الجناح الخاص به، الفيلا الآن ليست خاصته، وسوف أقوم بنقل ملكية الجناح باسمه، فهو على وشك أن يكون أباً، ولا بد أن تكون لعائلته خصوصيتها، لكن لابد له أن يعلم أن كل شئ بثمنه.."

فسألته مباغتة:

■ " وماذا عن أمواله التى تحتجزها باسمه؟ "

أجاب بتأن:

■ " لقد قلتها يا أمى.. أحتجزها له، لم أستولِ عليها إذاً.. أنت تعلمين أننى أحتجزها إلى ما بعد المحاسبة النهائية.."

سألته مستاءة:

■ " ألم يسلمك كشفا بمصروفاته منذ أن توفى والدك؟"

فأجاب بشيء من المكر:

■ " يا أمى.. لقد شاهدت نظرات النهم فى أعين زوجته منى عندما علمت بقدر يسير من أموالى، فماذا تظنينها فاعلة لو علمت بحجم أمواله، وأنها أصبحت تحت يديه تفعل هى بها ما تشاء، إننى أحتفظ له بها لأحميه من نفسه ومن منى وربما من سهير أيضاً وغيرهما كثير، فانت تعلمين أنه لا يقيم للمال وزناً، ولا يهمه كيف ينفقه ولا علي من ! ولن أردها له إلا بعد أن أتأكد من أنه قادر على الحفاظ عليها. "

فأصـــدرت له أوامرها بالاتصال بأخيه ليعيده إلى حضنها، بغض النظر عن السن الذى تجاوز الأربعين، وبغض النظر عن الزوجة التى تجاوزت السبعين، وبغض النظر عن رغبة مصطفى أن يضع أخاه أمام أفعاله ليتعلم الخطأ والصواب ويمارس حياته بعد ذلك بحكمة من هم فى مثل سنه، وأطاع سريعا، إلا أنه بعد أن رفع سماعة الهاتف قال لها بشيء من التردد:

■ "تفضلى أنت يا أمى بالاتصال به ودعوته للحضور منفردا أولا، حتى نمهد لحضور زوجته، فأنا لا أريد الاحتكاك بزوجته فى الوقت الراهن، لوجود بعض الأمور المالية المعلقة بينى وبينها، والعلاقة الجديدة ستفرض على بعض التنازلات التى لن أقبلها، أرجوك يا أمى"

وتفهمت السيدة الوضع بعد المناقشة المستفيضة مع ابنها وحادثت سعيداً الذى استقبل المحادثة بسعادة من افتقد الحياة ثم عادت إليه فجأة، وأسرع يجمع حاجياته، إلا أن سهير وقفت أمامه تمنعه من الخروج وتصدر إليه الأوامر بشكل أزعجه، فخرج عن طوعه وكال لها ما كان يريد أن يقوله منذ اللحظة التى أخذت تتسال إليه بنعومة حية رقطاء، لكنه لم يستطع، فهو شريد بلا مأوى وضعيف بلا إرادة ومحطم بلا مشاعر، فلم تجد بداً من أن تلح عليه للبقاء معها فهى لا تستطيع الحياة بدونه، وأخذت تتلو عليه الكثير من عبارات الحب والوله، وهو يحاول تنحيتها عنه بشئ من اللين والرفق فى البداية، وعندما وجد منها بعض الإصرار على منعه بدأ فى معاملتها ببعض الخشونة التى وصلت إلى درجة الإطاحة بها، ولولا أنها استندت إلى الحائط لوقعت، وعندما وجدت أنه لا فائدة من استجدائه سألته وكأنها لا تعرف:

" ماذا تفعل..؟ "

وأجابها بشئ من العجب:

■ " أنا ذاهب إلى أهلى.. لقد تم تصفية الأجواء مع أخى.. ألا يرضيك هذا؟ "

قالت بشئ من القسوة:

■ " لقد حضرت هنا بلا متاع.. فلتخرج بلا متاع كما حضرت.. "

واستنكر منها هذا الجفاء، فأجابها بشئ من الغلظة:

■ " لك الحق فيما تقولين.. لقد أصبحت لعبة فى أيدى زوجاتى، الأولى تحرضنى على أخى وتخطط لقتل زوجته، والثانية اشترتنى بالطعام والإقامة وبعض الملابس البالية.. هل هذا ما تودين قوله يا بنت الأصول؟ "



وبعد فترة صمت:

- " لك ما تريدين.. لكن لا تلومين إلا نفسك.. فلقد أغضبتني تصرفاتك، وسوف أرسل لك وثيقة طلاقك بمجرد استقراري في فيلا الخوجة "

أخذت تسترحمه وتتوسل إليه ألا يطلقها، وقدمت له من التنازلات ما يسيل له اللعاب وهي تذكره بابنه الذي كان في شوق لقدومه، وهو مصمم على رفضه، فانزوت في ركن من الغرفة تبكي وتنعي حظها، وهو يرقبها بشيء من الغلظة وعدم الرحمة، ثم انتشل نفسه من هذا الجو الكئيب، وأطلق لساقيه العنان، وسارع بالخروج من جحيمها.

ذهب إلى الفيلا وكله أمل أن يعانق أخاه الذي حرم من حمايته وحنانه، لكن البواب الجديد أرشده إلى الجناح الخاص به حيث وجد والدته في انتظاره، ارتمى في حضنها كغريق عادت إليه الحياة، وبادلته أمه مشاعر الأمومة التي كانت قد تحجرت بسبب تصرفاته، وتعاتبا.. هي توضح له أسباب غضب أخيه منه، وهو يعاتبها على انضمامها إلى صف أخيه دون اعتبار لأمومتها له، هي توضح له أن ما فعله يعتبر إجراماً وأنه كان عليها أن تمتص غضب أخيه حتى لا يتمادى فيما يمكن أن يفعله معه، إنه لا يستطيع أن ينسى جرائمه حتى بعد الصفح عنه، وخاصة أنه ظل يتخبط نتيجة عدم وضع أسس سليمة للعلاقة بينه وبين زوجاته، فقد أصبح مزواجا، فعايرها بأن مصطفى تزوج من ثلاث، حاولت أن تقنعه أن زواج مصطفى كله لم يكن إلا بناء على تعقل وفكر صائب، ثم سألته سؤالا مباغتا:

- " هل تعاتبه على زواجه من ملى سيتو، التي ساعدته في اليابان وأحبته لدرجة الحضور إلى مصر وبقيت معه في مصر بعد زواجه منها بناء على رغبته، أم تعاتبه على طلاقه من بنت القرنفلي باشا، التي كانت سبباً في الخراب الذي حل به بعد عودته من اليابان، أم تعاتبه على زواجه من صفيه، وأنت تعلم من هي صفيه؟ "

كان يصدر تعليقه همهمات تفضح موافقته على تصرفات مصطفى في زواجه أو طلاقه، فاستغلت السيدة موافقته هذه حتى تعطيه الدرس الأول في الإصلاح، فقالت له مؤنبة:

- " ليتك تعلمت من تجارب أخيك.. وهذا هو السبب المباشر لغضبه عليك، ليتك تقوم



بعمل تثبت له فيه أنك الأخ الذى يحرص على أخيه ومصالح أخيه وبنات أخيه، لا الأخ الذى يريد أن يأخذ كل شئ دون عطاء.. "

فقاطعها:

- " وكيف لى أن أفعل ما تقولين.. إننى لا أعرف عنه شيئاً.. هو فى واد بعيد جداً عنى.. لولا التحليل الذى طلبه منى لحجارة البروتين، لما علمت شيئًا عنها، أما عن أعماله وبناته فأنا لا أعلم شيئًا عنهم، وهو لا يريد أن يشركنى فى شئ منها، ولا أريد أن أفرض نفسى عليه فى أى منها.. "

قالت السيدة والخجل يغلف صوتها:

- " ابحث وسوف تجد ما يشركك معه فى أعماله، أو حاول كما فعلت معه فى استرداده لثمن حجارة البروتين، أنا متأكدة من أنك لم تخبره بمحادثة رفقاء الرحلة، أو محادثة مندوبى الشركات، إلا حماية لمنى ورفقاء الرحلة ولك أنت شخصيا، فلا تحاول إقناعى أنك لم تكن تبحث عمن يحميك منهم، ومن أقوى من البطل الذى دائما ما ينقذك من كل مشاكلك، أليس كذلك؟ "

ولما هز رأسه بالإيجاب، لقنته الدرس الثانى فى الإصلاح:

- " إذاً كن له كظله، إن لم يكن هو يرغب فى ذلك.. فكن أنت مستعدا لتلبية أول إشارة منه.. "

وأعلن موافقته صراحة:

- " سابذل أقصى ما فى وسعى حتى أكون عند حسن ظنه، ولكن المشكلة الآن فى بنت المرعشلى التى لا تريد إطلاق سراحى، لقد هددتها بطلاقها، لكننى نسيت أن العصمة بيدها، وهى ولا بد ستطلبنى للطاعة.. ماذا أفعل؟"

وهـدأت السيدة من روعه، وتركته يرتب جناحه ويستعد للقاء أخيه بعد صلاة المغرب بالمسجد، وهى على يقين من أن الخلافات التى بينهما ستزول إن شاء الله.

قالت له بعد أن ألقت عليه تحية الإسلام واحتضنته مقبلة وجنتيه بحنان الأم:

- " كنت تبحث عن الطريقة التى تثبت بها حبك لأخيك وحرصك على مصالحه... "

أجابها بلهفة:

- " دليني عليها يا أجمل أم فى العالم."

قالت بدلال وقد أطربتها عباراته:

- " لقد سافر أخوك فجأة، وترك لى أموره، فأنت تعرف أن صفيه بالسويد تنفذ تعاقدات الشركة مع الشركات هناك، ومايسه بالصين تنفذ تعاقدات الشركة هناك، إلى جانب آخرين فى دول أخرى ينفذون تعاقدات الشركة بها، وبسفره يصبح المجال أمامك لتهتم بأمور الشركة هنا فى القاهرة وترعى مصالح أخيك، ولا تنسى ما فعله بعض مهندسى وعمال الشركة مع أخيك أثناء سفره فى اليابان..."

قفز فرحا، لكن والدته قصت عليه الأحداث التى قام بها مدير الشركة من محاولة لتحويل الشركة لاسمه، وما قام به مهندسو الشركة وعمالها من محاولة تحويل الأعمال لحسابهم، وكيف أن مصطفى استطاع أن يلقن الجميع دروساً فى معنى الإخلاص للعمل والضمير والوفاء والولاء، وكم كانت حسرة من انقلبوا على أخيك عندما علموا بما فتحه الله عليه بتلك العقود التى أرسل للعمل بها المهندسين من كبار السن أرباب المعاشات الذين أثبتوا وفاءهم وولاءهم للشركة، عله يتعظ، فعلق تعليقاً بسيطا حيث وعد والدته خيرا ثم قال:

- " لن أخيب ظنك يا أمى، سأجعلك تفخرين بى، كما سيفخر أخى بى فى إدارتى للشركة ربما بأكثر من فخره بى وأنا أدرس الدكتوراهين فى العلوم والفن، إن شاء الله.."

فتحت له غرفة مكتب مصطفى، وأرشدته إلى النوت بوك والتجهيزات التى سجلت خيانته لأخيه، فخجل من نفسه واسترحم والدته أن تغفر له، فهزت رأسها تعبيراً عن

المســـامحة، وأومـــأت برأسها بما يفيد ألا يحاول التلاعب مع أخيه، فلديه من الإمكانيات ما يجعلـــه علـــى علم بكل شئ، وأمرته بالذهاب إلى مكتب أخيه بالشركة، حيث استقبله المدير التنفيذى الذى عينه مصطفى من أرباب المعاشات بالترحاب وسلمه التعليمـــات، وتعجب من أن أخـــاه ترك له تعليمات بكل ما يجب عليه عمله وانهمك فى قراءتها، لكن المدير التنفيذى اقتحم عليه المكتب وهو غارق فى محاولة تفهم تلك التعليمات، ولم يترك له فرصة لكى يسأله حيث تساقطت الكلمات من فمه وهو يقول:

- " حدث حريق فى مزرعة أشجار البروتين، والخفير.. ربما يكون قد احترق مع النيران.. "

يالهـــا من مصيبة يواجهها منذ اللحظة الأولى التى دخل فيها مكتب أخيه، حريق وقتيل مـــنذ اللحظات الأولى له بالشركة !! وتساءل بينه وبين نفسه.. هل تراه مصطفى يواجه مثل هـــذه الحـــوادث دائمـــاً؟ أم أن الخير على قدوم الواردين !! استعاذ بالله من الشيطان وسأل المدير التنفيذى:

- " وما هى الإجراءات فى مثل هذه الحالات..؟"

وأجابه المدير التنفيذى بهز كتفيه دلالة على عجزه عن الإجابة، قائلا:

- " إن هـذه الأمـور كان مصـطفى بك يـتولاها منفرداً دون أن يشعر أى ممن فى الشركة بها، وقد جاء دورك.. "

فهـــم أن المديـــر قد لقن درسا ينفذه، وهو أن يترك كل الأمور الخطيرة لأخيه يتصرف فـــيها وفـــق مـــا تملـــيه الظروف وما يهديه إليه تفكيره، فتذكر النوت بوك وهم أن يستعمله للاتصـــال بأخيه حتى يتلقى منه التعليمات، لكنه أراد أن ينفرد بالقرار ليثبت لأخيه أنه الفلتة الذى يستطيع أن يصرف أمور الشركة بغير استعانة منه أو من غيره، سأل المدير التنفيذى:

- " وأين تقع مزرعة أشجار البروتين هذه؟"

فنادى المدير التنفيذى على مراسل المكتب ليستدعى السائق محمد، ثم قال:

- " لا يوجد هنا من يعرف مكان هذه المزرعة سوى ذلك السائق، وإذا لم يكن موجودا فلا

أمل لنا إلا فى أسطفان، فهو الوحيد فى الشركة الذى يعرف مكانها، فقد صحب معه هذا السائق أكثر من مرة.."

وما هى إلا لحظات حتى حضر السائق، وبكثير من الجدال استطاع سعيد أن يقنع السائق باصطحابه إلى تلك المزرعة، حيث أخبره السائق فى الطريق:

- " مصطفى بك قد أخذ على مواثيق مشددة بعدم الإرشاد عن هذه المزرعة مهما كانت الظروف، ولولا أنك أخوه لما صحبتك إلى هناك "

فشكر له سعيد هذا الكرم، وما أن وصلا إلى المزرعة بعد ساعات من بداية المشوار حتى أثارته الدهشة، العبارة كانت حريقا بالمزرعة، والمزرعة سليمة حيث لم يجد بها حريقاً ولا حتى آثار حريق، فأسرع إلى حيث حجرة الغفير، فوجد الحريق قد أتى عليها كلية فقد تم بناؤها من الخشب، ولم يتبق منها سوى الرماد، لكن وضح من بين الرماد وبصعوبة بالغة شئ كأنه عظام، فأسرع ينفض عنها الرماد ليكتشف أنها هيكل عظمى، أسرع السائق بنسبته للخفير، وعندما طالبه سعيد بعدم التسرع، طلب منه أن ينظر إلى أحد أصابعه وقال:

- " هذا هو خاتمه الذى لا يفارقه أبدا.. "

وتبين أن كل ملابسه وحاجياته الخاصة قد احترقت تماما، فلا يوجد ما يثبت هويته، وتعجب سعيد أن المكان مهجور تماما، وعنّ له أن يسأل السائق لكنه أحجم، وبعد فترة من الصمت..سأله:

- " كيف عرف المدير التنفيذى بأمر الحريق؟"

فقال السائق:

- " لعل الخفير هو الذى اتصل به وأخبره بأمره.. "

واستدرك حتى لا يسأله سعيد عن الوسيلة، فقال:

- " الجزيرة ليس بها وسائل اتصال سوى تليفون ميكروويف بالمنارة، لكن مصطفى بك ترك له محمولا ليتصل منه عند حدوث أية أمور تستلزم علمه بها، وطبعا الحريق من

الأمور الهامة التى كان يجب عليه أن يبلغ عنها.."

تفحــص سعيد الهيكل العظمى، وتبين له وجود آثار مواد كيمائية على العظام الملساء، فأخذ أحد الأصابع من الهيكل العظمى ليس الذى به الخاتم طبعاً، ووضعه فى كيس بلاستيكى كان معه، وذلك دون أن يشعر به السائق، وانصرف، وسأله السائق:

- **" ألن تبلغ الشرطة؟ "**

فهــز رأســه موافقــا، لكــنه أرجأ ذلك إلى ما بعد الوصول إلى المكتب، فقد تذكر أن مصطفى لا يتصل بالشرطة إلا من خلال الضابط علي، ولابد له أن يتبع ما كان يفعله أخوه، لكى يتفرغ هو لدراسة المادة الكيمائية التى لاحظها على الهيكل العظمى للخفير.

وبعــد تجــارب عــدة ومحاولات دؤوبة تبين له أن المادة التى على العظام ليست مادة كيمائية.. ولكنها نوع من الأنزيمات التى تفرزها بعض أنواع النباتات سواء البحرية أو غير الــبحرية لتذيــب بها فريستها فيسهل امتصاصها، وبدأ البحث فى الكتب والمراجع، وسؤال العلماء زملائه عن وجود أية نوعيات من تلك النباتات فى تلك المنطقة، والإجابة هى النفى، فقــد حبانا الله فى مصرنا الحبيبة بالسلام فى كل شئ، فلا الحيوانات من بينها ما هو مفترس أو ضــــار، ولا النــباتات كذلك، أما عن البشر فحدث ولا فخر، فكلهم تقريبا يحملون صفات وراثية أليفة لا تظهر فيها العدوات إلا انتقاما لثأر أو إزالة لعار الشرف أو دماراً لمعتد آثم أو تأديــباً لمــنعدمى الضمائر، فكيف إذاً حدثت الوفاة؟ وفوجئ سعيد بالضابط علي يقتحم عليه المكتب وقد فغر فاه من المفاجأة المذهلة التى أفضى بها إليه:

- **" إنه لا يوجد أثر للحياة على الجزيرة.. لا بشر ولا حيوانات ولا دواجن... لا شئ على الإطلاق فيما عدا بعض الهياكل البشرية والحيوانية، وهذا الأمر حير الجميع. "**

وقال سعيد والدهشة مازالت تتملكه:

- **" هناك بالجزيرة شئ غامض، نوع من أنواع الحيوانات أو الزواحف أو ربما الحشرات التى تفرز إنزيمات تذيب الخلايا الحيوانية، وتترك العظام، ولابد من السرعة فى التعرف على هذا الكائن قبل أن يستفحل أمره "**

وتساءل علي:

- " وما هو المطلوب منى بالضبط؟ هل يجب رفع الأمر إلى السلطات؟"

وتمهل سعيد كثيرا قبل أن يجيب:

- " هذا القرار لا يمكن لى أن أتخذه منفرداً، لابد من حضور مصطفى.. "

لكــن علــياً شرح له ضرورة إبلاغ السلطات البوليسية للتحقيق فى وفاة الخفير، وكذلك ملابسات حادث الحريق، ولابد من إبلاغ أهل الخفير لاستلام هيكله العظمى لدفنه، وهذه كلها أمور لا دخل لمصطفى فيها، فعلق سعيد تعليقاً بسيطاً:

- " اترك لى بعض الوقت، ريثما أتصل بمصطفى وأطلعه على الموقف وأستطلع رأيه.. "

وعلــى الفــور قام سعيد بالاتصال بمصطفى وشرح له الموضوع كاملا بما فى ذلك ما توصــل إليه من تحاليل للمادة التى وجدها تغلف الهيكل العظمى للخفير، فاستمهله مصطفى لكــى يحضــر خــلال يوم أو يومين على الأكثر، ثم أملاه اسما لأحد كبار قيادات الشرطة، وطلــب منه أن يتصل به ويذهب لمقابلته بحضور الضابط علي وليترك لهما الأمر، على أن يطلعــه علــى المستجدات أولاً بأول، وفوجئ سعيد بالمعلومات الخطيرة التى يطلعهما عليه الضابط الكبير حيث قال:

- " جزيرة المنارة... لقد ثبت لنا أن جميع العاملين فى هذه الجزيرة من المحترفين فى تجارة الممنوعات بجميع أشكالها، وأهمها المخدرات البيضاء والعملة المزيفة، وأن تربية الدواجن والتجارة فيها، لم تكن إلا أعمالاً للتمويه، أما مظهرهم البائس وأحوالهم المالية التى تظهر أنها متعثرة، وقروض صندوق التنمية وخلافه فما هى إلا ستار لأعمالهم الشيطانية، ونحن بسبيلنا لحل ذلك اللغز، والقبض على الرأس المدبر لكل هذه الأعمال... "

ولم يلبث سعيد أن قاطعه:

- " هل تم إعدام المدعو عباس قللى؟ وذلك السفاح جوبيتر؟"



وعلق الضابط الكبير:

- " وما علاقتهما بالموضوع..؟ عباس قللى وجوبيتر بالسجن، فكيف لهما القيام بأية نشاطات خارج السجن؟ "

واندفع علي:

- " لقد سمح لهما بهاتف محمول.. وبذلك يستطيعان الاتصال بالعالم .."

فقال الضابط الكبير:

- " ربما.. على كل.. سوف نبحث هذا الموضوع، ومبدئيا يجب وضع الهواتف المذكورة تحت المراقبة "

ونظر إلى علي وأكمل:

- " وهذا أمر يا حضرة الضابط، عليك تنفيذه فورا.. "

ونفذ علي الأمر ببعض الاتصالات، لكن سعيداً لم يجد رابطا بين تجارة الممنوعات وإحراق كوخ الخفير وقتله، ولا بين ما نشر فى الجرائد من شنق للمدعو البرنس عباس قللى وتصريح الضابط الكبير بأنه مازال فى السجن هو والمدعو جوبيتر، ومصرح لهما باستخدام محمول، واقتصر الكلام مع الضابط الكبير على ما يتعلق بلغز حريق كوخ الخفير ومقتله، فعلل ذلك قائلا:

- " ربما كانت هذه المجموعة لا تريد لأحد أن يعرف شيئًا عن نشاطاتها، ولعل هذا الخفير ليس منهم، وحاول ابتزازهم والاستفادة من ناتج نشاطاتهم.. هذه كلها تكهنات لن تظهر حقيقتها إلا بعد التحقيق الدقيق.. "

والتعليل قد يكون له ما يبرره، فأعلن سعيد ضرورة الالتزام بذلك صراحة، وطلب عمل محضر ليثبت فيه حادث إحراق الكوخ ومصرع الخفير، لكنه أعلن أن الإنزيمات التى عثر عليها على الهيكل العظمى للخفير لا تزال لغزاً محيراً لن يعرف سره إلا إذا تمكنوا من الكشف عن طبيعتها.

أثـــناء الطـــريق، دردش الضابط علي ببعض أسرار تلك الجزيرة، وسعيد منصت، ولا يســـتطيع فكره المستقيم أن يستوعب إمكانية حدوث ذلك فى مصر ومن مصريين، فقد رسخ فـــى يقيـــنه أن المصــــرى رجل مسالم، لا يسعى إلى المشاكل ولا يحاول أن يضع نفسه فى مواضع الشك، ولو كان كذلك لما ظل مستعمراً لمدة تزيد على الثلاثة آلاف سنة منذ احتلال الاســـكندر الأكبر لمصر ثم تلاه البطالمة ثم الفتح الإسلامى، ثم العثمانى ثم التركى الذى تم خلالـــه احـــتلال فرنسى وآخر إنجليزى، إلى أن قامت الثورة، وما نراه من بعض المسئولين الذيـــن يعتبر كل منهم فى دائرة اختصاصه وكأنما هى عزبة خاصة يديرها لحسابه ويفرض فـــيها قوانيـــنه وتعلـــيماته، ويـــرى تابعيه كل مخالفاته ولا يطالبه أحد منهم بالكف عن تلك الممارســـات الغريـــبة، وإذا مـــا تفلســـف أحد المواطنين، وصمه بتهم قد تصل إلى الخيانة العظمى، أو قلب نظام الحكم، سيقلبه ليكون ماذا؟ نظام ملكى بدلا من جمهورى ! لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

فوجـــئ سعيد بأن البوليس يعرف الكثير عن نشاطات أهل الجزيرة، فقد تفتق ذهن من يحركهم إلى إقامة منتجع سياحى طبى، نال بركات العضوية فيه كبار الأثرياء فى العالم وفى مصـــر كذلك ، ومعظمهم إن لم يكن كلهم من الماسونيين، الذين تجردوا من كل شئ.. القيم والمـــبادئ والديـــن والملابس، وتبين أخيراً من الصور وأفلام الفيديو التى تم تصويرها لهذا المنتجع أنه ناد للعراة، يضم الكثير من الشواذ جنسيا من الجنسين وترتكب فيه كل الموبقات، وقـــد قام البوليس برصد الكثير من نشاطات هذا المنتجـــع، وتعرف أخيرا على كيفية تسلمهم للمخـــدرات، وهى عملية معقدة جداً لا يمكن للجن أن يكتشفها، وإن اكتشفها فلا يمكن معرفة مسارها الكامل أو الوصول إلى رأس الشبكة ولا حتى ذيلها،فعلق سعيد بعفوية:

- " لذلك فانا أجزم أن عباس قللى ليس فى السجن، وإنما هو حر طليق، وعليكم البحث عنه بكل دقة، فهذا الكابوس له من الأساليب الشيطانية ما يمكنه القيام بأى عمل يريده دون أن تناله يد القانون، لدرجة أنه استطاع إخفاء شكله الحقيقى عن الجميع، ولعل ما أرشدتكم إليه زوجته السابقة.. زوجتى الحالية لم يكن هو، وربما تكون قد أجبرت على التعرف على من قدم لكم على أنه عباس قللى، والبوليس الدولى لا يعرف

شكله على وجه الدقة وكذلك كل الفنادق التى كان ينزل بها.. هذه بعض الكلمات التى تفوهت بها زوجتى الحالية أيام الرضا، عندما سألتها عن سبب عدم حملها منه، واحتفاظها ببعض بويضاتها لاستخدامها فيما بعد.. "

وأثارت هذه المعلومات الضابط علي، وتفوه ببعض العبارات عله يحرك لسان سعيد فيدلى بالكثير عما قالته زوجته سهير المرعشلى، لكن سعيداً عرج على أمر آخر، فقال:

- " لقد تسبب عباس قللى فى تاخير بناء برج المرعشلى الذى أنهى أخى إجراءات إقامته على أرض قصر الأشباح، قصر المرعشلى الذى كان مملوكا لسهير المرعشلى واشتراه أخى منها، والعجيب أن العرقلة تمت بناء على إجراءات قانونية، فقد اعترض عباس قللى على الهدم باعتبار أنه مصرى وكان مستاجراً للطابق الأرضى والبدروم من سهير المرعشلى ولا يزال العقد سارياً ، ولا يجوز لها أن تبيع القصر لمن يهدمه ما لم ينتهى العقد بينهما، وصدر الحكم بإيقاف أعمال الهدم غيابيا، ذلك أنه اتخذت أساليب غير شريفة فى عمليات الإعلان، فلم تحضر سهير ولم يحضر أخى، وفوجئ أخى بالشرطة تحيط بالقصر وتمنع هدمه، وما هو أكثر من هذا، فقد فوجئ بمجموعة من الغوغاء تقتحم المكان وقد أحضرت معها ونشا وكانما هم بسبيلهم لرفع شئ له ثقله، لكن أخى أجرى بعض الاتصالات التى أوقفت هذه المجموعة عند حدها، ولم يدل أى منهم بأية معلومات عن أسباب حضورهم أو إحضارهم لهذا الونش، ولما أبلغت سهير بالأمر لم تعلق على ذلك سوى بتوكيل محام لها سلمته بعض المستندات التى تثبت عدم سداد عباس قللى للإيجارات منذ أن تزوجها، وحيث أنه ثبت عدم انتمائه للجنسية المصرية واتخاذه هذا المكان مرتعا لنشاطاته المشبوهة، فقد صدر حكم بإلغاء الحكم السابق، وبدأ الهدم، إلى أن وصل إلى مكان معين من البدروم، فوجئوا بانه محاط بسياج من الحماية الخرسانية والحديدية لم تفلح معه كل طرق الإزالة الحديثة، وتاكد لأخى أن الونش كان لرفع هذا الشيء، وأن المجموعة التى قدمت معه كانت على استعداد لاستخدام القوة إذا لزم الأمر، ولكن تدخل البوليس بقوة أفشل مخططهم، وقد توقف المشروع حتى تاريخه، فقد ساور أخى الشك فى احتمال وجود شئ غير طبيعى ربما يهدد حياة سكان المنطقة، ولم تعلق سهير زوجتى على ذلك..."

وأسرع الضابط علي إلى سهير المرعشلي ليسألها عن السر الرهيب الذى وجده مصطفى بالـبدروم، لكـنه لـم يجد أحداً بالشقة التى كان مصطفى قد اشتراها لها باسم شريف حفيدها، واتصـل علـى بسعيد ليفسر له سر اختفائها، وقام الاثنان بالبحث عنها حيث تبين أنها حاولت الانتحار بعد أن طالبها سعيد بالطلاق، وأنها فى إحدى المستشفيات تعالج من نتائج ذلك، فأسرع علي إليها، ووجدها بعد أن تماثلت للشفاء على استعداد للإجابة على كل أسئلته، قالت له:

- " كان عباس قبلى يخرج من جيبه شيئاً يشبه الريموت كنترول ويهددنى دائما بنسف القصر بمن فيه كلما حاولت أن أتخلص منه باعتبار العصمة فى يدى، وكنت أظنها عبارة مثلما نسمعه من الكثيرين تعبيرا عن شدة الغضب، ولعل الشيء الذى تذكره هو ما كان عباس يهددنى به، والعجيب أن مصطفى لم يذكر لى ذلك، لعله لم يرغب فى فتح حوار معى لأنه يتصور أننى استوليت على أخيه سعيد، لماذا يلومنى؟ فليلم نفسه أولا، لقد طرد أخاه من الفيلا والجناح الخاص به، وجعله يخرج هو وزوجته السابقة بدون شئ سوى الملابس التى كانا يرتديانها، والعجيب أن سعيداً عندما كان بالمستشفى أراد أن يطلق منى، فوقف مصطفى كالمتفرج، رغم أن سعيداً انطلق من فيلا شكرى السوهاجى بعد أن علم بنوايا زوجته ووالدتها فى التخلص من صفيه حتى لا تضع طفلاً ربما يكون ذكراً فيحرم سعيد من أن يرث أخاه بعد موته، وفكر سعيد سريعا هى تريد أن تستولى على ميراث مصطفى وذلك بقتل أم الوليد حتى لا يكون ذكراً، ثم ماذا بعد ذلك؟ تقتل مصطفى.. ليرثه سعيد، ثم تقتل سعيد لترثه هى، وربما تقتل مريم هانم أيضا حتى لا ترث السدس بحسب الشرع، وربما تجد أنه يجب عليها قتل بنات مصطفى كلهن حتى يخلو لها الجو تماما، سلسلة من جرائم القتل تخطط لها تلك الزوجة الجشعة، وقد تطوعت أنا بحماية سعيد من كل هذا بان تزوجته وأبقيته فى شقتى التى لا تعرفها زوجته السابقة منى، إلا أن ذلك لم يعجب مصطفى فقاطعنى حتى أنه لم يفاتحنى فى موضوع ذلك الشيء، والحل هو أن تقوموا أولا بمحاولة التعرف على ما بداخل ذلك الشيء من مواد قد تكون متفجرة ثم تبدأون التعامل معه بالأسلوب المناسب. "

تعجـب علـي مـن استنتاجات سهير المرعشلي، وعندما سألها عن سبب إقدامها على الانتحار، قالت:

- " سـعيد هـذا جوهـرة مـن ترتـبط به تكون قد نالت أعلى وسام فى العالم، لقد عوضنى خلال مدة زواجى منه عن كل سنوات عمرى السابقة وعن زواجى من عم صفيه أو من عـباس قللـى... كان كـل أمـلى أن يكـون سـعيد هـو الـزوج والابـن والعائلـة كـلها بعد أن انقطعـت عـن عائلـتى بسـبب احترافى للفن، لذلك كان أملى أن يكون له ولد منى، لكنه هجـرنى بمجـرد أن توطـدت علاقـته بأخـيه مـرة أخـرى، فلم يكن أمامى إلا الانتحار، وقد تسبب ذلك فى فقدانى للجنين، يعنى خسارتى لا تعوض.."

ثـم بـدأت عيناها تدمع بغزارة، لم تحاول حتى تجفيف الدموع، ولكنها جثت على يدى علي بتذلل وهى تقول له:

- " أرجوك حاول إعادته لى... ولك الحلاوة، قل له أننى أحبه.. أحبه أكثر من نفسى ومن كـل هـذه الحـياة ومن فيها، استحلفه بكل غال عنده أن يعود لى وسوف أكون له الجارية الـتى لا تطالـبه بأيـة حقـوق، ولا حـتى بـالحقوق الزوجـية، أريـده إلى جانـبى فقط، وجوده معى كان حصنا حقيقيا لى حتى ضد المدعو عباس قللى."

وتوقف علي عند هذه الجملة يريد إيضاحا، فأردفت:

- " إن الـذى تعرفت علـيه لديكـم قد لا يكون عباس قللى الحقيقى، فلا أحد يعرف شكله الحقيقى حـتى أنـا، فقد كان دائما ما يأتى بأشكال مختلفة، حتى اختلطت عليَّ أشكاله فمـا عـدت أميز أيهم فرفضت معاشرة أى منهم، ولكننى بعد أن أصغت السمع للصوت الـذى بـدأ يهاتفنى به منذ أن هجرنى سعيد، تأكدت أنه لعباس قللى، وبناء عليه فإن ما نشـرته الصـحف عـن إعدامـه لـيس حقيقـياً، وأنـه لم يمـت كمـا أعلنـت الجـرائد، وأنـه لا محالـة سـيحاول الانـتقام منى، لم يحدث ذلك أثناء وجود سعيد مـعى، حتى عندما كنا فى لندن لعمل الحقن المجهرى، لم يظهر لى إلا بعد أن تركنى سعيد.. "

فقاطعهـا علـي معلناً أن إدارة السجن سمحت له بمحمول، ذلك الذى كان يهاتفها منه،

لكنها أكدت له:

- " إن مكالماته لى كانت تاتينى من فنادق من دول شتى وأن التى كانت تطلبنى أولا هى عاملة التليفون فى تلك الفنادق، حيث تتولى أجهزة خاصة بث إعلانات ترويجية عن تلك الفنادق، وأنا أعرف هذه الأمور جيداً "

وخرج علي وهو على قناعة تامة بأن عباس قللى حر طليق، فلا يستطيع القيام بهذه الأمور إلا واحد مثله، وحيث أن البوليس الدولى لم يكشف عن شخصية مثيله هذا، فلا يكون هناك سواه، وجلس يتسامر مع سعيد حول هذا الأمر، فذكر أن البوليس عندما اكتشف انعدام الحياة بالجزيرة، أرسلوا قوة من البوليس تستخدم المدرعات الحربية خشية أن يكون وراء عمليات القتل بالجزيرة مجموعة من القتلة المحترفين، وذلك للتعرف على طريقة دخول الممنوعات إلى مصر، وقد ورد تقرير منذ يومين يفيد أن القوة سمعت أوامر تصدر من مكبرات صوت بالجزيرة بأكثر من لغة، تدعـو المختصـين لسرعة انتشال الغريق، وذلك بعد أن رصدوا مرور سفينة شحن اقتربت من سـواحل الجزيرة بشكل واضح، فصدرت الأوامر لحرس السواحل بالتعرض لها لدخولها المياه الإقليمـية للبلاد بدون تصريح، وعندما لم ترصد القوة أية حركة غير عادية بالمنتجع تلبية لهذا الـنداء، فأنت تعلم أنهم يستخدمون أجهزة الرؤية الليلية التى تظهر كل شئ فى الظلام وكأنه فيلم تلـيفزيونى، وعـندما وصلوا إلى مصدر الصوت تبين وجود جهاز كمبيوتر هو الذى يتحكم فى الكثـير مـن نشـاطات المنتجع، وقد ثبتت الصورة التى على شاشته على قارب صغير بجوار الشاطئ، فأسرعوا إلى الشاطئ فوجدوا قارباً صغيراً نسبيا يهتز وقد علق فى سلك فولاذى وإلى جانبه جهاز شد مرتبط بونش صغير لم يتبين للقوة كيفية تشغيله.

وبالكشف عن الشحنة بالقارب وجد أنه ممتلئ بالممـنوعات، فطلبوا أخصائى كمبيوتر للـتعرف علـى طريقة تشغيل هذه التقنيات وفك الشفرة، لكن القيادة العليا بالشرطة أصدرت الأوامـر بعـدم الاقتراب من أية تجهيزات حتى يصل أخصائيو الكمبيوتر، ولينتظروا مرور سفينة أخرى فيقومون برصد حركة هذه الأجهزة، وذلك استنادا إلى خلو الجزيرة من البشر، وعـندما حضـر أخصـائيو الكمبـيوتر استطاعوا التعرف على أسرار هذه التقنيات وكيفية تشغيلها، وتبين أنها تعمل بناء على تعليمات كمبيوتر دقيق جدا وحساس، ولم يطل انتظارهم



لســفينة أخــرى حيث قدمت بعد سويعات من إصدار النداء، وتبين أن السفينة تصدر ذبذبات قويــة اســتطاع الفنيون رصد تأثيرها فى مياه البحر، ينطلق على أثرها القارب الذى يصدر بدوره ذبذبات تحدد مكانه بدقة تستقبلها السفينة فيلتحم القارب الصغير بالسفينة بطريقة ما، ثم يخــرج ذراع من السفينة يحمل فى نهايته الشحنة المحددة من الممنوعات فيلقيها فى القارب الــذى لا يكــاد يظهــر لأنه تحت سطح الماء تقريبا لا يطفو إلا عندما توضع فيه الشحنة، وبمجــرد أن تســتقر الشحنة فى مكانها بالقارب يعود إلى الغوص إلى عمق أكبر، حيث يبدأ الونش على الشاطئ بالمنتجع فيسحب القارب، إلى الشاطئ بواسطة سلك من الصلب، فينتشله العــاملون بالمنــتجع، ويتولى رجال الجزيرة توزيع الممنوعات بعد تصنيعها بالمنتجع وذلك بوضعها داخل أكياس الدجاج قبل تجميده، وقد قامت الوحدة بانتشال الشحنة من القارب.

وصــدرت الأوامــر باعتقال السفينة والتحقيق معها فى أمر الشحنة ومصادرة السفينة واعتقال البحارة والتحقيق معــهم، كما قامت الشرطة بحجز السفينة السابقة واعتقال البحارة والتحقيق معهم، وصدرت الأوامر لمهندسى الكمبيوتر للتحقق من هذه التقنيات والتعرف على بــرامج الكمبــيوتر التى تدير كل هذا النظام،لكن للأسف أن الأخبار انقطعت من تلك الوحدة البوليسية منذ ذلك الحين، ونحن نزمع إرسال وحدة أخرى، فانتفض سعيد وهو يصرخ:

- **" لا... لا ترسلوا أحداً، وإذا لم يكن من الأمر بد، فليكن ذلك بوسائل غير التحرك على الأرض، بعنى قوارب أو طائرات، فكما سبق أن قلت لك، أننى أشك فى وجود شئ غامض بهذه الجزيرة، وحش أو حشرات أو.. أى شئ من هذا القبيل... "**

واســتدرك ســعيد نفســه قبل أن يقول نباتات ماصة للأزوت، ذلك أنه خشى أن تكون أشجار البروتين هى المسئولة عن كل هذه الحوادث، فأسرع يبحث عن القطط الثلاث اللاتى اســتخدمهن فــى العرض أثناء المؤتمر ليثبت أن البروتين فى هذه الحجارة بروتيناً حيوانياً ولــيس بروتيــناً نباتياً، فلم يعثر لهن على أثر، لكن والدته أثناء هرولتها فى الصباح الباكر كعادتهــا مــنذ أن حركت فيها حفيدتها مايسه النشاط، لاحظت وجود شجيرات غريبة الشكل تشــبه شــجيرات البروتين وسط كومة من الحجارة فى أقصى الحديقة، وعندما اقتربت منها تبيــن أنهــا تخــرج من هياكل عظمية لحيوانات صغيرة رباعية الأرجل لعلها تكون قططاً،

وأفضـــت بهـــذه المعلومـــات لابنها سعيد الذى أسرع إلى حيث أرشدته والدته، فوجد القطط الـــثلاث وقـــد تحولن إلى هياكل عظمية، وقد أعملت شجيرات البروتين جذورها فى الهياكل العظمـــية، ربمـــا لتمـــتص ما تبقى بتلك العظام من مواد آزوتية، وتأكد له أن جذور أشجار البروتيـــن بالمزرعة هى المسئولة عن المآسى التى حدثت بتلك الجزيرة، وربما تتولى تحليل الهياكل العظمية وتمتص كل ما تبقى بها من مواد آزوتية، فأسرع يسأل علياً:

- " هل قمتم بتصوير كل ما حدث على تلك الجزيرة بالفيديو..؟"

ولمـــا كان الجواب بالإيجاب، طلب منه الاطلاع على ما تم تصويره، وهاله ما رأى، فلم يتصـــور أن هناك إنساناً مهما كانت أخلاقياته أو تربيته أو عقيدته يسمح لنفسه أن يتمشى أمام الـــناس بدون ملابس يستر بها عورته على الأقل، فضلا عما رأى من مشاهد خزى وعار عن لـــواط وسحاق وزنا فى الحدائق العامة وأمام الجميع بدون حياء، فتذكر قول الله سبحانه وتعالى "فطفقـــا يخصفان عليهما من ورق الجنة" وذهب يبحث عن الكلب مخلص، فوجده بصحة جيدة، فتصـــور أن مـــوت القطـــط ربما لا يكون بسبب ما أكلته تلك القطط من حجارة بعد نقعها فى الماء، وإلا لأصاب مخلص ما أصاب القطط، وقد أرجع ما حدث لمن بالمنتجع إلى أنه غضب من الله سبحانه وتعالى على قوم استحلوا حرمته، وربما كان الأمر كذلك بالنسبة لأهل الجزيرة كلهم جميـــعا، خاصة وأنه تبين أن الكثيرين منهم كانوا أعضاء أو موظفين فى المنتجع.

واســـتمر فـــى البحث عن السبب فى وجود هذه الإنزيمات، وكلما أعيته الحيلة لا يجد أمامـــه إلا أشـــجار البروتين التى ربما تكون سببا لما حل بهذه الجزيرة، خاصة وأنه عندما حادث مصطفى فى هذا الأمر، استبعد تماما أن تكون أشجار البروتين هى المسئولة عما حل بـــأهل الجزيرة، وقال له ظنا منه أن السور الذى أقامه من الخرسانة المسلحة سوف يحصر أشـــجار البروتين وجذورها داخل حدوده ولن تتعداه أشجار البروتين أو جذورها إلى منتجع على البحر، أو إلى قرية بأكملها تجهز عليها بشرا وحيوانات وطيوراً وخلافه، وأنهى الحديث معه بتلك العبارات:

- " ابحث عن سبب آخر يكون مسئولا عما حدث، لم أسمع عن شئ من هذا القبيل فى أى مـن مـزارع البروتين التى أقمناها فى الدول الأخرى، وبناء عليه فإن أشجار البروتين لا

يمكن أن تكون مسئولة عما حدث عندكم. "

لكن سعيداً لم يقتنع بما قاله أخوه، وأرجع ذلك إلى أنه ربما تكون إنجازاته والأموال التى تنزل عليه كالمطر هى السبب، وليس لديه استعداد للتخلى عنها ، فظل فى بحثه عن وسيلة يقضى بها على أشجار البروتين، فاستخدم الحريق، وتأكد له عدم جدواه تماماً مثلما حدث فى حريق كوخ الخفير، حيث لم يحترق سوى الكوخ والخفير معه، ولم تطل النار أشجار البروتين بأى أذى، ذلك الشجر إذا تعرض لحريق له خاصية إخراج كمية من غاز ثانى أكسيد الكربون تكفى لإخماده، كما أن لديه وسائل أخرى تمكنه من تحصين نفسه من أية محاولات اقتلاع أو تدمير، وكأنما حصن نفسه ضد أى تصرف بشرى يقصد به شرا، وطالت معه التجارب، ولا شئ يجدى، وهو يدعو الله أن يصل مصطفى بأسرع ما يمكن حتى يرفع عن نفسه الحرج، ويخلى نفسه من المسئولية، ويتعجب من نفسه أنه كان يلوم مصطفى على عصبيته الشديدة خلال الفترة السابقة، فإن كانت حياته كلها مشدودة على هذا النحو الذى يحطم الأعصاب لا أن يشدها فقط، فإنه من الواجب غفران ما يتلفظ به من ألفاظ ثائرة، ينفث بها عن ثورته، ثم تذكر منذ متى وأعصابه لم تكن مشدودة؟ ألم تكن مشدودة أثناء زواجه من سميحة القرنفلى، والشجار اليومى الذى لا ينتهى إلا باستخدامه أساليب التهديد حتى ظننتها سميحه تهويش فأظهر لها العزم على استخدام السوط الذى كان جده يحتفظ به لتأديب الخارجين على حدود الله، وماذا عن زواجه من صفيه.. ألم تكن قصته معها كلها شد أعصاب خاصة مع أحداث الكشف عن عصابة عباس قللى؟ مسكين مصطفى هذا.. هل هذا هو ثمن المال أو المجد أو كليهما؟ وهل هذا الثمن يهون أمام لذة المال أو عشق الجاه والمجد أو سعادة السلطان؟ أم أنه قدر الله الذى يجب أن نقبله راضين بغير اعتراض أو تذمر، ووجد أن قدر الله قد أعاده إلى أخيه فى هذه الفترة الحاسمة من مشروع أشجار البروتين، فمن هذا الذى كان على استعداد بأن يتفرغ له كلية ليبحث ويحلل ويحاول الوصول إلى مستحضر كيمائى يوقف به نشاط هذه الأشجار سواه؟ وهل سيقدر مصطفى ذلك؟ وهل كان مصطفى ينتظر منه سوى ذلك؟ ليس بالصعب عليه أن يعين بدل الخبير مائة ليصلوا إلى ما قد يصل إليه فلتة زمانه هذا، إنه يعطى لنفسه أكثر من حقه، الحقيقة أن مصطفى ليس فى حاجة إليه ولكنه هو الذى فى أمس الحاجة إلى مصطفى، إنه لم يشعر بالأمان ولا الاستقرار إلا منذ أن



وطئــت قدمـــه حديقة الفيلا، ولم يشعر بأهميته إلا عندما أوكل أخوه إليه عبء إدارة الشركة وترك له بيانا بالمسئوليات والتعليمات التى يجب عليه اتباعها، إنه لم يترك فى هذه التعليمات شيئا لم يذكره وبتفصيل مذهل، حتى أنه كان كثيرا ما يرجع إليها للتعرف على ما يصدر من قـــرارات أو يـــتعامل بـــه مـــع أمور خاصة جدا، حتى تصرفاته الأخيرة مع مشكلة أشجار البروتيـــن، لقد وجد الكثير من التعليمات التى يجب عليه عملها فى مثل هذه الظروف، يا له من أريب مصطفى هذا !! لم يترك للصدفة أى متصرف.

وتذكـــر.. كم كان مصطفى حصيفا فى تحرجه من الإعلان عن هذا الكشف، وكم كان حريصــــا فى طرح الآمال التى عقدت عليه، وكان دائما ما يظهر تخوفه من هذا النبات الذى يحتوى على بروتين حيوانى، فقد تعلمنا من القرآن الكريم أن الظواهر التى لا تتفق مع طبيعة الأشـــياء كثـــيرا ما يترتب عليها الكوارث، وليس مرض جنون البقر ببعيد، ذلك أن البقر لا يـــأكل سوى النباتات، وعندما أجبره الإنسان على أكل العلف الذى يحتوى على بقايا حيوانية أصابه الجنون الذى انتقل إلى الإنسان مع اللحم المطبوخ من البقر المصاب بالجنون، وكذلك الإيـــدز الـــذى تبين أنه نتيجة للواط الذى عاقب الله قوم لوط عليه بالطمس على أعينهم، ولم يصل الإنسان إلى علاج لا من جنون البقر ولا من الإيدز فسبحان الله.



١٩ـ أسطفان

مـــا أن وصـــل ســـعيد إلـــى فيلا الخوجة حتى اتجه مباشرة إلى معمله الذى جهزه له مصطفى بكل ما يحتاج إليه فى أبحاثه الكيمائية والفنية، وزوده بمكتبة حَوَت الكثير من الكتب والموســوعات العلمية، حتى تمده بكل ما يحتاج إليه من معلومات عن كل ما يعنُ له معرفته من العلوم المعروفة، أما غير المعروفة فعليه هو التوصل إليها بدراساته وخلفيته العلمية وما قد يفتح الله عليه من علم جديد يضيفه إلى تلك الموسوعات.

قـــام بتجهـــيز الكمبيوتر الذى أهدته مايسه إليه بمناسبة زواجه من زوجته الأولى منى، وحرصـــت علـــى أن تشـــتمل برامجه على كل ما قد يخطر له على بال من علوم أو فنون، وأوصـــلته له بالإنترنت بحيث يمكنه الدخول إلى جميع مكتبات العالم، فيطلع على كل ما لا يجـــده عـــنده فـــى المكتـــبة من كتب أو برامج فى الكمبيوتر، وبدأ تجاربه على قطع جذور البروتين التى تم التقاطها من الهياكل العظمية القطط التى سبق استخدامها فى المؤتمر لإثبات أن البروتيـــن فـــى هذه الحجارة هو بروتين حيوانى وليس بروتين نباتى، ذلك أن الحيوانات آكلـــة اللحوم التى استأنسها الإنسان لا تأكل المُصنع من اللحوم، وفى زحمة انشغاله بتجارب اكتشـــاف مستحضـــر للقضاء على أشجار البروتين، فوجئ سعيد بالمدير التنفيذى يتصل به ويفسد عليه تركيزه ويخبره بصوت يكاد يخرج بصعوبة:

- "أسطفان اختفى، تقول زوجته أنه لم يعد منذ أن ذهب إلى مزرعة أشجار البروتين أوائل هذا الشهر وقد مضى أكثر من أسبوعين على غيابه، وزوجته تكاد تجن، تسال.. ولا أدرى بماذا أجيبها؟ ولا ماذا أفعل؟ "

وحـــاول سعيد أن يستوعب كلمات المدير التنفيذى، فبدأ بالسؤال عمن هو أسطفان؟ فهو لا يعـــرفه أصـــلا، ثـــم أن المدير التنفيذى ذكر مزرعة أشجار البروتين، فهل هناك مزرعة أشـــجار بروتين أخرى غير تلك التى احترق فيها الخفير مع كوخه؟ ذلك أنه لم يلاحظ وجود هـــياكل عظمية أخرى غير الهيكل العظمى للخفير، وإذا كانت هناك مزرعة أشجار بروتين أخـــرى غير تلك التى ذهب إليها والتى ما كان ليعرف بأمرها لولا حادثة احتراق الخفير مع

كوخـــه، فأين تكون تلك التى يتكلم المدير التنفيذى عنها والتى ربما يكون أسطفان قد اختفى فـــيها، قـــتل أو امتصته أشجار وجذور البروتين؟ مجموعة من الأسئلة عصفت برأسه وهو يحاول استيعاب الموضوع، فوجد أنه من الضرورى الذهاب إلى الشركة لاستيضاح كل هذه الأســئلة، حيــث تولى المدير التنفيذى شرح الأمر،وأوضح له ما التبس عليه من معلومات، وزادت حيرته، فسأل المدير التنفيذى بحدة:

- " وكيف عرفت زوجة أسطفان أنه اختفى؟"

لـــم يكـــن المدير التنفيذى قد سألها هذا السؤال، فطلب منه الإذن لها بمقابلته، وأذن لها، قـــالوا لهـــا أنه صاحب الشركة، فدخلت على استحياء تقدم قدما وتؤخر أخرى، وما أن رآها حتى بدأت المقارنة بينها وبين من تزوجهما سواء كانت منى أو سهير، وهنا فقط تأكد له أنه لم يكن يحب منى.. كما أن سهير ربما كانت مشاعره نحوها هو نوع من العرفان بالجميل... للدرجـــة الـــتى يتزوجها !! نعم وربما أكثر، فقد آوته عندما تخلى عنه الجميع.. حتى أخوه، لذلك فقد كانت كلير بالنسبة لهما شئ آخر مختلف تماما عن كلتيهما، قال هامسا.. سبحان الله، ودعاهـــا للجلوس، وأمر لها بكوب من عصير الليمون وطلب منها أن تهدأ، وبدأ معها أسئلته وكأنها تحقيق نيابة، حتى تفهم الموقف تماما.

إذاً هو لم يحضر فى الموعد الذى اعتاد الحضور فيه والذى يحافظ عليه ويلتزم به ولا يوجد ما يمنعه أو يؤخره عنه مهما كانت الظروف إلا إذا مات أو قتل أو حدث له أمر خارج عن إرادته، ولا يجيب على المحمول رغم أنه غير معطل ويعـــمل بحسب إفادتها، ولا توجد وســـيلة للتعرف على مكانه، همس فى نفسه، من تكون له زوجة فى جمالها ورقتها لا يمكنه أن يـــتركها تغيـــب عن ناظريه مهما كانت الظروف، إلا إذا كانت تحيل حياته جحيما، كأن تـــتعالى علـــيه لجمالها، أو يُدخل الشيطان الخيلاء فى نفسها فتستهوى كل من يستهويها من رجال ينظرون إليها بعيون نهمة وما أكثرهم، أو تغالى فى طلباتها، فللجمال طلبات تصل فى بعـــض الأحـــيان لدرجة التعجيز على من لم يهبهم الله المال مع ما حباهم به من جمال، لكنه طمأنها قائلا:

- " إذا لم تكن هناك سوى مزرعة بروتين واحدة، فإننى كنت فيها بالأمس فقط، ولم

أرصد فيها عندما ذهبت للتحرى عن أسباب الحريق ووفاة الخفير ما يشير إلى وجود صرعى آخرين بتلك المزرعة، فمن المؤكد أن أسطفان حى ما لم يكن قد اختفى فى مكان آخر غير مزرعة البروتين.."

قاطعته لتؤكد ما سبق أن ساءل به نفسه:

- " قد تكون هناك مزرعة أخرى لأشجار البروتين غير تلك التى كنت فيها بالأمس.. "

فسأل المدير التنفيذى عن مكان تلك المزرعة الأخرى، لكن المدير التنفيذى هز كتفيه تعبيراً عن عدم علمه بذلك لأنه لم يذهب إلى أى من مزارع أشجار البروتين هذه، ثم قال:

- " مصطفى بك لم يدل لأحد بمعلومات عن مزرعة البروتين سوى لأسطفان والسائق محمد الذى كلفه مصطفى باصطحاب أسطفان إلى تلك المزرعة كلما حان وقت زيارته لها.. "

فقاطعته كلير ظنا منها أن المدير التنفيذى ربما لا يعرف مكانها وأن صاحب الشركة يحاول إضاعة الوقت.. وسارعت زوجة أسطفان تشرح لصاحب الشركة مكانها، وكأنما هى على وشك أن تجره إليها جراً، فلم يجد بدا من الإذعان لطلبها، فأمر المدير التنفيذى بتجهيز ما يلزم للسفر إلى مزرعة البروتين المزعومة التى تجره إليها زوجة أسطفان، فنادى المدير التنفيذى بنفسه على السائق محمد، وأمر كل من يقابله بإحضار ذلك السائق فورا، وعندما حضر محمد.. أمره بتجهيز السيارة وأمر أحد رجال الأمن بمصاحبتهم، واعتذر هو عن الذهاب لعدة أسباب أهمها أنه لابد من تواجده لتصريف أمور الشركة، لكن سعيداً أمر المدير التنفيذى بتجهيز أحذية برقبة طويلة " تزلك " تكون مصنوعة من البلاستيك، لكل من يتقرر ذهابه إلى مزرعة البروتين هذه، وعلل ذلك بوجود الكثير من النمل والحشرات الأخرى وقد يمكن تلافى مهاجمتها لهم بهذه الأحذية.

جلست إلى جواره فى السيارة الجيب التى جهزت بحيث يفصل مقعدى السائق والمرافق له عن الكنبة الخلفية حاجز زجاجى يحجب عنهما الحديث الذى يدور بالخلف، لم يستطع أن يمنع نفسه من النظر إليها، لكنه لا يستطيع أن يظهر تطفله، فكان يختلس النظر كلما لاحظ



انصـــرافها لشأن ما يبعد تفكيرها عن حجب جسدها عن المتطفلين، لكنه وبنظرة الفنان وجد نفسه أمام نموذج مكرر من فينوس... فتعجب، ما هذه بتقاطيع الوجه المصرى... سواء كان مـــن جذور عربية أو تركية أو قبطية أو ما نشاهده من تماثيل للمصريين القدماء، فقد مزجت مـــياه النيل مع طين أرض مصر جميع الجنسيات التى قدمت إلى مصر سواء كان ذلك طلبا للأمـــان أو هـــربا من جور سلطان، وسواء كانت تلك الأجناس غازية من أعراق أوربية أو فارســـية، فقد أصبحت كلها مزيجاً واحداً، حتى كأنك تجدهم قلبا واحدا فى الشدائد والأفراح، وفى الشدائد على وجه الخـــصوص.

عـــنَّ له أن يسألها عن جذورها ولكنه أحجم، فلا المكان ولا الزمان ولا الحالة العامة لها تســـمح بـــأن تـــتجاذب أطراف الحديث فى أمور من هذا القبيل، لكنه تعلم الإلحاح من زوجته الأولى منى، ومن رذائل الإلحاح أنه يظل يلح على صاحبه إذا تملكته فكرة ما أو طرأ على باله هاجس ما، ولا يتركه إلا وقد أفضى بكل ما فى نفسه، فجلس إلى جوارها وهو يتحين الفرصة لـــيفاتحها فى ذلك الأمـــر، وربما تكون قد شعرت بما يجول فى خاطره، ظنته يعرف أسطفان وأنـــه يقارن بين الجمال الصارخ الذى حباها الله به وبين ما لا يتمتع به أسطفان من وجاهة أو وســـامة ، فهو شخص عادى جدا لا يوجد به ما يجذب إليه فينوس مصر، ولا يدرى لماذا كان يتلجلج وهو يحاول طمأنتها بأن تغيب أسطفان لا يمكن إلا أن يكون لسبب قهرى، فمن تكون له زوجـــه بهذا الجمال وهذه الرقة لا يتمنى إلا أن يكون إلى جانبها دائما، ويسرع إليها كلما بعد عنها، خاصة وأن لهفتها عليه تفضح ما تكنه له من حب ربما يكون قويا وراسخا.

أخـــذ يكرر تهدئته لها بأنه بخير،ويؤكد لها أنهم سوف يعثرون عليه، ويطرح الكثير من الاحـــتمالات كـــأن يكون المحمول قد فقد منه أو أن الطاقة انتهت ولم يجـــد شاحنا، ذلك أن عقلـــه الباطـــن قـــد تعلق بها وأصبح يتمناها لنفسه، لا خليلة ولا صديقة ولكن زوجة، وكلما توغل معها فى الحديث كلما اشتدت رغبته هذه، حتى أضحى على وشك أن يبوح لها بمكنون قلـــــبه، ولكنه كلما هم بذلك، يجد ما يمسك لسانه فلا يتمكن حتى من إصدار الكلمات العادية فضلا عن البوح بكلمات الحب والغرام، خاصة وأنه قد لاحظ أن السائق قد ركز بصره على مـــا تمكنـــت المـــرآة التى أمامه من أن تعكس ما يمكن إظهاره لساقيها البضتين اللتين كانتا

تلمعان أمام عينيه وكأنهما " لهطة قشدة " فنظر سعيد إلى السائق نظرة جعلته يبتلع عينيه، ولا يركــز إلا علــى قيادة السيارة، بينما طلب منها أن تنتعل الحذاء ذو الرقبة العــالية مما أثار عجــبها، كـيف تنتعله وهى فى السيارة ولا يوجد ما تخشاه من تلويث لقدميها أو من زحف الحشــرات إلــيها؟ لكــنه أشعرها بهدوء أن هناك أعيناً متلصصة تفوق أى تلوث أو زحف حشــرات من أى نوع، تعجبت.. إذ أنها المرة الأولى منذ أن توفت والدتها التى يأمرها فيها أحــد بستر أرجلها، وشعرت ببعض السعادة التى ارتعشت لها أوصالها أن هناك من يحرص عليها فهمست فى أذنه:

- " هل هما جميلتان إلى هذا الحد؟"

أســعده أنــه تمكن من تحريك نشوة جمالها فى نفسها، الذى تعلم جيدا أنه يدور بأعتى الرؤوس تمنعا فتساءل بنفس الهمس:

- "أما كنت تدرين؟ أم إنك تسعدين برؤية الأعين النهمة التى تتلصص بالنظر إليهما، وتستطيبين عذاب المحرومين من الجمال بهما "

حاولــت إخفاء وجهها عنه حتى لا يلحظ حمرة الخجل التى اعتلته، ولا ابتسامة السعادة التى تهللت لها أساريرها، وتذكرت كم كانت تختال كلما مرت بمجموعة من الشباب وتتسمع همسهما عن جمالها، ثم دار رأسها مرة أخرى، وما شأنه بأن يحملق السائق فى ساقيها؟ لعله هــو الــذى يــريد الحملقــة ولكنه لا يستطيع لأن محاولاته ستكون مكشوفة وهو جالس إلى جوارها، لعله كان يتمنى أن تجلس أمامه أو أن يكون هو مكان السائق فيمتع نظره دون إثارة الشكوك، لكن لا.. ربما كان يستملحها، وفى هذه الحالة لا بد لها من وضع استراتيجية جديدة غير تلك التى تتبعها، ذلك أن أسطفان أعجب بها شابة يانعة تتدفق حيوية وتراقص أعين كل مــن ينظر إليها، أما سعيد.. فهو ينظر إليها بعد أن رزقت بأكثر من وليد والشكل لا بد وأن يكون قد أصابه بعض التغيير نتيجة لحتمية الزمن أو لتصاريف الأيام وهموم الحياة، والضنك الــذى عايشــته مع أسطفان فى تلك المنطقة التى تعمها الفوضى وتنتشر فيها كل المهلكات، أرادت أن تستشــف مــا وراء ملاحظته هذه، قالت له هامسة وقد اقتربت أكثر من أذنه فقد شــعرت بــبعض تعبيرات السعادة تعمه كلما همست فى أذنه ذلك أن الزفير الذى يخرج مع

همســـها كـــان يدغدغ أحاسيسه حيث الأذن أحد أهم مراكز الإحساس عند الرجل وكذلك عند المرأة، وكانت تلاحظ الحركات العصبية لرقبته وكتفيه كلما زاد اقتراب فمها من أذنيه:

- " نحن لم نـتعارف.. أنا اسمى كلير. خريجة مدارس الفرير، وثقافتى فرنسية، وأبى كان يعمـل مديرا لفرع أحد البنوك الأجنبية فى مصر وظل مديرا له حتى بعد تأميمه أيضا، ولكنه تقاعد الآن.."

هـــز رأســـه وهـــو يصـــدر بعض عبارات الترحيب، وذكر لها اسمه مسبوقا باللقب، واسترســـل فـــى ذكـــر الدرجات العلمية والكليات التى يقوم بالتدريس فيها، مما كان له أثره الطيـــب فـــى نفســـها، فهى تتحدث مع أحد أساتذة الجامعة التى فشلت هى فى الالتحاق بها والحصول على الدرجة العلمية لأى من كليـــاتها، فأرادت أن تتباهى بما لـــديها من إمكانيات الجمال، فقالت:

- " هل تعلم أنه كثيرا ما تم اختيارى ملكة لجمال الفصل ثم المدرسة ثم المنطقة؟ ولولا ما تتمتع به العائلة من تقديس لديننا وتعاليمه، لذهبت لمسابقة ملكة جمال العالم. "

تشـــجع بعض الشيء، وهم بأن يسألها عن خلفيات هذا الزواج، لكنه خشى ألا تقبل بأن يكـــون الحوار إلا من جانـــبها فقط، خاصة وأنها اقتربت من أذنه أكثر عندما أرادت الهمس مجـــددا واضعة فى الاعتبار ألا تتلامس شفتيها بأى جزء من أذنه، وعندما حاول أن يبادلها الهمس وأراد الاقتراب من أذنها أكثر.. ابتعدت قليلا حتى لا يحدث تلامس بين شفتيه وأذنها ســـواء كـــان ذلك بقصد أو بدون قصد، فوجد أنه من الأفضل له أن يظل مستمعا، قدموه لها علـــى أنه صاحب الشركة، وربما كان لهذا بريقه، عند من؟ امرأة متزوجة !! جاءت تبحث عن زوجها الذى افتقدته وتخشى أن يكون قد أصابه مكروه أو ربما يكون قد مات !! ثم أنها ليســـت من السوقية حتى تقدم على تصرف من هذا القبيل مع صاحب العمل، أقصى ما يمكن التفكـــير فيه أنها أرادت أن تجيب على تساؤل كثيرا ما يوجه إليها من الكثيرين الذين يلتقون بهـــا لأول مـــرة فأرادت أن تختصر المشوار، لكنه لم ير أسطفان ولا يعرف عنه شيئا، وما دامـــت هـــى قد تطوعت لتشرح أسباب هذا التباين بين جمالها وافتقار زوجها للوسامة التى تؤهله للزواج منها، فلا بد وأن هناك شيئاً آخر وربما أشياء هى التى جذبتها نحوه.



هــز رأسه بما لا يعنى شيئا سوى أنه مستمع جيد، وإذا كان لديها ما تريد إضافته فأهلا وســهلا، وفعلا نجحت طريقته، فقد بدأت تسرد عليه بداية العلاقة بينها وبين أسطفان، وكيف أن أدبه وأخلاقه كانا المفتاح الذى اقتحم بهما قلبها، لعلها أرادت أن تلقنه درسا فى الأخلاق، أو أن تفهمه دون إسهاب أن التعامل معها يجب أن يكون باحترام يصل إلى درجات كبيرة من الحرص فى كل كلمة أو عبارة أو حركة أو تصرف،قالت:

- "إنه خلوق جدا.. لم أر شابا فى حياتى إلا وقد شده جمالى للدرجة التى تجعله يحملق فيَّ بطريقة صريحة ومكشوفة تجعلنى أرتجف خوفا، فهو لا يريد إلا أن يختطفنى أو يحتضننى أمام الجميع بلا حياء ولا أخلاق ولا حتى خجل، لكن أسطفان لم يكن ينظر إليَّ أبداً إلا من ركن عينيه على استحياء، وما أن يشعر بأننى على وشك أن أضبطه حتى أجده يسرع خارجا دون أن يكمل ما كان قد بدأه سواء كان ذلك حديثا أو مشروبا أو طعاما، هذا هو أسطفان.."

ثم صمتت قليلا، ربما لتريح السامع من كثرة ثرثرتها، وربما لترشف شربة ماء ترطب بها جوفها، ثم أكملت:

- " فى البداية تصورته زاهدا أو كارها لصنف الحريم، لكن حملقته بدأت تظهر بشكل واضح ولكن من وراء باب أو حائط، وما أن ألمحه حتى يحاول الانشغال بأمر ما، إلى أن واجهته بصراحة، إذا كان معجبا بى فليتقدم لأبى، فهذا هو الباب الوحيد الذى بغيره لا يمكن لأى شاب أن ينالنى أو حتى يقترب منى، أما كلام الغزل ومشى الشوارع " وتحت الشجر يا وهيبة " فهذه كلها أمور لا تعجبنى، ولما وجدنى جادة أكثر مما كان يتصور، فالمعروف أن الفتيات الجميلات فى غالب الأحوال مغرورات، ويسعدهن حملقة الشباب فى جمالهن، ويطربن لكلمات الغزل من أى منافق، لكن أن أواجهه بهذه الصراحة فذلك أمر محير، لكنه قرر بينه وبين نفسه أن يجرب، فتقدم لطلبى من والدى ولكن والدى رفضه لفقره ولأنه من عائلة ريفية فقيرة دوننا جاها وثقافة ومالا، فقد كانت العائلة تعقد عليَّ آمالاً عراضاً، فالجمال غالبا ما يكون سعره غاليا، وأنا جميلة فلا بد أن يكون سعرى غاليا، هم يريدون لى زوجا غنيا جدا، وليس مجرد خريج جامعة يقف عند أول درجات السلم الوظيفى الحكومى بمرتباته التى لا تغنى من جوع، وأسرته ليست فى ثراء

أسـرتنا، لكن أخلاقه أعجبتهم، بالرغم من أنه لم يكن يتمتع بأية مسحة من الوجاهة أو الوسـامة، لكننى تمسكت به، ولا تسالنى لماذا؟ ومع رفضى التام لكل من تقدموا بعده، لم يجد والـدى بـدا مـن استشارة معارفه فى النادى اليونانى والكنيسة وكل من خطر له عـلى بال، كان لأسـطفان نشـاط رياضـى وثقافى واجـتماعى ملحوظ، فزكاه مدير النادى لـيس للـزواج مـنى فقط، ولكن أقسم أنه لو كانت له ابنة فى مثل عمر أسطفان لما رضى بغيره زوجا لهـا، وكان راعـى الكنيسـة يعـرف أسطفان وأسرته معرفة قوية، فأشاد بهم عـند والـدى، وامـتدح أسـطفان عـلى وجه الخصـوص، ولم يجـد والـدى بدأ من الموافقة عـلى زواجـى مـنه، خاصة وأن المعروف عنى أننى عنيدة، ولا يمكن لأحد أن يثنينى عن مواقفى،لكـن أبـى حذرنـى مـنذ الـبداية أنـه لن يقدم لى يد المساعدة مهما بلغت حالتى مـن السـوء، وقبلـت الـتحدى، وتحملـت بصبر بداية حياتى فى تلك المنطقة الموبوءة بكل المهلكات مـن حشـرات زاحفـة ونطاطـة ونقـيق ضفادع ومياه الصرف الصحى فى الشوارع تمـرع بـدون رقيب ولا حسيب، وتحملت شظف العيش لسنوات طويلة فاقت كل تصـور، سـنوات كانـت أقسـى مـن السـنوات العجاف التى مرت على مصر أيام يوسف، لكن.. ما أن ألحقـته أنـت بـالعمل فـى شـركتك، وبدأت الأمـوال والمكافآت تنهال علينا، حتى فاقت تصـرفاته كـل أحلامـى، فاصبحت عندنا فيلا حاولنا جهدنا أن تكون فى فخامة ما نراه فى الأفـلام، وأصـبحت أفـتخر به وكنت دائما ما أقول لأبى، هذا هو الفاشل الفقير الذى كدت ترفضـه زوجا لى، هـذا هو الأسد المغوار الذى اقتحم قلبى ولبى لى كل أحلامى، هذا هو الـرجل الـذى اختاره قلبى زوجا لى وأبا لأولادى وبناتى، هذا هو رجلى وسبعى.. لكننى لا أدرى أيـن هــو الآن..؟ قلـبى يحدثنى أنه مات.. فارقنى وأنا فى أشد الشوق له وأولاده فى أشد الحاجة إليه..."

وبــدأت نهنهة حالما أصبحت صراخا وبكاء وعويلا، ذهبت معها كل محاولاته للتسرية عــنها أدراج الرياح، وتدخل السائق ببضع كلمات أوضح بها كم هو الحب الذى يربط بينها وبيــن أســطفان، وافــتقادها له يعتبر مصيبة لا يعوضها عنه شئ مهما بلغت قيمته، تقمص شخصــية صاحب الشركة حسب رؤيتها له، وقد شعر بأن شغلها الشاغل بغياب زوجها، هو كيفية تدبير الأمور المعيشية لها ولأولادها، فقال لها مطمئنا:



- " لا تخشين شيئًا على مستقبلك ومستقبل الأولاد، فسوف تتكفل الشركة بمصروفاتك أنت وأولادك حتى يعود زوجك، هونى عليك فسوف يعود لك ولنا سالما إن شاء الله.. "

وانفجرت المسكينة فى صراخ:

- " يعود.. إن قلبى يحدثنى بكل ما هو سيئ.. لا يمكن أن يغيب عنا كل هذه المدة دون مجرد اتصال، معه المحمول فلا حجة له فى عدم الاتصال، لا.. لا تجعلنى أحلق فى سماء الأحلام، حتى لا تكون فجيعتى فيه قاسية.."

شـــعر بأن أية كلمات مهما بالغ فى انتقائها لن تكون شافية لها من التعاسة التى تملكتها، وأعلن السائق عن نهاية المشوار، فتلقى إعلانه بشعور طيب، وجدها نفس المزرعة التى كان بها بالأمس وليست مزرعة غيرها، فسألها للتأكد:

- " هل هذه هى مزرعة أشجار البروتين التى يحضر إليها أسطفان.. "

وعلق السائق على سؤاله متعجبا حيث تولى الإجابة دون تعليق منها:

- " لا يوجد غيرها يا سعيد بك.. فانا وأسطفان فقط اللذان نعرف مكانها، اختصنا به مصطفى بك وأمرنا ألا نخبر أحداً عن مكانها.."

طالـــب سعيد الجميع بلبس " التزالك " وسمى بالله ونزل أول ما نزل عند كوخ الخفير، أراد أن يعـــيد الـــنظر مرة أخرى عله يكون قد أخـــطأ، فهاله أن الهيكل العظمى للخفير قد تلاشـــى، ولم يبق منه شئ سوى الخاتم، الذى يكاد يلمع بين الرماد، خرج سريعا، وهو يتمتم بعـــبارات تؤكد على أن أشجار البروتين هى التى وراء كل الجرائم التى حدثت أو تحدث فى الجزيـــرة، ولتذهـــب أمـــوال وطموحات مصطفى إلى الجحيم، أمرهم بالعودة سريـــعا إلى السيارة، لكنه فوجئ بكلير التى كانت تطلب رقما من المحمول الذى معها، لعله رقم أسطفان، ومـــا أن ســـمعت رنين محمول أسطفان الخاص بها والذى يعزف لحنا اتفق الاثنان عليه فقد كـــان لإحـــدى الأغانى العاطفية التى دائما ما يتصادف إذاعتها عندما يحضر أسطفان إليها، حـــتى أطلقت ساقيها تسابق الريح فى اتجاه الصوت الذى أخذت نبراته تعلو كلما اقتربت من جـــذع إحـــدى الأشـــجار، ومـــا أن اقتربت من ذلك الجزع حتى فوجئت بالجذع يجذبها إليه

وتلتصق بالشجرة، والجذور تخرج سريعا من الأرض تحاول تلمس طريقها إلى ما بعد رقبة الــتزالك، وتغرس ممصاتها فيما لم تكسيه الملابس من أجزاء جسدها، وأسرع سعيد محاولا تخليصـــها، لكنه ما كان له أن يتمكن من ذلك إلا باحتضانها من الخلف وشدها بقوة، وتوقف سريعا حيث راجع نفسه ووجد أن ما يفعله يخالف الشرع خاصة عندما وجد نفسه وقد انساق مع خطوات الشيطان، خاصة وأن مجهوداته لتخليصها بهذه الطريقة لم تجد نفعا، فلا الشجرة تركــتها، ولا هو استطاع انتزاعها، إن مخافة الله فى قلب الرجل المؤمن تحفظه من الزلل، ولاحــظ السائق تردده، فأمر رجل الأمن بإحــــــضار" جركن الكيروسين " حيث يحرص محمــد على الاحتفاظ به دائما معه كلما كانت المسافة طويلة، فقد تعلم من مصطفى الاحتياط للمخاطــر أو أيــة احــتمالات، إذ أنـــه دائما ما يتجهز بالماء للشرب وبعض الطعام وحقيبة الإســعافات الأولــية وبعــض المنظفات، وجركن يحرص على تعبئته كاملا بالبنزين لتزويد السيارة فى حالة نفاد البنزين منها، وآخر للكيروسين وذلك تحسبا لأية احتمالات سواء التفكير فى شواء لحم فيستخدم فى إشعال النار، أو تطهير المكان من النمل والحشرات الأخرى.

لكــنه فى إحدى المرات وجد إحدى الشجيرات وقد التصق بها أحد العمال ولم يستطع أحد أن ينقذه منها ولم يجد أمامه من مواد قد يكون لها بعض التأثير سوى الكيروسين، أو لعله فكر فـــى اســتخدامه لإحــراق الشــجيرة فقد يكون للنيران تأثير فتلقى به بعيدا عنها، وفوجئ بأن الشجيرة ألقت به دون ما اشعال لحريق أو خلافه، واحتفظ لنفسه بهذا السر حتى يستخدمه كلما دعــت الحاجــة، والحاجة تستدعى الآن استخدام هذا السائل السحرى العجيب، فما أن رأى ما يــرى حتى أصدر صراخه لرجل الأمن أن يلقى بعضا مما فى " الجركن " على جذع الشجرة فــوق الأماكن الملامسة لكلير، وكذلك يلقيه على الأرض التى تحت أقدامها، وذهل سعيد وهو يــراها وقد تخلصت من الجذع وكذلك لاحظ أن الجذور التى خرجت من الأرض صاعدة إلى الأجــزاء العلــيا مـــن الســاقين وصولا إلى ما هو أبعد من ذلك قد اختفت، وفوجئ بكلير بين أحضـــانه، فقد كان يعد نفسه لجذبها من الخلف مساعدة منه للسائل الذى سكبه رجل الأمن، وما أن تخلصــت من الشجرة حتى اندفعت إلى الخلف لتجد نفسها بين أحضانه، لم يجد وقتا ليسعد بهــذه المصـــادفة التى كان من الممكن أن تسعده ولو للحظات ريثما يؤنبه ضميره على إسعاد نفســه بمـــا ليس له حق فيه، فانتشلها حاملا إياها على يديه وأسرع بها بعيدا عن ذلك المكان،

وألقى بها فى السيارة على الكرسى المجاور للسائق، فقد وجد الباب مفتوحا تركه الحارس كذلك إهمـــالا أو عـــدم اهـــتمام وربمـــا ظنا بأن الأمر لن يستغرق وقتا طويلا، وأمر سعيد السائق والحـــارس بالانصـــراف بعـــيدا حيث أن الأمر يتطلب الكشف عن بعض جسدها لكى يضمد جراحها، فظهر عليها الخوف، فهون عليها وأبعد يده سريعا ليشعرها بالأمان، ولما استسلمت له ليكشف ملابسها عن بعض ما لا يعتبر عيبا، سارعت تلملم نفسها وترفض بشدة الاقتراب منها خاصـــة وأنهـــا لاحظت أنه يقترب كثيرا من جسدها حتى أنها ظنته ينوى شرا، لكنه أخذ يدقق النظر فى المادة التى كانت تتلألأ حول أماكن الثقوب التى أحدثتها الجذور أو الشجرة أيا كانت، ولاحظ أنها تقريبا تماثل نفس المادة الإنزيمية التى وجدها على الهيكل العظمى للخفير.

وفى محاولة منه لإثبات أنه لن يقوم بأكثر من مداواتها، وجد نفسه غير قادر على النظر إلـــى مـــا كـــان يجب عليه الكشف عنه من جسدها وتجريدها من بعض الملابس التى ثقبتها ممصـــات الشجرة أو الجذور وقد انتشرت بعض الدماء حول تلك الثقوب، فكان يشيح بوجهه بعيدا وهو يقوم بتطهير تلك الجروح مادا يده بالعلاج أسفل الملابس، ولا يدرى لماذا تبين له أن هـــذا العمـــل من أشق ما قام به من أعمال قبل ذلك، لقد نظر إلى كثيرات وهن مجردات تمامـــا من ملابسهن، سواء أثناء دراسته للفن بالكلية، أو من تطوعن من زميلات دراسة كن يطمعن فى إثارة غرائزه، ولاحظت هى تردده، ومن باب رد الشبهات، وحتى لا يتصور أنها تســـتملح نظـــراته الـــنهمة إلى جسدها، أمسكت بمواد العلاج وقامت هى بالمسح على أماكن امتصـــاص ممصـــات الجذع أو الجذور لجسدها، وتخلص هو من هذا العمل بشكر الله على ســـتره لمشـــاعره، حيث وصلت تلك المشاعر إلى قمة تأججها، ووجد نفسه يهيم بهذا الجسد المرمرى التكوين والعرق يتصبب من جبينه.

وبيـــنما هو على هذه الحال من محاولة إخفاء وجهه عنها حتى لا يظهر نهمه لها، وهو يـــناولها مـــا تطلبه من مواد" قطن.. شاش.. مرهـــم" إلا والفزع يسيطر على الجميع خاصة وأن أشعة الشمس كانت قد غابت تماما والقمر محاق، وذلك إثر صرخة أطلقها السائق الذى انحنى ليلتقط خاتم الخفير، حيث انطلقت الجذور تلتف حول رقبته وتجذبه إلى الأرض وتعمل فيه ممصاتها هو الآخر، فأمر سعيد الحارس بسرعة تخليص السائق من محنته بنفس السائل الـــذى خلص به كلير والذى أرشده إليه السائق بنفسه لتخليص كلير، وحمل سعيد السائق بعد

أن تـــم تخليصه، وانكمشت الجذور عن المكان، وأسرع به إلى السيارة حيث فتح له الحارس الـــباب الخلفى للسيارة فوضعه على الكنبة الخلفية وأمر الحارس بتطبيبه، وتولى سعيد القيادة حيـــث اندفـــع بها مبتعدا عن المزرعة بأسرع ما تمكنه السيارة من سرعة، شاكرا الله أنه لم يتســـبب فى تعاسة أى من خلق الله بحادث أو انقلاب السيارة، وقد كان للسرعة التى بدأ بها قيادة السيارة بعض الفضل، ذلك أن الجذور كانت قد تمكنت من الوصول إلى أبواب السيارة فى محاولة منها للوصول إليهم داخلها، أو ربما فى محاولة منها لقلب السيارة والتعامل معهم بـــنفس الطـــريقة الـــتى تعاملت بها مع من سبقهم، وبعد أن وصلوا إلى الشوارع الإسفلتية، والحـــارس يطبـــب الســـائق، وكلـــير تطبـــب نفسها، سأل سعيد السائق عن فكرة استخدام الكيروســـين، وأجاب السائق ببساطة وكأنه أمر عادٍ لا يحتمل اللبس أو الاستفـــسار، وربما حملت عباراته بعض نبرات التعجب:

- " الجاز عندنا فى الريف هو قاتل لكل الحشرات، نمل.. صراصير.. جراد وكذلك أية حشرات أخرى، والحشرات التى حذرتنا من وجودها بالمزرعة، رأيتها أكثر من مرة وقمت بالتعامل معها بنفس الطريقة.. "

وقاطعه سعيد:

- " هل رأيت ذلك من قبل..؟ وهل أخبرت المهندس مصطفى..؟ ولماذا لم تخبرنى؟ "

وتلجلج السائق وهو يجيب على تلك الأسئلة بعبارة واحدة:

- " لم أكن أعرف أن هذه المعلومات مهمة لك أو لمصطفى بك أن تعرفوها.. كما أننى لم أكن أظن أنكما لا تعرفانها، حيث أن جميع خلق الله يعرفونها، فإنها إحدى أبسط بديهيات التعامل مع الحشرات فى الريف.."

وبعد فترة صمت، أضاف:

- " حضرتك يا سعيد بك لو سألت أية طفلة فى الريف لم يتجاوز عمرها السنوات العشر عن هذا الشيء لأخبرتك به فورا.."

وابتلع سعيد غضبه وشعر ببعض تأنيب الضمير، وكم هو عالم الكيمياء الفذ جاهل بكثير من الأمور التى قد يعرفها العامة، اعتذر للسائق ووجه أسئلته لكلير:

- " وأنت يا هانم.. ماذا دهاك لتحتضنى تلك الشجرة..؟ "

قالهـــا بتهكم أحرج كلير، فلم تجد سوى البكاء ترد به عليه حالما تحول إلى عويل، هو ظـــنه بكاء ألم لما أصابها، ولم يستطع سعيد التعرف على أسباب بكائها أو عويلها، إلا عندما أفاقت قليلا من تلك النوبة من الحزن القاتم لتعلن أنها طلبت أسطفان من المحمول الذى معها وأرشـــدها صـــوت محمـــول أســـطفان إلى تلك الشجرة وشاهدت ملابس أسطفان معلقة بين أغصـــانها وربمـــا تكون جثته داخلها، حيث شاهدت أسفل مكان يده إلى جانب المحمول شيئا ربما كان منشارا، ثم استدركت:

- " لكن المصيبة ليست فى فقدانى له، إذ أننى لمحت إلى جانبه شيئاً آخر ربما كان فستان أو جونلة.. ربما كانت تشتمل امـرأة.. هل كان يخوننى..؟ أسطفان كان يخوننى فى مزرعة أشجار البروتين، وقد نال عقابه.. أنا التى أخلصت له عمرى كله، كنت أرى من هم دونى جمالا يمضون الأمسيات الماجنة مع من هم أفضل منه شكلا وجسما ووسامة وجاها ومالا، بل إن هناك الكثيرين ممن كانوا يحاولون طلب ودى، ولو برقصة من تلك الرقصات العادية، ولكنى كنت ألمح فى عيونهم النهم الذى يشعرنى بانها ليست رقصة بريئة، ولكنها بداية لعلاقة آثمة، فارتعد خوفا، وأبتعد سريعا بعد رفضى المخجل لما يراوده تفكيره، ولم تغرنى كل هذه الأمور، يا له من حقير لا يستحق حبى وتضحياتى من أجله... "

ووجـــدت نفسها غير قادرة بل وخجلت أن تقص عليه أنه اصطحبها فى المرة الوحيدة التى قدمت فيها معه إلى هذه المزرعة، إلى المنتجع الذى يطل على البحر، بهرها المكان بكل مـــا يحتويه من مبان فخمة وأثاث رائع وتصميم يكاد يكون متفرداً، لكنها ما أن رأت النساء العاريـــات والـــرجال كذلك، حتى أجفلت سريعا وأرادت الخروج بأسرع مما تستطيع قدماها على الحركة، خاصة بعد أن تملكتها رعشة رعب عندما اقترب من قدمه أسطفان لها على أنه صـــاحب ومديـــر هذا المنتجع، ووجدت أعينه تكاد تلتهمها، فدعاها إلى الرقص، وحرضها أســـطفان علـــى القبول، ولم يكن رقصا.. وإنما محاولة إغراء على الفسق، تسللت يده تحت ملابســـها إلـــى لحمها وأخذ يضمها إليه بأقوى ما يستطيع، حتى شعرت بالاختناق، وحاولت إبعاده بكل ما تملك من قوة، لكنه كان متشبثا بها وكأنما هو حيوان فاز بفريسة وأسطفان لاه

عنها بالعبث الماجن مع كل من يقابلهن من أصناف وألوان النساء العاريات، وكأنما ليثبت لها بالفعل.. أن ما يفعله معها ذلك الرجل ليس عيبا، فالجميع هنا يفعلون ما هو أكثر منه، بل إنه خلع ملابسه هو أيضا، وضاجع أكثر من امرأة، وكأنما ليؤكد لها أن الجنس هنا مباح، وعليها أن تسعد بأى من الرجال الذين قد يحلو لها مضاجعتهم، أو يحلو لهم مضاجعتها، لكنها رفعت يدها اليمنى ووجهت لطمة لذلك المتطفل الذى يحاول تحسس جسدها أسفل الملابس، وخرجت مسرعة غير عابئة بهرولة أسطفان خلفها، وصحبها السائق إلى منزلها وهى تبكى بكاءً مراً، لم تترك للسائق فرصة سؤالها عن السبب.

وحملها لها أسطفان، ومنذ ذلك الحين لم يكن يعد إليها إلا مخموراً وفى حالة مذرية من الإنهـــاك، وعــند مـــا اختفى منذ أكثر من أسبوعين وانتهى الشهر، وبعده أيام وأيام دون أن يحضـــر أو يرســـل إليها مصروفات البيت والأولاد، ذهبت للبحث عنه، وأرادت أن تشرك صـــاحب الشركة معها حتى يكون شاهدا على أسطفان ورادعا له أمام صاحب المنتجع الذى حاول إغراءها على الرذيلة، خاصة بعد ما سمعته من السائق مدحا فى صاحب الشركة.

لم تدل بهذه المعلومات لسعيد، ولم يبدر منها سوى الصراخ والبكاء حيث ذهبت أدراج الـــرياح كل محاولات سعيد كلمات التهوين عليها التى جادت بها قريحته، ظنا منه أن البكاء كـــان لما أصابها من أشجار البروتين، ولم يكن يدرى أن المصيبة أكبر من ذلك بكثير، لذلك كانـــت كلما هدأت من نوبة صراخ وعويل أصابتها أخرى أقوى وأحر من سابقتها حزنا على إخلاصها لرجل خائن لا يستحق إخلاصها، قال سعيد لها:

- **"وما يدريك بما كان يحدث، لعله ذهب لينقذها من براثن تلك الشجرة أقصد الحشرات التى على تلك الشجرة ويحدث ما حدث لك، ولذلك كان يحمل المنشار الذى كان أسفل الشجرة، لعله لم يكن يعرف الطريقة السحرية التى يعالج بها "محمد السائق" هذه الأمور."**

وصـــدرت عـــن محمد السائق صرخة مدوية أعلى من تلك الصرخات التى كانت كثير تصدرها، فانحرف سعيد عن الطريق ليوقف السيارة، وسارع ملبيا، فتبين التصاق قطعة من الجـــذور بجســـده مـــا زالـــت ممصاتها تعمل بهمة ونشاط، فأسرع الحارس بصب قليل من الكيروسين عليها فتراخت، فأمسك بها سعيد وطلب من الحارس وضع بعض الكيروسين فى



الكوب الفارغ الذى كان محمد يشرب فيه الشاى، ثم وضع سعيد قطعة الجذور فى الكـوب، وبعـد أن هدأ السائق سأله سعيد عن أسباب عدم إبلاغه لأحد بالتأثير الفعال للجاز على هذه الحشرات، فقال محمد محاولا استعراض معلوماته:

- " لم يسألنى أحد.. وما كنت أعرف أن هناك من لا يعرف مفعول الجاز على الحشرات، ولو كنت أعرف أن أحداً لا يعرف.. لأعرفته أنه يذيب الغشاء الكيتونى لتلك الحشرات فتهلك من فورها، دون إفساد للبيئة بهذه المبيدات التى تتزايد ماركاتها كل يوم فى سباق محموم لتتحكم فى السوق، رغم علمهم بتأثيرها فى توسيع ثقب الأوزون.."

وســاد الابتســام الجمــيع، بينما أغلق سعيد الحاجز الذى يفصل بينه وكلير عن السائق والحــارس اللذيــن كانا فى الكنبة الخلفية للسيارة، حيث عادت كلير للبكاء مرة أخرى وهو يحــاول التسرية عنها دون جدوى، تعالى صراخها ولومها لغبائها، والجرح عندما يكون بهذه القــوة تكون المصيبة أكــبر، ووجد أن مشكلته ربما تكون قد حلت تماما، أسطفان وقد تحقق لهــا وفاته، بل لقد زاد على ذلك أنها أصبحت تكرهه عندما تأكدت من أن غيابه عن بيته لم يكـن إلا للهو والخيانة التى شاهدته يمارسها أمام عينيها دون خوف أو مراعاة لمشاعرها بل إنه كان بذلك يدعوها للفسق.

ما باله.. ماذا دهاه؟هو يحبها ويشتهيها ويتمناها زوجة له الآن قبل بعد قليل، لم يجد فى رأســه كلمات مواساة يواسيها بها أكثر مما قاله، انعطف بها إلى أول مستشفى صادفته، تبين أن الكثيرين من الأطباء والممرضات بالمستشفى يعرفونه ويتهامسون مع بعضهم لتعريفه لمن لا يعــرفه، وظــنوها زوجته، فأدخلوه معها أثناء العلاج، صمم أن تكون المعالجة دكتورة، وكشفت الدكتورة عن جسد كلير، لمحه قبل أن يطرق برأسه إلى الأرض.. قال هامسا:

- " سبحان الله " مبدع الكون.. صور الإنسان فأحسن صوره "

ووجــد أن نــار الحب تأججت فى قلبه بأكثر من أن يستطيع تحملها، خرج سريعا ليطمئن علــى محمــد الســائق، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه من العودة سريعا إليها، وفى غمرة ألمها وحسرتها على حبها لزوج خائن، وبمجرد أن تركتهما الطبيبة والمسعفات قال لها بصوت متهدج:

▪ " هل تقبلين الزواج منى.. "

وأصابها طلبه بالصمم، فما استطاعت التعبير عن ألمها بصراخ أو حتى نهنهة، وحملقت فـــي وجهه وكأنما هى أمام حالة من الهوس ميئوس منها، كيف له أن يطلب منها هذا الطلب وهى فى قمة حزنها؟ ثم استدركت بينها بين نفسها:

▪ " **حـزنى عـلى مـن؟.. ذلـك الخائن أسطفان !! أم على حياتى التى لا أدرى كيف أتدبرها الآن بعـد أن رحـل عـنى وهـل سـيكفى معاش أبى الخواجة فلبس لإعاشتى أنا وأولادى بعد النقلة الكبيرة التى نقلنا أسطفان لها بعد عمله فى شركة هذا الرجل..؟** "

وبعد مراجعات كثيرة وتحليل للموقف، تبين لها أن طلبه هذا هو السلوى الوحيدة لها فى خضـــم هــذه المشاعر المتضاربة، لكن.. هل ستتمكن من الرد عليه بالسهولة التى طلبها بها للزواج؟ وهل سيـــوافق " الخواجة فلبس أبوها " على زواجها منه؟

ثـــم أعـــادت التـــفكـــير.. لماذا لا..؟ سوف تقص له خيانة أسطفان لها سواء فى مزرعة البروتين أو فى المنتجع، وسيجد أن زواجها من سعيد هو أحسن رد عملى على خيانة ذلك الزوج الفاسق، ثم أن سعيدا أفضل من أسطفان فى الكثير من متطلبات الزواج خاصة وأنه أكثر وسامة، وأكثر ثـــراء، وعائلته أفضل من العائلتين.. عائلتها وعائلة أسطفان، فلماذا يرفض والدها؟

نظـــرت إليه مليا ثم طلبت منه مهلة ريثما تفكر فى الأمر وتحاول مع والدها وعائلتها، لكـــنها بشرته خيرا، ثم سألته عما إذا كان واثقا من موافقة عائلته هو على زواجه من أرملة تعـــول ولدا له من العمر عشر سنوات وابنة عمرها خمس سنوات، فضلا عن أنها على غير ديـــنه، لكـــنها بينها وبين نفسها بدأت تتمناه زوجا لها، وتحاول أن ترسم صورة لمولودهما، وتتصـــوره بعينيه الزرقاوتين وشعره الأشقر كما هو أبوه وبياضها هى المرمرى، أى جمال هذا الذى سيتمتع به ذلك المولود خاصة لو كانت أنثى، فقد أصيبت بخيبة أمل عندما وضعت ولـــيدها الأول الـــذى أسمياه جورج، فقد كان نسخة مكررة من أبيه، السمار الكالح والشعر الأكـــرت والعيـــنان الضيقتان، وكذلك جاءت أخته "جورجيت " وهى كأم كانت تتمنى أن تلد أولادا يشـــبهنها على الأقل، وما زالت تتمنى أن يرزقها الله بأطفال فى جمالها أو أجمل منها، ثـــم بدأت تجرى المقارنات بين سعيد وبين أفضل من تقدموا لها قبل أسطفان وبعده، وخاصة

ذلــك المليونــير الأمريكى الجنسية المصرى المولد، الذى كان يتصور أنه سيملكها بزواجه مــنها، ورفضــته لأنها كانت زوجة لأسطفان، ظن أن ماله وبريق أمريكا سيغريانها بتطليق أســطفان لتــتزوجه، لكنها لا تدرى لماذا رفضته بقسوة جعلته يهرب بما بقى له من كرامة؟ ربمــا كان هذا الأمر سهلاً فى أمريكا وربما حتى بدون زواج، أما فى مصر فإن الأخلاقيات كلهــا واحدة تقريبا مهما اختلفت الشرائع، ذلك أن ما يتم تطبيقه وفقا للشريعة الإسلامية يكاد يتطابق مع باقى الشرائع، أو أنه قريب للمنطق تفهمته رعايا الشرائع الأخرى وامتثلوا له لأنه يوافق الأخلاق الحميدة والفطرة السليمة.

وأخــيرا تبينت أنها موافقة على الزواج من سعيد بنسبة كبيرة، ولا يبقى إلا موافقة أبيها وهذه مضمونة، أما باقى العائلة، فلا تظن أن هناك من يشعر بهم، فالكل لاه فى دنياه، والحمد لله أنهــا وحــيدة ليس لها اخوة أو أخوات، والوالدة توفت منذ أن كانت طفلة، وهذا من أهم أســباب عصــبيتها وعنادها، فهى تطلب.. فإذا نفذ الوالد طلبها كان بها وإلا أقامت الدنيا ولا تقعدهــا إلا إذا نفذ الوالد طلبها، وهذا ما ستفعله مع الخواجة فلبس حتى يوافق، ويتم الزواج بعد شهور العدة حسب الشريعة الإسلامية... ثم استدركت.. وهل ستسلم إن طلب منها ذلك؟ ثــم سألت نفسها سؤالا مباشرا، وهل هى على استعداد للإسلام؟ سواء طلب منها ذلك أو لم يطلب، فطلبت منه مرة أخرى أن يمهلها حتى تهدأ نفسها وتعيد التفكير فى الأمر، ثم أردفت:

- **" المسالة ليست سهلة.. حاول أن تنظر إليها من جميع الوجوه، المسالة ليست زواج رجل بامرأة وفقط، ولكنه امتزاج عائلتين بينهما روابط يجب أن تكون مشتركة، والعجيب أن الكثير من تلك الروابط غير مشتركة بيننا، وأهمها الدين والعادات والتقاليد وغيرها كثير."**

وتفهــم الموقف فانسحب بسلام، لكن صورتها لم تغب عن مخيلته، لم يتصور أنه يمكن لقلــبه أن يعشق بهذه السرعة بعد طلاقه لمنى التى ظن أنه أحبها، وانفصاله عن سهير التى تملكــته بكــرمها، وتســاءل هل أحب سهير؟ ربما فى البداية، عندما وجدها أقرب إليه من أخـــيه، ولا يعــنى ذلك أنها لم تكن تروق له بالرغم من سنوات عمرها السبعين، فقد كانت تــداوم علـــى الرياضة واستعمال مواد تجميل من مستحضرات نباتية من تلك التى تستخدمها

نساء قريتها فى أسيوط فتبقيهن شابات مهما بلغن من العمر، لكن حبه لكلير ليس له مثيل، إنه حــب جارف فهو رغم أنه تركها إلا أن وجهها الفينوسى لم يغب عن ناظريه وكذلك بشرتها المرمرية لا تزال تتراقص أمام عينيه، وكلماتها العذبة التى تتضمن فيما تتضمن لدغة جميلة فــى الراء تطرق سمعه بين الحين والحين بعبارات رددتها ويتمنى أن تزيد من ترديدها فهو بينه وبين نفسه لا يمل من سماعها.

وتذكــر أنــه نسى الشيء الأهم فى هذه الفترة، ألا وهو المادة التى تقضى على أشجار البروتيــن، ثــم تساءل أليست هى الكيروسين؟، فأسرع إلى السيارة، واختطف الكوب الذى احــتفظ فــيه بقطعــة الجذور التى نقعها فى الكيروسين، فوجدها وقد ظهرت عليها علامات الذبــول، أراد أن يــتحقق إن كانــت قــد ذبلت كلية، فوضعها على قطعة من اللحم اشتراها خصيصــا لذلــك من الجزار على الجانب المقابل للمستشفى، وتركها وذهب للاطمئنان على السائق، فقابله الحارس وطمــأنه على محمد.

وهــم الثلاثة بالخروج من المستشفى بعد أن وقع سعيد على فاتورة العلاج، حيث طلبت المستشــفى احــتجاز كلير لفترة من الوقت ريثما يتم علاج تلك القروح التى بدأت تتسع فى الصدر والبطن والذراعين والفخذين وتسبب لها الــمزيد من الآلام، لكن المستشفى أعلنت أنه لا علاج لهذه القروح عندهم إلا باستخدام المهدئات التى من الممكن أن يكون لها أثر كبير فى الإدمان، فرفضها سعيد بقوة، وتسلم ما تم استخراجه من بقايا الجذور التى كانت قد التصقت ببشــرة كلير لكنها لم تصدر عنها صرخات مثلما هى صرخات محمد، ذلك أن الكيروسين قد تسبب فى شل حركتها، وقبل أن يخرج تفحص مكان القروح فى الأماكن الظاهرة فلاحظ أنها علــى وشــك التفحم، فأسرع يحث الأطباء على البحث عن علاج شاف منها، وأخذ الأطباء يجــرون الأبحاث علهم يصلون إلى علاج ناجح لها، وهو معهم يشاركهم الأبحاث ويتفحص تحت المجهر ما تحتويه هذه القروح من مكونات، ثم استخدم الكيروسين، ووجد أن له بعض التأثــير البسيط، فتفهم أنه ربما يكون للكيروسين المركز تأثير أفضل، فترك كلير بالمستشفى مــع تعهــد من الأطباء بأن يجعلوها فى حالة استرخاء تام بالمهدئات قليلة الخطورة التى لا يكون لها تأثير الإدمان، حتى يصلوا إلى العلاج الناجح.



٢٠ـ الرعب خارجا

ظهرت بعض مؤشرات تعدى أشجار وجذور البروتين فى المزارع بالدول الأوربية، لم يعــرفوا حقيقــتها فى البداية، ذلك لأنها بدأت باختفاء بعض العاملين بتلك المزارع، وتخلف بعــض الهــياكل العظمية التى حالما تختفى، وعندما وجد المحققون أنهم أصبحوا معرضين للإصــابة بهــذه اللعــنة سارعوا بالهروب مما ظنوها ثعابين أرضية، أو أنواعاً غريبة من الحشــرات، والتى حالما أصبحت كائنات أرضية مثلما هى الكائنات الفضائية التى ابتدعوها فــى قصصهم وأفلامهم، وقامت الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى بتصوير الأمر عن وجود ســفاح تفنــنوا فــى الترويج له عن طريق اللقاءات والمقابلات الصحفية مع البسطاء الذين وجدوهــا فرصة للظهور فى تلك الوسائط، حتى يلصقوا به تهم القتل ويكون مسئولا عن هذه الجــرائم، ويدللون بذلك على تقصير رجال الأمن والمسئولين عموما حتى تتاح الفرصة لمن يمــول تلــك الوسائط بأن يتولى هو المسئولية، فهم دائما ما يقدمون مسئولا عما يحدث من جــرائم فى بلادهم، لكن هذه الفكرة لم تقنع أحداً خاصة مع اختفاء الهياكل العظمية، فأراحوا بالهم ونسبوها إلى الإرهاب الإسلامى، ومع كثرة اعتراض أئمة المسلمين على نعت الإرهاب بالإســلامى، فقد ألصقوها بتنظيم القاعدة الذى أصبح الشماعة التى تعلق عليها الدول الكبرى كــل ما يحدث بها من إرهاب حيث نجح اليهود فى إلصاق ما قاموا به من أعمال فى أمريكا إلــى تنظيم القاعدة، ولو فكر أحد العقلاء فى الأمر لوجد أمورا كثيرة تبعد الشبهة عن تنظيم القاعدة أو أى من الدول العربية أو الإسلامية، لأن المستفيد الوحيد من هذا العمل هو صاحب البرجيــن وهو من اليهود، حيث سيحصل على التأمين ولا يدفع مقابل الهدم ورفع الأنقاض، ولا يتحمل تعويضات من قتلوا فى هذا الخراب.

ومــع كثرة ما ارتكبته تلك الكائنات الأرضية من جرائم، بدأ البحث عن أسباب أخرى كلهــا بعيدة كل البعد عن أشجار البروتين وجذورها، وكلما اقتنعوا بأحد الأسباب فندوه، ولما يئســوا من معرفة الأسباب، ولما كانت هذه الجرائم التى ربما يكون سببها الكائنات الأرضية الــتى لا تظهــر إلا فى مزارع أشجار البروتــين، لم يجدوا أمامهم سوى مصطفى الخوجة، فقرروا استدعاءه بناء على العقد الجديد الذى بموجبه يمكنهم الاستعانة به كلما دعت الحاجة،

والحاجــة الآن ملحة لبحث أسباب ظهور تلك الكائنات الأرضية فى مزارع أشجار البروتين فقط، والعمل على علاج هذه اللعنة.

ونظرا لأن مصطفى لم يكن على علم بما حدث فى مزرعة أشجار البروتين فى مصر، لأنهــا لــم تحدث أثناء وجوده بالقاهرة، ولم تكن قد وصلته الأخبار، وليست لديه فكرة عما توصــل إلــيه أخوه من معرفته لحقيقة هذه الكائنات الأرضية، وأنه بسبيله إلى التوصل إلى الســائل الذى يبيدها، وأنه قد توصل إلى الترياق الذى تختفى به القروح التى تسببها ممصات هــذه الكائنات، فقد هاله ما رأى، وهاله أكثر ما سمع عن اختفاء عمال الزراعة الذين كانت لهم كثافة وجود فى المزارع بتلك الدول، ولم يخطر على باله أن تكون أشجار البروتين هى المسئولة عن هذه الأحداث الجسيمة، وأصبح تفنيده الوحيد هو إنكاره وجود علاقة بين أشجار البروتيــن وبيــن ما يحدث لهؤلاء العمال من اختفاء لجثثهم وهياكلهم العظمية، ثم أعلن عدم علمــه بأسباب حدوث هذه الأحداث وتلك الإصابات،واستند إلى ما نص عليه فى العقود من عــدم مســئوليته عمــا قــد تحدثه زراعة تلك الحجارة من أضرار أو مخاطر، لكن الأمور تطــورت إلــى الأسوأ ذلك أن اللعنة لم تقتصر على اختفاء الكثيرين من العاملين فى مزارع البروتين فى تلك الدول بل تعدتها إلى المقيمين فى المناطق المحيطة بتلك المزارع حتى ولو كــانوا فــى حصون مشيدة، وكذلك المارين بجوارها سواء كانوا فى سيارات أو مشيا على الأقــدام، ومصطفى ينظر إلى هذه الأحداث بشىء من عدم التصديق، وينكر أى احتمال ولو ضــئيل لوجود صلة بين ما يحدث ومسئولية مزارع أشجار البروتين عنها، وحجته فى ذلك عدم ورود أخبار من المزارع فى مصر أو اليابان تفيد وقوع مثل هذه الحوادث أو الأحداث، وأخــذ يكرر على مسامعهم دائما أنهم طالبوه بترك هذه المزارع لهم لإدارتها وعدم مسئوليته عما قد يحدث، فماذا يريدون منه؟

فــأرادوا الــتحقق مما إذا كانت هذه الأحداث قد حدثت فى مزارع البروتين فى مصر، فقــاموا بــزرع بعض أجهزة التنصت فى مكان إقامة مصطفى والسيارات التى يتحرك بها، وللســرعة فــى التوصل إلى أى بصيص أمل فى هذا الأمر قاموا بتكليف عباس قللى بمهمة الــتعرف علــى ما يحدث فى مزرعة أشجار البروتين فى مصر بسرية تامة حتى لا تحدث

ضـــجة المتضـــرر الوحـــيد منها هى تلك الشركات، فهو الأدرى بما يدور فى مصر، ولـــه منـــتجع علـــى ضـــفاف البحر الأحمر فى جزيرة المنارة، تلك الجزيرة النائية التى اختارها مصطفى لزراعة تلك الأشجار بها.

وعـــباس قللى لا يدخل مصر من المنافذ الشرعية منذ أن تم القبض على شبيهه بالمطار وضـــبط متلبسا بالمواد المخدرة فى بطن الطائرة، بعد أن فشل فى إسقاطها على سطح قصر المرعشـــلى كما جرت العـــادة، نتيجة قيام أسامه ابن عم صفيه بتغير مسار القمر الصناعى الذى يتولى توجيه مسار شحنات المخدرات، وقد وجهت إليه تهمة إدخال السموم البيضاء إلى مصر وأعلن عن شنقه بينما هو فى الحقيقة تم إيداعه السجن، لفطنة البوليس المصرى من أن المذكور ليس عباس قللى وإنما شبيه له يقوم بالأعمال التى تعرضه للمشاكل أو للسجن، ذلك أنـــه لو كان هذا المجرم هو عباس قللى لألقى بالحمولة فى الصحراء أو فى أى مكان يمكن تحديده لمعاونيه فيقومون بالتقاطه.

وحـــتى يتم تحديد مكان عباس قللى فقد تمت الموافقة له على احتفاظه بمحمول وهو فى السجن فقد يقوم بمحاولة الاتصال بعباس قللى عن طريق المحمول الذى سمح له به، وقد أدى ذلـــك إلـــى قيام عباس قللى بالتفكير فى حيلة شيطانية تمكنه من دخول مصر والخروج منها وقـــتما يشـــاء وكيفما يريد، فقام بالإيعاز إلى أعوانه فى مصر للتقدم بطلب الترخيص لإنشاء منتجع على إحدى الجزر فى البحر الأحمر، ومع التنظيمات التى خططت لها الحكومة لتفعيل الاقتصـــاد وخلـــق فـــرص عمل جديدة لآلاف البشر الذين يدخلون سوق العمل سنويا، فتمت الموافقة على إقامة المنتجع فى جزيرة المنارة، تلك الجزيرة التى تقبع فى مكان منعزل قريب من خليج السويس، ويربطها باليابسة لسان من الأرض يكاد يكفى سيارتين متجاورتين،

وتـــم تصـــميم المنـــتجع بحيـــث يوفر له كل الأمان المطلوب من حيث متطلبات الحياة للأعضاء والموظفين من طعام وشراب ومشروبات، وبعد أن راجت أعمال المنتجع وأقبل ذوو المـــال والجـــاه وطالبو المتع الحرام، غالى فى تزويده بكل ما يجلب المتع لمن يريدها وأضاف إلى النشاط العام للواجهة جلب المخدرات عن طريق البحر دون رقابة ودون إلصاق المسئولية بـــه، ثم قام بشراء غواصة ذرية قديمة وحولها بقدرة قادر إلى حصن يصعب دخوله أو نفاذ أى

شـــئ إليه حتى الإشعاعات النووية، فضلا عن أنها توفر الحياة المترفة لما يزيد عن مائة ألف مـــن البشـــر، مع توفير الطعام والشراب والمياه العذبة والأكسجين وكل شئ تحتاجه الغواصة لصيانتها أو يحتاجه المقيمون بالغواصة، وقد تم تركيب أجهزة تشويش على الرادارات، وكذلك كتم الصوت الذى يصدر عنها حتى يمكن مرورها إلى مصر دون أن يتم رصدها.

وفوق كل هذا فقد أصبح المنتجع وسيلته التى تمكنه من الدخول إلى مصر دون أن يمر علـــى جوازات أو جمارك أو خلافه، ذلك أنه توصل إلى الأسلوب المبتكر لدخول المخدرات عـــن طـــريق البحر بعد أن كشف أسامه ابن عم صفيه أساليبه لإدخال المخدرات عن طريق الجـــو، وزاد علـــى ذلـــك ابـــتكار طريقه لدخول غواصة صغيرة تغوص فى أعماق البحار والمحـــيطات بأمان تام دون أن تشعر بها السلطات فى أى من الدول التى تمخر عباب البحر خـــلال تجولهـــا، ذلـــك أنه تم تزويدها بوسائل تشويش على الرادارات البحرية، وكذلك عدم صـــدور أصـــوات تمكن من تتبعها، كما يمكن إدخالها فى الغواصة الكبيرة التى تم إرساؤها علـــى عمـــق مناسب على شاطئ البحر الأحمر مقابل الشاطئ المواجه للمنتجع، وتم ربطها بالمنـــتجع بـــنفق تفنـــن عباقرة الإجرام فى إدخال كل ما توصل إليه العلم من تقنيات حديثة، فأصبح محصنا ضد جميع دروب الحروب والغارات العسكرية أو غير العسكرية، وتم تزويده بكـــل ما يجعل الحياة فيه ميسرة لما يزيد على الألف شخص، كما تم ربطه بالغواصة بشكل يحول دون تأثره أو تأثر الغواصة بالتيارات البحرية، وكذلك بما يحول دون إفلات الغواصة الكبـــيرة منه إلا إذا تم تشغيل أجهزة خاصة بفك هذا الاشتباك، وتم تجهيز الغواصتين الكبيرة والصغيرة بأجهزة حساسة للغاية بحيث يمكن تشغيل هذه الأجهزة من أى من الغواصتين عن بعـــد، فتفتح أبواب الغواصة الكبيرة لدخول الغواصة الصغيرة لتستقر فى تجويف خاص أعد لها فى الغواصة الكبيرة.

لكنه قبل أن يقرر الذهاب إلى مصر، أصدر أوامره إلى أعوانه بالتحرى عما يحدث فى مزرعة أشجار البروتين فى مصر، وأصابه القلق عندما لم تصله أية أخبار، وبدأت الوساوس تداعب أفكاره خاصة بعد أن تبين له أن المنتجع لا يوجد به من يرد على اتصالاته الهاتفية أو يجيب على الفاكسات التى يرسلها، فقرر الذهاب بنفسه لتحرى الأمر.



بينما قام مصطفى بالاتصال بأخيه للاطمئنان على الأحوال فى مزرعة أشجار البروتين فى مصر والشركات تسجل المكالمات من أجهزة التجسس التى وضعتها لتتعرف على جميع المكالمـات الدولية التى يجريها مصطفى، وكانت الأمور فى مزرعة البروتين فى مصر فى تلك اللحظة هادئة تماما فيما عدا حادث احتراق كوخ الخفير وهو معه، ولم تكن الأحداث التى تلـت ذلك قد حدثت، لذلك كانت الصورة هادئة أمام مصطفى، أما عن مزارع البروتين فى الـيابان والـتى يشـرف عليها مستر كيوكى، فقد طمأنه مستر كيوكى أنه لا يوجد ما يقلق، فالأشجار يتم تسميدها بصفة دورية بكميات محددة ومدروسة، ونظرا لأن الزراعة تمت بعمل حفـرة كبيرة فى الجبل الذى تكون من الحمم البركانية وذلك لندرة الأرض الصالحة للزراعة فـى الـيابان، ثـم طمست الحفرة بالتربة المناسبة للزراعة، ولذلك فإنه كلما حاولت بعض الجـذور تخطـى الحاجـز الصخرى للمزرعة يقوم العمال بتقليمها، والعمال لا يدخلون هذه المـزرعة إلا بملابـس تكـاد تتطابق مع ملابس رجال الفضاء، وذلك بعد أن لاحظوا فناء الحيوانات الضالة التى حاولت الاحتماء بهذه المزرعة طلبا للأمان فكانت مقبرة لهلاكها، وقد فسروا ما يحدث إلى وجود كائن غريب فى المزرعة هو المتسبب فى ذلك، ووضعوا لافتات ممنوع الاقتراب أو الدخول واكتفوا بذلك، وفيما عدا ذلك فإن الحالة تكاد تكون ساكنة تماما.

وقـد سعدت الشركات بقرارها وضع لافتات منع الاقتراب من مزارع أشجار البروتين وتكلـيف شـركات حراسة للحيلولة دون دخول أى متطفل إليها، وقد وافقت السلطات عندهم على ذلك، وقامت الشركات باتخاذ نفس الإجراءات التى اتخذتها اليابان فى مزارع البروتين عـندها، مـن حيث ارتداء العاملين لبذلات رجال الفضاء وقطع الجذور التى تحاول تخطى أسوار تلك المزارع، لكن ذلك لم يكن رادعا للجذور التى تقطع من التعدى على من يصادفها من كائنات حية، وتبين لهم أن الحرق لا يجدى معها.

ونتيجة لفشل كل ما يمكن لعبقريتهم تجربته لتخليصهم من هذا الشر، لم يجدوا إلا تكليف عـباس قللـى لـتحرى ما قد يحدث فى مزارع أشجار البروتين فى مصر واليابان والدول الأخـرى لمواجهة هذا الدمار، فما تتوصل إليه تلك الدول من اكتشافات أو اختراعات لم يكن الفضـل فـيها إلـى نبوغهم وعبقريتهم، وإنما هى نتاج عقول من سبقوهم فى التمدن سواء

المصريين القدماء أو علماء العرب والمسلمين، أو باستقرائهم لما وراء السطور فى آيات الله الذى حواها كتابه الكريم، فما النظرية التى نادى بها أنشتين عن مرور أعوام على من يطوف حــول العالم فى سفينة فضاء بسرعة الضوء لمدة لحظات والتى كانت الإلهام لمجموعة من أفــلام الخيال العلمى مثل فيلم كوكب القردة أو غيره، إلا استقراء لرحلة معراج النبى محمد صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة، حيث لم تستغرق الرحلة بزمن الأرض إلا لحظات بينما هو أسرى به إلى المسجد الأقصى وصلى إماما لجميع الأنبياء والرسل، ثم عرج به إلى الســماء الســابعة ثم إلى سدرة المنتهى وأخذ أوامر ربه وعاد إلى فراشه الذى كان لا يظل دافــئا، وإلا فمــن أين لفلتة زمانه أن يأتى بهذه الآراء التى لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ولذلك فقد ذكر سبحانه فى الآية " ١٩٧ " من سورة الشعراء ﴿ أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ بمعــنى أن علماء بنى إسرائيل يعلمون عن الإسلام ربما بأكثر مما يعلمه علماء الإسلام، ولكن ختم الله على قلوبهم ، وطبع عليها فهم لا يفقهون.

ونظراً لأن معظم إن لم يكن كل البعثات التى قامت بالكشف عن آثار المصريين القدماء مــن الــدول الأجنبــية التى حاولت سرقة كل ما صادفها من برديات أو أحجار نقشت عليها كــتابات المصــريين القدماء والتى تحتوى على ذخائر علمهم ومخترعاتهم التى يستفيد منها علمــاؤهم حالــيا، حيث لم يقتصر الأمر على الأمور العلمية والمخترعات، وإنما تعدتها إلى حكايــات الأطفال وعلى وجه الخصوص حكاية " ذات الرداء الأحمر " وغيرها كثير، ولذلك كــان الاهتمام الكبير بعلم المصريات وعلم الهرميات، حيث لا يوجد ما يمكن ضحده من أن المصــريين القدمــاء توصلوا إلى القنبلة النووية، وربما الحفرة الكبيرة التى تسمى منخفض القطارة هى أحد آثار تفجير هذه القنبلة التى استبدل الله بها المصريين ممن لم يغرقوا فى اليم مــع فرعون وملئه بقوم آخرين لعلهم الغجر الذين يطلق عليهم جبسى وحرفت الكلمة لتصبح قبط، وإلا لتواصلت الحضارة المصرية القديمة أو بقاياها حتى الآن، وقد يفسر انقطاعها على هــذه الصــورة اندثار كل شئ حتى اللغة، والدليل على ذلك أن معظم إن لم يكن كل اللغات القديمــة مــثل الآشورية واللاتينية والإغريقية ما زالت معروفة وربما ما زالت تستخدم فى دولها، أما اللغة الهيروغلوفية لغة المصريين القدماء فقد اندثرت تماما، مصداقا لقوله سبحانه وتعــالى أنه استبدل بالمصريين قوما آخرين، ليست لهم صلة بالمصريين القدماء، وربما كان

هــذا أحــد أهــم أســباب البلاء الذى ما زال يلاحقنا، لعنة فرعون، ودعوة موسى وهارون **﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾** (الآيــة ٨٨ من سورة يونس)، ولعل هذا هو الغيب الذى أصبح مبصرا ليكون تذكرة لكل أمة تطغـــى فلا يكون مصيرها إلا الهلاك الذى وعد الله به الكافرين، أن يقوموا بإنتاج ما يتسبب فـــى إبـــادتهم، فمخزون القنابل النووية عند هؤلاء الكفرة هو فى حقيقته أكبر تهديد بفنائهم، وســـوف يـــأتى أمـــر الله قريـــبا بهذا الهلاك تنفيذا لوعده سبحانه فى سورة الرعد الآية ٣١ **﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾** صدق الله العظيم.

استقل عباس قللى الغواصة الصغيرة من شواطئ إيطاليا واتجه إلى البحر الأبيض، ومنه إلـــى الـــبحر الأحمـــر وصولا إلى جزيرة المنارة، حيث الغواصة الكبيرة المثبتة أمام شواطئ جزيـــرة المـــنارة والتى لم يكن فى حاجة لمن يسمح له بدخولها، فقد زودت الغواصة الصغيرة بوســـائل الاتصـــال بالغواصة الكبيرة والتحكم فى الفتحات الخاصة بإدخال تلك الغواصة دون الحاجـــة لمن يشغلها بالغواصة الكبيرة، بحيث يفاجأ العاملون بالمنتجع بوجوده فوق رأسهم فى أية لحظة ومعه ما يشاء إدخاله من مخدرات أو رقيق أو جواسيس أو إرهابيين.

مـــا أن وصل عباس قللى إلى الغواصة الكبيرة.. حتى فوجئ بمدير المنتجع يهرع إليه منتحـــبا، شـــارحا له العـــدد الكبير من أعضاء المنتجع الذين رآهم بعينيه وهم يتلاشون فى لحظـــات، وعندما سأله عن السبب فى هلاك هؤلاء الأعضاء ولماذا لم يرسل له يخطره بهذا الخطر، وكذلك أسباب عدم الرد على اتصالاته الهاتفية وفاكساته، قال:

- " رأيت ثعابين كبيرة الحجم تخرج من الأرض وتلتف حول الأجساد العارية الممددة على الأرض فى حالة استرخاء أو فى حالة استمتاع، فتمتص الجسد وتتركه هيكلا عظميا حالما يتلاشى بعد قليل وتصبح الضحية أثراً بعد عين، لقد سجلت ذلك بنفسى بالكاميرات المثبتة حول المنتجع، وذلك قبل أن تتلف الكابلات الخاصة بها تماما مثلما هى كابلات

الهاتف وبعض كابلات الكهرباء، فما كنت أجرؤ على الخروج من حصن القيادة الذى تم تحصينه جيدا ضد أى شئ حتى الهجوم العسكرى، وهذا الحصن كما تعلم يوصل إلى النفق المؤدى إلى الغواصة، فناديت فى الميكروفونات التى كانت تعمل على المولدات الاحتياطية بتلك اللغة المتعارف عليها على من تبقى من أولادنا المنتشرين بالمنتجع للحضور فورا إلى الحصن وبعد التجمع تحركنا جميعاً إلى الغواصة تجنبا لحدوث المزيد من الاغتيالات، لم نتمكن حتى من أخذ الملابس ولا شاحنات الهواتف النقالة ولا حتى معداتنا الشخصية، وسوف تراهم عرايا بدون ملابس، ولم نستطع الانطلاق بالغواصة لأنها مثبتة جيدا بالنفق.. لقد فقدنا موظفى الاتصالات فى هذه الهجمة الشرسة للثعابين على المنتجع مع الكثير من الموظفين المهمين ومنهم رجال الصيانة، فقد تعطلت كل خطوط الاتصال، ونسينا شاحنات المحمول حيث انتهت منها الطاقة وأصبحت معطلة تماما.. وهذا هو السبب فى عدم تمكننا من إخطارك بهذه الكارثة أو الرد على تليفوناتك وفاكساتك لأنها لم تصلنا، وحتى لو وصلتنا فما كان فى مقدورنا الرد عليها.. "

اتجـــه عـــباس قللى مباشرة إلى منظار الغواصة ووجهه إلى مزارع أشجار البروتين، فوجـــد الســـكون يخيم على كل شئ، ثم وجهه نحو القرية التى يسكنها موظفو وعمال الفنار، فوجدها هادئة تماما، لم يتبادر إلى ذهنه أنها خاوية على عروشها، ولم يلاحظ خروج ثعابين مـــن الأرض أو كائنات أرضية كما أطلقوا عليها فى أوروبا، وبدأ الشك فى مسئولية أشجار البروتيـــن عـــن تلك الأحداث يتلاشى، وأن مصطفى كان على حق عندما أخبرهم بعدم علمه بأســـباب حـــدوث تلك الجرائم، وسارع بالاتصال بالشركات ليخبرهم بنفيه أن تكون أشجار البروتين هى المسئولة، لكنه أعاد التفكير بحثا عن أسباب عدم ظهور بشر أو حيوانات أو أية تحـــركات على الجزيرة، وتوصل إلى استنتاج أن الحياة قد نفقت على الجزيرة، فقد أصابتهم لعنة مدمرة نتيجة لكم الفساد الذى كانوا يعيثونه فى الأرض.

ومادامـــت اللعـــنة قد أصابت جميع أنواع الحياة على هذه الجزيرة، فلا بد وأن لأشجار البروتين دخلاً رئيسياً فى ذلك، وبمعرفته التامة لسلوكيات وأخلاق وقدرات هذا الشعب على التغلـــب على كل ما يواجهه من كوارث، فقد ظل يترقب ما سيفعله المصريون للقضاء على هذه اللعنة مثلما هو تعاملهم مع لعنة الفراعـــنة، ولم يجد عنده تفسير لذلك إلا أن المصريين

هــم الذيــن يبــتدعون هذه اللعنات ولذلك فإنها لا تؤثر إلا فيمن يقترف الأخطاء ويثير فى الأرض الفساد، أو أن لديهم الوسائل لتلافى الإصابة بها.

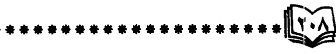
لكــنه أثناء استعادته لما قام مدير المنتجع بتصويره من أحداث على الجزيرة، لمح كلير.. تلك الفاكهة المحرمة التى لطمته على خده عندما حاول تحسس جسدها عندما كان يحتضنها بما يســمى " دانس " إن له معها ثأراً كبيراً، لطمته على خَدّه لطمةً مازالت لسعاتها تذكره بها كلما حانــت منه التفاته إلى امرأة قريبة الشبه بها، وصور له عقله المنحرف احتضان كلير للشجرة ومحاولة سعيد احتضانها من الخلف، وأن ما تم سكبه على الشجرة فيما بين الشجرة وكلير من ســائل هو نوع من اللهو الذى يمارسه المحبون وأصدقاؤهم، ظنها نزهة خلوية فى أماكن ليس مــن السهل وصول المتلصصين إليها، إذ لم يكن يعرف أن الشجرة هى التى جذبتها إليها وأن ســعيد يحاول تخليصها منها، ولم يتبادر إلى ذهنه أى شك فى أن أشجار البروتين تجذب إليها البشر وتمتصهم، وظن ذلك مجونا من صاحبة الصون والعفاف مع رجل آخر وأن ما أصدرته مــن صيحات هستيرية لم تكن إلا عبث ماجنة ترضى غريزة الأنثى المتعطشة للجنس، فلماذا رفضته؟ فإذا كانت على استعداد للمجون، فلن تجد من هو أفضل منه ليمتعها بالمجون الذى لم ولــن تحلم به فى حياتها، فهو لا ينظر إلى النساء إلا على أنهن مستودعات للجنس، مهما بلغت إحداهــن أعلــى المناصب أو وصلت إلى أهم الدرجات العلمية، فإن الشاغل الأساسى والوحيد لهــن هو الجنس، وهو يظن أن أى تصرف أو تحرك أو لمحة من أى منهن فإنها لا تحمل إلا إيماءات جنسية على اللبيب تفهمها، وهو اللبيب الذى يتفهم ما تخفيه الصدور وما تكنه العيون، الأريب الذى لم تتمكن أى من بنات حواء اللاتى بهره جمالهن التخلص من وجده بها، فتقع غير مأســوف علــى أنوثــتها ضحية تلاعب شرير بمشاعرها، إنه ثعبان أرضى كأقصى ما تكون الثعابين أيا كان نوعها ولا حتى ثعابين أشجار البروتين فى قسوتها، لديه الحلول لكل المشاكل، فمــا أن تكتشــف البائســة ما حل بها وأن كلمات الحب ومشاعر الغرام التى صاغها لها هذا العــباس إن هــى إلا ضرب من التلاعب بالمشاعر وصولا إلى تحقيق الأغراض الدنيئة التى يهدف منها إلى المعاشرة الجنسية، بعدها تصبح فينوس قلبه لا تساوى قيمة كلمة حب أو اعتذار يقولهــا لها، وإنما يضمها إلى مجموعة رقيقه الأبيض سواء فى أوربا لتسهيل كل ما يريد عمله هــناك، أو يجلــبها معــه فــى غواصته الصغيرة إلى منتجعه فى مصر أو فى أى من الدول

الأخـرى، وتسعد المسكينة بتلك الرحلة البحرية الجميلة والوحيدة والأخيرة، بعدها تكتشف مدى خداعه وتكون قد أصبحت أسيرة مطامعه وحبيسة مراميه.

وهـو يعـرف كلير.. فملامحها فى ذاكرته كإحدى أفضل بنات حواء التى كان يخطط للاسـتحواذ علـيها وفشل حتى فى مراقصتها، وصورتها محفورة فى ذاكرته قبل أن تكون محفوظـة فـى ملف أسطفان الذى أعد له برنامجا تدريبيا بحيث يصبح مسلوب الإرادة، فلا يـتحرك نخـوة ورجولة لما كان يخطط له من علاقة آثمة مع زوجته، فعباس يعلم تماما أن حـرارة الغيرة عند المصريين قد تصل إلى ارتكاب جرائم القتل لمجرد مشاهدة رجل غريب يـنظر إلـى امرأته، وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية التى أدت إلى إغراء أسطفان لجره إلى ذلك المستنقع الملعون وإغراقه فى المخدرات والجنس، حتى أصبح لعبة فى يد هذه العصابة القذرة يحركونه كيفما يريدون، ولقد رتب لزيارة زوجته للمنتجع بعد أن أصبح متأكدا من أن الـتفاحة قد نضجت وطابت، ولم يكن يتبقى إلا أن يطلب من أسطفان اصطحاب زوجته كلير إلى المنتجع، حتى يجدها هذا القللى فى انتظاره ويتملكها إما رضاء بإغراقها فى المخدرات، وجذبهـا إلـى الـرذيلة مع كل أعضاء المنتجع، أو قسرا بتهديدها بزوجها، إن لم تقتنع بأنه لغيرها أكثر منه لها، لذلك ما أن رأى شخصاً آخر ظنه يطارحها الغرام ويشدها إلى نفسه من خلفها حتى كاد يجن جنونه، فكان لابد له أن يدقق النظر فى ذلك الغريم الذى يحاول احتضان كلـير مـن الخلف، وأخذ يكبر فى الوجه مرات ومرات، لكنه لم يكن يعرف سعيداً وأعمته الرغـبة فى كلير عن محاولة التعرف على أسباب جذب سعيد لها من الخلف هذا الذى ظنه احتضـانا، فآثر أن يترك الموضوع لوقته، فالوقت الآن للتعرف على ما إذا كانت فى مزارع البروتين فى مصر حالات شبيهة بما حدث فى مزارع البروتين فى الخارج، هذا بالرغم من أنـه أصـبح متأكدا من وجود هذه الكائنات الأرضية فى مصر أيضا بعدما قصه عليه مدير المنـتجع من أنها ثعابين أو غيرها، لعلها لعنة الرب على البشر، مع كل ما يرتكبونه من آثام وليسـت لعنة الفراعنة التى لا تصيب إلا غير المصريين، أو أن المصريين لديهم مناعة منها تحمـيهم مـن غضبها، أو لعل الله سبحانه وتعالى يحمى هذا الشعب على فقره وتحمله لكافة صنوف الحكم والتحكم من كل المصائب التى تصيب الجميع إلا هو.



كان سعيد حريصاً فى انتقاء الكلمات التى يطلب من أخيه بها سرعة الحضور، فقد أصبح على يقين من أن ما يحدث فى مزارع البروتين فى مصر، لابد وأنه حادث فى المزارع خارج مصـــر، وأن الاســـتنجاد بمصـــطفى لم يكن إلا لبحث الوسيلة التى يمكن بها وقف هذا الخطر الداهــم، وهو لا يريد الضرر لأخيه، حتى لا يصورونه على أنه إرهابى زرع حجارة البروتين فـــى بلادهم لإبادتهم ويذهب ضحية لذنب ليس له يد فيه، طلب منه سرعة العودة لحضور عقد زواجـــه، وتعمـــد أن يكون فى صوته رنة السعادة، بل إنه أخذ يعيد ويزيد فى وصف عروسه وكأنـــه لـــم يخلق الله مثلها، وقد دخلت الحيلة على من كانوا يتجسسون على مكالمات مصطفى الهاتفـــية، خاصة وأن سعيداً لم يذكر له شيئاً غير ما حدث لكوخ الخفير، وقد حمد مصطفى له هذه الفطنة عندما عاد إلى مصر وتبين أن السبب المباشر يتعلق بأشجار البروتين.



٢١ـ الزوجة الثالثة

حاول سعيد اختيار العبارات بدقه وهو يحث أخاه على الحضور إلى القاهرة بأسرع من البرق، قال له إنه يريد أن يتزوج وهم فى انتظاره لتحديد موعد الزواج، ارتاح كثيرا لهذه العبارات فهو بذلك قد ضرب عصفورين وربما ثلاثة بحجر واحد، أولا حثه على الحضور بسرعة دون أن يتفوه بمشكلة أشجار البروتين، حتى لا يضيع عليه صفقاته، وثانيا أنه أعلنه بعزمه على الزواج من امرأة أخرى غير سهير، وثالثا أنه لا عودة لسهير مرة أخرى، والأهم من كل ذلك.. أنه خاطبه عن طريق النوت بوك الذى تم الاتفاق على ألا يستخدمه إلا فى الأمور الخطيرة، حتى يفهم مصطفى أن دعوته للحضور ليست إلا لأمر خطير.

وعاد مصطفى من الخارج بسرعة، بعد أن تم الاتفاق مع الشركات صاحبة مزارع أشجار البروتين فى الخارج على إخلاء مسئوليته هو أو شركته من أية التزامات سوى الخدمات الاستشارية بناء على طلب تلك الشركات، ذلك أن مصطفى اكتشف أن تلك الشركات استطاعت إنتاج السماد الذى كان يورده لها، وبناء عليه فقد استقلت كل شركة بالإشراف والتسميد الخاص بمزارعها، وبغض النظر عن أن هذه الاتفاقيات تسببت فى خسارة كبيرة لمصطفى وشركاته والعمال المصريين الذين كان يشترط قيامهم بالعمل فى تلك المزارع، إلا أنه شعر براحة كبيرة لا يدرى سببها، ربما لأنه لا يطمئن إلى نتائج زراعة هذه القطع من الأشجار التى تحجرت، فلا يمكن تصور أن يغفل الفلاح المصرى بفطرته الذكية أن يستفيد من هذه الأشجار التى تنتج البروتين الحيوانى إلا إذا كان قد رأى منها ما لا يحمد عقباه، ثم أنه قد نجح فى تصدير العمالة المصرية إلى دول أوربا بشكل مناسب، فضلا عن تحقيق عائدات مالية بالعملات الأجنبية التى تتوالى ارتفاع أسعارها فى مصر بشكل مخيف حتى وصلت قيمة الجنيه المصرى إلى لا شئ، وقد ساهمت هذه التدفقات النقدية الأجنبية فى رفع قيمة الجنيه المصرى بشكل لم يسبق له مثيل، حتى أنها فاقت قيمته فيما قبل الخمسينيات، مما أثار حساسيات الجماعات التى تستهدف مصر لوضعها دائما تحت خط الفقر، ومما زاد من حساسية هذه الجهات.. أن المدمنين استجابوا لحملات التوعية التى كانت تقوم بها الجهات الرسمية والشعبية والتى ساهمت فيها شركات مصطفى بشكل فعال مع ما قامت به النقابات

الطبــية بدورهـــا فـــى القضــــاء علـــى الإدمان، حيث توصل الصيادلة إلى عقار ينهى آثار المخـــدرات بجمـــيع أنواعهـــا فى عقول وأجساد المدمنين خلال فترة زمنية قصيرة، وفتحت المستشفيات الحكومية والأهلية وكذلك فتح الأطباء عياداتهم لمساعدة المدمنين على الشفاء من هـــذا الـــداء العضــــال، وتربصت الشرطة لتجار المخدرات فضيقت عليهم الخناق، وأرعبهم تطبـــيق القـــانون الـــذى يقضى بإعدام تاجر المخدرات والمدمن الميئوس من علاجه، ويتم التطبـــيق بأســـرع مـــن ذهاب أحدهم إلى قسم الشرطة للإبلاغ عن حادث، حيث أن الإعدام أصـــبح العقوبة التى قبل بها المجتمع المصرى لكل من يضبط حاملا لقدر ولو ضئيل من أى نـــوع مـــن أنواع المخدرات، سواء كان للاتجار أو للتعاطى، فضلا عن رفض تعيين المدمن الميـــئوس مـــن علاجه فى أى من الجهات الحكومية: وزارات ومصالح أو شركات وبنوك، ونهجت الشركات الخاصة على نفس المنوال.

وأثمـــرت الدعـــوة إلى المقاطعة التامة للبضائع الأمريكية وبضائع الدول التى تسير فى ركابهـــا، حيث ثبت للشعب المصرى والعربى أطماع تلك الدول ليس فى احتلاله وامتصاص ثـــروات بـــلاده فقط، وإنما فى إذلاله وإخضاعه لشروطه وإفشاء الفاحشة والفساد فى جميع طوائفـــه بمـــا تبـــثه وســـائل الإعلام من أفلام جنس ومناظر خليعة انساقت وراءها بعض الفضائيات العربية رغم أن العقل السليم لا يقبلها.

كمـــا أنه تم إعادة رسم حدود المحافظات بدقة بحيث تكون عرضية وليست طولية، فما معـــنى أن تـــتركز المحافظات على طول الوادى، وتختص محافظتا البحر الأحمر والوادى الجديـــد بالأراضــــى المـــتاخمة للحـــدود شرقا وغربا، وبهذا التقسيم العرضى فإن حدود كل محافظة قد رسمت بحيث تبدأ من شاطئ البحر الأحمر شرقا وحتى شاطئ النيل، والمحافظة الـــتى تقابلها تبدأ من الشاطئ الآخر للنيل وتنتهى عند الحدود مع ليبيا أو الدول الأخرى التى تشـــترك مـــع مصـــر فى الحدود، وأصبحت المسابقات والمقارنات تعقد بمقدار المساحة من الأراضـــى التى يمكن لكل محافظة إضافتها للرقعة الزراعية والهدف هو زراعة كل أراضى مصر وليس فقط الوادى القديم أو الجديد، ويتسابق جميع الطلبة والطالبات وكل من هو قادر على العمل سواء كان كهلا أو عجوزا أو شابا عاطلا عن العمل فى المساهمة فى هذا العمل

المشرق الذى يضمن للعاملين به الوجبات الثلاث وأجراً رمزياً، وزادت الرقعة الزراعية منذ العـــام الأول لبداية المشروع بشكل واضح جداً، وكان لذلك أثره الواضح فى تحقيق الاكتفاء الذاتى من المواد الغذائية التى كنا نستوردها من أمريكا وغيرها من الدول، بل إنها زادت بما يمكن تصديره لدول العالم الثالث التى كانت تخضع لأوامر أمريكا حتى لا تمنع عنها الغذاء، وتوفرت الأخشاب التى أصبحت تكفى احتياجاتنا ولا نمد أيدينا لاستيرادها من الخارج، وقبل المواطـــن المصرى أن يصنع أثاث بيته من الأخشاب المنتجة محليا دون بطر ودون تفضيل للمستورد، وعملت المعاهد العلمية والجامعات على تحسين أنواع الأخشاب المحلية، والتوصل إلـــى إنـــتاج أنواع مهجنة تتحمل طقس البلاد فضلا عن التوسع فى زراعة أشجار الأخشاب الـــتى مـــن أصـــل مصرى، ولأسباب غير معروفة.. كانت قد توقفت زراعته، وأصبح من المتيسر زراعة وإنتاج ما أشيع أنه لا يتناسب مع طبيعة البلاد، وتسارع الجميع فى المساهمة فـــى هذا المشروع القومى، مما كان له كبير الأثر فى وقف نزيف الأموال التى كانت تخرج وفـــاء للمستورد من كل شئ، حتى المواد الغذائية المصنعة، كانت فضيحة يشعر بها كل من ألقـــى الســـمع وهو شهيد، فكيف لمصر بلد الزراعة أن تستورد القمح والفول وباقى الإنتاج الـــزراعى الذى كانت تصدره؟ هل عجز الفلاح المصرى عن إنتاج ما يسد رمق أبناء وطنه مـــن الحـــبوب؟ أم أنها السياسات الدولية التى وضعت مصر كهدف لتطبيق أنواع جديدة من الاســـتعمار بدون حروب ولا جنود، وأن يتولى أبناء الشعب أنفسهم تخريب كل ما هو جميل فى بلادهم حتى الأخلاق؟

وما أن جلس مصطفى أمام مكتبه حتى وجد أمامه تقريرا أعده سعيد بكل ما حدث خلال الفـــترة التى كلف بها بإدارة أعماله، لم يترك شيئا لم يذكره، حتى علاقة الحب المفاجئة التى ربطته بكلير أرملة أسطفان، وطلبه الزواج منها، كما ذكر له رفض سهير تطليقه باعتبار أن العصمة فى يدها.

اســـتوقفه مـــن الـــتقرير مـــا يختص بالجرائم الغامضة التى حدثت فى جزيرة المنارة، والطريقة الجهنمية التى كان يتبعها المهربون لإدخال المخدرات إلى البلاد، وتذكر العروض المغرية التى قدمتها له إدارة المنتجع لكى يبيع لهم الأراضى التى اشتراها من مهندسى وفنيى

الحجر الزراعى " أرض أسطفان وعاطف ومحمد وغيرهم كثيرين " وكم هى الإغراءات التى وضـــعوه فـــيها سواء السهرات الماجنة التى تقدم خلالها المشروبات الروحية وجميع أنواع الممـــنوعات وبخاصة المخدرات البيضاء وغـــيرها، والأهم من كل ذلك الرقيق الأبيض جدا والأشقر والأسمر وجميع الألوان، ومن الجنسين وذلك بعد التجريد التام من الملابس عسى أن يكون ذلك من العناصر المؤثرة فى إثارة غرائزه، ولكن إيمانه بالله وحسن إسلامه كانا جدارا صـــلبا متماســـكا أمام كل هذه الإغراءات، وقد طلب من الضابط علي تحرير محضر بذلك تاركا الأمر للسلطات المختصة لاتخاذ الإجراءات المناسبة فى مثل هذه الحالات، إلا أن علياً عـــاد إلـــيه لـــيخطره بـــأن عقد الاستثمار مع الحكومة ينص على قيام إدارة المنتجع باتخاذ إجـــراءات الحماية والأمن بمعرفتها دون تدخل من السلطات الأمنية بالبلاد، وبناء عليه فإنه يحظـــر اقتراب البوليس من هذا المنتجع إلا إذا طلبت إدارة المنتجع منه التدخل، وعلى هذا فإنـــه لا يمكـــن للشرطة اتخاذ أية إجراءات بشأن ما ذكره مصطفى ما لم يكن ذلك بناء على طلب من إدارة المنتجع أو بتقديم الدليل الدامغ، أو أن يتقدم أحد مرتادى هذا المنتجع بشكوى يذكر فيها تفصيلا ما يحدث.

لكـــن هذا لم يمنع من أن كبار القيادات بالشرطة قد أخذت البلاغ على محمل الجد رغم ما أعلـــنوه ظاهريا من عدم اختصاصهم بالأمر، خاصة بعد أن أبلغهم بذلك أحد نواب الشعب الذى أرادت تلك المجموعة تجنيده لخدمتهم وإلصاقه بما قد يوجه إليهم من تهم، ظنا منهم أن الحصانة النيابـــية سوف تبعد عنه المحاكمة أو أن يد القانون لن تصل إلى أى مخالف له مهما كان مركزه أو كانـــت حصــــانته، والعجيب أن هذا النائب " الذى كان مسئولا كبيرا فى وزارة الداخلية " قام بتوثيق كلامه بالصوت والصورة بكاميرا تفنن فى إخفائها، خاصة وأنه لاحظ وجود أكثر من فتاة وصبى من الذين أعلن عن اختفائهم بين مجموعات الرقيق الأبيض بالمنتجع.

وحرصا من قيادات الشرطة على حياة ذلك النائب تم التحفظ على تقريره بتفهم تام منه للأسباب، حيث أن من يقومون بمثل هذه الأعمال لا يمكن إلا أن يكونوا قد وصلوا إلى درجة مـــن الإجـــرام قد تؤدى إلى تصفية من يفشى أسرارهم، فقررت تلك القيادات القيام بعمليات تفتـــيش لهذا المنتجع بدأت بأساليب مهذبة، وذلك عن طريق الزيارات التى يتم الاتفاق عليها



مـــع إدارة المنـــتجع، ثـــم تدرجت لتكون الزيارات مفاجئة، والعجيب أنه لم يتم ملاحظة أية تجاوزات خلال تلك الزيـــارات، فتبادر لهم أن تكون إدارة المنتجع قد وضعت عيونا ترصد قدوم قيادات الشرطة، فقاموا بوضع بعض أفراد الأمن بالملابس المدنية حول أسوار المنتجع، وتقدمت إدارة المنتجع باحتجاج، إلا أن قيادات الشرطة بررت ذلك بدعوى أنها إجراءات أمن وحمايـــة للجزيـــرة كلها فهذا واجبهم، وأن العقد ينص على عدم تدخل الشرطة فى إجراءات الأمن الخاصة بالمنتجع، لكنه لا ينص على اعتبار المنطقة كلها ملكية خاصة للمنتجع لا يجب على الشرطة اتخاذ الأمن الاحتياطى لها.

ثـــم أصبح تدخل الشرطة فى المنطقة المحيطة بالمنتجع أمرا واجبا وذلك بعد أن قامت إدارة المنـــتجع بالقبض على مجموعة من الشباب تسورت سور المنتجع، وأخذت تتجول فى حدائقـــه ويقومـــون بالتصوير المرئى والمسموع، وقامت إدارة المنتجع بالقبض على الشباب وتسليمهم لرجال الشرطة المنتشرين حول المنتجع والذين بادروا بدخول المنتجع فور رؤيتهم للشباب يتسورون أسواره، وربما لو لم تكن هناك تلك العناصر من الشرطة بالملابس المدنية وأخرى بالملابس الرسمية لكانت إدارة المنتجع قد تصرفت مع هؤلاء الشباب تصرفا مختلفا تماما، والعجيب أن هذه العناصر المتخفية من الشرطة لم تسجل أية ملاحظات، إلا أن الشباب المســـتهتر أورد روايـــات عـــن رؤيتهم لرجال ونساء عرايا تماما، وأنهم لمحوا الكثير من الأعمـــال الخادشـــة للحـــياء وتفصيلا عمليات زنا ولواط تتم في الهواء الطلق أمام الجميع، وعندما أرادت قيادات الشرطة التحقق مما أفادت به مجموعة الشباب، قاموا بإرسال طائرات هليوكوبـــتر تقوم بالطيران المنخفض قريبا من شواطئ المنتجع، وتصوير ما يمكن تصويره ممـــا يـــدور فى المنتجع من نشاطات، وأيضا لم يتم تصوير أى مما سبق أن ذكره النائب أو الشباب المستهتر.

وبالتحقـــيق مع هؤلاء الشباب أفادوا بأنهم كانوا فى سياحة بحرية أمام شواطئ المنتجع، ولمحـــوا كما لو أن جميع الموجودين بالمنتجع عراه، فأرادوا التحقق فقاموا بتسلق الأسوار، وقـــاموا بالتصـــوير ولكـــن إدارة المنتجع استولت على الأفلام وقامت بتخريبها قبل أن تقوم بتســـليمهم إلى الشرطة حيث سارعت عناصر الشرطة التى انتشرت حول المنتجع بالملابس



المدنية بدخول المنتجع باعتبار أنهم شاهدوا الشباب الذين تسوروا أسوار المنتجع، وقد قدموا لمســاعدة رجال الأمن بالمنتجع للقبض على هؤلاء الشباب والتصرف القانونى معهم، وذلك تحسـبا من هذه العناصر لأية تصرفات غير قانونية أو غير أخلاقية قد تتخذها إدارة المنتجع مع هؤلاء الشباب.

لكن تصادف أن كان أحد هؤلاء الشباب طالبا بكلية الإعلام، ووجدها فرصة ليقدم بحثا عــن القرى والمنتجعات السياحية فى مصر وما يحدث فى بعضها من أعمال منافية للآداب العامــة والســلوك القويم ومخالفة للقانون والشريعة الإسلامية التى هى مصدر القانون ودين الدولة الرسمى، ومقدار الفساد الذى تمثله بعض هذه الأماكن السياحية، ونظرا لأن الفيلم الذى قــام بتصــويره يعتــبر من أهم مقومات التقدير الممتاز لبحثه، فقد سارع إلى إخفاء الكاميرا والفيلم، ونجح فى التخفى والتلاحم مع عناصر الشرطة المصرية الذين كانوا بالملابس المدنية حيــث بادروا بمساعدته على التخفى بينهم، مما جعل إدارة المنتجع تتعامل معه على أنه أحد هــذه العناصــر، وقد سارع للقيام بما قام به وذلك بمجرد شعوره بإقدام إدارة المنتجع على مطــاردة رفاقه، وساعده رجال الشرطة المتخفيين الذين كانوا يراقبون ما يحدث دون تدخل مباشــر مــنهم، ظنا منهم أن هؤلاء الشباب قد يأتون بمعلومات هامة عما يدور بالمنتجع من فجور، وتكون شهادتهم دليلا دامغا لمحاكمة إدارة ذلك المنتجع ومن ثم إغلاقه.

وبعد أن خرج رجال الشرطة المصرية ومعهم الشباب الذين تسوروا المنتجع، وبعد أن ابــتعد رجــال الأمن التابعين للمنتجع، قام الشاب بالاتصال بأحد الأصدقاء الذى كان يرافق المجموعــة ورفــض تسور الأسوار معهم ليحضر بسيارته وينتشله وذلك بعد أن وعد بتسليم نســخة مــن الفيلم الذى صوره إلى عناصر الشرطة، وتعهده المثول أمام من يتحدد المثول أمامه عند الطلب، وعلى هذا استطاع هذا الشاب الهرب بما استطاع الحصول عليه من تقرير لمــا يحــدث من أفعال فاضحة بالمنتجع يكاد يكون مفصلا بالصوت والصورة، وقد حرص الشــاب على التركيز على وجوه الأعضاء، حتى أصبح الفيلم تسجيلا لأعضاء المنتجع صوتا وصــورة وأفعــال مشينة، ولولا هذا الفيلم لسجن الشباب، لكن قيادات الشرطة لم تعلن عن الحــادث كلية وكذلك أخفت أمر الإفراج عن الشباب، وأوصتهم بعدم الظهور أو التحدث بما شاهدوه لأى إنسان حتى عن أهلهم، وذلك حتى ينتهى التحقيق.

وقـــررت قـــيادات الشـــرطة زيادة طلعات طائرات الهليوكوبتر فى أوقات مختلفة من الصـــباح حتى منتصف الليل، فإن لم تستطع تصوير الفساد فعلى الأقل تكون رادعا لهم عن فعله فى العلن، لكن إدارة المنتجع تقدمت بشكوى حيث ينص العقد صراحة على عدم تحليق أى نـــوع مـــن الطائرات سواء على مستوى منخفض أو مرتفع حرصا على راحة الأعضاء وعدم إزعاجهم، فطلبت قيادات الشرطة من إدارة المنتجع بيانا بأسماء الأعضاء وصورا عن الـــبطاقات أو جوازات السفر، وكانت المفاجأة أن الكثيرين من الأعضاء شخصيات مصرية ذات مستوى رفيع وأيضا عربية وأجنبية مهمة، وعلى وجه الخصوص معظم إن لم يكن كل رجال وسيدات السلك الدبلوماسى الأجنبى وربما العربى أيضا، ولم تقدم أية بيانات عن نساء الرقـــيق الأبيض وصبيانه، ولما وجدت قيادات الشرطة أن كل شئ بالنسبة لإدارة المنتجع أو أعضائه لا يوجد ما يتسرب إليه الشك فيما عدا الفيلم الذى قام الشاب بتصويره، والذى هون مـــن شأنه معظم إن لم يكن كل رجال القانون باعتباره لا يعتبر قرينة دامغة، فهو عبارة عن عملـــيات زنا وسحاق ولواط فى حدائق عامة لا يوجد ما يثبت أنها داخل أو خارج المنتجع، وأن منتجعا بهذه الكيفية ليس من الصعب عليه الاستعانة بأعتى أساتذة القانون فى تفنيد التهم، حـــتى ولـــو تـــم تأييدها بشهادة الشباب أو شهادة مصطفى، أو حتى شهادة النائب الذى تقدم بشـــكوى تـــم تحذيـــره مـــن إثارتهـــا فى مجلس الشعب، حتى لا يفسد العلاقات مع السادة المســـتثمرين الأجانب، وثار النائب.. أى استثمار أجنبى هذا.. الاستثمار يجب أن يكون فيما يعـــود علـــى البلاد بالخير، وكان الرد أن الاستثمار الذى يأتى للبلاد بالعملات الأجنبية هو الاســـتثمار الذى يعود على البلاد بالخير بغض النظر عن نوعه أو طبيعته، وسواء كان فى السياحة أو العلاج أو المنتجعات.

وتكـــرر اخـــتفاء بعض رواد المنتجع بطريقة مريـــبة، ذلك أن رجال البوليس يقومون بتســـجيل بـــيانات عن السيارات التى تدخل أبواب المنتجع وعدد الركاب بها، وكذلك الأمر بالنســـبة لتلك التى تخرج وبعمل مقارنة بسيطة يمكن التعرف على من تخلف منهم، ولما لم تقـــدم لهـــم بلاغـــات عن وفاة أو قتل أو خلافه، فقد قاموا بزيادة قوات البوليس فى المناطق القريـــبة من أبواب المنتجع وحول أسواره، وأفاد الضابط علي أنه بحسب علمه لم تسجل تلك القـــوات أيـــة انحرافات تقوم بها إدارة المنتجع أو أى من الأعضاء،وواجـــه مصطفى أخاه

سعيداً بهذه المعلومات، فقال معلقا على جلب الرقيق الأبيض:

- " ربما كانوا يجلبونهم بنفس طريقة جلبهم للمخدرات، أو أنهن فتيات مصريات تم خطفهن.. حادث صديقك الضابط الكبير ودعه يتأكد من هذه الجزئية.."

لكن مصطفى فاجأ سعيداً بالاعترافات التالية:

- " إن إدارة المنتجع كانت قد قامت معى بالكثير من المضايقات علهم يستطيعون إبعادى عن المنطقة، وكثيرا ما تم إرغام العمال على تركهم العمل بالمزرعة، كما استطاعوا إغراء الكثير من العمال على العمل معهم، وتمكنوا من إغراق الباقيين فى الجنس والمخدرات، وأن أسطفان كانت إرادته قد بدأت تضعف أمام تلك المغريات، وربما كان فيما ذكرته كلير عن خيانته لها بعض الحقيقة، فقد ذكر لى محمد السائق أنه كان يحضر إلى السيارة بعد خروجه من بوابات المنتجع فى ساعات متأخرة من الليل وقد بدا عليه الإرهاق، وأنه كان يترنح أثناء السير ويتلعثم فى الكلام، وأن ذلك تكرر أكثر من مرة، وهذا لا يكون إلا إذا كانت المخدرات قد تمكنت منه وأنه كان يفرط فى المباشرة الجنسية بالشكل الذى يجعله مشرفاً على الموت. "

لا يدرى سعيد لماذا شعر ببعض الرضا عما ذكره مصطفى عن سلوكيات أسطفان، فقد كان كثـيرا مـا يحاول أن يثبت لكلير أن أسطفان لم يرتكب فى حقها خيانة زوجية أو خلافه، وذلك دفاعـا عن أسطفان، وحتى يدرأ الشك عن نفسه أنه يحاول مسايرتها وتأكيد تشويهها لسلوكيات أسـطفان حتى تصبح له، لكن الزوجة هى أول من تعلم بخيانة زوجها، وكلير كانت متأكدة من خيانة أسطفان لها منذ ما قبل زيارتها لذلك المنتجع،ومشاهدتها له وهو يضاجع العاريات من نساء المنـتجع بألوانهن وأشكالهن المتنوعة، وربما لم يكن استنجادها بصاحب الشركة إلا لكى يكون شاهداً على خيانته فتطلب الطلاق مستندة إلى الخيانة المتعمدة العلنية أمام الشهود.

أمـا عـن محاولات مصطفى نفى التهمة عن أشجار البروتين بهذه القصص والأحداث فهذا ما لم يستطع سعيد أن يتقبله بسهولة، وأفاض فى مناقشته مع مصطفى موضحا له الآثار الخطيرة التى تطورت إليها حالة كلير، فاحتج عليه بحالة محمد، وزاد بأنه ما زال غير مقتنع بـأن هـناك جـذوراً فى إمكانها أن تتسلق سيقان أو جدار أو أى شئ من هذا القبيل، لكنهم

فوجــئوا بمحمد يدخل عليهم وقد ظهرت الهالات بنية اللون عميقة الغور فى رقبته والأماكن الــتى تعلقــت بـــه منها جذور أشجار البروتين، وصعق مصطفى من المنظر، فالمسكين لا يستطيع تحمل تلك الآلام ويكاد يبكى من شدتها، فسأل سعيد مباشرة:

- " هـل هـى نفسـها القروح التى ظهرت على جسد كلير..؟ وكيف لها المسكينة أن تتحمل آلامها إن كان محمد الرجل لم يستطع؟ هل توصلت إلى مركب كيمائى يقضى على هذه القـروح؟ وإن لم يكـن فـارجوك أسـرع، اترك كل شئ وركز كل اهتمامك على إنتاج مثل هـذا المستحضـر، أريـده فـورا وبـأى ثمـن، كما أريد مستحضراً يقضى على تلك الأشجار والجذور، فإذا كانت الكارثة قد ظهـرت فى مـزرعة مصـر فـلا بـد وأن مـا ظهر فى باقى المـزارع بـالدول الـتى قمـنا بزراعـتها فـيها مـن جـرائم قـتل وتلاشـى للجثـث والهـياكل العظمـية هـو مـن أعمـال تلك الأشجار اللعينة التى لم أكن أرتاح لها مطلقا، وأنت تشهد على ذلك.. والحمد لله أن الشركات هى التى سعت لإنهاء عقود الزراعة والإشراف، فـأنت تعـلم أنهـم يـأخـذون ولا يعطـون، وقـد كـان عبـئا ثقـيلا عـلى أنفسـهم لم ترحمهم منه وسـائل الإعـلام، أن يتركـوا مـتخلفي العـالم الثالـث ليعـلموهم الـزراعة ويلقـنونهم مـا يفعلـون، واقتصـر الـتعاقد عـلى خدمات استشارية كلما دعت الحاجة بأتعاب بالغت فيها جدا بحيث تعوضـنى عـن العقـود الـتى ألغيـت، وأتعاب الخبراء وأجور العمال الذين تم الاسـتغناء عنهم، كما حصلت منهم على تعويض مناسب لفسخ تلك العقود، لكل من الشـركة وكذلـك الخـبراء والعـاملين، والآن إذا ظهـرت هـذه الحـالات عـندهم، فـإن إبادتهـا سـتكون عـلى حسـابهم وبمعرفتـنا إذا أمكنـنا التوصـل إلى وسـيلة مناسـبة لإبادتهـا، وسـأشـترى مـنك حـق إنـتاج مـا تتوصـل إلـيه مـن مـواد تقضـى عـلى الأشـجار أو تعـالج القروح، أو على الأقل تورد أنت للشركة المواد مع عقد مناسب لك للإشراف.. ما رأيك؟ "

وسعيد يسمع ويهز رأسه طاعة وتلبية لأوامر أخيه، وهو يتعجب من التغير السريع الذى طــرأ عليه، لم يكن مصطفى هكذا قبل عقوده المجزية مع الشركات الأجنبية، هل هذا تأثير تلك الشركات عليه، أم أنه تغير كثيرا بعد حوادث السرقة التى قام بها رفقاء الرحلة وشارك فــيها ســعيد، حيث أصبح مقتنعا من أن مصطفى لديه دليل إدانته بعد أن أطلعته والدته على الملــف الذى يبين تفاصيل خيانته لأخيه بالصوت والصورة عندما شغلت له النوت بوك الذى

أوصـــته باســـتخدامه عـــندما كلفته بمباشرة أعمال مصطفى أثناء سفره، وبعد أن أنهى أخوه أسئلته وأوامره قال بهدوء:

- " أما عن مستحضر إبادة الأشجار.. فقد أرشدنا محمد إليه، وهو أبسط مما تتصور، إنه الكيروسين، ولكن مفعوله مؤقت.. إذ سريعا ما تستعيد الشجرة عافيتها وتعود أقوى مما كانت بمعنى أنها لا تستجيب لتداعيات الكيروسين مرة أخرى، أما عن القروح.. فقد وفقنى الله إلى مستحضر سيكون له فعاليته إن شاء الله وسوف أقوم باستخدامه مع محمد الآن.."

أمـــر مصطفى رجال الأمن بإدخال محمد السائق إلى العيادة بالشركة، بينما دخل سعيد إلـــى غرفة الحقن بالعيادة، وأخرج من جيبه قارورة بها سائل أبيض، وبرطمان به مستحلب أبـــيض، ثم أدخل يديه فى " قفازات طبيه " وقام بصب بعض من السائل الذى بالقارورة على القروح التى برقبة وصدر محمد فحدثت بها بعض التفاعلات التى انتهت إلى فقاعة كبيرة قام ســـعيد بشـــفطها بـــإحدى الماصات التى كانت معه، مما أكد لمصطفى أن سعيداً كان يعمل وصــــولا لهذا المستحضر وتداعيات القروح بعد استخدامه، ووقف محمد سليما معافى كما لو لـــم تسبب له تلك القروح ما كان يعانيه من آلام مبرحة منذ برهة، لكن سعيداً سريعا ما أمره بعـــدم النهوض، وأسرع يدلك مكان القروح بالمستحلب الذى بالبرطمان بعد أن وضع فى يده قفـــازات طبـــية أخـــرى، وسعد سعيد بالنتائج التى حققتها مستحضراته، ذلك أنه كان قد قام بتجربـــتها علـــى كثير بمجرد أن تحقق من نتائجها على مخلص، وهاهو محمد جاءه ليعالجه بالمستحضرات التى توصل إليها طواعية، وتأكد أنه ما دامت النتائج واحدة على الثلاثة، فإن المستحضر قد حاز درجة النجاح، وفى غمرة ذهول الجميع من تلك المستحضرات السحرية، سأل مصطفى أخاه:

- " كيف.. ومتى؟ "

لكن سعيدا أراد أن يثبت لأخيه أنه مازال الفذ الذى يشار إليه بالبنان فقال بتواضع:

- " قلت لك إن محمداً هو الذى دلنى على الكيروسين ترياقا مؤقتا لوقف خطر تلك الشجيرات وجذورها، لكننى حالما اكتشفت أن مفعول الكيروسين ليس دائماً ولكنه

مؤقت حيث تعود الأشجار أكثر ضراوة بعد فترة قصيرة ولا يؤثر الكيروسين فيها بعد ذلك، فكان لابد من العمل للوصول إلى مادة تمكن من القضاء على هذه الأشجار والجذور قضاء مبرما، وهذا الموضوع له قصة طريفة.. هل لديك استعداد لسماعها؟"

وأسرع مصطفى يطالبه بالمزيد، فقال:

- " لقد تقطعت بعض الجذور في رقبة وصدر محمد وصدر وسيقان كلير أثناء محاولاتنا تخليصهما من الأشجار، وهذه كان لها آلامها التي لا تطاق، فانتزعتها ووضعتها في كوب ملئ بالكيروسين، وقبل وصولي إلى المعمل قمت بإخراج بعضها من الكيروسين ووضعتها على قطعة من اللحم الأحمر، وبعد فترة ليست بالقصيرة، فوجئت بالجذور وقد أعملت ممصاتها في قطعة اللحم، وقد تكرر ذلك بالنسبة للقطع الأخرى التي أبقيتها لمدد متفاوتة، فتبين أن الكيروسين يوقف حيويتها بصفة مؤقتة مهما طالت مدة نقعها فيه، فتصورت أنه قد يمكن وقف حركتها نهائيا إذا تم استخدام العناصر الفعالة في الكيروسين.
- وبدأت أبحاثي لاستخلاص العناصر الفعالة في هذا السائل، ومن الصدف الغريبة أنني تذكرت أن الكلب مخلص كان قد أكل من حجارة البروتين المنقوعة في الماء مرتين، مرة في الصحراء أثناء الفترة التي ضللتم خلالها الطريق، والثانية أثناء المؤتمر مع القطط الثلاث، والقطط الثلاث نفقت تماما ونبتت شجيرات بروتين داخل أحشائها واستمرت تنهش في العظام بعد أن جاءت على كل الجسد، لكن مخلص لم يصبه ما أصاب القطط الثلاث، فقد عثرت والدتنا عليهن وقد نبتت فيهن شجيرات بروتين صغيرة كانت تتغذى على لحومهن ثم استمرت في امتصاص ما في العظام من مواد مفيدة لتلك الشجيرات، فأبقيت على تلك الشجيرات لإجراء المزيد من التجارب.
- وكانت المفاجأة الحقيقية عندما ألهمني الله بعمل مقارنة بين ما حدث للقطط حيث استطاعت حجارة البروتين القضاء عليها وذلك بعد أن مضغتها وابتلعتها وقامت العصارة المعوية لتلك القطط بهضمها، وهذا معناه أنه ليس للعصارة المعوية للقطط تأثير قوي على تلك الحجارة، ولذلك فقد نشطت بالرغم من أنها في وسط العصارة المعوية وبين أحشاء تلك القطط، أي أن العصارة المعوية للقطط ليس لها تأثير على تلك الأشجار أو الجذور،



فقامت بالتهام القطط ذاتها، فماذا عن مخلص؟ لقد وجدته يتمتع بصحة جيدة وهذا معناه أن العصارة المعوية للكلب تمكنت من هضم هذه الحجارة كلية، وكان لابد لى من إجراء تجارب على مكونات عصارة الجهاز الهضمى لمخلص، فالمعروف أن الأحماض والقلويات تكون مركزة فى تلك العصارة وذلك حتى يمكنها إذابة العظام التى يأكلها الكلب، وهذا معناه أن عصارته المعوية تستطيع هضم العظام، تماما كالنعامة حيث تستطيع العصارة المعوية لها هضم الزلط.

- لكن الخبر الذى أصابنى بالدهشة كان عندما جاءنى الجناينى مهرولا، وأخبرنى أن جميع النباتات فى الحديقة الخلفية للفيلا ذبلت، وكلما وضع لها سماداً لا يجد له تاثير يذكر، فعلمت أن هذه هى بركات أشجار البروتين، فاسرعت إلى هناك وخلفى مخلص، وما أن وصلت إلى المنطقة حتى وجدت مخلصاً يسرع الخطى إلى مكان فيها أخذ يدور حوله وهو يتشممه ثم رفع قدمه بجوار إحدى شجيرات البروتين " وبال " ولما أمعنت النظر وجدت مخلفات حيوانية.. ربما كانت مخلفات مخلص، وأصبح الأمر جليا أن مخلص كان يقوم بالتخلص من مخلفاته فى هذه المنطقة، وربما تكون عصارته المعوية قد تمكنت من هضم ما فى الحجارة من بروتين، لكنها لم تتمكن من هضم البراعم التى كانت من القوة بحيث تمكنت من الاحتفاظ بحيويتها داخل الحجارة طوال هذه السنوات، والعجيب أن مخلصاً كان يستخدم هذه المنطقة للتخلص من مخلفاته بصفة دائمة، ففوجئت بالعديد من شجيرات البروتين التى انتشرت فيها وتسببت فى نضوب الأزوت من أرضها، فامرت الجناينى بغمر المنطقة بالكيروسين كى ما أتحقق من تاثير غمر الكيروسين عليها بصفة تامة، وتبين أن الغمر بالكيروسين كان له مفعوله المؤقت أيضا، حيث ذبلت أشجار البروتين لفترة محدودة ثم ما لبثت أن عادت إلى النضرة من جديد، لعل الجذور استطاعت أن تصل إلى مصدر جديد من مصادر الأزوت.

- ثم ظهرت مشكلة أخرى أكبر من سابقتها حيث استطاعت الجذور الوصول إلى مخلص بعد ذلك أثناء تغوطه لكنه تمكن من التغلب عليها بقوته الجسدية وخلص نفسه منها بعد أن امتصت الكثير من جسده، ولكننى لم أكتشف ذلك إلا بعد أن افتقدته لعدة ساعات كان المسكين يعانى خلالها من الآلام المبرحة لتلك الجذور دون أن يشعر به أحد، والحمد لله

أنها لم تلتهمه، أكبر الظن أن لحم البشر أكثر طراوة من لحم الكلاب، أو ربما كان يحاول مداواة نفسه بترياق من فمه، وبدأت أعالجه بالكيروسين المركز لوقف زحف الإنزيمات، لكن جروحه تحولت إلى قروح تماما مثل تلك التى حدثت مع محمد وكلير، واستطعت استخلاص بعضاً من العصارة المعوية لمخلص، وقمت بمعالجتها مع ما تمكنت من استخلاصه من العناصر الفعالة بالكيروسين وذلك بمحاولة تركيزه لأقصى درجة ممكنة، ووجدت أن القروح بدأت تتلاشى ببطء فى البداية، لكننى بعد أن قمت بتحسين المستحضر وإضافة بعض المواد التى تصورت من قراءاتى أنها قد تكون ذات تأثير، وجدت أن الآثار بدأت تتلاشى فور وضع المستحضر عليها، لكن كانت تخرج من كل قرح فقاعة كبيرة، كنت أقوم بشفطها وبدأت تحليلها، فتبين أن بها أنواعا من الكائنات الحية غير المعروفة، فقمت بالبحث فى كل مصدر من المصادر دون جدوى، فنشرت ما توصلت إليه عن طريق الإنترنت، ووردت لى بعض الردود التى لم تكن تشخص الحالة بالضبط، فقمت بالتحفظ عليها بما لا يسمح بتسريبها، وما زلت أقوم بالتجارب على هذه الكائنات علّى أصل إلى طبيعتها وتأثيرها على الحيوانات أولا ثم بعد ذلك على البشر، لكن هذا ليس معناه أننى لم أجرب قتلها وذلك باستخدام الجاز المركز والمستحضر الذى كان له بعض الفضل فى تخليص مخلص منها.."

فعلق مصطفى تعليقا أثنى به على مجهودات أخيه ثم أضاف:

- " هذا معناه أنك قمت باستعمال المستحضر مع محمد وأنت متأكد من النتيجة لأنك سارعت باستعماله مع كلير، فظنى أنها أول من قمت بتجربته عليها من البشر بعد تأكدك من نجاح استعماله مع الحيوانات.. "

فظهر على سعيد بعض التأثر، وعندما استفسره مصطفى عن سبب ذلك التأثر قال:

- " كلير هذه إنسانة حساسة جداً، ورقيقة جداً.. لقد فكرت كثيرا ووجدت أننى لن أجد من هى أفضل منها زوجة لى بعد كل هذا التخبط. "

وأثارت كلماته مصطفى فاستفسره عن السبب، فقال:

- " تصور أننى كنت أجلس إليها يوميا فأجدها تصمم على التمسك بيدى وكأنما هى

تستمد قوتها منى، فبدأت أقرأ آيات الله بصوت هامس أثناء جلوسى إلى جانبها، وتعجبت أنها طلبت منى تلاوة الآيات بصوت مسموع من المصحف الذى وضعته لها تحت الوسادة منذ بداية الإصابات التى حلت بها، وأخذت تسأل عن معانى الكلمات ومعانى الآيات، ولما كنت كما تعلم، لست فقيها، فقد أحضرت لها معى أحد الفقهاء، وكانت تستمع له بكل حواسها، وعندما شفاها الله من هذه القروح وجدتها سعيدة بشفائها وفوجئت بها فى وجود والدها تشهر إسلامها، بعدها قام أبوها بوضع يدى فوق يديها ويطلب من الشيخ الذى كان موجودا لحظة إشهار إسلامها أن يعقد لنا عقد الزواج وسط ابتسامة كبيرة من الرجل فرحاً بشفاء ابنته، وسعيداً بتزويجها من رجل يثق بأنه سيحافظ عليها ويهتم بها.. "

ثم أخرج سعيد من جيبه رسالة فضها وأعطاها لأخيه كى يقرأها باعتبارها وصية كلير التى كتبتها أثناء شعورها بقرب انتهاء أجلها، وفوجئ مصطفى بكلير تكتب فى وصيتها بعد أن تأكد لها أنها هالكة لا محالة، أن يعهد بابنها وابنتها لسعيد بعد وفاتها، وتتمنى أن يختارا الإسلام دينا لهما، ثم شرحت الأسباب التى دفعتها إلى ذلك مشيدة بأخلاق سعيد وشهامته التى لولاهما لما تخطت أزمتها سواء بفقدانها لأسطفان أو خيانته لها، والأهم من كل ذلك ما تعرضت له فى مزرعة أشجار البروتين والقروح التى كادت أن تفتك بها، ثم أسهبت فى شرح الأثر الكبير لسماعها لآيات القرآن الكريم فى هدوء نفسها والسكينة التى غمرت روحها وأثرها الجميل فى سمو الروح على الجسد فما أصبحت للجروح آلام تشعر بها، ومع تفهمها لمعانى الآيات وتدرجها مع ما تهدف إليه تلك الآيات سواء فى المعنى البسيط الذى يستطيع أى عقل أن يفهمه أو فى المعانى بعمقها التى لا يفهمها إلا العلماء، وتتعجب كيف لرجال "ناسا" ألا يسلموا مع رؤيتهم للأجرام السماوية وتطابق مشاهداتهم مع ما ذكره الله فى القرآن الكريم الذى أنزله الله على النبى محمد منذ أكثر من أربعة عشر قرنا.

ولم يجد مصطفى إلا الإعجاب بهذه السيدة التى لم يعمها تعصبها لدين أن تتفهم أهمية اعتناقها للدين الإسلامى وتوصى أن يسلم أولادها، بل زاد على ذلك أن أباها بدأت تصدر منه تصرفات كلها متطابقة مع مفاهيم الشريعة الإسلامية دون أن يعلن ذلك صراحة، وسأل مصطفى أخاه عن الإلهام الذى جعله يقرأ كلام الله بصوت مسموع على امرأة غير مسلمة،

وفسر سعيد لأخيه السبب المباشر الذى جعله يقرأ كتاب الله على مسامع كثير فقال:

- " تعرف صديقنا " يوسف " المخرج التليفزيونى المعروف الذى توفى منذ فترة قصيرة، لقد قص عليَّ قصة لا تكاد تصدق قال إنه كان مريضا وفى العناية المركزة بمستشفى الحسين الجامعى، وكان الكاتب الإسلامى الكبير " محمد " يصلى عند مقصورة الإمام الحسين رضى الله عنه، ففوجئ بأحد المجاذيب يطرق رأسه بعصاه كلما سجد ويقول له اذهب لزيارة أخيك بالمستشفى، وبعد أن أنهى صلاته سأل الكاتب الإسلامى ذلك المجذوب عن سبب ضربه بالعصا، فقال له المجذوب لماذا لم يذهب لزيارة أخيه المريض بالمستشفى؟فساله عمن يكون؟ فقال له اذهب لزيارة أخيك بالمستشفى فأجاب بالسمع والطاعة، فقال له المجذوب هل ستذهب بدون أخذ هدية؟ وأعطاه زجاجة عطر من تلك التى تباع ببضعة قروش ومسبحة ومصحف، وقال له خذ هذه الهدايا، فامسح على رأسه بالعطر وأنت ترقيه وضع المسبحة والمصحف تحت الوسادة، وخرج الكاتب الكبير من المسجد، فسأل عن أقرب مستشفى، فدلوه على مستشفى الحسين، فسأل إن كان بها أى من الفنانين، فدلوه على صاحبنا المخرج التليفزيونى " يوسف "وأنه بالعناية المركزة، فشعر الرجل وكأنما الله قد أرسله ليكون سببا فى شفائه، فانطلق إلى حيث يرقد، لكنهم منعوه من الزيارة، فألح فى الدخول ونفذ ما أمره به الرجل المجذوب وخرج، وبعد قليل منَّ الله على يوسف بالشفاء، هذه القصة قصها عليَّ صاحبها "يوسف" بنفسه، وفكرت إن كان المصحف الكريم تحت الوسادة فعل ذلك برجل غير مسلم فماذا لو تلوت آياته على امرأة غير مسلمة، وطبعا كانت هذه هى النتيجة، فسبحان الله الشافى وسبحان الله الهادى.."

وجد مصطفى نفسه فى موقف لا يحسد عليه، أخوه يريد أن يتزوج للمرة الثالثة، والزوجة الثانية لا تريد أن تطلقه، ومدارس ابنتيه فى اليابان بعد أيام، ولا يدرى ماذا يفعل، هل تسافران مع والدتهما أم مع جدتهما؟ وكيف يمكن إقناع والدتهما بتركهما بعد تلك الفترة الطويلة من الإجازات وبعد أن شعرت بالأمان فى وجود ابنتيها وكرم مصطفى الذى أغدقه عليها لرعايتها لهما، كما أن البنتين لم يصدر عنهما أية شكوى من والدتهما، وهذا معناه أن معاملتها لهما كانت مرضية.

فوجــد أن أفضــل طــريقة لحــل هذه المشكلة هى التفاوض، فهو يخشى على ابنتيه من والــدتهما، فقد يغلب عليها طبعها فتعاود تعاملها معهما بنفس الأسلوب السابق، ووجد أنه ربما بتخويفها من مصيرها إذا صدر منها ما يغضبه ما قد يردعها ليس فقط فى تصرفاتها مع ابنتيها ولكن فى تصرفاتها مع الجميع، والعجيب أنها استجابت لتهديدات مصطفى وتوعداته.

فأمــر المســئولين بالشــركة بإعداد تذاكر سفر إلى اليابان لابنتيه ووالدتهما، وصدرت التعليمات لرجال شركته باليابان لاستقبالهن والعمل على راحتهن، وطلب من المستر كيوكى الاهتمام بهن والإشراف عليهن.

ثم قفزت إلى ذهنه تلك المشكلة التى تهدد بانفجار مروع، فماذا لو أن كل مزارع أشجار البروتين المنتشرة فى العالم، نشطت على الصورة التى حدثت فى مزارع مصر، طمأن نفسه لأمرين.. الأول أنه كان يشترط أن تكون مزارع البروتين فى مناطق نائية بعيدة عن العمران بمسافات كبيرة، وكان يفضل أن يتم زراعتها فى جزيرة نائية أو شئ من هذا القبيل، والثانية أنه كان يشترط فى العقود على بند هام وهو أنه غير مسئول عما قد يحدث من أضرار نتيجة زراعــة هــذه الحجارة، فقد كان متخوفاً منذ البداية من هذه الأشجار، فما يخالف الطبيعة لا يكــون طبيعــيا، ولذلك كان يضع هذا الشرط فى بند مستقل يوقع عليه الطرف الثانى بصفة مســتقلة، لكن هل هذا ينفى مسئوليتــه عما قد يحدث، أو ألا يسارع بالمشاركة بجهده وجهد أخــيه للحيلولة دون التسبب فى آلام البشر سواء تحوط ضد المساءلة القانونية أو لم يتحوط، وهذا ما كان يجب عليه أن يعرفه من المستشارين القانونيين.

عقــد اجــتماعاً مــع مستشــارى الشركة القانونيين وطرح عليهم المشكلة وطلب منهم دراستها وأخذ رأى من يعنّ لهم الاستعانة برأيه وصولا إلى النتيجة التى يجب أن يعدوا العدة ويــتخذوا كــل الاستعدادات لمواجهتها إذا ما حدثت، وأن يتخذوا إجراءاتهم لها فى حال ما تســببت المشــكلة فــى دخولهم فى نزاعات قضائية أو غير قضائية، واهتم القانونيون بهذه المشــكلة وتــم استطلاع الآراء القانونية والدبلوماسية والدولية حولها، ووضعت فرضية أن الشــركات سوف تحاول تجنب أية شوشرة حول هذا الموضوع، وربما تقوم الشركات نفسها بالســعى إلــى إقــناع مصطفى بعدم وصول هذا الأمر إلى وسائل الإعلام حتى لا تتعرض لمساءلات قانونية عما قد تحدثه هذه الأشجار من جرائم.



لكن مصطفى لا يترك شيئا كهذا للظروف، استدعى مايسه وصفيه للحضور فى الحال، وتم تداول الأمر فى سرية تامة بحضور سعيد وأدلى كل برأيه.

لكــن مايســـه التى تستخدم التكنولوجيا فى كل قراراتها، قامت بإدخال البيانات الخاصة بالمشكلة فى حاسوبها المتنقل، واستطلعت كل الآراء القانونية وغير القانونية، وتوصلت إلى أن ما فعله والدها هو الصواب، فأشادت بعبقريته حيث تحوط لمثل هذا منذ البداية فوضع من البــنود مـــا يجعله بعيدا عن المساءلة أيا كان نوعها فى حال حدوث أضرار من زراعة تلك الأشـــجار أو أجــزاء منها بعد الاستنبات، وأنه مسئول فقط عن نجاح استنبات تلك الحجارة، وحتى فى عقود الإشراف على الزراعة، اشترط نفس الشروط، فقد نص على أن إشرافه على الـــزراعة لا يجعلـــه مســـئولا عما قد يحدث نتيجة لذلك سواء من الزراعة نفسها أو من أى أضـــرار قد تحدثه الأشجار أو منتجاتها، وعندما تقرر إنهاء علاقته بتلك المزارع مقابل عقد إشراف يتم استدعاؤه كلما تطلبت الظروف، اشترط أيضا أنه غير مسئول عما قد تحدثه هذه الأشجار من أضرار أيا كان نوعها.

وقامـــت مايســـه بمشاركة عمها سعيد فى استخدام الحاسوب لتحليل المستحضرات التى توصــــل إليها ووضعت عينة من الجذور تحت المجهر وقام الكمبيوتر بالتحليل وأجرى عدة تجارب على نسب المحتويات إلى أن توصلا إلى التركيبة التى تقضى على الجذور والشجر، والكمـــيات المناســـبة للمـــتر المربع مع الأخذ فى الاعتبار عمر الشجر وحالته ومقدار النمو الخضارى والمتانة التى تتمتع بها، أما عن الكائنات التى تحتويها الفقاعة التى يتم سحبها من القـــروح، فقد ظل الكمبيوتر عاجزا عن الوصول إلى المستحضر المناسب للقضاء عليها ذلك أنـــه عجـــز عن تحليل مكوناتها، فاقترح سعيد أن يتم وضع سيانور الحديد إلى هذه الكائنات وزيادتـــه بالنسب التى تصل إلى إهلاكها، وبدأت التجارب وكانت كلها بشكل مرض وسريع، ففكر سعيد فى إضافة نسب السيانور إلى مستحضراته حتى يكون الشفاء سريعا ونهائيا، لكنه خشـــى أن يتســـبب فـــى قـــتل المصاب لا شفائه، فسيانور الحديد سم زعاف، فاستعان بأحد خريجى الصيدلة الذين يعملون فى معامل الأدوية وتوصلوا إلى المستحضر الجديد، وانتظروا أية إصابة جديدة لتجربته عليها.



انضـــمت كلير إلى عائلة الخوجة بعد أن انتهت فترة العدة الشرعية لوفاة زوجها السابق وهـــى أربعة أشهر وعشرا، وتم عقد قرانها على سعيد فى حفل مناسب حضره عدد كبير من عائلة العروس وهذا ما لم يكن يتوقعه سعيد، حيث أن حضورهم لم يكن له سوى معنى واحد وهو مباركتهم لهذا الزواج، وعلق الضابط علي على ذلك قائلا:

- " هذا معناه أن ما يقال عن الطائفية فى مصر ليس له وجود بين أبناء الوطن الواحد ولكنها دسائس يحاول الأعداء الترويج لها لإثارة الفتنة بين الاخوة.. "

وصـــمم الضابط علي على الحصول على نسخة من التسجيل المرئى للحفل مع التركيز على ظهور رجال الدين من الشريعتين، وركز على رد سعيد على أحد رجال الدين النصارى عندما سأله:

- "ماذا لو لم تسلم كلير.. هل كنت ستستمر فى إجراءات الزواج منها؟ "

وقال سعيد:

- " أنا لم أكره كلير على الإسلام، ولم أشترط عليها الإسلام قبل الزواج، ولكننى فوجئت بها تنطق بالشهادتين بعد أن منَّ الله عليها بالشفاء من القروح التى بدأت تظهر فى جسدها، وكان هذا أمام والدها الذى بارك زواجنا.. وقد سألتها فقالت إنها قررت الدخول فى الإسلام منذ مدة، ولكنها كانت مريضة، فقررت أن تشهر إسلامها بعد أن يمن الله عليها بالشفاء الكامل حتى لا تكون هناك تأويلات خاصة بذلك.."

لكن القس أصر على معرفة رأيه إذا ما ظلت على دينها.. هل كان سيتمسك بالزواج منها؟ واســتند ســعيد إلـــى الآيـــة الخامســـة مـــن ســـورة النساء، حيث يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ... ﴾وقارن بين سماحة الشريعة الإسلامية التى تعطى للمرأة الحق فى الزواج من الرجل الذى تريده، وبين تعنت البعض ســـواء مسلمين أو غير مسلمين فى فرض الزوج على المرأة، وأن ذلك يقضى على الفساد الذى يعـــم المجتمعات نتيجة تفشى الزنا، خاصة تلك الشرائع التى تعتبر كل ما يخص خلق الله جميعا مـــباحاً لمـــن يتـــبعون شـــريعتهم فقـــط، لا فرق فى ذلك بين مسلم أو نصرانى، اليهود وفقط،

ولذلــك فإنهم يقتلون بدم بارد وينتهكون الأعراض بالإكراه ويتجولون فى بلاد الله كيفما يحلو لهــم، كل ما فعلوه هو أنهم كبلوا ألمانيا بمسئولية ربما ليست مسئولة عنها وهى إعدام هتلر للــيهود فـــى أفران الغاز، ورفعوا عن أنفسهم مسئوليتهم عن دم المسيح سلام الله عليه، وهم يقومون الآن بالتطهير العرقى للفلسطينيين دون إحساس بوخز ضمير ودون مساءلة من دول العـــالم الـــتى تسمى نفسها العالم الحر، بل إنهم يقومون الآن بتحريض الدول الكبرى لالتهام الدول الصغرى استنادا إلى أحداث يقومون هم بتدبيرها ثم يقومون بتنفيذها عن طريق بعض الراغبين فى الزعامة من المسلمين، خاصة من الدول ذات الحكم الشمولى، حيث لا رأى إلا لــرجل واحد، ولا حكم إلا لرجل واحد يتم تعيينه بطريقة أو بأخرى، وفى النهاية العودة إلى الملكـــية التى لا يهدمها إلا انقلاب دموى يموت فيه الآلاف، فهذه كلها أمور لا تهمهم، المهم أن تكـــون لهم الهيمنة على مقاليد الحكم فى جميع البلاد، وما العولمة، ولا الجات، ولا ربط العمـــلات بعملة الدولة المخطط لها زعامة العالم، إلا خطوات على طريق التحكم الكامل فى العـــالم ثـــم فـــى الكون بعد ذلك، وليس لنا إلا اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى لينفذ فيهم وعد الآخرة كما ورد فى سورة الإسراء، وصدق الله العظيم يمسح الخطايا عنا بعقابنا بتسليط من هم دوننا علينا، ويفتح لهم أبواب كل شئ حتى يصلوا إلى الوعد المكتوب.

٢٢- الإبادة

تمكــن سعيد بمساعده مايسه وكلير ومشاركة فعالة من مصطفى من إعداد كميات كبيرة مــن المــادة التى تم التوصل إليها لإبادة أشجار البروتين بجزيرة المنارة،وذلك بعد أن ثبت نجاحها فى إبادة أشجار البروتين التى نبتت فى الحديقة الخلفية لفيلا الخوجة من البراعم التى تعلقــت بالفضلات التى كان مخلص يتخلص منها فى هذا المكان بصفة دائمة، وذلك بعد أن أتــت الجــذور على بقايا الجيفة فى مقابر الخوجة خلف الفيلا قريبا من المسجد، تلك المقابر الــتى شــيدها والدهما صدقة لمن ليست له مقابر، وتسارع الجميع من له الحق ومن ليس له الحــق علــى دفــن موتاهم بها، فقد كانت عائلة الخوجة تتعهد بجميع تكاليف الميت، الكفن والمقرئيــن ولــيلة الوفاة، ومواساة أهل المتوفى من الدرجة الأولى، فالجميع يتصورون أن واجبهم هو المشاركة الوجدانية لأهل المتوفى، ولا يعلمون أن الوفاة هى انقطاع حياة، وربما مع انقطاعها ينقطع الرزق، وأهل المتوفى فى حاجة للمشاركة الفعالة فى بعض تكاليف الحياة ريثما يتمكنون من تدبير أمور معيشتهم، وهذه كانت تقوم بها عائلة الخوجة ممثلة فى والدهما محســن الخوجــة، ثــم أصبحت من مسئوليات مصطفى الخوجة من بعده، بدأت بموتى كفر الغلابــة الذيــن أرادوا أن يتبرك المتوفى بقربه من قبر الخوجة الكبير – الجد – ثم أصبحت عــادتهم، يحضرون المتوفى فى سيارة أجرة، يسندونه على أنه لم يمت بعد، ويتركون الباقى لعائلــة الخوجة، مضافا إليه إقامتهم إلى ما شاء الله لهم من مدة الإقامة، وقد كان سعيد يتأفف كثــيرا مــن هذه العادة التى لم يوقفها مصطفى، حتى أثناء مرض والده وقلة ذات اليد، لكن مصطفى كان دائما ما يقول:

- " كلّ يأتى برزقه، أنا لا أدفع شيئًا من جيبى، فالخير خير الله، والرزق من عند الله.. "

ثم يقرأ عليه ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ فيقول له سعيد:

- " للسائل والمحروم.. وهؤلاء ليسوا سائلا ولا محروما، ولكنهم أخذوها حلونة فى سلونة "

وكــان ســعيد يرى ذلك رؤية عين، فربما يكون البيت لا توجد به أموال تكفيهم، ويأتى المــتوفى بــرزقه الــذى يسوقه الله إليهم، يحضر مع كوكبة أهل المتوفى أحد أصدقاء الوالد

ويجلـــس إلى الوالد ثم مصطفى من بعده، ويتودد إليه ثم يقوم بدس مبلغ من المال ربما يفوق تكاليف الجنازة والإكراميات وبعد انصرافه يسأل سعيد ويرد مصطفى:

- " ديون لا يعرف أحد عنها شيئا، حضر الرجل ليسددها مع الاعتذارات الشديدة لتأخره فى السداد.."

وهـــاهى بركات أشجار البروتين قد أتت على جميع الجثث بالمقبرة، وكأنما لتنظفها قبل أن يـــنزل فـــيها أحـــد من عائلة الخوجة حيث لم يكن بها سوى والده محسن ومن قبله جده الخوجـــة باشـــا الكبـــير، والاثنان قد أصبحا أثراً بعد عين منذ ما قبل أشجار البروتين بمدة طويلة، والعجيب أن الجذور لم تهاجم المسجد ولم تقترب من المصلين به، ولكنها كانت على وشـــك الدخـــول إليهم فى الفيلا، وهنا فقط أصبح مصطفى على يقين من أن أشجار البروتين هى المسئولة عن إبادة الحياة على جزيرة المنارة.

لكـــن أشـــجار البروتيـــن فى حديقة فيلا الخوجة كانت صغيرة وضعيفة تتلمس طريقها للأزوت بصعوبة، لذلك أفلح السائل المبيد الذى استحضره سعيد فى التخلص منها، فهل يفلح مـــع أشـــجار البروتيـــن العملاقة بمزرعة المنارة، التى تبين أنها المسئولة عن الإبادة التامة لجمـــيع عناصـــر الحـــياة على الجزيرة، حتى أن البوليس بعد أن تم إبادة الأشجار والجذور واستتب الأمن، لم يستطع أن يحصى الأموات من أهل الجزيرة أو من مجموعة إدارة المنتجع وأعضائه، ذلك أن الجذور أتت تماما على الأجساد العارية، ثم أكملت على الهياكل العظمية، فلم يتبق ما يثبت وجود جريمة أو خلافه، وبناء عليه، وحيث أنه لا توجد جثث، ولا يوجد من أبلـــغ عن تغيب أشخاص، فإن البوليس لم يقم بأية إجراءات تختص بالكشف عن جرائم القتل لكـــن هذا لم يمنعهم من التحرى عن أسباب نفوق هذا العدد الكبير من الأنفس البشرية فضلا عن الحيوانات والدواجن، فقد كانت مزرعة الدواجن تمد القاهرة بنسبة كبيرة من احتياجاتها، وإغلاق المشروع أو نفوقه يمثل كارثة غذائية كبيرة.

اشـــترط ســـعيد عـــن طريق " الضابط علي " على ضرورة أن يستعمل رجال الشرطة الـــنزالك وملابس الغطس مع تركيب وسائل اتصال بين جميع أفراد المجموعات التى تذهب إلـــى جزيـــرة المنارة لعمل التحريات، حتى يمكن نجدة من يتعرض منهم لأية أخطار أثناء

تحــركاتهم على أرض الجزيرة، وقد قام سعيد بتزويد تلك التزالك بنعل حقنه بالمواد التى تم التوصــل إلــيها وزود ملابــس الغطس بطبقة خارجية من البلاستيك ملأ ما بينها وبين تلك الملابس بنفس السائل المبيد للأشجار والجذور حتى يتأكد من حمايتهم من أى هجوم قد يحدث نتــيجة تلامــس الأجساد بالأرض أو بالأشجار فى حالة ما إذا سقط أحدهم على الأرض أو احتك بالأشجار عن طريق الخطأ.

قــام فريق عائلة الخوجة متضمنا الرجلين مصطفى وسعيد وجميع النساء ما عدا مريم هــانم لســنها بتجهــيز الخــزانات الــتى سعى مصطفى لتصنيعها من مواد خاصة مقاومة للأحمــاض، وحيــث أن المواد التى تصنع منها هذه النوعية من الصهاريج لا تتوافر إلا فى مصانع الصواريخ حيث يتم إنتاج التنكات التى تعبأ فيها الأحماض التى كانت تستخدم كوقود للصــواريخ، ولخطــورة الموقف من أن يمتد الخطر إلى باقى محافظات مصر، فقد وافقت السلطات على إعطائها الأولية على كل الإنتاج بمصانع الصــواريخ، وملئت بالسائل المقاوم للأشــجار والجــذور وجهزت السيارات، وزيادة فى الحرص صمم سعيد أن تلبس مجموعة العمل من آل الخوجة وهو معهم بالإضافة إلى التزالك ملابس الغطس التى تم معالجتها بطبقة البلاســتيك المملــوءة بسائل الإبادة بين الطبقتين مثلما فعل مع رجال الشرطة، وتزويد خوذة الغطس بوسائل الاتصال، وذلك تحسبا لاحتمالات تلامس جسد أى منهم بالأرض أو بأى من الأشــجار، أو بالسائل فهو ليس مبيدا للأشجار فقط، وإنما لكل ما يلامسه سواء كان نباتا أو إنسانا أو حيواناً.

وتحــرك الركــب، لم يعلم بتحركه سوى الضابط علي الذى تكتم الخبر فلم يبلغ أياً من الســلطات المختصة ما عدا الضابط الكبير صديق مصطفى الذى تعهد بعدم البوح بذلك السر إلا فــى حــالات الضــرورة القصوى، ووصل الركب إلى مزرعة البروتين بسلام، وبدأت أعمال الإبادة.

قاموا برش الأرض بغزارة فقضت على الجذور وتعجبوا أن الأشجار بدأت فى الانهيار فقــاموا برش الأشجار، والعجيب فى الأمر أن المادة ما أن تلامس جذرا أو قطعة من شجرة إلا وتتلاشى نهائيا فلا يبقى منها أى أثر، وكأنه لم يكن لها وجود، وهذه من العلامات المقلقة،

فالقوانيــن الــتى تقــول أن المــادة لا تفنى ولا تستحدث ليس لها وجود فى التعامل مع هذه الأشــجار وجذورهــا، اللّهــم إلا إذا كانت هذه الأشجار كلها عبارة عن نوع من الفطر التى ركبــت خلاياه فوق بعضها لتظهر كما الأشجار كنوع من التمويه، لكن كيف..؟ وقد سبق أن عــثر عليها قطعا خشبية متحجرة، هذه ملاحظة جديرة بالدراسة المتأنية، وبالبداهة.. لم لا.. ألا يظهر الفطر صباح كل يوم وكأنه مظلة صغيرة حالما تتلاشى مع سطوع الشمس؟ لكن إذا تم اقتلاعه والاحتفاظ به بعيدا عن الشمس فإنه يبقى إلى أن يتم تقطيعه واستعماله مع الطعام، إذاً.. هذه الأشجار رغم حجمها الكبير هى نوع من أنواع الفطر، فكما يوجد فطر سام وفطر غير ســام، فإن هذه الأشجار أثبتت وجود نوع آخر من الفطر القاتل آكل الحياة أيا كانت.

وهــم فــى غمــرة هذه المعركة الشرسة، فوجئوا بصراخ صفيه، وترك الجميع عملهم والــتفوا حولهــا ليكتشفوا أن آلام المخاض قد داهمتها، الآن !!!! يا له من وقت مناسب جدا لوافد جديد ينتمى لعائلة الخوجة، ولم لا.. ألم يتزوج والده والدته بعد أن انتشلها من المقبرة؟ وكذلــك.. ألم يخطب عمه زوجته الأولى منى فى كباريه؟ أو لعله أبى إلا أن يحضر فى ذلك الوقــت ويشارك والده وعمه هذه المعركة الشرسة، وتطوعت كلير ومايسه بالاهتمام بالأمر، حيــث تم نقلها بسرعة إلى إحدى السيارات وقامت مايسه بتشغيل البرامج الطبية.. هى تقول وكلــير تــنفذ، وتــم اتباع التعليمات بكل دقة، بينما انصرف الرجلان لمهمتهما التى ازدادت صــعوبة بعد أن تنبهت الأشجار لهذا الهجوم ونقص العدد من خمسة إلى اثنين فقط، وبدأت الأشــجار والجــذور الاستعداد لهجوم مضاد، وكان لابد لهما من الإسراع فى عملية الإبادة، فصــرخ سعيد على مصطفى أن يسرع فى قيادة السيارة بينما قام هو بتسليط مرشاته وكذلك مرشات مايسه وكلير وصفيه على الجذور فهى أساس الحياة لهذه الأشجار، وذلك على أن يتم إبادة الأشجار فيما بعد، فالأشجار ليس لها القدرة على التسلل أو التسلق أو الهجوم، وبادر إلى ذهــن ســعيد خاطــر ربما كان سليما، وهو أن الإبادة الأولى لتلك الأشجار بدأت بالجذور، وتركــت الأشجار حيث تحجرت بعوامل التعرية ثم تفككت، فعثروا عليها أحجارا على شكل قطع صغيرة، ومع سماع مصطفى وسعيد لكل ما يدور من أحاديث بين مايسه وكلير وصفيه، والتعليمات التى تصدرها مايسه لكلير، وسماع صراخ الطفل عندما خرج إلى الحياة، وتهنئة مايسه وكلير لمصطفى على نجاة صفيه وعلى وليده الذكر.

وفـــى خضم هذه الأحداث.. لاحظ سعيد أن آخر صهريج قارب على النفاد، والمساحة الـــتى لـــم يتم إبادتها ليست صغيرة، فأسرعا أولا للاطمئنان على حالة صفيه التى كانت قد وضعت مولودا ذكرا علا صراخه، وكأنما ليعلن على العالم عدم موافقته على مواجهته للدنيا فى مزرعة أشجارها التى كان يؤمل منها سد جوع البشر هى نفسها تأكل البشـــر، وإذا كانت الأشـــجار تفعـــل ذلك فما باله بباقى الكائنات وعلى وجه الخصوص وعلى رأس القائمة ذلك الكائـــن الـــذى يطلق عليه الإنسان، فتجمعوا فى السيارات وهربوا جميعا قبل أن يداهمهم ما تبقى من الجذور، وتم إخطار الضابط علي بنجاح جزئى للمهمة، وسوف يعاودون العمل فور إعداد كمية مناسبة من سائل الإبادة للقضاء على ما تبقى من أشجار وجذور.

لـــم تصدق الحاجة مريم أن صفيه وضعت أول أولادها من مصطفى فى الخارج، وفى لحظة تباهى من صفيه انطلق لسانها لتعلن عن مكان الوضع، الذى هو معركة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، وأن الوضع تم فى إحدى السيارات لأنهم لا يستطيعون ذلك على أرض المزرعة فإنها محفوفة بالمخاطر، وكانت السيدة لا تعلم شيئا عن موضوع تلك الأشجار، فقد حجبوا عنها المعلومات حتى لا تعيش فى قلق دائم خلال غياب أى من أفراد العائلـــة، فقامت بتهنئة صفيه مرة أخرى واحتضنت مايسه وكلير لقيامهما بعملية التوليد لأول مولود ذكر فى عائلـــة الخوجة، بينما الفرحة لا تسع كلير، وهى تشعر بأنها ساهمت فى تخليص البشرية من هـــذا العـــدو الغامض الذى ظنه الجميع منقذا للبشرية من الجوع ومخلص الفقراء من أشباح الأمراض التى تصيبهم نتيجة نقص البروتين الحيوانى، بينما هو فى الحقيقة آكل لحوم البشر والحـــيوانات وحتى الأسماك فى البحار، وكل ما يتحرك بديناميكية الحياة على وجه الأرض، كمـــا أنهـــا شـــعرت بالسعادة أنها ساهمت فى عملية الوضع التى تمت لصفيه، وتعجبت من عـــبقرية مايسه التى تبين نبوغها فى كل ما يعرض من مشاكل حياتية أو علمية أو طبية، لا شئ يقف أمامها، فلديها الحلول العملية والفعالة لكل شئ فضلا عن جمالها الذى لا يضارعه جمال كلير نفسها، فقد شعرت كلير بأن العالم ملئ بالحسناوات فما بال الخواجة فلبس لا يمل مـــن التـــباهى بجمال ابنته، بينما مصطفى لا يفعل أكثر من حث مايسه دائما على تقوى الله وأداء فروضه.



وبالـــرغم مـــن بـــرامج مايســـه ورعاية كلير إلا أنه تم استدعاء طبيب ومجموعة من الممرضـــات لعمـــل الفحوصات والإسعافات اللازمة لصفيه، ولازمها مصطفى سعيدا بابنه الأول، بيـــنما انهمـــك سعيد ومايسه وكلير فى إعداد كميات مناسبة للقضاء على ما تبقى من أشجار البروتين وجذورها، وما أن تمت الاستعدادات حتى تحرك الركب بسرعة نحو الهدف، وكانـــت المفاجأة.. أن السائل جرى سريانه فى جميع الجذور فأبادها وسقطت جميع الأشجار أرضا، وسهل ذلك مهمة المجموعة، واقترح سعيد أن يتم القضاء على تلك الأشـــجار حتى لا تـــتحول إلى أحجار بروتين أخرى، وتعود الكره لأناس ربما يكونون أكثر جهلا بطبيعتها، أو أكثر شراهة للمال فيقومون بإخفاء طبيعة هذه الأشجار عن الجميع، بينما تنساب الأموال إلى جيوبهم غير عابئين بالنتائج أو غير مدركين لتلك المهالك، وهل كان مصطفى من هذا النوع، إنـــه أول مـــن ســـارع لتلبية نداء الضمير والواجب، وهو وإن كان قد أخفى ما تحدثه هذه الأشـــجار عـــن الشـــركات الـــتى قاموا بزراعتها فى أراضى بلادهم، فذلك رد فعل عملى لإرغـــامهم له علـــى تـــرك شـــئون هذه المزارع لهم وعدم التدخل فيما قد يحدث إلا إذا تم استدعاؤه بناء على العقد الاستشارى الذى تم توقيعه معهم.

ولـــم تستغرق عملية إزالة الأشجار وقتا طويلا، واتسمت العملية بالسهولة، وكأنما كانوا يقومـــون بتنظـــيف أرض المزرعة منها، فما أن يلامس السائل تلك الأشجار حتى تتلاشى، وتفسح الطريق إلى الأشجار الأخرى.

عـــاد الفـــريق إلى الفيلا بعد أن أنجز مهمته على خير وجه، لكن مصطفى خرج عليهم باقتراح يضمنون به عدم السهو أو الخطأ، إذ أنه تخوف من احتمال وجود ولو قدر ضئيل من هذه الأشجار أو الجذور فتعود للنمو من جديد، وبناء عليه، وحتى يتم القضاء عليها تماما فإنه يـــرى أن يـــتم نقل التربة كلها بداية من تحت أبعد عمق للجذور إلى البحر، من ناحية تزيد مســـاحة الجزيـــرة، ومن ناحية أخرى يتم التحقق من خلو التربة من أية آثار لتلك الأشجار وجذورهـــا، وفـــى حالة ظهور حالات نفوق أسماك أو حيوانات بحرية، يتم التعامل معها فى مـــياه الـــبحر بعيدا عن اليابسة حتى لا يتعرض البشر أو حيوانات الحقل للخطر، فقام بعمل الترتيـــبات مـــع رجـــال الشرطة والجهات المختصة بالميكنة الزراعية لتوفير جرارات مع

ســائقيهم للقــيام بهــذه المهمة، ولا يدرى مصطفى لماذا أصر على توافر أوناش علوية مع التجهيزات الخاصة بها، فقد ساوره الشك فى أن تكون الأشجار قد استعادت ترتيب نفسها مرة أخــرى، أو لعلها فطريات تم وقف نموها خلال ساعات المساء، وفى الصباح تعود ســيرتها الأولى، والعجيب أن القيادات بالشرطة والجيش ووزارة الزراعة، لم تتوان عن تنفيذ طلبات مصطفى بكل السرعة التى تتطلبها المعركة، لم يعرف أحد بمقدار الجهد الذى بذله مصطفى وأفــراد عائلته فى إبادة هذه الكائنات إلا الضابط علي الذى زار تلك المزرعة أكثر من مرة وعلــى علم تام بتفاصيل بعض الجرائم التى ارتكبت فيها، وكذلك قيادات الشرطة التى قامت بزيارة المنتجع.

بــدأت مجموعات الجرارات فى تحريك تربة المزرعة، وتبين أنه لابد من تحريك تربة الجزيــرة كلهــا، فتقدمت مجموعة آل الخوجة بقيادة سيارات تحمل ما تبقى من مادة الإبادة وتقدمــت أطقــم العمل بإعادة الرش مرة أخرى تحسبا لاحتمالات وجود أية براعم أو أجزاء صغيرة من الجذور قد تتمكن من النمو مجددا فى مياه البحر.

عــندما وصــلت مجموعــة الخوجة إلى أرض المنتجع، لم يكن يخطر ببالهم أن جذور أشــجار البروتين قد وصلت إليه، فالمنتجع يبعد عن أراضى مزرعة البروتين بمسافة طويلة يجعــل وصــولها إليه أمراً صعباً خاصة مع وجود الشوارع الإسفلتية التى تفصله عنها، ولم يكــن علــي قد نقل إليهما شيئاً عن اختفاء رجال الشرطة الذين ذهبوا للتحقق من تكنولوجيا تهريب المخدرات، وبالطبع حوادث اختفاء أعضاء المنتجع لم تبلغ لآل الخوجة، لأنها لم تبلغ أصــلا للشرطة، ذهلوا من الفخامة التى أنشئ بها المنتجع، حتى كأنهم فكروا كثيرا فى تركه على حاله، لولا أنهم شاهدوا بعض الهياكل العظمية للأسماك التى لم تأت الجذور عليها تطفو علــى سطح الماء، والتى تؤكد على أن الجذور لم تصل فقط إلى أرض المنتجع وإنما تعدتها إلــى مــياه البحر، وكان القرار أنه لا بد من هدم كل هذه المبانى وتجريف التربة إلى العمق الذى تنتهى عنده الجذور.

تــابع سعيد الجرار الذى يتقدم المجموعة، وفوجئ بالجذور تلتف حول الجرار فى محاولة لقلــبه، بيــنما ســارعت بعض الجذور بالوصول إلى السائق والالتفاف حوله غير عابئة ببذلة

الغوص ولم تعط اهتماما للسائل المبطنة به، ولم يجد سعيد بدا من الإسراع لتخليص السائق من الجـذور وذلـك بثقب بذلة الغوص الخاصة بالسائق، فتلاشت الجذور التى كانت تلتف حوله، ونهـض السائق شاكرا لسعيد تخليصه وإنقاذه من موت محقق، فقام سعيد بالاتصال بمصطفى لإرسـال خطاف الونش لانتشال السائق من أرض المنتجع بعيدا عن تلك الجذور التى لم تكلف نفسـها مشقة تكوين أشجار، فبقيت جذورا تمتص وتعيث فى الأرض الهلاك دون أن يشعر بها أحـد. لكن سعيداً أثناء محاولته إنقاذ السائق، وتصوره أن السائل الذى اندفع من بذلته سيقضى علـى كل الجذور كما تم فى السابق، لم يكن يعلم أن الجذور فى المنتجع ليست متصلة ببعضها تماما كما كانت بالمزرعة، فتخلى عن الحذر المفروض الالتزام به فى التعامل مع تلك الجذور، وتملكه اندفاع عاطفى تلقائى عندما وجد الجذور تلتف حول السائق نسى معه الحذر المفروض الـتعامل بـه مـع هذه الجذور..فأسرع يهرول نحو السائق ظنا منه أن بذلة الغطس والتزالك سـيحمونه مـن خطـر هذه الجذور، ونسى أنها تلتف حول السائق وتعتصره وهو يعتمر بذلة الغـوص والتزالك، ففوجئ بالجذور تلتف حوله هو أيضا وتعتصر ملابس الغطس التى تحميه مـنها حتى كأنه شعر بأن الحل الوحيد هو ثقب تلك الملابس لتفرغ سائل الإبادة التى حقنت به فتقضى على تلك الجذور قبل أن تتمكن من خنقه، كما فعل مع بذلة السائق، ثم سارع بالتخلص مـن تلـك الملابـس حتى يكون سهل الحركة ويتمكن من الابتعاد سريعا عنها استنادا إلى أن الـتزالك سوف تحميه منها أثناء تحركه على أرض المنتجع، وأسرع يصعد أعلى سطح لمبنى المنتجع، لكن الجذور كانت له بالمرصاد، تبعته أينما ذهب فهى تتحرك بحواس الاستشعار، فلم يكـن أمامـه إلا أن يلتقط إحدى بكرات مصعد قديمة ملقاة فوق سطح المبنى، وأخذ يبحث عن شـئ مـا يتحمله يصلح أن يوضع فى ثقب البكرة فوجد عامودا صغيرا من الحديد قريبا منها فأسـرع يثبـت العمود فى البكرة، ثم وضعها على أسلاك الكهرباء الممتدة فوق المبنى، ودفع نفسه بقوة فانطلقت البكرة مسرعة خارج أسوار المبنى والجذور تتبعه إلى أقصى ارتفاع يمكن لهـا أن تصله كما لو كانت تطارده، وفى زحمة هذه المطاردة العنيفة وتلاحق أنفاسه ومحاولته توفـير أى مجهود لمواجهة هذا الخطر الداهم القاتل، لم يتمكن من الحديث مع مصطفى أو أى مـن بـاقى أفـراد العائلة بشأن ما يتعرض له خاصة وأنه خلع الخوذة التى كانت تشتمل على معـدات الاتصـال الصوتية، وكذلك لم يستطع الرد على ما أطلقته كثير من نداءات فكاد يجن



جـــنونها، وكذلك الحال مع مصطفى وباقى عائلة الخوجة، مما أقلق مصطفى فأمعن النظر فى شاشــــة الكاميرا التى تسجل الأحداث حيث شاهده وهو على هذه الحالة وكأنما الجذور تريد أن تقـــتص مـــنه لمـــا فعله باخوتها، وكان ما يزال على مقعد قيادة أحد الأوناش العلوية حيث قام بالتقاط السائق، فأسرع بإرسال خطاف الونش إلى أخيه سعيد، حيث تعلق سعيد به فجذبه بعيدا عـــن أرض المنـــتجع، فتلقفته كلير بكل الود والخوف على حياته والسعادة بعودته إليها سالما، وشـــكرت مصطفى على سرعة بديهته، لكن سعيداً سارع وهو ممسك بيد كلير وحث مصطفى ومايســـه على الإسراع معه إلى سيارات رش السائل المبيد منبها إلى أنهم كانوا يظنون المنتجع خـــال من أشجار البروتين لعدم وجود أشجار، لكن الحقيقة أن الجذور تمكنت من التعامل هناك بدون تكوين أشجار، وتم إغراق تربة المنتجع بالسائل حتى يتم التأكد تماما من القضاء على تلك الجذور، وبخاصة تلك التى كانت فى المنطقة التى هاجمت السائق وسعيد فيها حيث التفت حول السائق ثم حوله هو بعد ذلك.

وتعجـــب مصطفى كيف لهذه الجذور الحياة رغم فناء باقى الجذور جميعا؟ولم يجد لذلك ســـوى تفســـير واحـــد، وهو أن المقاول الذى قام ببناء السور الخرسانى فصل ما قابله من جـــذور تمتد إلى ما بعد مزرعة البروتين، وهذه الجذور استطاعت التكيف فى إنتاج المزيد من الجذور دون إنماء براعم أشجار تدل على وجودها، خاصة وأنها وجدت الأجساد العارية الـــتى أثارت نهمها لافتراس المزيد منهم دون أن يشعر بها أحد، وتعجب سعيد كيف أن هذه الجذور لم تمت كلها دفعة واحدة مثلما حدث فى أرض المزرعة، وجاءه جواب مصطفى:

- " لا يوجد لذلك سوى تبرير واحد، وهو أن المقاول قام بفصل كل ما قابله من جذور على حدة فقامت كل منها بالنمو والتفرع منفردة عن الأخرى، وسوف تلاحظ أن كل تشعب منها تلاشى بمفردة مع تفريعاته، وهى كثيرة، لذلك حدث ما حدث، وكنا نظنها كلها قد تلاشت.. الحمد لله على سلامتك.. وسلامة السائق الذى أنقذته وجاء ليشكرك.. "

وأثـــناء تحركاتهم التى يشوبها الحذر والترقب رغم أنهم قد استعدوا لهجوم هذه الجذور بملابس الغطس المحقونة بالسائل المبيد لها والتزالك التى تحمى أرجلهم، والتنبيهات المتكررة لســـائقى الأونـــاش على متابعة تحركاتهم على أرض المنتجع، فإذا وجدوا ما يوجب تدخلهم

فعلــيهم الإسراع بإرسال خطاطيف الأوناش لكل من يحتاج إليها، وشرح لهم أن التأخر لمدة ثانية واحدة قد يكون فيها فناء أحدهم.

وأثــناء انهمـــاكهم فى غمر أرضية المنتجع بالسائل المبيد.. فوجئوا بشىء ما يقفز من الماء على بعد مسافة ليست قصيرة من الشاطئ، وظنوه حوتا كبيرا يقوم بقفزاته المعتادة فى البحر، لولا أنهم لاحظوا أنه جسم معدنى، وقام أحد قياديى الشرطة ومعه أحد قياديى القوات المسلحة بالتحقق من ذلك الجسم الغريب بما لديهم من معدات، حيث تبين أنه غواصة.

وبســرعة تــم الاتصـــال برجال البحرية ورجال الضفادع البشرية لمعرفة طبيعة هذه الغواصة، والقبض على من يكونون بها أيا كانوا، وكذلك تم تحريك طائرات الهليوكوبتر لمنع الغواصـــة مـــن القيام بأية تحركات عدوانية، وصمم مصطفى وسعيد على سرعة التوجه إلى تلك الغواصة، فقد لاحظا وجود جذور تلتف حول جسم الغواصة.

فقامـــا باستخدام القارب الصغير الذى كانت تستخدمه إدارة المنتجع فى جلب المخدرات مـــن الســـفن المارة قريبا من الشواطئ، وما أن استقر الاثنان فى القارب وبدأ التشغيل حتى انطلق القارب بفعل الذبذبات التى حددت مكان الغواصة بدقة ثم تم الالتحام بالغواصة، فقاموا بســـرعة بـــرش الســـائل المبيد على جسم الغواصة، فتلاشت جميع الجـــذور، ومرة أخرى تعجبوا لماذا لم تمت هذه الجذور مع زميلاتها التى تم القضاء عليها على أرض المنتجع، ولم يجـــد سعيد ومصطفى أية تبريرات إلا احتمال ألا يكون للسائل تأثير على الجذور فى المياه المالحـــة للـــبحر، لكنهما تداركا الأمر، لقد تلاشت الجذور من حول الغواصة بمجرد قيامهما برشـــها وهـــذا يثبـــت فعالـــية السائل فى المياه المالحة، لكن بالنسبة للجذور حول الغواصة أصـــبحت لغـــزا يحتاج لدراسة، لم يكتشفوها إلا عندما أعلن مدير المنتجع محاولاتهم الفاشلة للطفو، وأصبح التبرير الوحيد أن تلك المحاولات تسببت فى قطع بعض الجذور عن شقيقاتها علـــى أرض المنتجع واستقلت عنها حيث قامت بمحاولاتها للنفوذ إلى داخل الغواصة والتمتع بصـــيدها الثميـــن، لذلـــك لم يؤثر فيها السائل المبيد الذى تم رشه على الجذور على أرضية المنـــتجع، وأن التفسير الوحيد لطفو الغواصة على هذا النحو.. هو أن الجذور التى كانت قد تســـللت إلى الغواصة من أرض المنتجع تقطع بعضها ونما بشكل مستقل عن باقى الجذور،



وأحكمــت تلــك الجــذور مع شقيقتها التى كانت متصلة بجذور أرض المنتجع قبضتها على الغواصة، فلما تلاشت الجذور التى كانت مرتبطة بجذور أرض المنتجع تراخت قبضتها على الغواصـــة التى أصبحت أسيرة الجذور التى نمت بدون اتصال بشقيقاتها على أرض المنتجع وتسبب ذلك فى طفو الغواصة على النحو الذى ظهرت به فجأة.

وبمجرد أن وصلت القوات البحرية، بدأت إجراءات جذب الغواصة إلى أحد الأحواض العائمة بالترسانة البحرية، وتم فتح " الكاتش " وإخراج من كانوا بداخلها، والمفاجأة أنهم كانوا جمـــيعهم عراة تماما من أية ملابس، فاصطحبوهم إلى أحد مراكز التحقيق مع الجواسيس فقد تقـــرر اعتبارهم جواسيس منذ اللحظة الأولى وفقا للقانون الدولى، وصحب " علي " مصطفى ومجموعة الخوجة وكلير إلى حيث تم إيداع مجموعة المنتجع العراة، بعد أن أحضر البوليس لهم ملابس تسترهم، بعدها بدأ أحدهم يشرح الموقف، أعلن عن نفسه بأنه مدير المنتجع فقال:

- " هؤلاء أعضاء بالمنتجع وكلهم شخصيات أجنبية هامة، ونحن نتقدم بطلب رسمى بان يحضر التحقيق سفراء بلادنا، كما نطلب الاتصال بذوينا لإعلامهم باننا أحياء، وأن الثعابين التى خرجت من باطن الأرض تريد التهامنا تم القضاء عليها، ونرجوكم عرفونا بالأبطال الذين قاموا بهذه المهمة الخطيرة لنشكرهم على ما بذلوه من مجهود.."

وسرد عليهم وقائع الأحداث التى أدت بهم إلى الهروب إلى الغواصة:

- " فوجئنا بالأرض تخرج ثعابين تلتف حول أى من الموجودين وتأتى عليه تماما..فى لحظات يتحول الجسد إلى هيكل عظمى، فقمت باصطحاب الشخصيات المهمة ونزلنا فورا إلى النفق المؤدى إلى الغواصة، لكن الثعابين قامت بتتبعنا إلى الغواصة وما أن أغلقنا " الكاتش " حتى التفت الثعابين حول جسم الغواصة فى محاولة للوصول إلينا بأية طريقة، مما أعاق حركتنا تماما، فلم نستطع تحريك الغواصة ذلك أننا كنا قد قمنا بربطها بالنفق بقوة حتى لا تجرفها الأمواج، كما أن الثعابين أحكمت قبضتها على جسم الغواصة فلم تقم أجهزة الطفو بعملها، ثم فوجئنا بقبضة تلك الثعابين تتراخى فجاة والغواصة تنطلق إلى أعلى بسرعة كبيرة حتى أنها تخطت سطح البحر ربما بقوة الاندفاع الذاتى لمحاولات الطفو، ثم عادت فاستقرت على سطح الماء مرة أخرى حيث



فوجئنا بكم، لقد قام " البوس " بتصوير كل ما دار على الجزيرة من تطهير لهذه الثعابين، حتى أنه أعجب كثيرا بما قام به هؤلاء الأبطال فى قتل هذه الثعابين، لكنه أخذ الغواصة الصغيرة وانطلق بها قبل أن تطفو الغواصة الكبيرة على سطح الماء وذلك لإحضار النجدة لإخراجنا من هذه المحنة، فقد خشينا ألا تقوموا بإنقاذنا وفقا لما تنص عليه اتفاقية استغلال المنتجع... نريد سفراء بلادنا.."

فسألهم رجال التحقيق عن أية مستندات تثبت هويتهم، ولما عجزوا عن تقديم جوازات سفر أو أية مستندات، وجهت لهم النيابة عدة تهم أهمها دخولهم البلاد بطريقة غير شرعية، وعدم وجود هويات أو جوازات سفر معهم، وإدخالهم غواصة داخل الحدود الإقليمية للبلاد بما يعتبر إعداداً لغزو عسكرى، فضلا عما ينص عليه القانون الدولى من اعتبار كل من فى الغواصة التى يتم أسرها جواسيس، خاصة وأن الغواصة لا تحمل جنسية أى من الدول.

ولكن مايسه لمحت وجهاً أو أكثر من بينهم، وتبين لها أنها تذكر بعضا من هذه الوجوه، وعادت ذاكرتها سريعا إلى يوم المحرقة التى حرقت عليها جثة والدتها بعد أن ماتت، وتذكرت الوجوه لأنها كانت تحقد عليهم جميعا وتتمنى عندما تكبر أن تنتقم منهم لقتلهم والدتها وإحراقهم لجثتها، لذلك ظلت تلك الوجوه محفورة فى ذاكرتها، والثأر عند أحفاد الساموراى ربما أقوى منه عندنا فى صعيد مصر، فما أن تعرفت على واحد أو أكثر منهم حتى فكرت بسرعة فى التخلص منهم بنفس طريقة التخلص من أشجار وجذور البروتين، وتخاطبت مع باقى آل الخوجة بسرية تامة عبر الميكروفونات التى تم تركيبها فى خوذات بدل الغوص، وطلبت منهم تحريك آل الخوجة والبوليس بعيدا عن ساحة الغرفة التى بها هؤلاء المجرمين، ولم تعلمهم عزمها على إغراقهم فى السائل المبيد عله يبيدهم جميعا، ثم قامت بحركة مفاجئة تظهرها كما لو أنها تقع على الأرض نتيجة مغص حاد، وقامت بسرعة خاطفة أثناء سقوطها بفتح فوهة خزان الرش، وبدأ السائل يتدفق من الخزان، فأسرع مصطفى وسعيد إلى إبعاد قيادات الشرطة وعناصر التحقيق من المكان، بينما انكب سعيد فى محاولة غير جادة لإغلاق الفوهة، أما كلير التى لا تعرف شيئا، بدا أنها تحاول تحريك أعضاء المنتجع فنبهها سعيد عبر اتصالاتهم الخاصة بالكف عن ذلك فتركتهم وهى لا تدرى لماذا نهاها سعيد رجل الخير المتدين عن إنقاذهم، ولما تأكد سعيد من أن السائل أتى على هذه المجموعة القذرة أغلق

الفوهـــة ورفع مايسه بعد أن خلصها من جهاز الرش، وكلير تنظر إلى الأجساد وهى تتلاشى تمامـــا، ولا تملـــك إلا البكاء والدعوات لهم، لكن سعيداً أبلغها عن طريق الميكروفونات التى تصل المجموعة بعضها البعض، بمن تكون هذه المجموعة وماذا فعلوه مع والدة مايسه زوجة مصطفى الأولى، فتفهمت الموقف وندمت أنها حاولت إبعادهم، وذهلت مجموعة الشرطة مما حـــدث، لكـــن علـــياً الـــذى شرح له مصطفى الأمر، هون منه كثيرا وقال للأعلى رتبة فى مجموعة الشرطة:

- " هذه المجموعة عصابة خطيرة تدير ناديا للعراة ولجميع الممنوعات والعقوبة التى يجب أن تطبق عليهم هى الإعدام، وربما تجد التحقيقات بعض التعثر نتيجة تدخل الدول التى تمول هذه المجموعة وتحاول الإبقاء عليهم، فإن كان الإعدام قد جاء من عند الله عقابا منه سبحانه وتعالى لهم على ما اقترفوه فى حق البشرية وفى حق مصر على وجه الخصوص من جرائم، بان تلاشت أجسادهم تماما بما يقضى على فكرة توجيه اتهام لأحد على قتلهم، وحيث أنه لا توجد جريمة قتل، وحيث أنهم بدون جوازات سفر أو أية مستندات تثبت انتماءهم لأية جنسية، وغير معروف على وجه اليقين من يكونون، فإنهم من الناحية القانونية يعتبرون مجرمين وجواسيس يتحتم علينا إعدامهم، وحيث أنه لا يوجد أى مصرى أو عربى بين المجموعة رغم أن البيانات وصور جوازات السفر التى طلبتها قيادات الشرطة من إدارة المنتجع تثبت وجود الكثير من تلك الجوازات التى تخص مصريين وعرب ذوى مراكز حساسة، وربما يكونون قد دسوها حتى تتثبت الشرطة من شرعية ما يقومون به من أعمال، خاصة وإن الأسماء التى أظهرتها جوازات السفر والبطاقات المصرية تثبت تمتعهم جميعا بالحصانة إما الدبلوماسية أو النيابية، إلا أنه قد وردت بعض البلاغات عن اختفاء الكثيرين منهم، ويمكن الرجوع إلى الفيلم الذى صوره طالب السياحة والفنادق للتعرف على من فقد من هؤلاء الشخصيات، حيث تبين أن الأجانب فقط هم الذين اختصتهم إدارة المنتجع بالهروب إلى الغواصة مع الرقيق الأبيض من الدول غير العربية، وهذا معناه أن الغواصة أعدت لهروب الأجانب فقط عند حدوث أية متاعب، وليذهب أهل البلاد أو العرب عموما إلى الجحيم، وهذا ما لا تقبله أية دولة، وأرجو اعتبار الموضوع منتهيا وإغلاق التحقيق فيه.. "

لكن سعيداً ونظراً لما شاهده من مناظر مقززة فى الفيلم الذى صوره لهم أحد الشباب الذين تســوروا أسوار المنتجع لمشاهدة ما لمحوه عريا وخلاعة أثناء رحلتهم البحرية، وكذلك الأفلام التى صورها رجال الشرطة الذين استطاعوا الدخول إلى المنتجع كحمالين مع سيارات النظافة أو سيارات جلب المواد التموينية الطازجة للمنتجع، قال فى محاولة منه لإقناع الموجودين:

- "إذا لم تكن مايسه أصابها المغص ووقعت على الأرض، وسكب ما فى خزان السائل من مـواد قضـت عـلى هـذه المجموعـة الفاسـقة قضـاءً وقـدراً، لاقترحـت علـيكم ضـرورة رشـهم بالسـائل حتى يتم تخليص البشرية من هؤلاء الثعابين.. الأكثر خطورة من جذور أشجار البروتين."

وقد شاهد الجميع تأثير انسياب السائل تحت أرجلهم وهو يأتى على هذه الأرجل وعويلهم يعلو على أية صرخات سمعوها قبل ذلك، حتى صراخ هؤلاء الذين يعدمون بالسلك الكهربائى، خاصـــة وأنهم انهاروا بعد أن أتى السائل على أرجلهم تماما، فسقطوا على الأرض حيث بدأت أجسادهم فى التلاشى حتى أتت عليها تماما، وثار قادة الشرطة على هذا الأسلوب الهمجى الذى تم التخلص به منهم، لكن سعيداً سألهم إن كان لديهم دليل واحد يثبت وجود هذه المجموعة على أرض الكـنانة، ذلــك أنـــه لا توجد جثث، وغير معروف لهم أسماء أو هويات، ولا يوجد من يطالـــب بهم، وأكبر الظن أنهم مجموعة من المجرمين الذين هربوا من أحكام بالإعدام فى دول كثيرة، وجاءوا إلى البلد ليثيروا فى الأرض الفساد وهذا هو عقابهم، وتساءل:

- " أسـلوب مـن الهمجى..؟ أسـلوبنا فـى تخلـيص البشـرية مـن مجـرمين عـتاة قدموا إلى الـبلاد بدعـوى الاسـتثمار، فحولـوا أبـناءها إلى مدمـنين لأنـواع شـتى مـن المخدرات ومن الـرذيلة، أم أسـلوبهم فـى محاولـة إنقاذ الأجانـب فقـط وتـركهم المصـريين والعرب لمصير أسوأ من مصيرهم."

والعجيـــب أن قيادات الشرطة ارتاحت لهذه النتيجة، فتم مصادرة الغواصة وضمت إلى الأسطول البحرى، وأغلق الملف، وصودرت ممتلكات المنتجع جميعها، وبدأ الجميع يتعاملون مـــع مايسه على أنها شرلوك هولمز الشرق، والعجيب أنه لم ترد أية مذكرات أو ملاحظات مـــن أيـــة دولة يتبعها هؤلاء الأشرار، سواء كانوا مجرمين أو دبلوماسيين، وأكبر الظن أن

الجمـــيع حـــتى الأهالى رفضوا انتماء أى من أعضاء المنتجع لهم عندما عرض الفيلم على البعـــثات الدبلوماســـية وشاهدوا كم الخلاعة والرذيلة التى قاموا بها فى الهواء الطلق ودون حـــياء، خاصـــة وأن معظم إن لم يكن كل الرقيق الأبيض كان من الفتيات التى خطفتهم تلك العصـــابة القـــذرة من مصر ومن الدول الأخرى العربية والأجنبية أو نجوم المجتمعات من أجمـــل الفتيات التى ألقى بهن عباس قللى بعد أن انتهى من العبث بهن وقرر التخلص منهن بهـــذه الطـــريقة القـــذرة، وأنه كان يحضرهن وكذلك بعض الصبية إما بنفس الطريقة التى يحضرون بها المخدرات، أو.. وذلك فى حالات قليلة ومع بعض الشخصيات الهامة من نساء المجـــتمعات الراقـــية، معـــه فى الغواصة الصغيرة التى كانت وسيلة مواصلاته الوحيدة بين الدول، فهو لا يستطيع الدخول إلى أية دولة لأنه مطلوب من جميع الدول.

٢٣ـ الغواصة الصغيرة

رصـــدت القـــوات البحرية تحرك الغواصة الصغيرة التى خرج بها " البوس " بدعوى إحضار نجدة لأعضاء المنتجع المحتجزين فى الغواصة الكبيرة ومعهم بعض موظفى المنتجع وكلهـــم أجانب، وهى تسرع تحت الماء بسرعة أكبر من أن تلحق بها أى من القطع المملوكة للقـــوات الـــبحرية، فـــتم تكلـــيف طائرات الهليوكوبتر بمتابعتها، بينما قامت القوات البحرية بمـــناورات لمحاصــــرتها، إلا أن الغواصة الصغيرة سارعت بالخروج من البحر الأحمر إلى الـــبحر الأبـــيض، ثم دخلت فرع رشيد، ونظراً لأن الوقت كان شتاء، ومستوى المياه بالنيل مـــنخفض، فقد كان فى الإمكان رؤية الغواصة وهى تمخر أعماق المياه الضحلة، وأسرعت الغواصـــة وكأنها تقصد مكانا معينا، وفعلا استقرت قرب شاطئ النيل عند منطقة قريبة من وسط القاهرة، واستطاعت القوات البحرية محاصرتها، وقام رجال الضفادع البشرية باقتحامها إلا أنهـــم لم يجدوا بها أحدا، وأصبحت المسألة غاية الخطورة، أن يستطيع إنسان أيا كان من أن يدخـــل البلاد بغواصة صغيرة أو كبيرة دون أن تتمكن القوات المسلحة أو قوات الشرطة مـــن ضـــبطه، واشتركت الشرطة وعناصر من جهاز المخابرات الحربية فى دراسات لحل اللغز، لكن الشخص أو الأشخاص الذين كانوا بالغواصة الصغيرة اختفوا تماما، وما أن تمتم "الضابط علي" بالأمر أمام سعيد ومصطفى.. حتى انطلق لسان الاثنين فى وقت واحد:

- " عباس قللى.. لا يفعل ذلك سوى عباس قللى.. "

كان سعيد ومصطفى بملابس إبادة أشجار البروتين وذلك عقب عودتهم من الحرب التى كانـــا يقودانها ضد هذه الأشجار وجذورها وكانت الصحافة تلتقط لهما الصور باعتبار أنهما اللذان قاما بتخليص جزيرة المنارة من فطريات مجهولة الهوية لها تأثيرات قاتلة على الحياة عمومـــا، كانـــت كفيلة بالقضاء على عدد كبير من البشر، وما أن تبادر إلى ذهن سعيد اسم عباس قللى حتى فكر سريعا فى زوجته سهير المرعشلى، فلماذا قصد عباس قللى مكاناً قريباً من قصر المرعشلى، إلا إذا كان يقصد شراً بسهير المرعشلى، وهو وإن كان يريد الخلاص منها.. إلا أنها ما زالت زوجته وحمايتها حق عليه، فقفز كمن لدغته حية وهو يصرح:

■ " سهير... سهير... إنه لا يقصد غيرها.."

وخــرج سريعا بعد أن حاول الحصول على أى شئ يستطيع الدفاع به عن نفسه، فأخذ أحــد مرشات السائل المبيد بخزانه الصغير الذى سبق استخدامه لإبادة شجيرات الفيلا، لكن علياً استوقفه، مستوضحا الأمر، فقال مصطفى بهدوء:

■ " إن المكان الذى وجدتم فيه الغواصة قريب جداً من قصر المرعشلى، وهذا القصر كانت له ممرات كثيرة تؤدى إلى النيل مباشرة، ولك أن تتصور لماذا اختار البرنس عباس قللى هذا المكان على وجه التحديد..؟ "

وقاطعه علي:

■ " تقصد أنه ينوى بالسيدة سهير زوجة سعيد شرا..؟ "

وأكمل مصطفى:

■ " أو لنقل أنه ينوى استخدام الممرات السرية التى يعرفها جيدا وسبق له استخدامها أثناء احتلاله للقصر لتصنيع وترويج المخدرات للخروج من البلاد بسلام، فهذا منتهى ما يرجوه حاليا.. إلا إذا كان ينوى الانتحار ويفجر ذلك الشيء الذى كان يهدد به سهير دائما، والذى مازال البحث جاريا لمعرفة طبيعته.. "

فعلق على بدهشة:

■ " تقصد الشيء الذى عثرتم عليه أثناء هدم القصر ولم تستطيعوا استكمال الهدم بسببه"

وأكــد مصــطفى لــه المعلومة، فتساءل علي عما يمكن لسعيد فعله، وهل بهذا الرشاش يســتطيع وقــف هــذا القللى، فعلق مصطفى إنه ربما باستخدامه، يستطيع تخليص سهير منه، فأسرع علي بخلع قميصه وخلع قميص آخر قال عنه أنه واق من الرصاص، وطلب من سعيد وضعه تحت ملابس الغطس، حيث تعجب من السبب الذى جعل سعيد يصمم على الذهاب بهذه الملابــس، لكــن ســعيدا لم يعلق، فقط وضع القميص الواقى من الرصاص، وأكمل لبس بذلة الغــوص المــزودة بسائل الإبادة وانــطلق قبل أن يكمل علي عبارة أنه قادم معه، حيث أكمل مصــطفى العــبارة بأنهما قادمان معه، وقبل أن يزلف سعيد من الباب الخارجى للفيلا، فوجئوا

برنيـــن الهاتف، والتقطه الضابط علي، وكان المتحدث هى سهير التى طلبت سعيداً بصوت لم تخـــف على علي الرعشة التى تصاحبه، فناداه الضابط علي بصوت عال، فعاد ليفاجأ بصوت أجـــش يطلب منه بلكنة أجنبية تختلط بالعربية التى يحادثه بها، سرعة الحضور إلى شقة سهير مـــنفرداً ولا يحضر معه أحد وكذلك لا يبلغ الشرطة، وليحضر معه كمية من سائل الإبادة وإلا فسوف يقتل سهير، ولم يجد سعيد بداً من تلبية طلبه، فقد تجهز فعلا للقائه بهذا السائل، وعباس قللـــى يصر على إحضار السائل معه، ما هذه الصدف، لقد طلب الشيء الذى سيقضى سعيد به عليه، رغم أن سعيداً لا يعرف كيف سيتمكن من ذلك، والجميع يضربون كفاً بكف، كيف عرف عـــباس قللـــى بأمـــر هذا السائل، هذا معناه أن عباس قللى هو " البوس " الذى قال عنه مدير المنتجع أنه صور كل ما قام به آل الخوجة على أرض جزيرة المنارة والمنتجع، والسؤال الأهم هـــو كـــيف عرف أن سعيداً واحداً من المجموعة التى تولت أعمال الإبادة، إذاً فقد عرف بأمر تلـــك الأشجار وتلك الـــجذور، أو ربما لأن سعيداً هو الكيمائى الوحيد فى عائلة الخوجة، فلابد أنـــه هو الذى توصل إلى ذلك الاختراع، أو لعله استخلص هذه المعلومات من سهير المرعشلى نفســـها إمـــا طواعية أو قصراً، لكن سهير المرعشلى لا تعلم شيئاً عن هذا السائل، فسعيد بعيد عـــنها مـــنذ مدة طويلة، وهى بعد أن أنقذت من محاولة الانتحار، ما زالت تعالج من الاكتئاب ومن الوهن الذى أصاب حالتها الصحية عموما.

لكـــن عـــباس قللى يريد الحصول على هذا السائل حتى يقوم بصناعة المزيد منه لإبادة أشجار البروتين التى تعانى الدول الأوربية من جرائمها، وبعد ذلك فإنه يستطيع التخلص ممن يريد التخلص منهم بأفكاره الإجرامية، والحقيقة أن عباس قام بتكبير صورة سعيد وهو يقاوم أشـــجار البروتين فى الكمبيوتر وطلب معرفة بيانات عنها، واخترق ملفات مصلحة الأحوال المدنية بمصر وجاءته كل المعلومات المثبتة فيه، وهو يعلم مسبقا بأن سعيد تزوج من سهير ولـــم تطلقـــه، وهو يريد السائل للقضاء أولاً على جذور وأشجار البروتين فى المزارع التى أقيمـــت فى أوربا بناء على طلب الشركات مالكة هذه المزارع وبعقود تصور أنها يسيل لها اللعاب، ثم له مع سعيد وسهير شأن آخر، فقد جاءه هذا السائل المبيد على الطبطاب ذلك أنهم كانوا يجدون مشقة فى التخلص من جثث من يقتلونهم، وجاء هذا السائل ليحل لهم المشكلة.



وتمســكت كلير بذهابها مع سعيد، فهى لا تريده أن يكون فى هذا الموقف بدونها، وإن كـــان قد كتب عليه الأجل فليكونا سويا، ربما كان هذا تعبيرا صادقا عن حبها له أو ربما عن غــيرة قاتلة عليه من المدعوة سهير، فهى مازالت زوجته حيث أنها لا تريد أن تطلقه، على كــل اســتطاع مصطفى أن يثنيها عن عزمها مؤكداً ذهابه هو وعلي لمؤازرته وعدم تمكين عــباس أو غــيره مــنه، كما تعهد علي بوضع قناصين فى كل مكان لقتل هذا القللى، لكنها انزوت فى أحد الأركان والمصحف بين يديها تقرأ وتدعو له بالسلامة، وما أن استقرت على هــذا الوضـــع وهدأت نفسا ومايسه إلى جوارها تؤكد شجاعة وبسالة وقوة وقهر رجال هذه العائلـــة الـــتى هى منهم، حيث يمكنها هى وحدها صرع عشرة من أعتى الرجال، وصممت علـــى أن تريها الفيلم الذى صور لعملية اختطافها هى والمستر كيوكى فى اليابان حتى توجه تفكـــيرها بعـــيداً عما قد يصيب سعيد عمها من أخطار، بينما انطلق مصطفى وعلي فى أثر ســـعيد، ولكـــنهما يبعدان عنه بمسافة لا تمكنه من رؤيتهما حتى لا يتسرب القلق إلى نفسه، واضعين فى اعتبارهم أن يكونا إلى جانبه فور لقائه بهذا القاتل.

تواجه الغريمان، عباس يريد الجهاز الذى به سائل الإبادة، وسعيد يرفض، عباس يوجه إلـــى سعيد مسدسه، وسعيد يوجه إلى عباس رشاش سائل الإبادة، والقناصون يحاصرون شقة ســـهير من كل مكان متاح، فقد احتلوا الشقق وأسطح العمارات المحيطة بشـــقة سهير، لكن عباساً كان من الذكاء بحيث لا يختار إلا الأماكن البعيدة عن المنافذ التى تمكن القناصين من اصـــطياده، ونظرا لأن سعيداً لديه شعور بالثقة فى القميص الواقى من الرصاص، فقد شعر بعدم الخوف من رصاص مسدس عباس حتى ولو أطلقه على رأسه لأن الخوذة التى يعتمرها مـــن الصـــلب وربمـــا تكون حامية له من رصاص مسدس عـــباس، وقبل كل شئ فإن الله سبحانه وتعالى هو الحامى.

تقدم سعيد من عباس ورشاش السائل موجه إليه، حيث كان لهذا التحرك أثره على عباس فشـــعر بالقلق، فدفع بسهير التى كان يحتمى بها بعيدا، فارتطم رأس المسكينة بالباب الذى كان مصـــطفى وعلى يقفان خلفه، فانتشلاها وأبعداها تماما عن الغرفة التى بها سعيد وعباس قللى، وقام عباس بمهاجمة سعيد بمسدسه موجها إليه عدة طلقات نارية فحدثت بعض الثقوب فى بذلة الغطس، فتسبب ذلك فى اندفاع السائل الذى حقن بين بذلة الغطس والغطاء البلاستيكى الذى تم

إضافته لمزيد من الحماية، وانطلق منها السائل بقوة متجها إلى عباس الذى بدأ يعانى من تأثير ملامسة السائل لجسده بعد أن اخترق ملابسه صوفية كانت أو غير ذلك، وقد أدى ذلك إلى تخليه عن حذره الذى كان يلازمه كظله فيحرص أن لا يمر من أمام نافذة أو بلكونة، وما أن لاحت لأحد القناصين فرصة اصطياده، حتى أطلق عدة أعيرة مركزة على رأسه، حتى كأنها هشمتها تماما، بالإضافة إلى أن سعيداً قام بتوجيه رشاش السائل على رأسه، وذلك فضلا عن أن السائل الذى اندفع من الثقوب التى أحدثتها طلقات مسدس عباس بالبذلة قد قامت بعملها فى باقى أجزاء الهيكل الأمامى لجسمه، وما أن سمع مصطفى إطلاق الرصاص حتى اندفع مدافعا عن أخيه، فوجد سعيد قد أتى على الهيكل الأمامى والرأس والوجه لعباس قللى، فلم يجد سوى هيكله الخلفى يطلق عليه السائل من مرشات الجهاز الذى تجهز به، وكأنما رفض مصطفى إلا أن يشارك أخاه فى الإجهاز على عباس قللى، فضلا عن قيام قناص الشرطة بتفتيت رأسه، وما هى إلا لحظات حتى سقط المجرم أرضا مضرجا فى دمائه.

لكنه قبل أن يسقط أخرج من جيبه جهازا يشبه الرموت كنترول، وحاول الضغط عليه بيد سلخت عنها العضلات والأعصاب ولم يبق سوى هيكلها العظمى، وهذا ما لم يمكنه من الضغط على الرموت، وسعيد يزيد من جرعات السائل الموجهة إلى يده حتى يمنعه من الضغط عليه، وزيادة فى الحرص،وضع قدمه على الهيكل العظمى ليده التى كانت قد بدأت تتلاشى لتترك الجهاز وسط السائل، فانتشله سعيد سريعا حتى لا يتسبب السائل فى إحداث تماس بين الأسلاك فيتحقق هدف عباس حتى بعد أن تلاشى جسده كلية، وعدسة القناصين تسجل الأحداث كلما أتيح لهم ذلك، فقد تمكنوا من تسجيل عباس قللى بمجرد أن تخلى عن حذره وواجه سعيدا وأطلق عليه الرصاص، والسائل ينطلق من بذلة الغوص، وعباس قللى يتلاشى تماما منذ أن أطلق الرصاص على سعيد واندفع السائل نحوه وسعيد يوجه مرشاته نحوه فينطلق منها السائل ويصيب رأس ووجه عباس، وتفتيت رأس عباس بطلقات القناص، هذا بالإضافة إلى السائل الذى اندفع من ثقوب بذلة الغوص فأصاب منطقة الصدر والبطن، وتولى السائل المسكوب أرضا فى إبادة قدميه ورجليه حتى أجهز عليهما، بينما مصطفى يطلق مرشاته عليه من الخلف فاشترك الأخوان فى الإجهاز عليه تماما، ووقع عباس وسط السائل الذى أنهى على جسده كلية، وتوقفت الشرطة عن إطلاق النار على عباس قللى بعد أن تحقق لهم تلاشيه جسداً وكذلك هيكلا عظمياً.

هاتفها سعيد ليطمئنها على نجاح مهمته، فقفزت كلير سعيدة بنجاة زوجها، وألحت على مايسه أن تدلها على شقة سهير المرعشلى فهى تريد أن تحتضنه مهنئته بنجاته ونجاحه، وما كان لمايسه أن تتأخر عن الاستجابة لها فى أول طلب تطلبه منها، فقد أسعدها أن يستقر عمها أخيرا إلى زوجة شعرت مايسه نحوها بالتعاطف، والمحبة، فقد كانت كلير قريبة للقلب، ما أن يـــــراها راءٍ.. رجل كان أو امرأة إلا وانشرح لها قلبه، وهذه كانت مشاعر مايسه قبل كلير مـــنذ اللحظـــة الأولى التى رأتها وقد ارتدت ملابس الإسلام، وعندما سألتها عن تخليها عن الموضة والتحشم بتلك الملابس قالت لها بتلاوة سليمة:

- " يقـول الله تعـالى فـى الآيـة ٥٩ مـن سـورة الأحـزاب.. ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ** ...﴾  والأمـر لرسـول الله وعلى المؤمنين الطاعة، وأنا مؤمنة فعلى الطاعة."

فاحتضنتها مايسه بقوة إلى نفسها فقد أسعدتها كلماتها، وأسعدها حفظها لكلام الله سبحانه وتعـــالى، وشعرت بالعزة لتمسكها بالإسلام، وشعرت أنه لا قوة تستطيع أن تقف أمامه سواء كان تعصبا أعمى أو هجمات تتار أو تهجم كفار أو حجج إرهاب يصنعونه ليقلّبوا الأمم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم.

صـــحبت مايســـه كلـــير إلى شقة سهير ومعها النوت بوك الخاص بها، فوجدت الشرطة تحـــاول إزالـــة آثار المعركة، وتحرر تقريرا بما حدث، ولما عرفت بأمر الريموت الذى كان عباس قللى يهدد به الجميع، انتشلته بسرعة وهمت باتخاذ إجراءات فحصه بمعرفة النوت بوك، وفجـــأة انطلقـــت سهير المرعشلى لتعلن أن هذا الريموت هو الذى كان يهددها به عباس قللى، واســـتنتج مصـــطفى أن يكون لهذا الريموت علاقة بالكتلة الخرسانية التى وقف الهدم بسببها، فانطلقـــت مايســـه إلـــى تلك الكتلة ووجهت إليها أجهزتها حيث تبين أنها عبارة عن حاوية من الرصـــاص تحـــتوى على مادة التيتانيوم المشعة، من تلك الكميات التى تم تهريبها من الاتحاد الســـوفيتى الـــذى تـــم تفكـــيكه بقدرة قادر، حتى يتاح لمن يتحين الفرص نهب شعوبه وإهدار

ثـــرواتها، وقد تم تغليفها بالكتلة الخرسانية زيادة فى الحفاظ عليها، وأن عباس قللى لو كان قد تمكـــن من تفجيرها لنسفت نصف القاهرة بمن فيها من بشر، وتبين للشرطة كم هو حجم الدمار الـــذى كـــان ذلك المجرم يعتزم إحداثه فى المحروسة، وسارعت قيادات الشرطة بتوجيه الشكر رســـميا إلى سعيد ومصطفى وباقى آل الخوجة بما فيهم كلير واختصوا مايسه بمزيد من الشكر والـــتكريم، واتفقـــوا معهـــا على استدعائها كلما دعت الحاجة، كما بدأ التفاوض معها على نقل التكنولوجـــيا المـــتقدمة جـــدا باليابان إلى المراكز المختصة بمصر، وتتولى هى التفاوض عن الجانب المصرى، وتم إبلاغ رئيس الجمهورية بالأمر فصمم على تحديد موعد للقاء بهم لتوجيه الشكر لهم باسمه الشخصى وباسم الشعب المصرى لما قاموا به من أعمال تستحق الثناء.

وتقابلت الضرتان، حملقت سهير بنظرها الذى تكاد تتلمس به طريقها بصعوبة، فقد كان لفـــراق سعيد لها أثر كبير فى عدم رغبتها فى الحياة، وتأثرت بالتالى جميع أجهزة وأعضاء جســـمها الـــتى حاولت جهدها المحافظة عليها طوال السنوات الماضية، فظهرت عليها آثار الشيخوخة بكل عيوبها وقبحها، وما كان لها أن تقف فى مجال المقارنة مع كلير، تلك الوردة المتفـــتحة التى ينتشر عبيرها فيعبق المكان بأريج يصعب على من يتنسمه أن يبتعد، ولو من باب المجاملة، هذا بالرغم من اللبس الإسلامى والحجاب، حيث كان لهم أكبر الأثر فى إظهار جمـــال الوجـــه بعيدا عن ابتذال العرى الذى تفرضه علينا دول الكفر، بما يسمى موضة أو تطور، وهو فى الحقيقة ليس إلا وسيلة من وسائل نشر الرذيلة فى المجتمعات الإسلامية، بعد أن تمكـــنوا مـــن إشـــاعة الفاحشة فى مجتمعات الشرائع الأخرى، وذلك ظنا منهم أنهم بذلك ســـيتمكنون من إشاعة الفاحشة فى جميع خلق الله، فإذا تمكنوا من التقرب إلى الله بحسب ما حـــرفوه مـــن شريعتهم فإن ذلك سيرضى عنهم الرب، وما الضجة التى أثاروها لهدم تماثيل بـــوذا ومحاكمـــة بعثات التبشير بالنصرانية فى أفغانستان، إلا مقدمة للتدخل فى باقى الدول الإســـلامية بدايـــة بالعراق ونهاية بالحجاز مهبط الوحىَ ومهد الرســـالة المحمدية، ويصبح العـــالم كله قرية صغيرة تتحكم فيه قوة واحدة، ويتحكم اليهود فى تلك القوة فيكونون بذلك هم المتحكمون الحقيقيون فى العالم كله، بل هم فعلا متحكمون فيه إذ أن هناك تنسيقاً وتعاوناً مع الدولة التى ابتدعوها شوكة فى وسط جميع الدول العربية، ويمدونها بالرجال والسلاح والعتاد والأموال كى تكون تحت الطلب كلما استلزم الأمـــر تنفيذ مخطط من مخططاتهم الهدامة التى

تهـدف إلى زعزعة الأوضاع فى دولة من دول المنطقة أو امتصاص ثرواتها، ونسـأل الله اللطف بنا، وأن يشرح صدرنا للإسلام.

ما أن اقتربت سهير من كلير حتى بدأت فى تحسسها بشئ من العفوية التى دفعتها إليها غـيرة مدمـرة. لم تكن قد وضعت نظارتها لترى جمالها بوضوح، لكنها بعد أن وجدت أن مقاييس الجمال العالمية تقف أمام مقاييس قوام كلير عاجزة عن النطق بالحكم لها ملكة متوجة علـى عرش جمال العالم، وبعد أن وضعت النظارة وشاهدت جمال وجهها بوضوح، سقطت علـى الأرض مـن فورها فقد عجزت الكلمات عن التعبير عما يجيش فى صدرها، إعجابا وربمـا غـيرة وقد يكون حسدا، فقد امتزجت الأمور كلها فتفاعلت فى نفسها فما عاد عقلها قـادراً على التحكم، وتوقف المخ عن التفكير... أصابتها سكتة دماغية نقلت على أثرها إلى المستشفى، فقد تأثرت بالأحداث الدامية التى تعرضت لها منذ الصباح الباكر لذلك اليوم بسبب تشـريف ذلـك المدعـو عباس قللى بعد خروجه السريع من الغواصة الصغيرة حيث سارع بوضع أحد أجهزة الغطس التى يوجد منها الكثير فى تلك الغواصة، وغاص فى أعماق النيل إلـى أحـد أنفاق قصر المرعشلى القديم التى تمتد إلى عمق النيل بعيدا عن الأعين، وكانت أعمـال هدم البدروم قد توقفت بسبب تلك الكتلة الخرسانية، والجو خال تماما من أى رقيب، اللهم إلا بعض عناصر الشرطة الذين استلزمتهم أعمال الحراسة لتلك الكتلة الخرسانية، حيث اسـتطاع مغافلـتهم، وبعـد أن اجتاز النفق إلى البدروم، قام بتبديل ملابس الغطس بملابس مناسـبة واسـتطاع الخـروج إلـى الشارع، ثم توجه مباشرة إلى شقة سهير، فهو يعرفها.. رصـدها له أعوانـه المنتشرين فى كل مكان، وفى مصر على وجه الخصوص بعد اتفاقية كامـب ديفيد ومحاولات التطبيع التى يرفضها الشعب المصرى بكل فئاته عدا القليلين الذين جـندتهم الـيهودية لخدمـة أغراضها فى المنطقة، فحرفوا الكلم عن مواضعه، حيث وصفوا حـرب رمضان التى استعاد بها الشعب المصرى ما ضاع من مصر أثناء الحكم الدكتاتورى مـن أراض وشرف وكرامة بمجموعة من الصفات التى لا تليق بهذا العمل الرائع ولا بقائده البطل بحسب ما اتفق عليه جميع خبراء العالم العسكريين.

وأضاف إلى تعاسة سهير وشجنها وكبر سنها وهجر سعيد لها...مشاهدتها لجمال وقوام كلـير ضـرتها، فعجل ذلك من سرعة تدفق الدم فى الدماغ، فانفجرت الشعيرات الصغيرة، وصرخت من الصداع الحاد الذى فاجأها فقد حدث نزيف محدود بالمخ، وبدأت لها الإسعافات السريعة فور وصولها المستشفى، وتوجه معها الجميع.. سعيد وكلير ومصطفى ومايسه التى قامت على الفور بتوجيه تقنياتها التى تولت أعمال التحليل السريع لجميع العناصر الهامة فى هـذه الوعكـة، وأوصت بما يجب أن يتبع على وجه السرعة، والعجيب أن الأطباء ظنوها خبـيرة يابانية أحضرتها عائلة الخوجة، فقاموا بتنفيذ تلك التوصيات بدون تلكؤ، مع التوصية بعمـل التحالـيل الدورية والبيانات المستمرة للضغط والتنفس وخلافه، وبعد مدة وجيزة من حقـنها بـالمواد الطبـية التى أوصت بها مايسه والتى وافق عليها الأطباء لأنها مناسبة جداً للحالـة، زالت حالة الخطر وبدا على سهير وكأنها لا تعانى من الآلام التى لم تفلح المهدئات فى وقف أناتها المتلاحقة، لكنها لم تتمكن من النهوض من غيبوبتها.

وما أن سمع رئيس الجمهورية بما حدث، حتى ذهب فى موكبه إلى المستشفى للاطمئنان على الفنانة القديمة القديرة صاحبة السجل الحافل من البطولة والفن والفـداء، والتى مازالت تقـدم الفداء حتى فى سنوات عمرها التى تجاوزت السبعين،وانتهزها فرصة لشكر أفراد هذه العائلـة الذيـن اشتركوا فى تخليص البلاد والعالم من مجرم خطير بحجم عباس قللى، وإنقاذ البلاد من بلاء إشعاعات لا يعلم إلا الله كم الخراب الذى كانت ستحدثه، لكن مصطفى همس فـى أذن رئيس الجمهورية أن عيادته لسهير المرعشلى أمر أسعدهم وسوف يسعد له الشعب المصرى بكل طوائفه، لكن هناك من هم فى أشد الحاجة لرعايته، إنهم باقى نزلاء المستشفى من الفقراء والمساكين، واستجاب الرئيس لهذا الطلب الذى كان فى نيته القيام به بغض النظر عن نصيحة مصطفى، فصحبه مصطفى سريعا إلى عنابر الدرجة الثالثة، حيث شاهد الرئيس الإهمـال المتفشـى فى كل شئ بهذا الجزء من المستشفى، النظافة والرعاية والتطبيب، فقام باتخـاذ مـا يلـزم مع إدارة المستشفى، وقرر استخدام الصرامة مع الجميع بدون رحمة أو شفقة،وأوصـى بـإعداد قـرار بتعطيل قانون منع الفصل التعسفى مع المتقاعسين والمهملين والمستهترين بناء على تقرير المسئولين وعلى المتضرر اللجوء للقضاء وليس للجنة ليس فيها قاض، وذلك لتحقيق نوع من الانضباط فى العمل.

لكن مصطفى استوقفه لكى يوضح له نقطة هامة وهى أن جدول الرواتب الذى لا يسمح إلا بالقليل لعناصر العمل فى هذه المستشفى وكذلك الأمر بالنسبة لباقى موظفى الجهاز الحكومى، ومن ثم باقى العاملين فى القطاع الخاص، وتسبب فيما يتم به التعامل مع المصريين العاملين فى دول الخليج من نقص فى الرواتب والمزايا الأخرى التى ينعم بها أمثالهم من الجنسيات الأخرى، وأن هذا الجدول ربما يكون هو السبب فى كل ما نعانيه فى مصر من فساد، لذلك اقترح عليه ربط الراتب بالذهب، وعرض عليه جدول الرواتب والعلاوات والترقيات الذى كان يعمل به فى شركته، بالرغم من أنه لم يردع المدير التنفيذى نفسه عن خيانته، لكنه شئ أفضل من لا شئ، ذلك أن غياب مصطفى شخصيا هو الذى شجع هذا المدير على الخيانة، لكن أثناء وجوده لن يتمكن أحد من ذلك، وماذا عن الجهاز الحكومى؟ من سيكون رقيبا على أدائه؟ إنه الشعب فلا نستطيع أن نحمل رئيس الجمهورية مسئولية تفشى إهمال بعضنا البعض فى أداء واجباتنا.. وعلى هذا يجب على كل مواطن أن يقيم الدنيا ولا يقعدها إلا بعد أن ينال حقه كاملا، ولكن فى المقابل يجب على كل مواطن أن يقوم بأداء واجبه كاملا دون تقصير أو إهمال، ودون محاولة الحصول على الإتاوات الشخصية التى أصبحت أهم وأكبر من الرسوم المفروضة قانونا وبدونها لا يتم تنفيذ العمل المطلوب، أو يتراخى القائمون بتنفيذه على حساب الحق والواجب، وبهذا يتم القضاء على الفساد الذى استشرى فى الجميع تقريبا، لكن.. هل هذا سهل التطبيق؟ نسأل الله التوفيق.

تفهمت كلير أسباب مرض سهير، وأبدت استعدادها لتقديم كل ما يمكنها القيام به حتى تعود سهير إلى الحياة، وشعرت بأنها تتحمل جزءاً من المسئولية عن نزيف المخ الذى حدث لها، فجلست إلى جانبها تقرأ القرآن وتدعو لها بالشفاء، وفى صباح أحد الأيام.. فوجئت كلير بسهير تنهض من غيبوبتها لتجدها إلى جانبها تقرأ القرآن، فتعجبت.. كيف لهذه المخلوقة الرقيقة أن تقوم بهذا العمل لامرأة هى فى حقيقة الأمر ضرتها؟ لكنها وجدت كلير تقترب منها وتدلك لها على رأسها وأجزاء من جسمها، كى تشعرها بالطمأنينة، وأن الجميع حولها فى خدمتها يرعونها فى مرضها، فتساقطت بضع قطرات دموع من أعين سهير عندما وجدت أن اللسان عاجز عن وجود الكلمات الرقيقة التى تعبر بها عن شكرها لضرتها، فاحتضنتها

بسعادة وقالت لها:

- " أنا لا أستطيع تصور أن يبتعد سعيد عنى، ولقد حاولت الانتحار بمجرد هجره لى، وقد أسعفنى الله بهذه الأزمة علها كانت نهايتى، أما وقد وجدت منك هذا الحنان وهذه الرقة، فإننى لا أستطيع إلا أن أتركه لك تعبيراً عن شكرى وتقديرى وحبى لك.. "

لكـن كلـير سـارعت تطالبها بالبقاء معهم فى فيلا الخوجة أخت عزيزة للجميع، وزوجة محبوبة لسعيد، فشكرتها سهير لكرمها، وامتزجت دموع السعادة بدموع العرفان بالجميل، وتوقفت الكلمات ولم تبق سوى العبرات تعبر عما يجول فى خاطرها الضعيف عن سعادة غامرة، وتمنت لكلير كل الخير معبرة عن أن منتهى أملها أن تقضى ما بقى لها من عمرها معهم، خادمة لسعيد، فهى لا تريد منه شئ سوى مشاهدته والشعور بقربه منها،فإنه الترياق الذى يمنحها الحياة والصبر على تصاريف الزمان، وأن مشاركتها لها فيه خير من بعده كله عنها.

وذكـرت أن وجـود سـعيد معها كان درعا ضد هجمات المدعو عباس قللى أو غيره، وتعـاهدت الضرتان على الوفاء كل منهما للأخرى، وكلتاهما لزوجهما سعيد،فطلبت كلير من الممرضة تشغيل الفيديو لسهير حتى تشاهد زيارة رئيس الجمهورية لها أثناء الغيبوبة التى ألمت بهـا، وكذلـك اللقـاءات التى تمت مع كبار السن ممن عاصروا عملياتها الفدائية حيث كانت مضرب الأمثال بين الشباب المسئولين عن قمع العمليات الفدائية ضد المستعمر فى ذلك الوقت، وتهكـم مـن يتعاونون أو حتى يتعاطفون مع الفدائيين عليهم، والعجيب أن الفضائيات سارعت لتغطـية هـذا الخبر بشىء من الإسهاب، حتى أن اللقاءات التى تمت مع كبار السن من رجال ونساء شعب مصر الذين عرفوها فنانة مخلصة لفنها وكذلك كبار السن من فنانى الدول العربية الذيـن تعرفوا عليها، أو شاركوها فى بعض الأعمال أو حتى أولئك الذين شاهدوا ما قدمته من أعمـال فى السينما أو فى الإذاعة، وحتى الشباب الذين فوجئوا بسجل بطولاتها حيث حرصت الصـحافة ووسـائل الإعـلام الأخـرى على جمعه وتأريخه، مما كان له أكبر الأثر فى رفع معـنوياتها، ثم قرأت كلير لها كل ما صدر بالصحف من تعليق على فنها والإشادة به من جميع الفنانيـن والفنيين، وقد كان لذلك الجهد أثره الفعال كعلاج شاف للحالة التى عايشت فيها سهير تجـاهل الجمـيع لها ونسيان متذوقى الفن لما قدمته، فضلا عما فاجأتها به الإذاعات ومحطات



التلـيفزيون العربـية وبعض الإذاعات ومحطات التليفزيون الأجنبية بالدول التى ترتبط بمصر بعلاقـات طيبة من طلب شراء حق إذاعة التسجيلات القديمة لغنائها، وبث الأفلام القديمة لها، فقـد كـان هذا تأكيداً على اهتمام الجميع بها، والعجيب أن كلير كانت تحتفظ لها بكل ما صدر بهـذا الخصـوص خلال فترة غيبوبتها، ومما زاد من حبها لكلير.. أنها هى التى كانت تتلقى المكالمـات الهاتفية العديدة التى كانت تحمل تمنيات طوائف متعددة من أبناء الشعب المصرى والعـربى لها بالشفاء العاجل والاطمئنان عليها، وتسلمها سماعة الهاتف لتسمع بنفسها الكلمات العذبـة التى حرص هؤلاء المتصلين على اختيارها بكل عناية مع الإضافات التى تجمل الكلام فيصدر من القلب ليصل إلى قلب سهير بلسما شافيا لها من كل الأوجاع والأسقام.

واجـتمع شـمل سهير بحفيدها شريف تحت سقف واحد فى فيلا الخوجة، حيث توطدت عـلاقتها بمريم هانم، وأصبح الجميع فى بوتقة الحب العائلى سعداء بنعم الله عليهم.

كانت صفيه قد استعادت عافيتها بعد انتهاء فترة ما بعد الولادة، فانضمت إلى المجموعة تمـارس نشـاطها المعتاد باعتبارها ست البيت، وهذا ما حاول مصطفى جهده إفهامه لسعيد حتى يفهم زوجتيه به، أما عن مايسه فإنها تعرف جيدا أن ماما صفيه هى الأسطى، وأن سعيد لـه جـناحه الخاص، فإن اعترضت أى من زوجتيه على ذلك فله أن يعود مع زوجتيه إلى جـناحه، ومريم هانم تضحك على ما يحدث وتتعجب كيف تمكن حب مايسه لزوجة أبيها إلى هذا الحد، وكيف سيتمكن سعيد من العدل بين زوجتيه اللتين تحبانه أكثر من حياتهما؟ خاصة مع ميل قلبه لكلير، ولكنه كان يحاول جهده أن يكون عادلا فى علاقته بسهير.

انـتهى العـام الدراسى فى مدارس اليابان، وأصبح لزاما على ابنتيه وأمهما العودة إلى مصـر للعـيش إلى قرب أبيهما، وقد تعلقت الفتاتان بأمهما بشكل زاد على ما تمليه الفطرة علـيهما، فقـد استطاعت سميحه أن تتخلى عن أنانيتها وتكرس وقتها وحبها لابنتيها، وكانت ودودة فـى تعاملها مع الجميع الخدم وموظفى شركة الخوجة وكازو، مما كان له أكبر الأثر فـى نفـس مصطفى، حيث وجد أن جميع التقارير التى ترد إليه ليس فيها ما يعيب سلوكها، وبمجـرد عودتها مع ابنتيها مع عدم وجود منزل خاص بها، ولا مورد مالى، فضلا عن أنها بدأت تلتزم بتعاليم الدين الإسلامى، فتحجبت وتعلمت قواعده وأصوله وبدأت تشترك مع باقى

آل الخوجـــة من النساء فى تفهم ومناقشة ما التبس عليهن من قواعد الفقه مستعينات فى ذلك بـــالله وشـــيخ مســـجد الخوجة الذى كان يتولى تحفيظهم آيات الله وفقا لأحكام التلاوة، وفقيه العائلـــة مصـــطفى، ومـــع هدوء النفس والسكينة التى غرسها الله سبحانه وتعالى فى عباده المخلصِـــين، وســـميحه واحدة منهم، فقد كللها ذلك بتاج من الرزانة والجمال بحيث أصبحت تفوق كثيرا تلك السميحه التى كان مصطفى زوجا لها أيام عمله سباكا، فقالت مريم هانم:

- " مصـطفى.. سميحه الآن غيرها سابقا، وابنتاها متعلقتان بها، يعنى لن تغادرهما إلا إذا كنـت على استعداد لتخصيص سكن لهن، ووجودها معك فى مكان واحد وهى طليقتك فـيه حرمانـية بحسب الشرع، فلماذا لا تردها إلى عصمتك، وبذلك يصبح كل منكما أنت وأخـيك تجمعان زوجـتين فـى عصـمة كل منكما فى وقت واحد، ولا يصبح أحدكما خير من الآخر، تساويتما فى عدد الزيجات ثلاث لكل، فلتتساويان فى عدد من هن على ذمة كل منكما، اثنتان لكل منكما."

الســـيدة لـــم تقـــل ذلك إلا عندما وجدت من مصطفى بعض الميل والحنين للمرأة التى تـــزوجها لمدة طويلة قبل أن تتمرد عليه لاشتغاله " بالسباكة " كى يدبر للأسرة كريم العيش بعـــد أن وجدها أكثر ربحا من أى عمل آخر، فسألها مصطفى عن صفيه، وهل تقبل بوجود ضـــرة لهـــا بعد أن أنجبت له الولد الذى كانوا يتمنونه، وكيف ستتقبل أن تشاركها فيه أنثى أخـــرى، خاصة وأن سميحه أجمل وأفضل من الناحية النسائية المطلقة، لكنه لم ولن يجد من هـــى أفضل من صفيه زوجة له وأما لأولاده منها أو من سميحه، لكن والدته طمأنته من هذه الناحـــية وتعهدت بأن تتولى هى ذلك بنفسها، وأخذت منه المواثيق والعهود أن يكون تعامله بيـــن الاثنتيـــن بـــالعدل الذى أمر به القرآن والذى كان يتبعه الرسول مع زوجاته، وهكذا تم لمصـــطفى وســـميحة الـــزواج، وسط فرحة باقى آل الخوجة وسعادة ابنتيها، لولا مسحة من الحـــزن انتابت مايسه تذكراً لأمها، الزوجة الوحيدة لمصطفى التى لم تُطلَّق لكنها غابت عن هـــذا التجمع العائلى الجميل الذى شمل الزوجات كلهن، ولم تخف هذه المسحة الحزينة على مصطفى، حيث سارع إليها يبثها حبه وتعاطفه وحنانه ومحبته، حتى يمسح عنها كآبتها.

كما أن صفيه لم تستطع أن تخفى تضررها من هذه الزيجة رغم موافقتها عليها، ولكنها كانـت موافقة المغلوبة على أمرها، إلا أن مصطفى لم تخف عنه هذه المشاعر فاقترب منها يحـتويها بكل حبه لها، حتى أفاقت من همسات الشيطان وتذكرت كم هو متمسك بها حبا أو عطفـا، المهم أنه لا يرضى لها إلا بكل الخير والسعادة، فماذا تطلب أكثر من ذلك؟ تذكرت تصرفاته مع سميحه قبل أن يهديها الله إلى الأسلوب الإسلامى فى التعامل مع الجميع بحسب مـا ورد له مـن تقاريـر وبحسب ما يجدونه منها منذ أن قدمت من اليابان، وتيقنت من أن مصـطفى لـن يقبل من سميحه إلا التعامل الطيب مع الجميع، والذى طلقها وهو سباك، لن يتورع عن تطليقها وهو فى هذا الثراء والجاه، يشار إليه فى جميع المجالات، ويحضر رئيس الجمهورية لعيادة زوجة أخيه فى المستشفى ولتوجيه الشكر له ولآل الخوجة جميعهم على ما قدمـوه لمصـر، بل إنه كان كثيرا ما يتصل به للسؤال عنه وعن أفراد أسرة الخوجة وعلى وجه الخصوص سهير المرعشلى.

وأصـبح كـل مـن الأخوين متساويين فى عدد الزيجات – ثلاث لكل – وكل منهما له زوجتان، ومريم هانم ترصد بعض ما يعتلج فى نفس كل من الضرائر بشىء من التفاكه الذى يزيل أى كآبة أو حزازات قد تتراكم فتصبح كوارث نفسية وعصبية، وكانت تعمل جاهدة ألا يصل أى من هذه التفاهات إلى زوج أى منهن، مما رفع الحرج عن أن تدلى أى منهن لمريم هـانم حماتهـا بما قد تعتبره معاناة من تصرفات ضرتها فتهون الأم الرؤوم من تلك الأمور لتصـهر الجمـيع فـى بوتقة حب واحدة لا لزوج ولا لأولاد منها ولكن للجميع، وكان لهذا التصـرف من جانبها أما لهم ما أراحهم من القيل والقال الذى تتعمد كل زوجة عكننة زوجها به كلما خلا لها.

وأصـبح تعـامل الجميع مع ولدى صفيه سواء شريف الذى والده أسامه أو محسن ابن مصـطفى بكـل الود والمحبة وكذلك الأمر مع ابنتى مصطفى من سميحه مريم ومها، حيث أصـبحت سميحه بتفاكهها الدائم وتخليها عن غطرستها وانصهارها فى عائلة الخوجة بكل ما تحملـه هـذه العائلة من محبة للجميع، واحتوائهم لها فى كل الأمور مما أشعرها أنها واحدة منهم تتجاوب مع الجميع فى مشاكلهم وفى أفراحهم، وأصبحت الزوجة الحبوبة التى ترفع عن

زوجها معاناة العمل الشاق الذى بدأ يعانيه منذ أن انتهت أموال أشجار البروتين، وتتسابق مع صفيه فى تقديم كل ما يؤكد حبها وحرصها على الجميع، أما سعيد.. فقد كان سعيداً بزوجتيه ســهير وكلــير.. بالرغم من ميله الشديد لكلير، وانصهر جورج وجورجيت مع باقى أطفال العائلة وعلى الأخص مريم ومها حيث أنهما فى عمر قريب من عمرهما، فضلا عن المعاملة الممــتازة الــتى كانــا يــنعمان بها من جميع أفراد العائلة، فلا تمر لحظة دون السؤال عن سعادتهما، وأثناء الطعام يتسارع الجميع فى خدمتهما، وسعيد الذى نصب من نفسه والداً لهما عوضا عن والدهما الذى فقداه فى مزرعة البروتين، كان لا يألو جهداً فى إسعادهما وخاصة قــص القصص وقراءة الروايات لهما قبل النوم، وكانت كلير تنظر إلى معاملته له وتتعجب، فقــد كانت أفعاله تزيد كثيراً عما كان أسطفان يفعله لطفليه، وكانت تظن أن محبة سعيد لهما هــى نتيجة طبيعية لمحبته لها، لكنها اكتشفت أنها محبة حقيقية، فاللعب والملاطفة والاهتمام باحتــياجاتهما، لم يكونا أمامها فقط، ولكن كثيراً ما تفاجأ به وهو يذكرها بهما وبطلباتهما فى محــلات التســوق، ويسارع لتلبية تلك الطلبات حتى قبل أن يفصحا عنها، ولم يكن هذا هو تصرف سعيد فقط، ولكن مصطفى أيضاً ومايسه وصفيه وسميحه كذلك، للدرجة التى جعلت كلــير تطلــب منهم التوقف عن تدليلهم على هذه الصورة، فهى تريدهما أقوياء فى مواجهة الزمن، وتعاملهم معهما بهذه الطريقة سوف تفسد قدرتهما على تحمل شظف العيش إذا ما جد الجد، فبادرتها الجدة مريم:

- " إنهما أولادنا يا كلير.. ولا تنسى أن لكل صغير هنا أب وأم ماعداهما وشريف، لذلك وأنت تعلمين ذلك جيداً أن الإسلام يحث على معاملة اليتيم معاملة خاصة يكفيه فقده لأحد والديه أو لكليهما، فهذا حقهما على كل مسلم.. "

أمــا مايســه.. فقــد بــدأت تعليمهما الكاراتيه وفنون الدفاع عن النفس، حتى تمكنهم من مصــارعة الزمان إذا ما جد الجد، بالطبع مع أختيها مريم ومها، فالقاعدة الأساسية أن لا يكون هناك تفرقة فى المعاملة مع أى من الموجودين فى بوتقة عائلة الخوجة كباراً كانوا أو صغاراً.

٢٥ – الغواصة الكبيرة

قام المهندسون والفنيون بالقوات البحرية بفحص الغواصة الكبيرة التى قفزت من أعماق البحر فجأة حيث كانت تحمل معظم إن لم يكن كل من بقى على قيد الحياة من أعضاء المنتجع الأجانب فقط، وشاركتهم مايسه بالتقنيات العالية التى جلبتها معها من اليابان بالإضافة إلى النوت بوك الذى لا يفارقها، والتى تمكن برامجه من معرفة تفاصيل ما يخفى من أسرار الصناعات الحديثة.

وجدوا الغواصة قد جهزت بتجهيزات حديثة جدا ومبتكرة، حيث ربما كان المخطط لها أن يتم تجميع غير العرب والمصريين فيها لإخراجهم من منطقة الإشعاعات فى حالة شن هجوم نووى على مصر أو على أى من الدول العربية فى المنطقة، بحسب ما هو مخطط للاستيلاء على خيرات هذه الأمة التى بدأ فيها الإسلام ضعيفا فقيرا رغم وجود الثروات تحت أقدام المسلمين، لكن إرادة الله ألا ينتصر الإسلام عن ثروة أو قوة، وإنما بالحكمة والموعظة الحسنة، وتكفيه شهادة أحد مفكرى النصارى الذى يرفض أن تسمى غزوات الرسول بهذا المسمى باعتبار أنها كلها كانت دفاعا وليست هجوما، وذلك فى مجال بحثه ليثبت أن الإسلام لم ينتشر بالسيف.

وقد أثبتت الفحوصات الفنية والكمبيوترية أن الغواصة تم تحصينها ضد الإشعاعات أو أية آثار مدمرة لهجوم نووى، فقد غلف الجسم من الداخل والخارج بالرصاص الواقى من الإشعاعات، وجهزت من الداخل بحيث يمكن إعاشة أكثر من مائة ألف إنسان، ولمدة غير محدودة، حيث زودت بأجهزة لإنتاج الأكسجين والهيدروجين والبحث عن تيارات المياه العذبة فى البحار والمحيطات وجلبها وتحليلها وإعدادها للاستخدام البشرى، بالإضافة إلى الأجهزة المتطورة جداً لتحلية مياه البحر وإعدادها للاستخدام، كما وجدت الأجهزة والتجهيزات التى يمكنها تدبير كميات من الطعام الذى يمكن إعداده من الطحالب البحرية والأسماك والصدفيات، وكذلك أنشئت مزارع الخضراوات المتعددة بالغواصة لتجديد الأكسجين بشكل طبيعى إضافة إلى ما يتم إنتاجه من التحليل الكهربائى لمياه البحر وذلك بفصل الأكسجين عن الأيدروجين، كل ذلك دون أى جهد يذكر من البشر، أما عن

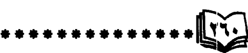
الأيدروجيـــن والأكسجين، فإنه قد تم مد مواسير تجلب مياه البحر إلى جهاز تحليل كهربائى يـــتولى فصــــل ذرات الأكسجين والأيدروجين من المياه المالحة، فتسقط الأملاح ويتم تخزين الأكســـجين فى الاسطوانات التى تمد الغواصة بالأكسجين مما يجعله متوفراً بصفة مستمرة، وبالنســـبة للأيدروجيـــن فإنـــه يـــتم تعبئته فى الاسطوانات التى تمد المطبخ ومولدات الطاقة بـــالـــوقود، ويســـتخدم الملـــح الـــناتج بعد تحليله فى الأغراض الغذائية والطبية المختلـــفة، وبالنســـبة للمـــياه فإن الغواصة مجهزة بمجسات تمكنها من اكتشاف أنهار المياه العذبة التى تتخلل تيارات المياه المالحة فى البحار والمحيطات وتجذبها أينما كانت بأساليب مبتكرة، فيتم تحليلها للتأكد من خلوها من الأمراض والميكروبات والشوائب ولتخليصها مما يكون قد علق بهـــا مـــن أمـــلاح، ثـــم تضخ فى شبكة المياه داخل الغواصة، والغواصة مجهزة كذلك بعدة تجهـــيزات تمكـــنها مـــن حصر كمية كبيرة من الأسماك وجذبها داخل الغواصة لتوضع فى حـــوض خاص يتم اصطياد وتجهيز الكمية اللازمة لإطعام الموجودين بالغواصة للمدة التى يحددهـــا المختصون، ويتم تجهيز هذه الأسماك آليا بحيث تكون معدة للأكل خلال مدة زمنية تقاس بالدقائق، وكذلك الأمر بالنسبة للطحالب والأصداف وحيوانات وخيرات البحر الأخرى، وذلـــك حتى يكون هناك تنوع فى الطعام فلا يشعر المقيمون بالغواصة بالملل، كما تم تجهيز الغواصة بجميع وسائل التسلية، وبخاصة الرقيق الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ومن كل الألـــوان والجنســـيات والأشـــكال والأجـــناس، أما عن الملابس.. فقد لا يحتاجها المقيمون بالغواصة، فقد كيفت بالقدر الذى لا يشعرون فيه بالبرد أو الحر، مما يؤكد على أن التخطيط أن يكون المقيمون فى هذه الغواصة جميعهم عراة.

كما اكتشفت القوات البحرية مخزنا بالغواصة تم تجهيزه وحشر فيه أكثر من مائة امرأة وصبى، من جنسيات وأعراق مختلفة يتم تدريبهم على فن الدعارة وإمتاع أعضاء المنتجع أو المقيمين بالغواصة،وكلهم تقريبا من مدمنى الشهوة المحرمة، وقد تحيرت السلطات فى معرفة وســـيلتهم فـــى إدخـــال هـــذا الرقيق الأبيض إلى المنتجع، هذا إلى جانب العديد من المعامل والتجهيزات والعيادات والأجهزة التى يمكن بها المعالجة من أى مرض أو حادث مهما كانت خطورتـــه.. حـــتى نقل الأعضاء، وباختصار يمكن القول بأن الغواصة جهزت لتكون قارة مـــتكاملة بذاتها، فقد زرعت بها الحدائق الوارفة والزهور الباسقة والخضراوات والفواكه من

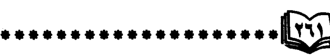
جميع القارات وفى كل الأوقات بالإضافة إلى البحيرات الواسعة بأعماقها المختلفة حتى تكون مناسبة للسباحة لكل الأعمار والملاهى التى تقدم فيها جميع أنواع الفنون التى يمكن اعتبارها مشروعة وكذلك وغير المشروعة.

الشيء الوحيد الذى لم تكن الغواصة مجهزة به هى أماكن العبادة لأى من الشرائع التى أنزلها الله أو التى ابتدعها الإنسان، وخروجهم عرايا من الغواصة يفسر كم الفساد الذى خطط لــه أن يستشرى فى هذه المدينة،فالمسألة لا تقف عند حد مدير المنتجع ولا حتى عباس قللى، إن هــذه الأمور يتم التخطيط لها على مستوى دولى، تماما كما هو الحال مع التقسيمات التى يــتدبرها الســبع أو الثمانى الكبار فى لقائهم السنوى، وغالبا ما يدفع ثمنها العالم الثالث الذى كتــب علــيه أن يكون فى خدمة هذه الدول السبع أو الثمانى وغيرها من الدول التى تحظى برضـــائهم عــنها، وتبكى الأعين على فقر هذه الدول، بينما لو أن الدول الكبرى تركتهم فى حـــالهم لكانوا أفضل شأناً، وما المعونات والإكراميات التى تلقيها الدول الكبرى للدول الفقيرة فإنمـــا هى مما يفيض عن حاجة تلك الدول أو من بقايا موائدهم ولا تمثل إلا جزءاً يسيراً من ثــروات الشــعوب الفقــيرة التى تستولى عليها الدول الكبرى وتنهبها بأقل الأسعار بالتعاون والتواطؤ مع من يضعونهم كحكومات وحكام.

وقررت القوات البحرية ضم الغواصة إلى أسطول الغواصات المصرى، على أن تكون فى خدمة البحث العلمى للتعرف على المزيد من التقنيات التى تشتمل عليها ومحاولة الاستفادة منها فى حياتنا العملية البسيطة، حيث منعت عنا تلك التقنيات الحديثة واعتبر تهريبها جريمة تعاقــب علــيها الــدول التى تحاول ذلك، وحكم علينا ألا يتفوق أى من مواطنى تلك الدول والمصريين على وجه الخصوص فى أى مجال من المجالات العلمية أو الرياضية، ومن يبز مــنهم يــتم الإجهاز عليه إما بحادث قتل يموت فيه أبطال الرياضة أو العلماء، أو على أقل تدبــير مــع استعمال الرأفة يكون الحادث مدمرا لقدراته، هذا إذا فشلت محاولات الاستحواذ علــيه بالاغراءات المالية وخلافها، ذلك إن لم يتمكنوا من خطفه أو فشلوا فى تجنيده وتسخير هذه القدرات لخدمتهم، المهم ألا يعود ناتج قدراته ومهاراته على الشعوب الفقيرة بالفائدة.



أســـرع خبراء الذرة المصريين بإجراء جميع أنواع التحاليل للتعرف على طبيعة المواد المشـــعة التى بداخل الحاوية التى عطلت أعمال الهدم فى قصر المرعشلى، وتبين أنها نفس التحالـــيل التى توصلت إليها مايسه باستخدام حاسباتها الآلية، وأنه يمكن عمل عشرات القنابل الـــنووية مـــنها، والعجيب أن الغواصة كانت تحتوى على تجهيزات ومعدات تمكن من عمل القنابل والأسلحة النووية، فأصبح من اليسير على علمائنا عمل تلك القنابل، ولكن هناك الكثير مـــن المحاذير، أولها التهديد الذى تروع الدول الكبرى به من يمتلك أية تجهيزات نووية من الدول الصغرى إلا بتصريح لهم بذلك، فقد حرمتها على الدول العربية والإسلامية كلها بدون استثناء، وصرحت بها لإسرائيل والهند وباكستان، كل ذلك وفقا لما تقدمه الدول من تسهيلات للـــدول الكـــبرى صاحبة الأمر والنهى، فهل ستقبل هذه الدول أن تقوم مصر الإسلامية التى تجاور إسرائيل بإنتاج قنابل ذرية؟ وثانيهما كيف سيتمكن العلماء من تجربة ما يتم إنتاجه من قنابل ذرية وأين؟ لكن القرار كان إنتاج القنابل ثم يتم النظر فى كل مشكلة بحسب حدوثها.

وبـــدأ إنتاج أول قنبلة ذرية مصرية، تم إنجاز هذا العمل الجبار فى زمن قياسى، فالإرادة المصـــرية أقـــوى من أن تقهر، وتحقق المعجزات فى جميع المجالات لو توفر للبشر مقومات مهمة، دأب بعض الحكام على تجريد الشعب وحرمانه منها، بغض النظر عن النتائج التى كانت تظهـــر فـــى تكيُّف الشعب أو هروبه من كل مشكلة تواجهه، أو أن يتم الالتفاف على القوانين والقـــرارات التى تظهر سذاجة مصدريها قبل أن يتبين منها كم الاستخفاف بعقلية الشعب، وهذه قضـــية أخرى.. المهم أن العديد من أبناء الشعب المصرى لا تظهر عبقريتهم إلا أمام التحدى، ويكفيـــنا فخرا انتصارنا فى حرب رمضان رغم كل ما كان يصادفنا من عقبات وموانع، فضلا عـــن الـــتلويح بما يروع قلوبنا من مجرد الاقتراب من تجهيزات ومعدات العدو التى وضعها.. عقـــبات تتلوها عقبات، مواسير نابلم فى عمق مياه القناة يمكن للهيبها صهر المعادن على سطح المـــياه، يـــتلوها تل ترابى ضخم يصعب على أعتى الجيوش اجتيازه، ثم خط بارليف الذى هو عـــبارة عن نقاط حربية حصينة يصعب على أى جيش اجتيازها، فضلا عن القوات المتمركزة بعـــد خـــط بارلـــيف، وصـــدق الله العظيم  ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ..﴾ .

تـــم إنـــتاج القنبلة النووية الأولى، وظهرت أولى العقبات، كيف يمكن تجربتها حتى يتم الســـير قدمـــا فـــى إنتاج المزيد من تلك القنابل؟ وعكفت مايسه ضمن فريق علماء الذرة فى مصـــر على دراسة جميع الاحتمالات، فوجدوا أن الشيء الوحيد الذى قد يوقظ شياطين الشر ضدنا هو قوة الصوت الصادر عن الانفجار وانتشار الإشعاعات، فبدأت الدراسات والأبحاث لـــتلافى هذيـــن العنصرين فى القنبلة المنتجة حديثاً، وتحقق الإنجاز الهام وهو القضاء على الإشـــعاعات وإنتاج قنبلة نظيفة لا يتخلف عن انفجارها أية إشعاعات، وكان هذا فى حد ذاته إعجازاً عجزت الدول الكبرى عن تحقيقه، بعدها ماذا يهم من شدة الانفجار، أو مكان التفجير طالمـــا لـــن يترتـــب عليه أية إشعاعات، أما عن مكان التفجير، فقد أجمعت الآراء على أن الفضاء الخارجى فيما وراء خط الأوزون هو أفضل مكان للتفجير، وطفت المشكلة الكبرى.. كيف يمكن إطلاق القنبلة إلى هذا الفضاء الخارجى، وتم الاستعانة برجال إنتاج الصواريخ فى أواسط القرن العشرين، وتذكر رجال المخابرات الذين كانوا شباباً فى تلك الحقبة، ما قاموا به مـــن تحقـــيق مع أحد مهندسى الصواريخ الذى نشر بحثا عن إنتاج صاروخ أسماه " الرماح العـــربى " مداه أكثر من أربعمائة كيلو متر، بعدها أعطيت الإشارة لتجارب إنتاج الصواريخ بالاســـتعانة بخبراء الصواريخ الألمان، حيث توقفت التجارب لفشل التحكم فى التوجيه، وقام أحـــد المهندســـين المصـــريين الشبان بإجراء التجارب للتعرف على أسباب فشل التحكم فى التوجـــيه، وخـــرج بنتـــيجة هامـــة وهى أن جسم الصاروخ غير متوازن، وكان هذا كفيلاً باستشـــاطة غضب كبير الخبراء الألمان الذى قرر عدم الذهاب إلى منطقة التجارب ما لم يتم اســـتبعاد ذلـــك المهندس الشاب من المشروع، ونزولا على رغبته تم استبعاد الشاب، بعدها نشرت الصحف الأجنبية والمصرية اعترافات اثنين ممن تم التعاقد معهم كخبراء، حيث تبين أنـــه تم تجنيدهما جواسيس لإسرائيل، كيف؟ والمشروع كله تحت إشراف المخابرات الحربية برئاســـة مديـــرها اللـــواء..، ثم بعد ذلك تبين أن جميع الخبراء جواسيس لإسرائيل بما فيهم كبـــيرهم، بالـــرغم مـــن الخطابات الملغومة التى كانت توجه باسمه وأصيبت بها سكرتيرته الألمانية، وتوقف المشروع بقيام حرب ٦٧ والهزيمة المروعة التى منيت بها القوات المسلحة نتيجة خيانة القيادات، وبعد فشل إطلاق أى من تلك الصواريخ التى كلفت مصر الملايين من العملات المصرية والأجنبية مما أدى إلى ندرتها وسميت بالعملة الصعبة.

وضـــعت هذه الحقائق أمام المسئولين، حيث تقرر استدعاء مهندس الصواريخ المصرى الذى نشر الدراسة عن الرماح العربى عام ١٩٥٨.

كان قد جاوز السبعين عاماً، فقد الكثير من نشاط وحيوية الشباب، لكنه لم يفقد المعلومات الـــتى كانت تمثل له كنزاً ثميناً لا يقدر بثمن، وظل عمره كله فى انتظار هذه اللحظة التى يتنبه فيها المسئولون إلى أن أمر الله لم يكن بشراء ما يمكننا شراءه من قوة ومن رباط الخيل لنرهب بـــه الأعداء، ولكن يجب علينا أن نعد القوة ورباط الخيل، يعنى ننتج ونصنع الأسلحة والعتاد لا شـــراءها مـــن الـــدول الأخرى التى تعرف كل شئ عنها وليست فى حاجة إلى جواسيس ولا مفتشـــين يدّعـــون تبعيتهم للأمم المتحدة والحقيقة لا يعلمها إلا الله والراسخون فى العلم، ولولا إبعاد الخبراء الروس عن مصر فى حرب رمضان ربما ما كان الانتصار حليفنا، وإن حدث.. فسوف ينسب إلى هؤلاء الخبراء، ونسينا أن النصر من عند الله، ونسينا قوله سبحانه وتعـــالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ﴾.

مـــا أن طلـــب منه الاشتراك فى مشروع إنتاج صاروخ مداه إلى ما بعد خط الأوزون، حـــتى شمر عن ساعديه، وجمع من تم جمعه لمساعدته فى مشروعه، واستدعى رفاق الدرب مـــن كـــبار الســـن الأحـــياء الذين عاصروا حلمه وعملوا معه، وقام الفريق بقيادته بالبحث والدراسة إلى أن تم التوصل إلى نواة يمكن منها الانطلاق لتحقيق الأحلام والله المعين.

تـــم إنـــتاج أول صـــاروخ يصل مداه إلى ما وراء الأوزون، وتم إعداد العدة للإطلاق، ووضـــعت جميع الافتراضات وأولها تنبه الجميع إلى هذه الحقيقة.. أن مصر تمتلك صاروخا يصل إلى هذا المدى، فتم الاعتماد على الله سبحانه وتعالى والكتمان، وأطلق الصاروخ بنجاح مـــنقطع النظير، ولم يتم الإعلان عن ذلك، وظهرت صحف العالم فى اليوم التالى تعلن عن قـــيام إحدى دول الشرق الأوسط بإطلاق صاروخ يصل إلى هذا المدى، وظهرت صور هذا الإنجاز الضخم فى جميع الفضائيات العربية والأجنبية، ومصر تلتزم الصمت من جانبها حتى تصـــور الجمـــيع أنـــه صاروخ إسرائيلى، حيث سعدت إسرائيل بالخبر لكن الغيرة والحسرة تعتصـــر قلـــب مســـئوليها ليقيـــنهم أنه ليس صاروخهم الذى أنفقوا عليه المليارات، ذلك أن الإطـــلاق تـــم من قاعدة تم إخفاؤها بدقة وتكتم فى صحراء سينا من مكان قريب لإسرائيل،

وحـــاز هـــذا الاستنتاج رضا المسئولين المصريين، وتلا ذلك بعد عدة أيام إطلاق الصاروخ الـــثانى محملا بالقنبلة الجديدة، وتم تفجيرها فى الفضاء الخارجى فيما وراء الأوزون بمئات الكـــيلو مترات، ومع إعلان إسرائيل عن عدم مسئوليتها عن هذه الصواريخ وتلك القنابل... قامت الدنيا ولم تقعد بحثا عن الدولة التى تجرأت وأنتجت هذه التقنيات التى حرمت عليهم.

لكـــن مـــع الـــثقة فى الله سبحانه وتعالى، وسهولة إنتاج المزيد من الصواريخ والقنابل، أصـــبحت التهديدات غير ذات موضوع، فيما عدا ما تم توجيهه مباشرة من تهديدات بضرب مصـــر بالقـــنابل النووية، والرعب الذى أصاب اليهود فى فلسطين من هذه الأخبار، ونزوح الكثيريـــن مـــن اليهود ممن تغلبوا على هاجس القتل على أيدى الانتحاريين الفلسطينيين إلى خارج فلسطين وخارج الدول العربية المحيطة بها، حتى الذين زرعوا ليكونوا عملاء دائمين للـــيهود فى الدول العربية وعلى الدين الإسلامى بجنسيات تلك الدول وربما فى مراكز اتخاذ القـــرار فـــى تلك الدول، إلا أن مصر لم يصدر عنها أية تعليقات على هذه التهديدات، وهذا الموقـــف لم يكن له سوى معنى واحد، وهو أن مصر لا تخشى التهديدات، فقد تمكن العلماء المصـــريون مـــن إنـــتاج المزيد من المعدات التى تمكن من إحباط أى هجوم نووى أو غير نـــووى، لـــيس هذا فقط، بل إنهم استطاعوا الوصول إلى التجهيزات الخاصة بمخازن القنابل الـــنووية ليس فقط فى أمريكا وإنما فى جميع الدول التى تمتلك أسلحة ذرية، وكانت تهديدات القاعدة التى أقلقت عملياتها أمريكا قد وصلت ذروتها، فاتجهت الأنظار إلى أن تنظيم القاعدة



هـــو الـــذى أطلـــق الصاروخ الحامل للقنبلة التى لم يستطع أحد من تلك الدول التعرف على طبيعـــتها، انفجار هائل مدمر بدون إشعاعات، ومن ثم فقد صدرت الصحف ووسائل الإعلام كعادتهـــا تنســـب تلـــك التفجيرات لتنظيم القاعدة والمنظمات الإسلامية التى يلحقون بها أية عمليات إرهابية حتى قبل إجراء أية تحقيقات، وقد أدى ذلك إلى أن يقوم العاملون بالمشروع على تطوير العمل دون مضايقات سياسية تزعجهم أو تثير بعض المخاوف.

إلا أن مايســـه خرجـــت على الجميع باقتراح تم الموافقة عليه فورا، وهو أن يتم إثارة الرعـــب فـــى قلوب مواطنى تلك الدول التى تثير الرعب فى قلوب الدول الضعيفة، فأطلقت بعـــض الذبذبـــات عن بعد لتفجير مخازن القنابل النووية فى تلك الدول كلها فى وقت واحد،

فانطلقـــت صفارات الإنذار الخاصة بالحروب النووية، واتجهت النخبة من أفراد الشعوب فى تلـــك الـــدول إلى المخابئ النووية التى مكنتهم قدراتهم المالية من الاستعداد بها لذلك، وكلها تحـــت الأرض، وأجهزة التصوير ترصد كل ما يحدث وكأنهم جرذان يهرعون إلى الجحور مـــن أول لمســـة خطر، يا لها من نفخة كذابة ونعرة جهولة تلك التى يتباهى بها القوى على الضـــعيف، فقـــد جاءهم من يعلمهم الخوف أخيرا وهم الذين كانوا يرعبون الضعفاء ببأسهم وقوتهم عن بعد، لذلك لم تترفق مايسه بهم فتوقف صفارات الإنذار بل ظلت ذبذباتها موجهة إلى تلك المخازن لعدة أيام، نفذ خلالها مخزون الطعام والشراب والأكسجين من تلك المخابئ، وصـــمتت أبـــواق الفسق والفجور، وما أن أوقفت مايسه بث الذبذبات حتى انطلق أفراد تلك الشـــعوب الذيـــن فروا إلى المخابئ خوفا ورعبا وهلعا – ذاقوه بعد أن جعلوا شعوب الدول الأخرى يتجرعونه مرارة وحسرة وأسى – إلى المحلات التجارية والأسواق لتخزين الطعام، ولما كانت ما تقدمه تلك الأسواق من مواد غذائية ومستلزمات حياة قد تلفت نتيجة تركها عدة أيـــام دون كهرباء ودون تبريد حيث تم توجيه كل الطاقة الكهربائية للمخابئ، ولما نفذ وقود المحطات الكهربائية لعدم وجود البشر الذين يشغلونها بدأت المعاناة من ارتفاع درجة الحرارة فـــى تلـــك المخابئ، وكذلك تلفت الأطعمة لتوقف الثلاجات والمبردات عن العمل لعدم وجود تـــيار كهربائى لتشغيلها، واتجهت تلك الدول تستجدى الطعام من دول العالم الثالث، وانقلبت الموازيـــن، فـــالدولار والـــيورو اللذان اكتسحا عملات دول العالم الثالث، أصبحا بدون قيمة تقريـــبا خارج حدود بلديهما وربما داخلها أيضا، وأصبح الإنسان الفرد من دول العالم الثالث أكـــثر قـــوة وأفضـــل من مواطنى تلك الدول، وبدأت النعرات العنصرية تطفو على السطح خاصـــة فـــى أمـــريكا، حيث انضم الزنوج إلى الهنود الحمر باعتبارهم الأقلية المستضعفة، وتحقق لهم النصر على الأغلبية المرفهة، فاستتب لهم الأمر وقرروا المطالبة بإبعاد الجنسيات والأعـــراق الأخـــرى، ونجحوا فى إعادتهم إلى الدول التى قدم أجدادهم منها سواء كانت فى أوربا أو غيرها، وعادت أمريكا ملكا للهنود الحمر السكان الأصليين لتلك البلاد يساعدهم فى ذلـــك الزنوج، وكلا الطائفتين كانا من المستضعفين فى أمريكا، كما قام السكان الأصليون فى اســـتراليا بالسيطرة على تلك القارة، وكذلك الأمر بالنسبة لجميع الدول ذات النزعات العرقية وأولهـــا فلســـطين والشيشان وأفغانستان والبوسنة والهرسك، وإعجابا من شعوب تلك الدول



بالتنظيمات الإسلامية التى كان الاعتقاد السائد أنهم السبب فى تغلبهم على أصحاب النعم من أثـــرياء الدول التى كانت تسمى كبرى أو غنية، حيث أنهم بمجرد سماعهم لصافرات الإنذار انطلقـــوا جمـــيعا إلى المخابئ النووية هربا من هولها وهم الذين ابتكروها وصنعوها وملكوا العـــالم بـــالخوف مـــنها، تاركين البشر من هذه الأعراق ليلاقوا الهلاك مصيرا طبيعيا لعدم الاحتماء من الإشعاعات أو الدمار، فقد بدأوا يتفهمون الإسلام، ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا، فسبحان الله مقلب القلوب والأبصار.

وزيـــادة فـــى الـــتطور، فقـــد توصلت مايسه مع فريق العلماء إلى تحديد مراكز القوة المغناطيســـية للعمد التى رفع الله بها السماء عن الأرض والكواكب الأخرى والتى لا نراها، ووضـــعت مايسه نظرية أن عروج الرسول عليه السلام إلى السماء ربما كان باستخدام هذه العمد، ذلك أن الله سبحانه وتعالى هو مسبب الأسباب، وأمره كن فيكون، فما كان أهون عليه سبحانه أن يأمر فيكون محمداً أو غيره من الرسل أو أى من خلقه فى حضرته دون براق أو إسراء، ولكن كل شئ بحساب.

وبالتوصل إلى أحد أقطاب هذه الأعمدة، تم استخدامها فى إطلاق أحد التجهيزات العلمية المعقدة إلى الفضاء الخارجى حيث تم تجهيزه بمعدات وأجهزة تمكن من رصد القطب الآخر مكانـــاً وزماناً، وقياس كل ما يتعلق بالحرارة والرطوبة إن وجدت وكل ما يحيط بهذا المكان مـــن ظـــروف وقياســـات، وتـــم إجراء التجارب على أكثر من موقع، وتم تجربة إعادة هذه التجهيزات إلى الأرض بنفس الطريقة، ومع النجاح الساحق لهذه التجارب، تم الاستغناء عن الوقـــود الـــذى كانت تزود به الصواريخ فى إطلاقها إلى الفضاء الخارجى، وإلى أبعاد تصل إلـــى مســـافات سحيقة فى الفضاء تقاس بالسنوات الضوئية، كما تم الإعداد لإرسال بشر إلى بعـــض الكواكـــب التى أثبتت الدراسات أنه يصلح إعدادها لاستقبال البشر وتمهيد الحياة لهم فترات محددة من الزمن تمكن من إجراء الدراسات والتعرف على الإمكانيات وتحديد الفوائد التى تعود على البشر بالخير والبركة، حالما تطورت لتصبح مدداً غير محددة.

طالـــب الشعب الهندى الأحمر والزنوج فى أمريكا بهدم تمثال الحرية فى نيويورك، فقد فقَـــدَ معناه منذ ما قبل طرد الأعراق الأوربية من أمريكا فضلا عن أنه يعتبر صنما قد يعبده

الخلف، فقرروا هدمه، فتمكن فريق العلماء المصرى يساعده علماء من جميع دول العالم، من توجـيه معـدات تسليط الطاقة الشمسية التى كان الاتحاد السوفيتى قد وضعها فى مدار حول الأرض لأغراضـه العسكرية الاستعمارية، وذلك بعد تركيزها بالقدر الذى يذيب الحديد فى لحظات، وكان هذا رادعا للأفذاذ من علماء دول أوربا فى التفكير فى محاولة تسخيرهم للقيام بمـد قـوى الشر بمعدات دمار يعيدون بها هيبتهم فى العالم، وتعود القوة للمستضعفين الذين مكـنهم الله سبحانه وتعالى من دحر هؤلاء الطواغيت، وحصرهم فى مكانهم الطبيعى بالجهل والفقـر الذين كانا حليفاً لهم قبل الاستفادة من دراسات واكتشافات علماء الإسلام فى العهود المشرقة، عندما كان أمراء المؤمنين يلتزمون بمفاهيم الإسلام وتعاليمه، فكان نصر الله حليفا لهم، وتفهم خنازير البشر لهذه الحقيقة فكان لابد من التغلغل داخل فكر هؤلاء القادة لإغراقهم فـى الفسـق والفجـور، وعندما كانوا يعجزون عن ذلك خصوصا فى الدول التى هداها الله للإسـلام، فأصبحت تلك الهجمات اليهودية غير ذات معنى عند الولاة لوجود من يردعهم من علمـاء الديـن وأفراد الشعب المتفهمين لقواعد الدين الإسلامى الذين كانوا يقفون حائلا دون حـدوث مثل هذه الترهات، ذلك أن اليهود كانوا يعدون الولاة من صنعهم، وذلك بزرع بنى جلدتهم فى هذه الدول ويظهرون الإسلام دينا لهم، ولكنهم يعملون وفقاً لما خططه لهم هؤلاء الخنازير، فقاموا بصنع مصطفى كمال أتاتورك فى تركيا، وكوهين فى سوريا، والله يعلم من غيرهم فى دول أخرى تشير النتائج أن ما قام به هؤلاء الحكام لم يكن فى صالح تلك الدول، حـتى مـا صفق له الجميع وهللوا له من أعمال كان الجميع يعتقد ببطولة منفذيها وهى فى الحقـيقة قـنابل مؤقتة للدمـار، لا تظهر إلا بعد حقبات من الزمن يكون المسئولون عنها قد طواهم النسيان بعد أن تعودت الشعوب على تمجيدهم، ولله فى خلقه شئون.



٢٦- البداية

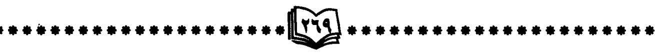
بعـد أن استعاد كل ما انتهى من أحداث خلال الأيام القليلة الماضية، وجد مصطفى نفسه يسـتلقى بمـرارة علـى " التتامى " الذى أعدته له مايسه لتذكره بأمها وباليابان، وإذا به يتذكر الـرجل الأعرابى الذى فر مذعورا عندما رآه مع مجموعة رفاق الرحلة فى بداية الكشف عن هـذه الحجـارة ليسـألوه عن الطريق، بعد أن ظنوا أنهم قد ضلوه عندما أطاح زلزال ١٩٩٢ بسيارتهم بعيداً عن الطريق المسفلت إلى منطقة لم يستطيعوا التعرف على طريق للخروج منها، لولا ذلك الأعرابى الذى ما أن رآهم حتى تملكه خوف وفزع وكأنما هم شياطين أو جان.

وفزعـت مايسه وهى ترى والدها ينهض كما لو أن جانا مسه، ويأمرها بالتجهز للسفر فـوراً معـه هو وهى فقط، لم تسأله إلى أين؟ فهى تنفذ الأوامر بمجرد صدورها من والدها، وقد يعنُّ لها أن تسأل، ولكن بعد أن تتجهز كما أمرها أبوها، لذلك.. ما هى إلا لحظات كانت قد تجهزت خلالها فهى دائما على استعداد لأى طارئ، لكنها حاولت أن تستمهله إلى الصباح، ظنـته تذكـر الـيابان ومزارع البروتين فى اليابان، لذلك هو على أهبة الاستعداد للسفر إلى الـيابان، لكن قرار الخروج ليلا.. لا يمكن أن يكون لليابان، فاليابان تذاكر سفر واستعدادات هـنا وهـناك، وهـى لم تسأله إلى أين؟ فلم تتعود على مراجعته ما لم يخبرها هو.. لكنه لم يخبرها، ومع رفضه الشديد لفكرة الانتظار حتى الصباح، حاولت مايسه بطريقة ذكية – حتى لا تشـعره برفضـها أو عدم رغبتها – أن تشرك معها باقى عائلة الخوجة وبخاصة والدته، وهـو يصر على السفر مع مايسه فقط وليلا.. فانصهر قرار جماعى للعائلة بما فيهم والدته على الذهاب معه إلى آخر الدنيا مادام لا يريد أن يفصح عن المكان الذى يرغب الذهاب إليه هـو ومايسه فقط، فخضع أخيرا وجلس يطلعهم على الأمر، فقرروا السفر معه جميعا، وأنهم لن يتركوه مرة أخرى وحيدا مع هذا الهاجس الذى أقلق العالم كله، وما زال صداه يتردد فى جميع وسائل الإعلام، فمن مزايا الغرب أنهم مهما حاولوا إخفاء فعلهم لشيء مخز، فلا يمكن أن يكون ذلك إلى الأبد، دائما لديهم هاجس عدم الكذب – وفى الإسلام لا يكون المؤمن كاذبا – يقولون أن الصدق هو أساس التعامل وهو أساس الحياة، لذلك كل ما ارتكبته حكوماتهم وربما أى واحد منهم من أخطاء أو آثام يتم الإفصاح عنه بعد مدة قد تطول أو تقصر بحسب جسامة

الحـــدث أو أهميته القومية، حتى تدبير اليهود للثورة الفرنسية، لم يستطيعوا إلا أن يعلنوه بعد فـــترة، ربمـــا كنوع من التفاخر أنهم صانعو الثورات فى العالم، وبالطبع لم يخف على العالم صـــناعتهم للـــثورة البلشـــفية، ذلك أنه من المعروف جيدا أن كارل ماركس مؤسس النظرية الشيوعية.. يهودى، وهكذا..

عـــادت إلـــيه ذكـــريات السـفر والرحلات، فاستعد وأخوه سعيد كلٍ بسيارة دفع رباعى، وجمعوا الزاد والزواد، وحيث أن معهما النساء فإن ذلك يزيد الأمر تعقيدا، حيث لابد من إعداد كميات أكثر من الطعام ومن كل شئ عما كان يعوزهم بدون نساء، فوضعت الثلاجات الحافظة الــتى تم تعبئتها بكل أطايب اللحوم والأسماك والطيور والخضراوات المجمدة وغير المجمدة، وتقـــرر اصطحاب مخلص.. ذلك الكلب الذى اكتشف لهم الحجارة، وهو أيضاً الذى ساعد فى الـــتخلص مـــن هذه اللعنة، كان هم مصطفى أن يصل إلى ذلك الرجل الأعرابى... ولا يدرى كـــيف ســـيحدث ذلـــك؟ رجل من ملايين البشر فى مساحة تقدر بملايين الأفدنة.. كيف يمكن الوصول إليه؟ لكنه اعتمد على الله وعلى حاسة الشم عند مخلص علها لم تذبل أو تزول.

وحـــط الركـــب رحاله، ونصبت الخيام، وانطلق مخلص يستكشف المكان، فهو يعرفه، تعرف على سابق بوله على الجذوع الجافة للنخيل الذابل، ووصل إلى تلك النخلة التى تتوسط بركة المياه التى تخلفت عن الأمطار، وجدها على حالها والأمطار التى ربما كانت طازجة قد أحاطـــتها ببركة كبيرة من المياه، وثمار البلح ما زالت كعادتها تتدلى، منها ما هو ذابل ومنها ما هو طازج ربما بأكثر مما كان فى المرة السابقة، لم يخش مصطفى عليه الغوص فى بحر الـــرمال العظيم، لأنه منذ المرة السابقة فقد ثبت له أنهم بعيدون عن هذا البحر، ونبح مخلص عـــدة صيحات كأنما ليثبت لمصطفى أنه على قيد الحياة، وربما يريد أن يرسل إلى مصطفى رسالة تفيد أنهم فى المكان الصحيح، فنهض مصطفى ملبيا، وحاول سعيد النهوض معه لكنه اســـتبقاه، أمره أن يكون إلى جانب العائلة فى حالة عدم وجوده، حيث لا يجوز تغيب الاثنين عـــن العائلة فى وقت واحد.. فجلس، لكن مايسه نهضت سريعا فهى تعرف ما يجول بخاطر والدهـــا بمجـــرد التفكير به، ووجدت أن مخلص قد سبقها فى مسح المكان بحواسه الطبيعية، وهى لم تمسح المكان بأجهزتها الإلكترونية، فصحبت معها النوت بوك الخاص بها والذى لا



يفارقهـــا، وبـــدأت تشغيله بأجهزة وبرامج الاستشعار وبالاتصال بالأقمار الصناعية، وحددت مكان مخلص، بل وحددت أقرب مسجد لهم على بعد خطوات، وخلفه قرية بكاملها.. همست فى أذن والدها:

- " نحن نستطيع تحمل البرد والبقاء ليلا فى هذا الفلاة، لكن مريم ومها ومحسن وشريف وجورج وجورجيت.. وماما مريم. لا يمكنهم ذلك.. "

وتركـــت له تقدير الأمور كعادتها، فهز رأسه موافقا، واتجها إلى المسجد بعد أن نادى على مخلص بطريقته الخاصة التى أعجبت بها مايسه فحاولت جهدها أن تقلده، والعجيب أن مخلص قدم سريعا يتلوى بجسده، فاتجهوا إلى المسجد أولا.. وبحديث بسيط مع إمام المسجد بعـــد الصلاة.. تعرفا على ما يجب عليهم فعله، إنه كبير القرية القريبة من المسجد حيث يتم استضـــافتهم، ثم لهم أن يسألوه ما بدا لهم سؤاله عنه، دلهم على الطريق وودعهم، فعادا إلى باقى أفراد العائلة وتم طرح الاقتراح عليهم بين أن يبيتوا ليلتهم فى القرية أو أن يقضوا ليلتهم فـــى هذا المعسكر حيث الناموس والبرد، فوافقوا على الذهاب إلى القرية وبيات ليلتهم هناك، إلا أن كلير خريجة الفرير وجورج وجورجيت حيث ما زالا يدرسان بها، فضلوا قضاء ليلتهم الأولـــى على الأقل فى المعسكر، فقد استهوتهم فكرة " الكامبنج " وأخذا يعيدان فيها ويزيدان، كـــم سيكون لهذه الرحلة من أثر جيد على أجسامهم وعقولهم، وخيالهم الذى بدأ ينطلق شعرا، وكأنمـــا للصحراء كل هذا التأثير فى خروج مئات وربما الآلاف من الشعراء العرب، لكنهما أضـــافا إلـــى ذلـــك استنشـــاقهم للهواء النقى الصافى.. لا تلوث ولا إزعاج وأسرع جورج وجورجيـــت – يتـــبعهم مخلص – يجريان فى الصحراء ويفتحان ذراعيهما لمزيد من الهواء بيـــنما تـــبعهم شريف وهو يتدحرج بوزنه الذى يزيد كثيرا عن سنه، وجدته المرعشلية تتبعه حيـــث يذهب، بينما خرجت كلير لترعى أولادها، وخرجت صفيه لتتمشى وقد حملت محسن على ذراعيها، وخرجت مريم ومها ومعهما سميحه، ثم تبعهم باقى أفراد العائلة للتمتع بضوء القمر الذى كان بدرا، وهواء الليل الذى تكسبه لمسة خفيفة من البرودة لسعة جميلة يستشعرها مـــن يحاول تحريك جسده هرولة أو رياضة أو لهوا، وهكذا كان الجو العام للمجموعة، ولم يخل الأمر من مفاكهة أراد بها مصطفى أن يحرج أخاه ممازحة لفرط زيادة وزنه، فأخذ حبلا وربطه فى النخلة ذات الثمار وبسرعة تصعّدَها وأخذ يقطع من الثمار ويسقطها لكى يلتقطها

أخــوه ســعيد، وكانــت هذه هى الطريقة التى اتبعها مصطفى لأنه يعرف تأثيرها على أبناء وبنات البندر، فحاول أن يساهم كل بدوره كنوع من أنواع السباقات، إلى أن حان دور سعيد، والكــل يشجعه على ألا يكون محصوله أقل من أخيه، لكنه بصعوبة وزنه استطاع بالكاد أن يصل إلى الثمار، ولما وجد مصطفى أن الإنهاك قد أخذ من أخيه مأخذه أمره بالهبوط، وطلب مــن مايسه عمل التحاليل له، فطمأنته إلا من بعض زيادة فى الدهون الثلاثية، وشخصت له الحالــة ووصفت الدواء الذى كان متوفرا معها، مما أثار حفيظة النساء، فأصررن على تعلم هذا النوت بوك للتعرف على برامجه العجيبة.

لكــن مايســه الــتى لديها الكثير من كل شئ، خرجت على الأطفال بفكرة ذكية حالما انــتظموا فــى مجموعة أمامها، وبدأت تصدر إليهم الأوامر تعلمهم الكاراتيه، وبسرعة بدأت بوادر الإجادة حتى أنها اشتبكت مع جورج فى صراع شبه حقيقى، فقد سبق أن داومت على تدريــبه الــذى كان يسعى إليه بكل ما يملك من وسائل المواظبة، ولم تبخل عليه مايسه، فقد وجــدت أن هذه هى الوسيلة التى يمكن بها المساهمة فى كفالتها يتيماً، لكن أمه أسرعت إليه وفــى ذاكرتها ما شاهدته عن صراع مايسه مع أشرار اليابان الذين حاولوا اختطافها، فهدأت مايســه مــن حالة الخوف التى انتابتها، وأفهمتها أن صراعها معه نوع من التدريب لكليهما، بيــنما صفيه التى تهتم بأمور الأسرة ومعها سميحه ومريم هانم، كن قد أعددن طعام العشاء، وتحولقــت العائلــة فــى دائرة... وجلس الجميع أرضا، وقبل أن تبدأ معركة الطعام، أعلن مصطفى اعتراضه أن يكون طعام العشاء المتأخر على هذه الصورة، وأعلن أنه يريده طعاما طازجــا مــن خيرات الصحراء، وفهم سعيد مقصده، لكن مخلص كان قد سبقه، ونبح نباحه الذى لا يفهمه إلا مصطفى فأسرع إليه حيث الصيد بين يديه، أرنبا بريا كبيرا، أخذه مصطفى وتفحصــه أولا، يجب ألا تكون حاملاً أو مرضعةً، فأمر بالسكين وكبر الله على بهيمة الأنعام وذبحــه، وأطفــال العائلة يلتفون حوله، حاول جورج وجورجيت تحويل نظرهما أثناء الذبح والسلخ بينما خافت مريم ومها وأسرعتا داخل الخيمة، لكن مصطفى الذى أراد أن تكون هذه الرحلة دروسا، أخرج الجميع وبيَّن رحمة الله بالناس أن ذلل لهم بهيمة الأنعام طعاما طيبا لهم شــريطة ذكر اسم الله عليه، وذلك بالتكبير على البهيمة أثناء الذبح، وأن يكون السكين مناسبا وحامــيا، ويجب ألا يظهر أحد جزعه أو خوفه أو أن يبكى، وبين لهم فوائد الذبح عما يتبعه

الغــرب مــن وسائل الصعق الكهربائى أو القتل حيث تبقى الدماء المجمدة التى نهى الإسلام عــنها لما تأتى به من أمراض لم يعلم بها الغرب إلا قريبا، وسارع بسلخه وسلمه صفيه التى بــدأت بتقطيعه، فأمر الأطفال بجمع الحجارة وصنع كانونا تولى جورج إشعاله وتولى سعيد أعمــال الشــواء، وكأن مصطفى يريد أن يفهمهم أن الصحراء لها طقوسها، ولا بد للكل أن يشارك فى هذه الطقوس حتى لا يتحمل المشقة شخص واحد بينما ينعم الباقون بالراحة.

أذن المــؤذن لصـــلاة الفجر.. سمعه الجميع رغم بعد المسجد عنهم، فقام سعيد بالآذان ونهض الجميع للوضوء، واصطفوا للصلاة يؤمهم مصطفى، ووقف جورج وجورجيت وهما يــريان أمهما تصطف مع المصطفات ليصلين، لكن بقية من حرج منعتهم، ولم يرغمهم أحد فالدين لله والوطن للجميع، لكن كثير اختلت بهما بعد الصلاة وبدأت معهما رحلة الإيمان.

بعد ذلك الوقت الذى ملئ بالنشاط واللعب والرياضة والتعلم، تحولق الجميع حول سهير المرعشلى التى أفاضت عليهم بما لديها من قصص لا تنتهى ومغامرات شيقة أعجبت الكبار قبل الصغار، وخلد الجميع للنوم عدا مخلص الذى أظهر همته لحراستهم أثناء النوم.

اجتمعت العائلة للإفطار المتأخر فقد ترك الجميع لأنفسهم النوم إلى أن يتم النهوض بعد أن يكــون الجســم قد حصل على راحته كاملة، وأثناء تلك المأدبة التى أعدتها نسوة العائلة بحيث تشتمل على أنواع طعام الإفطار وبعضا من أنواع طعام الغداء، فوجئ الجميع برجال يحــيطون بهم وقد ظهر خيلاؤهم فوق الخيول، فنهض مصطفى مغاضبا، واستشعرت مايسه الغضـــب فـــى صوت أبيها وهو يدعوهم لتناول الطعام معهم، وأغاظها أنهم لم يأبهوا لدعوة والدهـــا، بـــل إنهـــم زادوا على ذلك أنهم ظلوا وهم على ظهور الخيل ذهابا وإيابا فى دائرة حولهم، لم يحترموا آداب الطعام ولم يشاركوهم، وذلك دليل على العداء، فدخلت مايسه سريعا ودعـــت جـــورج ومريم وجورجيت ومها وباقى النسوة، وشرحت لهم الأمر ببساطة أخافتهم أكـــثر ممـــا أغاظتهم، لم يبق أمام الرجال سوى مصطفى وسعيد فقط ومخلص الذى لم ينته نـــباحه الذى بدأه بمجرد ظهورهم فى الأفق، حاول زعيم العصابة ردعه لكن مصطفى نبهه إلـــى أنه مدرب على الهجوم على من يحاول ذلك، فارتدع، وبينما مصطفى فى أخذ ورد مع زعـــيمهم وسعيد يبدى تغيظه زفرات تحرق مديرية بكاملها، قامت مايسه برسم خطة الهجوم

علـــى هذه العصابة وطمأنتهم أنها بعون الله قادرة على دحرهم جميعا بمفردها، ولكنها تريد لهم جميعا الاشتراك فى هذا الدفاع المشرف عن الكرامة والحرية والوجود، ورسمت لكل من أفــراد الأســرة من النساء والأطفال عملهم، جورج سيتولى جذب الخيالة من أحصنتهم كلما ســنحت له الفرصـــة، كل ما عليه هو التعلق بقدم أى منهم ولا يتركه حتى يسقط، وسميحه وكلـــير ستتوليان رجمهم بالحجارة لإلهائهم عن العراك بقليل من الدهاء، وصفيه التى تعرف جـــيدا أساليب العراك بالعصا، ستمسك بالهراوات الغليظة التى يحرص مصطفى دائما على توفــرها بالسيارات التى تظل جاهزة لأية طلعة سفر، وما عليها إلا أن تهوى بها على رأس كـــل مـــن يسقط من هذه العصابة الغوغائية عن حصانه أو يحاول الاشتباك مع أى من أفراد العائلة، أو يحاول استخدام أسلحة نارية أو غير نارية، فنهضت سهير هانم على سنها ووهنها تعـــترض أن تتولى صفيه فقط هذا الأمر فهى صعيدية أيضا وقد تدربت على استخدام جميع أنـــواع الأسلحة النارية والأنثوية وغيرها كثير، فالأعمال الفدائية التى كان والدها يكلفها بها تســـتلزم تدريـــبها التدريب الجيد، وأول وأهم هذا التدريب هو التدريب على استعمال العصا دفاعـــاً وهجومـــا ورقصـــاً ربما بأكثر مما تعلمته صفيه، وأبت إلا أن تشارك مع صفيه فى الإجهاز عليهم، أما مريم هانم فقد سلمتها مايسه مجموعة من الحبال التى يحرص أبوها على تواجدهـــا مع العصى وأدوات ووسائل أخرى بالسيارات، وشرحت لها طريقة بسيطة وفعالة لتقييد كل من يغيب عن الوعى منهم، وتعجبت النسوة من احتفاظ مصطفى بكل هذه المعدات معـــه، وأكبرن فى مايسه تعرفها لهذه الوسائل وكيفية الاستفادة منها فى عراك غير متكافئ، بينما لقنت مايسه جورج بعض أعمال القتال التى تؤثر جدا دون أى مجهود يذكر.

حـــاول مصـــطفى مع الجماعة التفاهم بالعقل واللين، لكن الكلام لا يجدى، حتى أنهم لم يعلـــنوا عـــن طلـــباتهم، لكـــن الواضـــح أنهم يريدونهم ترك كل شئ والرحيل الفورى غير المشـــروط، هكـــذا أشـــار من يظهر من تعاليه أنه زعيمهم، ولم يكمل مصطفى رفضه لهذا الـــتعدى الصـــارخ على الحرية حيث لمح الاستعدادات التى قامت بها مايسه، فأومأ لها ببدء المعـــركة، ومـــا أن قفـــز مصطفى على ذلك المتغطرس الذى يبدو أنه الزعيم وأسقطه عن حصـــانه، ومع أول محاولة من الثانى مرتبة فى العصابة لرفع سيفه ومهاجمة مصطفى حتى فوجـــئوا بمايســـه تنطلق كالإعصار وقدمها مركزة على رأسه فأطاحت به كاللعبة وامتطت

حصانه والتقطت السيف الذى كان يشهره، وما أن هوت به على أحدهم حتى حاول الآخرون الفــرار، لكــن مخلص الذى تصدى لهم بنباحه لم يمكنهم من ذلك، فقد سبقهم محذرا من تلك المحاولـــة، وكى يثبت لهم جدية تهديده قفز هو الآخر على أحدهم وأوسعه عضا حتى أسقطه عــن حصـــانه، ولـــم يبق إلا سعيد الذى وجب عليه أن يثبت جدارته لزوجتيه، فانقض على أحدهــم ولـــم يتركه إلا بعد أن سقط عن حصانه، وتشجع جورج فقام بنفس الشيء مع آخر متــبعاً نفــس الأسلوب الذى لقنته له مايسه، وركزت باقى النسوة على رجم حجارتهن على الباقين، ولم يسلم كل من يسقط منهم عن حصانه من العصيات الغليظة التى أسقطتها كل من سهير وصفيه على رؤوسهم، فاستكانوا مذعورين كالجرذان، وتولت مريم هانم تقييد الأيادى بــدأت بكبيرهم الذى كان فى ذهول من القوة التى أسقطه بها مصطفى، وكذلك الأمر بالنسبة لمــن يلــيه، حيــث لــم يســتطع أن يــتمالك نفسه من قوة الركلة التى وجهتها مايسه إلى رأسه،وإحدى النساء على رأس كل من سقطوا وقد شهرت تلك العصا الغليظة التى تستخدمها قــوات فض الاشتباك، شكلها يغنى عن فعلها ،فيستسلم المعتدى بكل الخوف الذى يتملكه بينما تــتولى مــريم هانم أعمال تقييد الأيدى أولا، وجورجيت ومريم ومها تقييد الأرجل، وسميحه وكلير تحملان من الحجارة ما يكفى للقضاء عليهم جميعا.

فوجئت العائلة بالجماعة وقد تم تقييدها جميعهم، فجلس مصطفى يكمل طعامه وكأنما لم يحــدث شـــئ، فتــبعه باقى أفراد العائلة، وأثناء الطعام طلب مصطفى أحد قيادات الشرطة لإرســـال مـــن يقــتاد هذه الجماعة إلى السجن، وهم يسترحمونه أن يتركهم، مع تعهد بعدم الــتعرض له، لكن مصطفى لا يهتم بتعرضهم له، فقد أعد العدة واعتمد على الله وعلى عائلة الخوجـــة، قاهـــرة قطـــاع الطـــرق، وجاءت الشرطة واقتادتهم إلى السجن، بينما وقف كبير الشـــرطة يشـــكر مصطفى أن قدره الله سبحانه على التغلب على هذه العصابة الشريرة، فقد دأبـــوا على ترويع أهل البادية كلهم، حتى أنهم كانوا أحد أهم أسباب عدم توطين الزراعة فى المـــنطقة، فهـــم يفرضون الإتاوات على كل من يحضر ليزرع فإذا لم يرتدع، قاموا بالحرق للمحصول والقتل للمواشى حتى يهرب المستثمر بجلده بعد أن يكون قد خسر كل شئ، وكأن الصحراء كلها ملكهم لا يريدون لأحد أن يشاركهم فيها وكأن البلد بلا قانون يحمى الجميع.



وســارع أحــد الجــنود الذين حضروا مع مجموعة الشرطة ليزف الخبر لأهالى قرية العامليــن بالخليج سابقا، حيث قدمت جماعة من أهل القرية المجاورة للمسجد، وتقدم كبيرهم إلــى مصــطفى بالشــكر علــى تخليصــهم من هذه المجموعة الشريرة التى هى واحدة من مجموعات لا يدرون من أين يأتون، وأكبر الظن أنهم يقدمون من الدول المجاورة بتشجيع من بعض المستنفذين المصريين الذين استباحوا كل شئ.. الأرض والعرض والمال والدم، فأعلن مصطفى أنه من الضرورى التصدى لهم، لكن كبير القرية قال له:

- " نحن مجموعة من العائدين من دول الخليج، عدنا بعد أن أصبح أبناء هذه البلدان قادرين على القيام ببعض ما كنا نقوم به وكانت عقودنا تنص على ضرورة تدريبهم عليه، فوجدنا أننا فقدنا كل ما ادخرناه لمستقبل أولادنا، فى شركات توظيف الأموال وفى شركات مساهمة أو غيرها من الشركات والمؤسسات والأعمال التى أسسها مؤسسوها للاستيلاء على أموالنا، حتى القرى السياحية والأراضى الزراعية.. أغلبها أعمال نصب الهدف الأساسى منها الاستيلاء على أموالنا، أعلن أحد هؤلاء النصابين عن بيع تلك المنطقة وتقدر بحوالى ألفى فدان، والفدان بثمن يكاد يكون مشجعا للتعاقد خاصة وأنهم سيسلمونه لنا مزروعا وبه مصادر المياه وكل متطلبات الحياة، فتوكلنا على الله وتعاقدنا، وعندما حان وقت التسليم ولم نجد أعمالاً تدل على الصدق فى التنفيذ، ذهبنا إلى وزارة الزراعة وتحققنا من أنه لم يتم تخصيص الأرض لتلك الشركة، ووجدنا من المسئولين كل التشجيع لنا على الزراعة فى هذه المنطقة وبأسعار تكاد لا تصدق مع تسهيل عمليات التخصيص والتسجيل فتعاقدنا وتم التخصيص لنا، وقمنا بحفر أول بئر، وفوجئنا بانه لا يلزمنا الكثير لحفر البئر فضلا عن أن اندفاع المياه من باطن الأرض لا يحتاج إلى طلمبات أعماق أو خلافه، وهكذا بدأنا الزراعة والإنتاج الحيوانى الذى هو أهم من الزراعة، وذلك لتسميد الأرض والحاجة إلى الحليب الهام لتربية الأطفال ولنا، وبعد أقل من شهر كانت المنطقة كلها خضراء فتم تحرير عقود الملكية، وأقمنا المبانى على هضبة صخرية عالية فى وسط الأرض تقريبا، ولا يعمل فى الأرض سوانا نحن ونساؤنا وأبناؤنا، ومن يتخرج طبيباً يصبح معالجاً لنا، ومن يتخرج مهندساً يبنى لنا بيوتنا التى هى فى حقيقتها فيلات صغيرة تكفى العائلة مع إمكانية التعلية لتستوعب الأبناء والأحفاد، وقد كفانا هذا تلاعب

أصحاب من أطلقوا على أنفسهم اتحادات ملاك أو إيجارات وفقا للقانون الجديد أو حتى القانون القديم الذى أصبح الكثير من المستاجرين يتمسكون به فيغالون فى طلب الخلوات لمن يريد أن يتمتع ببعض مزايا ذلك القانون الذى حابى المستاجرين وحرم الملاك من التصرف فى أملاكهم بالمخالفة للدستور ومواد القانون المدنى. •

- وحيث أن المنطقة مليئة بالنخيل الذى يصنع ثمره عجوة، والعجوة تحتاج إلى مجهود بشرى كبير فضلا عن أن التصنيع اليدوى لها يجعلها مليئة بالشوائب فلا نستطيع منافسة ما ينتجه الغرب، فقد قررنا إنشاء مصنع لإنتاج العجوة ، ونحن الآن بسبيلنا لإنشاء ذلك المصنع، حيث قام فريق من أبنائنا خريجى الهندسة بتصميم جهاز بسيط نستبدل به الجهد العضلى، وقام باقى الأبناء جميعهم بالاشتراك فى تصنيع القطع الخاصة باكثر من آلة.. وهكذا بدأت عبقريات أبناء المصريين القدماء فى إفراز ما طمس من عبقريات تعمدتها عقود وعهود لم يكن الهدف منها سوى إبقائنا أذلاء للغير سواء عاملين فى دول الخليج أو الدول الأوربية أو غيرها، انتظاراً للقادم الأعظم من الغرب ليملكنا عبيدا لا نعمل إلا بلقمتنا.

- وقد لاحظنا ذلك بمجرد عودتنا من دول الخليج، هذه الدول قلما تجد فيها إنتاجاً خاصاً بها، كله تقريباً مستورد من جميع دول العالم، لكن للحقيقة فإن أقل القليل الذى ينتجونه له مكانته عندهم ويفضلونه على أى شئ سواه، فمثلا " الفقع " وهو نوع من أنواع الفطر الذى ينمو تلقائيا فى باطن الأرض بالصحراء، تجد أسعاره تفوق الخيال لأن الإقبال عليه يفوق الخيال أيضاً، بل إن النسوة هناك يتفنن فى طهيه باكثر من طريقة، حتى أنك لا تستطيع أن تفرق بينه وبين اللحم، ونحن نستخرج هذا الفقع من الصحراء هنا ونصدره لهم، لكنه يباع باسعار تقل كثيراً عن أسعار الفقع الذى يستخرجونه من صحرائهم، وكذلك الأمر بالنسبة لعسل النحل الذى يتولون تربيته فى بلادهم فهو الأفضل لديهم رغم سعره الغالى جداً، وفى مصرنا العزيزة الغالية.. بلد الخير والعطاء.. وجدنا أن كل شئ تقريباً مستورد، ومعظمه من أمريكا، القمح والمياه الغازية والدخان والسجاير كلها تقريباً من أمريكا، فماذا بقى للفلاح المصرى؟ هكذا خُطط للعرب والمسلمين يا سيد مصطفى، والكل يفضل الإنتاج الأجنبى ما عدا غير القادرين، وهذا



معناه أنه بعد عدد من السنوات، سوف لا نجد قوت يومنا، ولن يجد أبناؤنا أعمالاً إلا فى مؤسسات يملكها مستثمرون أجانب، فهل تقبل أنت أو أى رجل عنده نخوة أو شهامة أو رجولة أو دين أن يعمل لدى أجانب فى بلده..؟ ألم يكفينا أننا كنا نعمل كأجانب فى الدول الأخرى !! لذلك وتحسباً لليوم الذى لن نجد فيه قوتنا اليومى.. لم نجد أمامنا إلا أن نزرع طعامنا ونربى ماشيتنا ونتوسع فى الزراعة أو الصناعة مع ما ننجبه من أولاد حتى لا يصدمهم الواقع الآتى مع ندرة الأرض الزراعية وتحويلها إلى حجارة وأسمنت.. "

ومـــا أن علـــم أهل القرية بمن يكون مصطفى وسعيد الخوجة حتى بالغوا فى إكرامهم، تأســف كبيرهم على ما بدر منه لمصطفى، فقد ثبت له أنه أكثر وطنية مما كان يظن، ودعاه لمشاركتهم فى استزراع ألف فدان إلى جوارهم، وسوف يتولى هو وباقى أهل القرية معاونتهم فى كل شئ، الزراعة والتسجيل والخبرة والتسويق، وكل ما يتعلق بهذه الزراعات من مجهود أو خـــبرة، وســـعد مصـــطفى وبـــاقى آل الخوجة بهذا العرض السخى، وقام جورج ببعض الحـــركات الراقصـــة تعبـــيرا عـــن سعادته، وهو يردد كلمات الفرح بأن يكون له حصانه وجاموسته والأرانب التى قرر الإشراف المباشر على تربيتها، ونهج باقى الأطفال على نفس الـــنهج. يالها من سعادة أن يقطف المرء ثمار الفاكهة من الشجرة مباشرة فيمرر عليها الماء ويلـــتهمها شاكراً لله نعمته، أو أن يقوم بجمع ما يحتاجه بيته من خضار أو فاكهة طازجة لم تتلفها الثلاجات أو أعمال التبخير والتصنيع المختلفة، والحليب الطازج بخيره، ولحوم الأرانب أو الدواجن دون تلاعب التجار.

لكـــن مصطفى فوجئ بمخلص وقد وقف أمام رجل ضئيل الحجم تقوقع على نفسه يأكل كما يبدو شطيرة أو شيئا من هذا القبيل، فنظر مصطفى نحو الرجل، فقال كبير القرية:

- "هذا هو الحاج محمد المعالج بالأعشاب وبالطب العربى والمصرى القديم، كبر سنا وركدت بضاعته فما عاد هناك من يهتم بها حيث يطلقون عليها شعوذة، وكلنا يعطف عليه."

فحدق مصطفى فيه قليلا، فوجده ضالته، جلس إلى جواره وسأله:

■ " ألا تذكر أيها الرجل الطيب أنك هربت منا أثناء جمعنا لتلك الحجارة الملعونة عند النخلة المثمرة قرب طريق العلمين، وأنك أنت الذى كنت السبب فى خروجنا من تيه الصحراء وأرشدتنا إلى الطريق التى توصلنا إلى بر الأمان..؟"

فهز الرجل رأسه إيجابا، فسأله مصطفى عن أسباب هربه فقال الرجل بصوت متكسر ومتهدج:

■ " يا بنى.. هذه الحجارة بقايا أشجار ملعونة، والمنطقة كلها ملعونة، لقد كنا نقيم الأفراح ونعقد مجالس العرب ونذبح الذبائح فى هذه المنطقة، وفوجئنا بهذه الأشجار تنمو فيها وتترعرع، وكنا نسعد بما نقطعه من أفرع ونحرقها فتخرج لنا بخورا كما هو رائحة اللحم المشوى، وعندما حضرت جيوش الحرب من الغرب، وكما تعلم فإننا دائما ما نقول ما يأتى من الغرب لا يسر القلب، فكانت هذه الغابة من الأشجار الوارفة الظلال، مكاناً آمناً لارتكاب الفاحشة بينهم وبين بعضهم أو مع ما يحضرونه من نساء خصيصاً لهذه الأغراض الدنيئة أو ما يتجاسر أى منهم باختطافه من نسائنا، حيث كان عقابنا لهم شديد فضلا عن عقاب الله لهم بتسليط هذه الأشجار عليهم حتى قضت على أكثر من جرؤ ودخل هذه الغابة، خاصة بعد أن هجرناها نحن، وقل ما كنا نذبحه فيها من ذبائح، فقرر الغرب اللعين إبادتها، فسلطوا عليها خراطيم نيرانهم، لكنها لم تجد نفعا، فألقوا عليها سوائل ما أن تلامسها حتى تضرم النيران فيها ولا تتركها إلا فحما ورمادا، لذلك فقد كنا نطلق على هذه المنطقة أرض الشياطين، وحيث أنه لم يخرج من هذه المنطقة أحياء، فقد أرعبتمونى عندما رأيتكم فيها، فقد ظننت أنكم شياطين.. هذا كل ما فى الموضوع.."

فسأله مصطفى عن بضاعته التى ركدت، فقال الرجل:

■ " إن الله خلق لكل مرض دواء من الطبيعة، ولا تنس أن الحيوانات هى التى أرشدت الإنسان إلى النباتات فى معالجة معظم الأمراض، والأعشاب أفضل كثيراً من الكيماويات الضارة التى يبتدعها الغرب ليبيع لنا بضاعتنا مصنعة ومغلفة بأشكال جميلة وبأسعار حارقة حتى يستولى بها على أموالنا وخيرات بلادنا، لكن لمن تقول ومن يسمع، لقد سيطرت المصلحة على كل شئ، حتى أن هذا الصيدلى الواقف أمامك بالرغم من معرفته التامة لأهمية ما أصفه من أعشاب لعلاج الكثير من الأمراض بدون آثار جانبية،

إلا أنه يشكك فيها حتى لا تبور بضاعته التى يتكسب منها.."

شـــعر مصـــطفى أن هذا ليس بقول رجل إعرابى ربما يكون متعلما بعض الشيء، فطلب مـــنه أن يكشف عن شخصيته، وإذا به أحد علمائنا الذين استهوتهم الصحراء، فقرر الحياة فيها والاندماج مع أهلها، فتزوج منهم وعاشرهم وكان هو الطبيب والحكيم والقاضى والكبير بينهم.

- " إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية ودمرت معها كل شئ، قضت قنابلهم على مضاربنا، وقتلت النساء والأطفال ومن لم يستطع الهروب من الرجال، وضاعت مع من ضاعوا منهم زوجتى وأبنائى وبناتى، ولم أجن سوى الحسرة، والبكاء على الأطلال، فقدت ذاكرتى فترة من الزمن حتى ذلك الوقت الذى قابلتكم فيه، والعجيب أنه بعد أن تركتكم ذهب عنى الخبل الذى عانيته، وتلقفتنى هذه الجماعة المباركة، فتعهدتنى بالعناية والرعاية، بارك الله فيهم.."

فقال له مصطفى:

- " ونحن لن نكون أقل منهم كرما.. تعال معنا لتعود إلى أهلك ومعارفك، وتاخذ ما فاتك من وقت ومن حياة.."

فاعتذر الرجل له بكل أدب، وطلب منه أن يمده ببعض الكتب التى حددها له، كى يشبع بها هوايته فى الدراسة والقراءة والاطلاع، لعله يستطيع أن يكتب بعض ما قد يفيد الخلف من بعدهـــم من تجاربه ودراساته وأبحاثه، فطلب مصطفى من كبير القرية تخصيص مكان إقامة مناسب له، وتعيين من يقوم على خدمته، وقرر أن يتحمل هو جميع التكاليف، لكن الرجل بعد أن استعاد ثقته بنفسه قال:

- " سوف أتكفل أنا بنفقاتى، بعد أن يعى هؤلاء القوم أهمية ما أقوم به من علاج لأمراضهم وأسقامهم.."

وضحك الجميع، وانصرف مصطفى مع عائلته بعد أن اتفق مع كبير القرية على كل ما يتعلق باستزراع ألف فدان من المساحة المجاورة لقريتهم.

وأثـــناء العـــودة، ألحت عليه العائلة أن يوضح لهم الهدف من هذه الرحلة المباركة التى



أنعـــم الله بهـــا عليهم بألف فدان يتم زراعتهم كيفما يشاءون، إلا أن مصطفى قرأ عليهم الآية الواحد والثلاثين من سورة الرعد حيث يقول المولى جل وعلا:

- ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾



٢٧- مزارع البروتين باليابان

حاولت مايسه تذكير والدها ببلدها الثانى اليابان، فانتهزت فرصة بداية الدراسة بالمستويات التعليمية الخاصة بمريم ومها وقالت لوالدها بدلال:

- " أظنه يا والدى من الأفضل السفر مع مريم ومها عند دخول المدارس، فقد أنهت كل منهما الدراسة فى مدرستها الحالية وستبدأ الدراسة ابتداء من بداية السنة الدراسية فى مدرسة جديدة، والمدارس فى اليابان يهمها كما فى المرة السابقة أن تتعرف إدارة المدرسة على أولياء أمور التلاميذ، الوالد والوالدة، ثم أنه من المناسب جدا أن تشعر أختاى بمدى معزة وحب أبيهما لهما، وذلك لا يكون إلا بالتواجد معهما على الأقل فى اليوم الأول للدراسة، ثم أن الترتيب لإقامتهما لمدة عام مع والدتهما يحتاج...."

فقطع عليها والدها الاسترسال فى محاولة إثبات ضرورة سفره إلى اليابان، حيث قال:

- " باكر صباحاً إن شاء الله سوف نسافر جميعا إلى اليابان، ماعدا سعيد وزوجته كلير وسهير المرعشلى وطبعا أبناء كلير جورج وجورجيت، وذلك فى الحقيقة لأن جورج وجورجيت لم يرغبا فى ترك مدرستهما، وطبعا كلير أمهما لابد من تواجدها معهما، ومن ثم عمك سعيد وبالتالى زوجته الثانية سهير هانم.. ما رأيك أيتها الذكية.. "

فهجمت عليه توسعه تقبيلا، ثم سألته بدلال عما إذا كانت جدتها مريم وطبعا ماما صفيه وشريف ومحسن سوف يسافرون معهم...وكان رده مفحما:

- " وهل تطيب الحياة إلا بوجود ماما مريم معنا.. أما عن صفيه فهذا أمر طبيعى فالزوجة لابد أن تكون مع زوجها حيثما يكون، ومادامت صفيه قادمة فلابد من حضور محسن وشريف معها، لكن لماذا هذه الأسئلة أيتها العبقرية؟ "

فقالت بعد أن أسندت رأسها على صدره:

- " أردت فقط أن أطمئن إلى أن تواجدنا فى اليابان من الممكن أن يمتد إلى ما بعد مناقشة رسالة الماجستير، وحرصى الأول والأخير على حضوركم أنت وماما مريم وماما صفيه أثناء مناقشة هذه الرسالة، أردت أن أكون وسطكم فأنتم خير من يشجعنى وأشعر معهم

بالدفء وتمدوننى بالقوة والحب، وأنا فى هذه المناقشة التى لا ترحم، فنظرات التشجيع منكم سيكون لها أثرها الفعال فى حسن أدائى، ودعاؤكم لى سيكون حافزى على النجاح.. كما وأنى أريد إهداء هذا النجاح إلى عائلتى التى أحبهم ويحبوننى..."

وشعر الأب بقلق ابنته من مناقشة رسالة الماجستير، فأصابه القلق عليها هو أيضا فتساءل:

- " هل تهابين لجنة المناقشة.. أم أنك لست على استعداد كاف.. أرجو أن تكونى قد أتممت استعدادك جيدا..؟"

فنظرت إليه ولسان حالها يقول:

- " وهل مع كل ما صادفنا ويصادفنا من مشاكل يكون الاستعداد على ما يرام؟ إن الدراسات العليا تحتاج إلى كل الجهد وكل الهدوء وكل روقان البال.. "

توقفت لبرهة ثم استأنفت عندما وجدت والدها مشرئب الآذان ليسمع المزيد من ابنته أضافت:

- "ثم أننى أريد أن تتقابل الجدتان، فالجدة سو متشوقة جدا للتعرف على الجدة مريم، واللقاء سوف يكون حاراً، فقد تعجبت الجدة سو من أننى أفضل البقاء معكم أينما شاء الله، ولم أفكر حتى فى مكالمة هاتفية للجدة سو أو أى من خالاتى إلا فيما ندر، ولأنه لم يحدث لقاء بين العائلتين فى الزيارة السابقة لأن الجدة سو كانت مريضة، وقد شفاها الله حالياً، ثم لا تنسى يا أبى أن الجدة سو لم ترك منذ ما قبل وفاة والدتى بعد أن رفضت عائلتها سفر والدتى معك أثناء مرضها إلى القاهرة للتداوى بالطب العربى والمصرى القديم، ثم رفضت سفر جثمانها إلى القاهرة بعد وفاتها لكى يتم غسله وتكفينه والصلاة عليه وفقاً للديانة الإسلامية ودفنه فى مدافن عائلة الخوجة بمصر، لكننى علمت أن تلك كانت تعليمات العصابة لها ألا تسافر وهى على قيد الحياة ولا حتى بعد الممات، لا أدرى لماذا؟ ولكنهم بالقطع كانوا يريدون أن يقوموا بمزيد من الأبحاث والدراسات، لكن العائلة صممت على حرق جثمانها حتى يفوتوا عليهم الفرصة فى إعمال المشارط والمناشير فى جثتها، ولقد حرصت العصابة أن يحضر بعض أعضائها مراسم حرق الجثة، ذلك أنهم كانوا يخشون افتضاح أمرهم لو أن الجهات الحكومية

تولت التشريح لمعرفة أسباب الوفاة، وقد تأكد لى أن المجموعة التى تم انتشالها من الغواصة هم الذين كانوا يحيطون بالمحرقة، لقد قمت بتدقيق النظر إليهم كثيرا حتى أصبح تأكدى يقينا، وصدقنى يا أبى.. أننى تصرفت ذلك التصرف الذى كان السبب فى تلاشيهم جميعهم انطلاقا من علمى اليقينى أنهم لو خرجوا من تلك الغرفة ومن ثم إلى الدنيا لعاثوا فيها فساداً يفوق كل فساد عرفه البشر.. هذه هى الحقيقة يا أبى.."

فاحتضنها أبوها واعتصرها إلى قلبه، فهو يعرف كم هى ذكرى والدتها عزيزة عليها، فهى لا تتذكرها إلا والدموع تملأ المآقى، وهو كذلك ولكن ببعض التعقل، وهى تحمد فى أبيها هذه الخصال الحميدة، لكنها فى هذه المرة وهذا ما تعجب له والدها، لم تذرف دموعاً ولم يصحب صوتها رعشة الحزن التى كانت تنتابها كلما ذكرت أمها، وشعرت بما يدور فى خلده، فأرادت أن تكفيه مشقة السؤال.. فقالت:

- " أعلم أنك تتعجب أننى لم أبك ولم يجرفنى الحزن على والدتى مثلما هى المرات السابقة، لقد تحدثت مع الجدة سو، وكشفت لى عن هذه الحقائق التى كانت تؤرقنى وتمزق على سعادة أيامى، وليس أمامى إلا أن أردد لأمى الأدعية التى علّمْتنى إياها وتلك التى أضافتها إليها جدتى مريم، ولما علمت أن جدتى سو ما زالت تحتفظ برماد جثمانها عندها فى غرفة نومها حتى لا تفارقها روحها حسب اعتقادها، وحيث أن إكرام الميت فى الإسلام دفنه، ففى نيتى إن شاء الله وأنا أعلم أنك لن تمانع، أن نحضر معنا رمادها وندفنه فى مدافن الخوجة خلف المسجد بجوار الفيلا، فإن كانت اعتقادات الجدة سو صحيحة، فلتكن روحها رحمها الله معنا نحن.. أنا ابنتها وأنت أحب الناس إليها.. "

وهنا بدأ البكاء الذى تطور ليصبح نحيبا، هون عليها أبوها هذا اللون الأسود من الحزن ورجاها أن ترحم نفسها قائلا:

- "الحزن فى القلب، وإن كانت العين تدمع.. فذلك إلى حين وليس كلما تذكرناها، ولو كان الأمر كذلك.. لما رأينا نظرات السعادة فى عيون البشر، فلكلٍ أحزانه، وكلٍ منا له أب أو أم أو أخ أو أخت أو أولاد أو زوجة ماتت ولا يفتأ يذكرها، فهل كل هؤلاء الأموات الذين سنلحق بهم ليس لهم من تدمع عيناه كلما تذكرهم، ولكن التعقل مطلوب، فليس كلما وردت الذكرى جاءت معها الدموع والبكاء.. "



كـــان كل هم مصطفى من هذه السفرة أن يعرف كيف تصرف مستر كيوكى ومجموعة خـــبراء الـــزراعة والعلـــم معه من التعامل مع ما تسببه أشجار البروتين من هلاك لكل من يقـــترب مـــنها، والأهـــم من ذلك.. ما هى الفوائد التى تعود على الشركة من الاحتفاظ بهذه الكائـــنات القاتلـــة، وبمجرد أن وصلت العائلة إلى اليابان، واستقرت فى قصرها حتى انطلق الوالد يبحث عن إجابات لكل ما يعصف بعقله من أسئلة، وجاءته الإجابات:

- " الـتجارب بـدأت مـنذ الـيوم الأول لظهـور الـبراعم، فانـت تعـلم أن الـتجدد دائـم فـى النـباتات، ونحـن نـتعامل مـع هـذه الكائـنات عـلى أنهـا نـباتات، فكـنا نـأخذ البراعم الذابلة ونطعـم بهـا الحـيوانات، لكنـنا فوجئـنا بمـا بـدأ يعـترى بعـض حـيوانات الحقـل وبعـض الحيوانات آكلة الـلحوم مـثل القطـط مـن أعـراض تآكل أحشائها . . . الكلاب فقط وباقى فصـيلتها هـم الذيـن لم يـتأثـروا بهـذه الـبراعم بالسـرعة الـتى تـأثـر بهـا باقى الحيوانات، سـجلت الأجهـزة هـذا الـتآكل بكـل وضـوح، فقمـنا بعمـل الـتجارب لـلتعرف عـلى أسـباب الـتآكل ولم نجد أمامـنا إلا أن براعم أشجار البروتين هى المسئولة عنه، فاوقفنا هذا النوع من التجارب ريثما نصل إلى الأسلوب الأمثل فى استخدام هذه البراعم كعلف للحيوانات آكلة الـلحوم بداية، ومـا هـى أسـباب تعـرض بعض الحيوانات دون البعض لهجمات هذه البراعم، وعرفـنا السـبب نتـيجة تحلـيل العصارة المعوية للكلاب، حيث تبين قدرتها على هضـم جمـيع أنسـجة تلك البراعم، قبل أن تستطيع استعادة قدرتها على التفاعل معها ومـن ثـم التغلـب علـيها وإعمـال الإنـزيمات الـتى تفرزها لتذويب جدار المعدة أولا، ثم ما بعـده مـن خلايا حيوانـية، لقـد سـجلنا كـل هـذه التجارب على أشرطة كمبيوتر، ولك أن تتصور ماذا تفتق عنه العقل اليابانى فى التعامل مع هذه الكائنات.."

ومصـــطفى ينصت باهتمام لتشخيص مستر كيوكى للحالة لكنه عندما ذكر العقل اليابانى.. عز عليه أن تضيع أبحاث وقدرات أخيه العالم سعيد الخوجة وسط تباهى هذا الفيلسوف المتحذلق الذى يحاول دائما أن يثبت أن العقلية اليابانية خير من العقلية المصرية، فاعترض مقاطعا:

- " يا مستر كيوكى.. لقد أثبت أخى البروفيسور سعيد الخوجة أن هذه الكائنات إن هى إلا فطـريات اسـتطاعت تحويـر مظلاتهـا أو أيـة أشـكال تخـرج بهـا علـينا إلى أشـجار بحجـم أشـجار الـبروتين، ولكـى تضـفى عـلى صـفاتها نسبة البروتين الحيوانى بها، أصبح نهمها

للأزوت الذى تبلور فى رغبتها فى الحصول على هذا الأزوت من الطبيعة حتى يكون طازجا، وما نموها على الدماء إلا أحد هذه المظاهر، لكن الحقيقة أن نهمها الأكبر كان للأجساد الحية بشرية كانت أو غير بشرية ، وربما كان هذا نوعاً من أنواع العقاب الذى ينزله الله وتعالى - الذى لا تؤمن أنت به - على البشر الذين يخالفون شريعته، فقد ثبت لنا أن هجوم هذه الأشجار لا يكون إلا على أعمال الفسق والفجور التى يتفنن الإنسان الكافر فى ممارستها.."

فقاطعه مستر كيوكى معترضا على عدم إيمانه بالله:

- " من قال لك أننى لا أؤمن بالله خالق الكون ومبدع الوجود.. ربما على شريعة أخرى غير الإسلام ولكنها قريبة منه، وإنما هى بقية من جاهلية وثنية تبلورت فى نوع من التكبر عن إعلان التوبة والإيمان بالله.."

وسعد مصطفى بهذا الخبر الذى تمنى لو أن مايسه كانت معهما، لكن مستر كيوكى أضاف بعد فترة الصمت التى تعمدها:

- " أنا أؤمن بالله لكن دكتور ناجا سيتو كازو هو الذى لم يكن يؤمن بالله، وليس معنى إيمانى بالله أن أقوم بنشر ذلك على خلق الله أو أن أعلق ملصقا على ظهرى يعلن هذه الحقيقة، فارجوك.. حاول أن تفرق بينى وبين الدكتور ناجا سيتو.."

وبعد فترة صمت قصيرة.. أعلن:

- " لقد توصلنا إلى هذه الحقائق، ولكن ربما كنا قد تأخرنا قليلا عنكم.. لكن هذا لا يمنع أن المعلومات التى كانت تزودنا بها مايسه أولا بأول عن الأبحاث أو التجارب التى كنتم تقومون بها، والأهم هو الإبادة العملية لهذه الفطريات وما توصلتم إليه من نتائج، كان لها أكبر الأثر فى اختصار الكثير من الوقت والجهد، لقد شكلنا فريقا علميا من أكبر أساتذة العلوم والأحياء فى اليابان لمتابعة أبحاثكم ونتائجكم، بل لقد كنا نمد مايسه بكل ما هو جديد لدينا حتى تكون هناك مشاركة فعلية بين ما تقوم شركتى الكوجة وكازو باليابان ومصر من أبحاث حول هذا الموضوع الخطير.."

وبالـــرغم من أن ما كشف عنه كيوكى عن هذا التعاون أسعده إلا أن مصطفى ظهرت عليه علامات الاستياء من أن مايسه لم تعلمه بالأمر، فهز رأسه موافقا ثم قال:

- **" من هذا المنطلق، فاعتقد أن ما أحضرته معى من أبحاث ونتائج لما قمنا به فى مصر ليست له الفعالية التى كنت أتوقعها، فهى عندكم أولا بأول.."**

ووافقه كيوكى على الشطر الأخير، لكنه لم يرد أن يحرم علماء اليابان مما قد يكون قد تم فى مصر من أبحاث لم تصلهم تفصيلاتها، فرحب بعرض مصطفى وتقبل منه هذه الهدية بكل الشكر والعرفان، مما أرضى غرور مصطفى الوطنى.

كان مصطفى قد أمر بإعداد فيلم تسجيلى يجمع بين عمليات الإبادة التى تم تسجيلها أولا بـــأول، وبيـــن ما سجلته إدارة المنتجع من بعض تفاصيل هجوم هذه الفطريات على أعضاء المنتجع والتصوير البطيء حتى يتم الإجهاز على الضحية تماما، وما تم تصويره فى مزارع البروتين بالخارج عن بعض أعمال أشجار البروتين هناك، والتحاليل التى توصل إليها سعيد لمـــا تحـــتويه تلـــك الفقاعة التى تتمخض عنها القروح التى تسفر عنها إعمال ممصات تلك الجـــذور فـــى بشـــرة ولحـــم الضـــحية، كما أن سعيدا قد ضمن الفيلم مكونات سائل الإبادة والمســـتحلب الـــذى يعالج به القروح وكذلك المرهم الذى يتم به تدليك مواقع القروح للقضاء علـــى الآثار التى من الممكن أن تتخلف عنها،فخرج الفيلم تسجيلا متكاملا منذ لحظة تعرض الضحية لممصات الجذور أو شعيرات ساق الأشجار، ونهاية بأساليب العلاج من القروح التى تـــتخلف عـــن تلـــك الهجمة المميتة بالنسبة لمن يسعدهم الحظ ويتم تخليصهم من براثن تلك الجذور أو الأشجار، مما أذهل اليابانيين وجعلهم يشيدون بعبقرية العلماء المصريين، وأنه لو أتيحـــت الفرصة لهؤلاء العلماء مثلما هو فى دول الغرب أو أمريكا أو اليابان.. لربما عادت لمصـــر حضارتها التى طمسها الإهمال، وتناولتها يد الضلال بالتحريف حتى يكون الحظ من قدر المصرى حديثا، ورويدا رويدا يستطيعون تحريف حضارته قديما فلا تقوم له قائمة، حتى يعود فرعون جديد يؤمن بالله على شريعة الإسلام فيعمل على تشريد بنى إسرائيل واستعبادهم وتسخيرهم لخدمة مصر والعالم حتى لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك، ولقامت فى مصر أفضل ما تكون الحضارات، ولظهر دور مصر الحضارى فى حل الكثير من مشكلات البشر.



واجهها بما أخبره به مستر كيوكى... فتحرجت، لكنها قالت:

- " لقد فعلت ذلك من منطلق إحداث تعاون بيننا وبين العلماء باليابان، فمع ثقتى الكبيرة فى قدرة العلماء المصريين فى التفوق فى الكثير من المجالات، لكننى على يقين من أنه ربما لا يكون معروفا لهم أحدث الأجهزة التى يمكن أن يستفاد منها فى تلك الأبحاث فتسهل العمل وتؤدى إلى اختصار الكثير من الوقت والجهد، وإنها لو وجدت فلن تتوفر بالقدر المطلوب، وتصنيعها حسب متطلبات العمل لن يكون ميسرا، وأبسطها تلك المرشات التى استخدم عمى سعيد فى صنعها ما يستخدمه رجال مقاومة الحشرات بعد أن تم استبدال الاسطوانة الصفيح بأخرى من مواد مقاومة للأحماض، وليتك تسأله عن المتاعب التى صادفها حتى استطاع أن يجد تلك الاسطوانات التى لا تتفاعل مع الأحماض، وهذه فى حد ذاتها عبقرية، والجهاز الصدئ الذى تستخدمه بعض شركات مكافحة الحشرات مملوك لشركات خاصة وليست مملوكة للحكومة، ولو أننا طلبناها من جهة حكومية، لدخلنا فى متاهات ذلك الروتين الذى تعمد واضعه أن يوقف المراكب السائرة، ولهبطت كل مقومات النجاح ومحاولة الوصول إلى نتائج بأسرع ما يمكن، ربما تمكنت جذور البروتين خلال فترة الانتظار من الوصول إلى القاهرة الكبرى، ويا لنهمها مع الملايين العشرين أو الثلاثين، ولا تنسى يا أبى أن الكثير من تداخلاتى مع عمى سعيد كانت لها خلفيات من الإجابة على بعض أسئلتى التى كنت أرسلها إلى مستر كيوكى ومجموعة العلماء معه، وفى العلم يا والدى كما فى الكوارث.. لا يسأل عن صاحب الفضل، فحتى أصغر عنصر من عناصر العمل قد يكون ذا فائدة ربما لو قيست بنسبة نقاط مساهمة كل العناصر لتبين أنها الأفضل، ولماذا نبعد.. ألم يستطع جورج مع صغر حجمه والأنيميا التى أظهرتها أجهزة التحليل التى معى والتى لم تصدقها كلير فذهبت من فورها إلى أكبر معامل التحليل فى مصر لتؤكد لها ما توصلت أجهزتى إليه.. استطاع أن يسقط أحد رجال عصابة الصحراء الذى يزيد وزنه كثيرا عن ذلك الرجل الذى تولى عمى سعيد إسقاطه عن حصانه، وأعتقد أن ما قام به جورج ربما لو حسبناها بالنقاط لفاقت ما قمت أنا به، ولعلمك يا والدى.. لقد أدخلت كل ما دار أثناء المعركة فى النوت بوك وطلبت التقييم، وكانت النتيجة ما أخبرتك به، ذلك أن الرجل الذى أسقطه جورج عن

حصانه كان أثقل العناصر وزنا، ولذلك فقد كان مكلفا بتفخيخ المكان بالديناميت وإشعال الفتيل قبل أن ينطلق الجميع باحصنتهم ليتركونا لقدرنا مع الانفجار الهائل الذى يوقظ أهل البادية على حقيقة أن هذه الجماعة لا تقهر، فيزداد بذلك نفوذها ولا تقوم قائمة لرجال القرية القريبة أو أى من القبائل فى المنطقة.."

كان ردها كافيا، فأعلن والدها الاستسلام، لكنه أضاف:

- " لا تنسى أننا لجأنا إلى السلطات الحكومية فى تصنيع صهاريج تخزين سائل الإبادة، وكانت استجابتهم لنا بأسرع مما تتوقعينه من أى من الشركات الخاصة، ثم أنك لم تطلعى علماء اليابان على كل ما قام به عمك سعيد، فهناك إضافات كثيرة لم تصلهم، وأهمها الترياق والمرهم.. "

فعللت ذلك بأنهم لم يكونوا فى حاجة للترياق ولا المرهم لأنه لم تظهر عندهم حالات امتداد الجذور أو الأشجار إلى البشر، ذلك أن الاهتمام بتلك الأشجار بدأ مع بداية الاستزراع، بمعنى أنهم لم يتركوا الأشجار حتى تكبر وتتوحش وتأتى بما حدث من أفعال سواء فى مزارع مصر أو فى الغرب، وكانت هذه فرصة أذن لوالدها أنه لم يكن هناك اهتمام كاف بمراقبة تلك المزارع التى كان هو شخصيا يشرف عليها، فلم يعلق واتجه مباشرة إلى إمكانيات الاستفادة من تلك الأشجار بعدما تبين من أخطارها، فأطلعته مايسه على بعض التجارب التى ما زالت تحت البحث والاختبار، حيث يتم إعدام الجينات الوراثية للفطر ليتم تحويل الأشجار إلى أشجار عادية مثلها مثل أية أشجار أخرى تتغذى على السماد العادى غير المخلوط بالدماء ولا المخلفات الحيوانية، وحثها والدها بالإلحاح عليها يريد معرفة المزيد، فقالت بهدوء:

- " لم تصبح أشجار بروتين، بل غدت أشجارا نسبة البروتين فيها أقل من نسبة البروتين فى أية أشجار عادية والبروتين فيها نباتياً وليس حيوانياً، وما زالت التجارب لرفع هذه النسبة وذلك بزيادة نسبة جينات الفطر إليها بالقدر الذى يبعدها عن حد الخطر.."

فسألها والدها سؤالا مباشرا:

- " وهل أشركت العلماء المصريين فى التجارب التى يقوم بها العلماء اليابانيون.. حتى

يتم الاستفادة من خبرتهم فى هذا المجال..؟ "

وتعجبت مايسه:

- " وهل يقوم العلماء المصريون بتجارب تجريد أشجار البروتين من الجينات الخطرة..؟"

لكن والدها أجابها بحزم:

- " لقد اكتشفنا فى مصر أن أفضل طريقة للتخلص من خطر أشجار البروتين هى إبادتها بنفس الطريقة التى قمنا بها، أو لنقل بالطريقة التى قام بها المتحاربون فى الحرب العالمية الثانية حيث تم إبادتها بالنابلم.. أما غير ذلك.. فإنه ضياع للوقت وإهدار للمال.. "

ثم أمرها بعقد اجتماع فورى لمجلس الإدارة حتى يبلغهم فيه بقراره، والعجيب أنه وجد معارضة شديدة من الأعضاء اليابانيين، وامتناع مايسه ومستر كيوكى عن التصويت، وفسر مصطفى امتناعهما عن التصويت بأنه معارضة، ولكن مهذبة، ومن ثم فقد كان التصويت لصالح إجراء المزيد من التجارب، وكاد مصطفى أن ينسحب من الاجتماع معلنا احتجاجه لولا أن أحد العلماء الشباب اليابانيين قال:

- " أنا أعلم جيدا يا سيد مصطفى أنك تتحمل العبء الأكبر من نفقات هذه الأبحاث، وربما يكون هذا هو شاغلك الأساسى، لكن صدقنى لو قلت لك، أن التجارب التى نجريها هى فى حقيقتها على جانب كبير جداً من الأهمية ليس فقط بالنسبة لأشجار البروتين.. وإنما على الصعيد الزراعى العام، إننا لو تمكننا من التحكم فى الجينات الوراثية للأشجار ومن ثم كل النباتات لأصبحت لدينا موسوعة حقيقية لنباتات يمكن تخصيصها للأغراض المختلفة، فمثلا أشجار البروتين هذه، نحن بسبيلنا إلى تحويلها إلى أشجار عادية بها نسبة عالية من البروتين النباتى، حتى لا تكون مخالفة للطبيعة، ولكن البروتين النباتى بها سوف تكون له أهمية غذائية ذات قيمة عالية، وربما نتمكن فيما بعد من إنتاج أشجار بها بروتين حيوانى ولكن ليست بخواص أشجار البروتين الحالية، أما بالنسبة لأشجار البروتين الحالية، فإننا بسبيلنا لقتل البراعم فيما نقتطعه من الفروع، وذلك بهدف التجفيف وصناعة حبوب يمكن تغذية الحيوانات آكلة اللحوم عليها، وهناك تعاون تام بيننا وبين حدائق الحيوانات فى كل من طوكيو ومدن أخرى لتجربة ما

توصلنا إليه من حبوب بروتين حيوانى مع نزع البراعم التى من الممكن أن تنبت أشجار بروتين فى معدات الحيوانات التى لا تتمكن عصارتها المعوية من هضم تلك البراعم.. "

وقاطعه مصطفى:

- " عزيزى الشاب... إن البراعم لا تموت أبدا، وحتى لو تمكنت العصارة المعوية للحيوانات أكلة اللحوم من هضمها، فإنها تظل فى مخلفاتها، وتخرج أشجار بروتين أخرى، لذلك فقد أصدرت قرارا بضم البروفيسور سعيد أخى إلى مجموعة العلماء ويكون هو الرئيس، لعله يفيدكم بخبراته وتجاربه.. "

ورحب الجميع بالقرار وتقبلوه بصدر رحب، فهم يعرفون البروفيسور سعيد من خلال التجارب والمحاليل التى قام بإنتاجها منفردا، فما باله لو عمل مع المجموعة، بدون شك ستكون النتائج أكثر فعالية، وانتهى الاجتماع بتكليف مايسه بعمل ترتيبات التعاقد وإحضار البروفيسور سعيد وعائلته.



٢٨ـ مشاعر الأبوة

بادرتـــه بتحـــية أعقبتها بقبلة سريعة وهى تمسك بشطيرة لم تهتم بمعرفة محتوياتها فقد أعدتها لها ماما صفيه وأرغمتها على تناولها قبل الخروج إلى إجراءات الإعداد للمناقشة، فقد تعرضـــت هـــى لهـــذا الموقف من قبل وتعلم تماماً كم الجهد الذى سيبذل، وأنه إذا لم يتناول المناقش ما يكفى جسده وعقله من غذاء، فقد لا يتمكن من متابعة المناقشة، بل ربما يفقد وعيه قـــبل صـــدور قـــرار اللجـــنة، لذلـــك حرصت أن تحتوى الشطيرة على كم من البروتينات والفســـفور، وتعجـــب.. ما هكذا هى تحيتها، ولا هكذا هى قبلتها له، ماذا جرى، فأسرع إلى كاتمة أسرارها.. إنها صفيه زوجته.. زوجة أبيها، سألها:

- " ما بالها فى عجلة من أمرها..؟ "

وأجابت صفيه والابتسامة العريضة تملأ وجهها:

- " لقد انتهت من إعداد الرسالة، ولم يبق أمامها إلا أن تشرف على طباعتها، وقد تم تحديد موعد المناقشة، وعليها أن تشرف على إعداد القاعة وتجهيز المكان، تماما كما هو الحال عندنا فى مصر.."

فسألها مستفسرا:

- " وهل عندنا فى مصر الباحث هو الذى يجرى وراء كل هذه الأمور..؟"

فأجابت بدهشة:

- " كأنك لم تحضر مناقشة رسائل الدكتوراه الخاصة بسعيد أخيك.. آه.. لقد نسيت، فقد كنت منشغلا بأعمالك.. فلم تفطن إلى كل ما قمت به أنا وماما مريم من مجهودات ربما لو لم نقم بها لخرج حفل المناقشة بصورة مختلفة تماما..؟"

وسألها ثالثة:

- " وهل قام سعيد بكل هذه الأمور حتى يمكن مناقشة رسائله..؟"

وأجابت موضحة:

- " لعلك لم تلاحظ، فانت دائما فى عملك، لكن التى تساعد وتحيك روب المناقشة، وتسهر على إعداد الرسالة، وتجهزها للمناقشة، وتشرف على ملابسه قبل التوجه إلى الجامعة، وتنبه على السائق بعدم التأخر، وتستعجله حتى يصل.. كل هذا يا عزيزى لم تفطن إليه، وكذلك الأمر مع مايسه.. ظنت أنك ستكون لها العين التى ترعاها بعد أن استقلت عن خالها، لكن كل اهتمامك كان بأشجار البروتين، ومجموعة العلماء الذين صممت أن يكون سعيد رئيسهم، ولم تكتف بأنك بعيد عنها رغم أنها كانت فى أشد الحاجة إليك، بل كلفتها بالتعاقد مع عمها واتخاذ إجراءات حضوره مع زوجته وولدى زوجته كلير. يا لك من أب.. ونعم الأب.."

تلفت حوله.. فلمحها تجمع بعض الأوراق وتهم بالخروج، فقفز ليكون إلى جانبها.. تأبطها وأخذ يشدها من ذراعها يحثها على السير بسرعة، نظرت إليه ولسان حالها يتساءل:

- " ماذا حدث.. "

فسألها بخجل:

- " متى موعد المناقشة..؟"

فاحتضنته بقوة وقالت:

- " لا تتعب نفسك يا أبى.. فقد تم الإعداد لكل شئ.. "

قال بخجل:

- " هل هذا يعنى أنك لست فى حاجة إلى..؟"

اعتذرت بسرعة والتصقت به وهى تقول:

- " بل كلى حاجة إليك، وجودك.. وتشجيعك، ودعواتك، واهتمامك.. كل شئ يا والدى.. أنت كل شئ بالنسبة لى، لكننى أعلم أنك مشغول جدا، وقد قامت ماما صفيه بالكثير جزاها الله كل خير، وعوضتنى بذلك عن فقدانى لأمى وعن انشغالك عنى، وكذلك جدتى.. فإنها لم تقصر فى متابعتى لتلبية احتياجاتى، لقد أحاطتنى بكل الاهتمام الذى

جعلنى أشعر بوجودى، وأشعر باهمية أن ينتمى الإنسان إلى عائلة محبة كعائلتى، ولأول مرة أجدنى محقة فى الإصرار على وجودكم معى، فقد كان مستر كيوكى هو الذى يقوم بكل هذه الأمور، وفى الحقيقة هو لم يقصر، لكن مع وجود عائلتى، لم يجد لنفسه مكاناً معكم، وشعرت بانه من المناسب ألا أثقل عليه أكثر من ذلك ويكفى ما تُكلفه أنت به من أعمال، أشعر أنه يقوم بها على خير وجه.."

فهـم مصطفى ما ترمى إليه ابنته.. وأحنى رأسه احتراما لهذا الرجل الذى تكفل بابنته حـتى بلغـت العشرين من عمرها، وأعلنها صراحة، أنه سوف يقدم له باقة ورد تعبيراً عن شـكره وامتـنانه لهـذا الجار الذى " تمرت فيه العشرة " ربما بأكثر مما وجدها فى بعض الجيران والمعارف من أهل بلده.

قدم السائق، فأوعز إليه مصطفى أن يعامل مايسه كأميرة، ففتح لها الباب الخلفى، بينما جلـس والدهـا إلى جانبها وهو يحمل عنها أوراقها، فابتسمت ابتسامة حب، وقبل أن تنطلق السـيارة فوجـئا بسيارة تقدم مسرعة حتى كادت تصطدم بهم، فإذا به مستر كيوكى، حرص علـى أن يكون فى الموعد قبل السائق الذى يحضر ليقل مصطفى إلى الشركة، بينما هو قادم ليقل مايسه إلى الجامعة، وتلاقى الوالدان، الوالد بالميلاد والوالد بالتربية، وشعر مصطفى أن الوالد بالميلاد اكتفى بقبلة سريعة واحتضان، بينما الوالد بالتربية حرص على الحضور ليقلها فى موعد مبكر إلى الجامعة، وليذهب كل شئ إلى الجحيم، الوالد بالتربية هو الذى تابع النمو أنـملة بأنملة، وشبرا بشبر وذراعا بذراع، سمع البكاء قبل الضحك، وتمتع بالأحضان الدافئة لهـا طفلـة قـبل أن تبلغ وتصبح عروسا، استمع لخفقات قلبها، قبل أن يكون لها قلب يحب ويكـره، شـكلها علـى الطريقة التى تمناها لها، أرادها قوية تستطيع الاعتماد على نفسها، وتستطيع أن تصرع عشرة من أعتى الرجال منفردة دون مساعدة من أحد، فهو يعلم أن أباها تركها فى اليابان وسافر إلى القاهرة، وجدتها سو فى جزيرتهم بعيدا عن طوكيو، وحُرم عليها زيـارة تلـك الجزيرة لأن العصابة ما زالت تتربص بها، وليس لها فى العالم سواه وهى فى الرابعة من عمرها، احتضنها كروحه التى عادت إليه كهلا، كانت ابنته وكل عائلته، ورعاها ورباهـا التربـية التى كان يتمناها لنفسه صغيرا وحرم منها لظروف الحياة فى اليابان تلك الأيـام، حيث طبقتين لا ثالث لهما الساموراى وما لهم من مزايا وامتيازات تجعلهم فوق كل

البشـــر، وطبقة العبيد الذين لا يملكون الحق حتى فى أن تكون لهم أسماء ينادون بها بل كل بمهنـــته، هذا بالقطع بخلاف طبقة الحكام، وهؤلاء كانوا يستمدون قوتهم من الادعاء بصلتهم بالآلهة، وحرص عليها حرصه على ذاته وربما أكثر.

فتحـــت باب سيارة والدها ولملمت حاجياتها وانطلقت إلى سيارة مستر كيوكى، وادعت أنهـــا تفعـــل ذلك حتى لا تعطله عن أعماله، ولم يعلق الوالد، فقط أحنى رأسه على الطريقة اليابانية شكرا لمستر كيوكى، ونظرت إليه مايسه وهى تعلن:

- " ألقاك فى المنزل يا والدى على الغداء إن شاء الله.. "

فتمـــنى لها التوفيق واحتار ماذا يفعل، هل يترك لكيوكى الأمر ويذهب إلى العمل، وماذا يفـــيده العمـــل أمام مشاعر ابنته التى فضلت عليه جار اعتنى بها صغيرة ويحاول أن يحتويها كبيرة، وما أهمية العمل أمام الاهتمام بأولاده، وإن كان العمل لمصلحتهم، فربما كان الحنان هو مصلحتهـــم، لم يستطع أن يفكر بطريقة عقلانية تهديه إلى القرار السليم، أما عن التوصيل إلى الجامعـــة، فهـــى لم تكن فى حاجة لا إليه ولا حتى إلى مستر كيوكى، فلديها سيارتها، وجميع ســـيارات الشركة تحت أمرها، لكن هناك أمراً آخر على جانب كبير من الأهمية، وهو أنها فى مـــثل هذه الظروف تحتاج إلى الدعم وإلى التأييد، والتأييد يجب أن يكون من أقرب الناس إليها، والتجاؤها فى ذلك إلى كيوكى معناه أنه أقرب الناس إليها.. حتى من أبيها !!!

أمر السائق أن ينطلق خلف سيارة مستر كيوكى، صعب عليه الموقف، حتى أن قطرات مـــن الدموع خرجت لتعبر عما يجيش فى صدره من أحاسيس، فضلته عليه.. لا إنه العرفان بالجمـــيل للرجل الذى رعاها، وتشعر معه بأنه قد يكون فى غلاوة أبيها بعد أن اعترف بها، لكـــن كـــيوكى لـــم يكـــن فى حاجة للاعتراف بها، تبناها وهو يعلم أن لها عائلتين من أكبر العـــائلات فى مصر وفى اليابان، لم يهتم إن كانت مدسوسة أو أن هناك أيادى خفية تحركها، أخذهـــا كما هى بمجرد أن نادت عليه وتمسكت به أن يدلها على والدها، لم يقصر.. ساعدها بكل ما يملك وبما لا يملك، استمات حتى ألحقها بالمخابرات اليابانية كأصغر عنصر بها، ليس لحاجـــته ولا لحاجـــة الـــيابان إليها، فهى طفلة لا تفيد وربما قد لا تنفع، ولكنه فعل ذلك لكى يحمـــيها مـــن تلـــك العصابة التى تريد أن تستأصل ذرية السيد كازو جدها الأكبر، ويدربها

لتصبح قادرة على حماية نفسها عندما تكبر، وتعلمت الكثير.. ما لم تكن عائلتاها فى مصر أو اليابان بقادرين على تعليمه لها، إنه الروح الحقيقية التى دبت فى أوصالها، فما الحياة إلا أهل يـزرعون ويـربون ويطعمون ويعلمون، وبغيرهم لا يكون إلا العدم، فماذا كانت تفعل لو أنها بقيـت فـى قصر أبيها بطوكيو، ولا أحد من عائلتها اليابانية يعرف عنها شيئا، كيف كانت ستطعم نفسـها.. أو تهتم بأمورها الشخصية، لم يكن ينتظرها إلا العدم.. لكنه كيوكى الذى أنقذهـا مـن هـذا العدم، ألا يحق له أن تشعره ولو من باب المجاملة أن حضوره خصيصا للذهـاب بهـا إلـى الجامعة لم يضع هباءً، وماذا كان يمكن أن يحدث له نتيجة مشاعر الألم والحسرة إذا لم توفيه حقه من المحبة والاهتمام؟ لا.. إن ما قامت به مايسه مع مستر كيوكى ليس إلا ما كان يجب أن تفعله، ولو تخلى والدها عن أنانيته لأوعز إليها ذلك، فهو لم يتحرك إلا بعد المحاضرة القيمة التى لقنتها إياه صفيه، أما كيوكى فلا توجد صفيه عنده، وقد حضر من تلقاء نفسه.. لا يوجد من يلح عليه لكى يقوم بدور ليس دوره مع شابة ليست ابنته، فوجد مصـطفى أن من واجبه أن يذهب خلفهما، فهى إن كانت قبلت بكيوكى لتوصيلها فلا أقل أن يكـون هـو إلـى جوارها حتى يشعرها بأبوته شاء مستر كيوكى أو لم يشأ، وما أن وقفت السـيارتان حـتى اندفعـت مايسه من سيارة مستر كيوكى لتحتضن أباها قبل أن يخرج من سيارته، وتجره إلى مستر كيوكى لكى تحتضنهما سويا، فلا يشعر أى منهما بأنها أقل حباً له مـن الآخـر، وفهم الاثنان المغزى.. فاحتضناها فى صمت وقد تدحرجت من عينيهما بضع قطرات من الدموع.

حضــر العم سعيد، ومعه جيشه الجرار، زوجتاه وولدا زوجته كلير، فأنزلهما مصطفى فى قصره باليابان، لينضموا إلى مريم هانم ومايسه وصفيه ووليديها محسن وشريف وسميحه وابنتــيها مريم ومـــها، وشمر سعيد منذ اليوم الأول عن ذراعيه وبدأ فى تلقين زملاء العمل مفاهــيم مـــا توصل إليه نتيجة أبحاثه، والمعضلة التى وقف عندها والتى لا يعرف لها حلا، سأله أحد زملاء العمل عنها، فأجابه باختصار:

- " هى لم تظهر عندكم.. لأنه لم تحدث عندكم إصابات بشر أو حيوانات من ممصات جذور أو ساق تلك الأشجار، لكن لو كان هذا حدث، لوجدتم قروحاً عميقة مكان تلك الممصات، وبالرغم من أن الله قد ألهمنى التوصل إلى ترياق تعالج به هذه القروح، إلا أنها أسفرت عن فقاعة كبيرةٍ بتحليلها تبين أنها تحتوى على أنواع من البكتيريا والفطريات لم أجد لها مثيلاً فى كل ما قرأت من مراجع أو أفادنى به العلماء فى جميع أنحاء المعمورة أو اطلعت عليه فى الإنترنت، وساضع أمامكم كل هذه الأبحاث، وما توصلت إليه من نتائج، وأملى أن نستطيع التوصل إلى حل لكل ما خفى عنا من معلومات.."

وشـــعر سعيد بأن أحد العلماء الشبان قد بدا عليه بعض التحرج، فاستحثه أن يعلن عما يخفيه، فقال العالم:

- " إن ما تقوله الآن من تعدى هذه الجذور وتلك الأشجار على البشر قد حدث عندنا فى مزرعة البروتين، ولم نجد له علاجا، وتكتمنا الخبر حيث أنها حالة فريدة، وكان الرجل كهلا قد بلغ من الكبر عتيا، فظننا أنها أمراض الشيخوخة، أو تفاعلات ما تعرض له من إشعاعات قنبلة هيروشيما، لم تظهر عليه إلا بعد ضعف جسده نتيجة الشيخوخة، ولأنه كان يقيم فى منطقة بعيدة عن مركز الإشعاعات.. "

وشمر سعيد عن ساعديه، وبدأ عرض ما أحضره معه من أدوات وأبحاث أذهلت علماء الــيابان، وشاركوه مشاركة فعالة للوصول إلى طبيعة الكائنات التى وجدها فى الفقاعات التى تــتخلف عن القروح التى تظهر نتيجة ممصات جذور وأشجار البروتين، وبدأ البحث فى كل ما فى جعبة علماء اليابان والمراجع المتوفرة لديهم.

تخلفت مايسه عن هذا الجهد الشاق لانشغالها فى إعداد رسالة الماجستير التى أخذت منها من الوقت والجهد ما لا يمكن وصفه فى كلمات تخط على ورق، وعندما حان موعد المناقشة، التف حولها جميع الأهل والمحبين، حتى العلماء فى شركة الخوجة فضلا عن بعض من مكنتهم الظروف من علماء اليابان وبعض دول العالم، لقد كان البحث التى تقدمت به مايسه لدرجة الماجستير من الأهمية بحيث يحضر لمناقشته كل من يعمل فى مجال الذرة والأشعة النووية، فقد تمحور البحث حول الآثار المدمرة للأشعة النووية، وكيفية معالجتها، وكانت الحالة التى قدمتها مايسه فى هذا البحث هى حالة والدتها، فقد نبشت حتى حصلت على جميع التحاليل التى كانت العصابة قد أمرت بإجرائها فى المستشفى التى كانت تعالج بها والدتها، سواء أثناء ولادتها لمايسه أو أثناء حملها الثانى، وجمعت هذه القصاصات إلى جانب ما قام به الأطباء المصريون من علاج لها فى النوبة بمصر بالأعشاب وبأساليب الطب العربى والطب المصرى القديم وببعض المواد التى يعرفها المعالجون بالأعشاب فى النوبة والتى كان يستخدمها المصريون القدماء فى التحنيط، فهم يعرفونها.. توارثوها عن الأجداد عملا لا علما، وظلت متداولة بينهم، حيث لم يهتم أحد من نجباء الطب الحديث بمحاولة التعرف على ما يقومون به من أساليب أو يستخدمونه من مواد، ظنا منهم أنها شعوذة، وأن ما تفهموه من طب حديث وارد الخارج هو الطب وما عداه دجل.

لكن أحد الأطباء المتخصصين فى علاج الأمراض الجلدية، لم يفطن لها إلا عندما حضرت إليه سيدة من النوبة بها حروق بعضها غائر وقرر أنها تحتاج إلى عدة عمليات تزيد عن العشرة، وبين كل عملية وأخرى ستة أشهر على الأقل، وخرجت أسرة السيدة بها من عنده ثم عادوا إليه بعد أقل من شهر وهى سليمة تماما من جميع آثار تلك الحروق، وعندما سألهم كيف تم ذلك؟ أخبروه بأنها المواد التى كانت تستخدم فى التحنيط، والتى ما زال بعضها يستخدم فى تحنيط موتاهم ولكن ليست بنفس نوعية وكفاءة المواد التى كان يستخدمها الأجداد، وأضاف أحدهم:

- **" إن التحنيط آية من آيات الله سبحانه وتعالى، اختص بها المصريين الذين انتشلوا جثة فرعون بعد أن أخرجه الله من البحر بعد غرقه لكى يكون لمن خلفه آية.."**

وقرأ قول الله سبحانه وتعالى فى الآيات (٩٠، ٩١، ٩٢)من سورة يونس ﴿ **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ... وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ** ﴾ صدق الله العظيم "

وتفهـــم الطبيـــب المعنى.. أن الله سبحانه وتعالى قد اختص فرعون بالتحنيط لكى يكون لمـــن خلفه آية، وتفهم أن من بقى من المصريين من المؤمنين بالله، بعد أن استبدلهم الله بقوم آخرين، حافظوا على معلوماتهم عن التحنيط واستخدموها لمن جاء بعد ذلك من الملوك وعلية القوم، وانتهى بعض من هذه المعلومات إلى من تبقى من سلالة قدماء المصريين.

وقـــد أوردت مايسه كل هذه المعلومات فى رسالتها، حيث قامت بإجراء مقارنة بين ما يـــتخلف عـــن الإشـــعاعات النووية من قروح وجروح، تجعل الجسد يهترئ تماما كما هى الـــتفاعلات التى تحدث لجثث الموتى بعد أن تتحلل، وأن مواد التحنيط هى خير وسيلة لعلاج مـــثل هذا الاهتراء، وعرضت بعض ما تم أخذه لوالدتها من صور وأشعة، وكيف أن العلاج بالأعشـــاب ومواد التحنيط كان لهما أكبر الأثر فى علاج اهتراء جسد والدتها نتيجة إصابتها بإشعاعات قنبلة هيروشيما النووية.

وصفق لها العلماء حتى كلت أيديهم، ونهض كلا الوالدين بالميلاد وبالتبنى وتبعهما عمها ســـعيد، وتســـابقوا لكـــى يطـــبع كل منهم قبلة على جبينها، وكذلك فعل جميع أفراد أسرتها المصـــرية حتى الأطفال رغم تحرج جورج الذى كان قد بلغ سن الحلم، إلا أن المفاجأة التى عقـــدت ألســـنة الجمـــيع.. هى تقدم امرأة يابانية طاعنة فى السن، تتحرك بصعوبة بكرسيها المـــتحرك الـــذى تدفعه اثنتان من السيدات اليابانيات ليستا شابتين حتى يقال أنهما حفيدتاها، وليســـتا طاعنتين فى السن حتى يقال أنهما أختاها، وأكبر الظن أنهما ابنتاها، وما أن شاهدتها مايســـه حـــتى هرولت تلقى بنفسها عند قدميها، وتلعق يديها وتحتضن جسدها الهزيل، ودقق والدها النظر فإذا بها الجدة سو ومعها خالتا مايسه، قدمن خصيصا لحضور مناقشة ماجستير حفـــيدتها ومعها ما تبقى من بناتها، فتقدم الرجل إليها واحتضنها وقبلها، وتشبثت هى به وهى

تقـدم له الاعـتذارات الـتى تتناسـب مع خطئها الفادح فى منع ابنتها من السفر إلى النوبة لاستكمال علاجها بالأعشاب والطب العربى والمصرى القديم، لكنه هدأ من روعها، واحتسب زوجـته عـند الله، وقال بأن الأعمار بيد الله، وقدم إليها أسرته المصرية، وكم كانت سعادة الأسـرتين بهـذا اللقاء، خاصة وأن جميع أسرة مايسه اليابانية حضروا تلك المناقشة، حيث تعجـبوا مـن مايسه أنها كانت من النجابة والشجاعة ما جعلها تتخطى آلام الحزن على أمها لـتقدم علاجهـا كـتجربة حـية للتغلب على القروح والاهتراءات التى تتخلف عن الإصابة بالإشـعاعات النووية، ثم تقدم إليها كل العلماء الذين حضروا المناقشة بالتحية إشادة لها منهم بالتفوق وتوصلها إلى علاج عملى لما يعانيه البشر من ألاعيب الشر.

وصـمت مصـطفى طويلا حتى أنه لم ينهض مع من نهضوا ليتركوا القاعة بعد أن تم منح ابنته درجة الماجستير فى العلوم وفى الطب أيضا، وتسللت إليه مايسه فى صمته لتسأله، وكانـت إجابـته ممـا أقلق جميع أفراد العائلة المصرية، وكذلك مستر كيوكى بعد أن تمت الترجمة إلى اليابانية:

- **" لقد فتحت علينا بابا لا يعلم إلا الله كيف يمكن أن يتم مواجهته، أنت تعلمين أن هذا البحث قد وجه النظر إلى الأطباء الشعبيين وإلى الأعشاب التى تنمو بالنوبة، وسوف يحاول المغامرون سواء كانوا من الغرب أو من أمريكا الاستيلاء على الأطباء الشعبيين وعلى هذه المواد والإكثار من زراعتها ولو على حساب المساحة التى تضيق يوما بعد يوم بالمبانى والطرق السريعة، وسياتى اليوم الذى يستجدى فيه الشعب المصرى لقمة العيش من أى مكان، وسيقدمونها لنا ولكن بالمذلة والهوان.. هذه هى نتيجة بحثك أيتها الفيلسوفة، ليتك قمت بإطلاعى عليه قبل المناقشة، كما أنه ما كان يجب عليك أن تعرضى صور والدتك على هؤلاء الأغراب."**

وحاولـت مايسـه أن تفهمه أن العلم ليس فيه إخفاء للمعلومات، وأن ما قدمته قد يساعد الملاييـن فـى جمـيع أنحـاء الكـرة الأرضية، وفى اليابان على وجه التحديد، وكذلك من يتضـررون مـن آثار اليورانيوم الذى يصنعون به أسلحة الدمار هذه الأيام، والذى أصبحت أمـريكا متفوقة به على العالم، تأمر ويجب أن تطاع فإن لم تطع كان الويل والهلاك للجميع،

والأمثلة كثيرة بدأوها بالعقاب لكل من ليبيا ثم العراق، ثم الإبادة الجماعية والملاحقة المجنونة لتنظيم القاعدة وغيرهم من عباد الله فى أفغانستان لماذا؟ وسألها والدها بحدة:

- " قولى أنت لماذا..؟ لكن لا.. سوف أوفر عليك الإجابة، لأنهم يخططون للاستيلاء على بترول أفغانستان، ثم بعد ذلك بترول العراق، وبترول السعودية تحت أيديهم، أما بترول إيران فسوف يخططون للاستيلاء عليه، ولكن كل له موعده الذى تم التخطيط له بدقة، ووضعت التفاصيل، والتنفيذ جاهز بمجرد إطلاق الضوء الأخضر، أما نحن فلنا الله، فيكفينا مجموعة الخونة الذين اندسوا بين أفراد الشعب المصرى كمصريين، لكى يحيلوا حياة المواطن المصرى إلى جحيم، وقد أفلحوا، كلنا يكره كلنا، وكلنا يعمل على خراب بيت كلنا، وكلنا يستبيح المال والعرض والشرف للكل حتى ولو كانوا اخوة أو أهل بيت واحد، وأنت تعلمين ما كانت تخطط له الزوجة الأولى لعمك سعيد من محاولة لقتل صفيه حتى لا تلد مولوداً ذكراً يحجب عن سعيد تركته منى، ثم من ومن ومن بعد ذلك حتى تخلص لها ثروتى دون شريك أو منازع.."

قالت بعد أن أعيتها الحيلة:

- " لكن العلم يا أبى فوق كل اعتبار..!"

فقال بتأن وتؤدة:

- " العلم النافع.. وليس العلم الضار، لقد أهلكنا عباس قللى حتى لا نمكنه من الاستيلاء على السائل المبيد لأننا نعلم أنه سوف يستخدمه فى إبادة كل من يقتلهم ممن يتقرر التخلص منهم، وليس لدينا استعداد لنشره على العالم، حتى لا يستغله كل ذى أغراض شريرة.. هذه هى الحصافة، إن الله قد أخفى عنا علم الساعة، حتى لا يعيث الناس فى الأرض فساداً فإذا جاءت أشراطها تابوا إلى الله، وأخفى عنا ليلة القدر حتى يقوم المؤمنون بعبادة الله فى جميع ليالى السنين، علهم يحصلون على بركات ليلة القدر من بينها، وأمرنا بان نكون ملائكة فى صيام رمضان.. حتى تكون تلك أخلاقنا بعد رمضان، هكذا يكون العلم وهكذا يكون العمل رحمك الله.."

ثـم اسـتدرك نفسـه سـريعا، فما هكذا تكون التهنئة لابنته على حصولها على درجة الماجسـتير بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى، والعجيب أن كثيراً من شركات الأدوية جاءت تعـرض عروضـا سخية لشراء المعلومات التى تضمنتها الرسالة، لكن الوالد أرجأ كل هذا حـتى يفكـر فى طريقة تمنع استغلال تلك الشركات لما قد تتوصل إليه من أدوية فعالة فى عـلاج أمـراض الإشـعاعات، وتحـول دون استيلائهم على أرض النوبة حيث تنبت فيها الأعشاب بإرادة الله.

٣٠ـ العائلتان

صـــممت مـــريم هانم أن تقيم عائلة مايسه اليابانية فى قصر ابنها بطوكيو، بينما تشبثت الجدة سو بضرورة الإقامة فى قصرهم بطوكيو، فهى لا ترغب فى إقلاق راحتهم، وتمسكت مايســه بجدتهــا سو، وقاربت بينها وبين الجدة مريم وهى بينهما تحتضنهما لتشعرهما بأنها القاســم المشــترك بيــنهما، وهــذا قصرها فلابد أن يقيما فيه معها، فتذكرت مريم هانم أن مصــطفى كـــان قــد سجل كل ممتلكاته باسم مايسه قبل أن يترك اليابان على إثر فشله فى إحضـــار زوجته إلى مصر للعلاج وبعد ذلك للدفن، وإثر اختفاء ابنته مايسه حيث احتجزتها الجــدة ســو بعيداً عنه حتى لا يأخذها معه إلى القاهرة، لكنها رابطة الدم التى جعلت مايسه تبحــث وتنقــب حــتى تصل إلى والدها وعائلتها فى مصر، ثم أنها فضلت البقاء مع والدها وعائلــتها فــى مصـــر، وصممت على إقامتهم معها فى اليابان وذلك بحصولهم على الإقامة الدائمـــة، وتعجبت الجدة سو من جينات الوراثة المصرية التى تتمتع بها مايسه حيث التصميم علـــى الجمـــع بين جذورها المصرية واليابانية،وكان من الطبيعى أن تستشعر الجدة سو أن رغــبة مايســـه تــتطابق مع رغبة مريم هانم، فوافقت على الإقامة مع عائلتها المصرية فى قصـــرهم بطوكـــيو، لكـــن ابنتاها عليهما السفر فورا، لكن مايسه تمسكت بهما أيضا، وطلب مصطفى من الشركة إرسال مجموعة من السيارات تكفى الجميع.

وما أن وصلت مايسه إلى قصر والدها حتى اصطحبت جدتها إلى الغرفة التى خصصها والدها لروح أمها، فانكفأت السيدة من الكرسى المتحرك على التتامى التى كانت تفترشه ابنتها وتـــنام علـــيه، وذرفت ما شاء الله لها أن تذرف من الدموع، ومايسه إلى جانبها تواسيها ولا تستطيع أن تكتم ما يجيش فى صدرها من مشاعر، وكأنها كانت تتمنى أن تكون أمها على قيد الحياة لترى ابنتها التى أصبحت عالمة يشهد لها الجميع، والفضل يعود إليها رغم ما تعرضت لـــه مـــن أذى على يد تلك العصابة القذرة، لكن الجدة سو ما أن شاهدت مستر كيوكى، حتى أســـرعت تقبله وتحتضنه، وعلم مصطفى أنها تعرف كل ما فعله كيوكى لزوجته ماى سيتو ولابنـــته، فهـــون علـــى الجميع تلك الذكريات، وكانت صفيه قد أعدت وليمة على الطريقة المصـــرية يســـيل لهـــا اللعاب، فدعتهم جميعا إلى الطعام، وتعجبت الجدة سو من أن مايسه

تـــناديها بكلمة ماما، فنظرت إليها بدهشة، لكن مايسه شرحت لها ما قامت وما تقوم به زوجة أبيها من مجهودات وما تقدمه لها من حنان يفوق حنان الأمهات، ثم أوضحت لها أن صفيه لم تشـــعر بالغـــيرة التى تشعر بها كل الزوجات من أن أباها يحتفظ فى قصرهم بالقاهرة بغرفة خاصـــة لوالدتهـــا ماى سيتو، ولم تبد صفيه أى اعتراض على ذلك، فنعم الأم هى رغم أنها زوجة أب.

بعـــد الوليمة التى نالت استحسان اليابانيات قريبات مايسه، أما مستر كيوكى، فإنه أعلن استحسانه للطعام، ذلك أنه ليس بغريب عليه ما تقدمه هذه العائلة المصرية من طعام فاق كل مـــا ســـبق له تذوقه من طعام فى أى مكان من العالم الذى سافر إليه، وشعرت صفيه ببعض الرضا، وأقبلت عليها خالتا مايسه يطلبان منها المقادير وطريقة الطهى، ولم تبخل صفيه حيث قامت بتقديم كل ذلك، وتعجبت السيدتان أن صفيه تجيد اليابانية، وكذلك مريم هانم، فقد أفلحت معهمـــا دروس مـــاى سيتو ومصطفى التى كانا يدرسانها للجالية اليابانية فى مصر، فطلبت الجـــدة ســـو وخالتا مايسه تعلم العربية، فقامت مايسه بتشغيل النوت بوك على الدروس التى كانت تلقيها والدتها على الجالية اليابانية فى مصر، وبعد موجة التأثر البالغ أن تظهر أمامهن مـــاى سيتو وهى تتحرك وتتكلم، بدأ التعلم حيث شاركهم جورج وجورجيت وكلير وسميحه، أمـــا مـــريم ومها فقد تعلمتا اليابانية فى مدرستهما العام السابق، وأثمرت النتيجة سريعا حتى أصـــبح الجمـــيع تقريـــبا يتحدثون لغة واحدة إما اليابانية أو المصرية، فالمصريون يفضلون الحديـــث باليابانـــية، واليابانـــيات تفضلن الحديث بالمصرية، وكل منهم يحاول تكريم الآخر بالحديث معه بلغته.

استقطبت الجدة سو مريم هانم، وجلستا فى ركن هادئ، واجترت كل منهما ذكرياتها عن مـــاى سيتو، وذكرت الجدة سو لمريم هانم ذكريات ابنتها عنها، وكيف أنها كانت تكن لها من الحب والمشاعر الطيبة ما جعل الجدة سو تحب مريم هانم وتتمنىأن تراها، بينما بالغت مريم هانم فى شرح مشاعر حبها الذى يفوق الوصف لابنتها ماى سيتو، وكيف أنها كانت كل شئ بالنســـبة لها ولولديها مصطفى وسعيد، وكيف أن الله وضع فى يدها بركة أسبغت عليهم كل الثراء وكل السعادة، وكيف أن فقدانها كان له أثره الكبير فى الجميع، بينما أشادت الجدة سو



بمصـــطفى الذى أشعرها بأنه أغلى عندها من جميع أبنائها الذين فقدتهم واحدا بعد الآخر فى موجة ثأر من تلك العصابة التى تظن أن لها عندهم ثأراً منذ أن قتل والدها كبير هذه الجماعة فقـــررت الجماعة أن تقتل جميع أبنائه وأحفاده، حتى مايسه لم تخلص من مكائدهم، وتعجبت مريم هانم، فتساءلت:

- " فمن يكون البروفيسور ناجا سيتو إذاً؟ أليس خال مايسه؟ "

فقصـــت عليها الجدة سو قصة مستر كيوكى، حيث عقدت الدهشة لسان مريم هانم رغم إعجابهـــا الشـــديد بما قام به من أعمال لمايسه ومن قبلها لوالدتها، وقالت بصمت هكذا تكون الجيرة، وهكذا يكون التراحم بين الناس كما يأمر به الإسلام.



٣١- حبوب البروتين

ازداد حمـــاس العلمـــاء اليابانيين لمشاركة سعيد فى تحقيق مقترحاته عن استخدام وسيلة مناســـبة يتمكـــنون بها من القضاء على براعم أشجار البروتين التى لا تتأثر بالعصارة المعوية للحيوانات آكلة اللحوم، حيث أوضح لهم أن الحيوانات آكلة اللحوم تستطيع معدتها أن تهضم كل مـــا فى هذه الأشجار من بروتين ما عدا البراعم.. وهذه البراعم تخرج مع ما يخرجه الحيوان مـــن فضـــلاته الـــتى تحتوى على الكثير من الأزوت، فتجد البراعم المناخ الصالح لنموها، ثم عرض عليهم فيلماً يوضح تلك الشجيرات التى نمت على فضلات مخلص، وشاركت مايسه فى هـــذه الأبحـــاث، وبـــدأت التجارب بالأحماض أولاً ثم ببعض القلويات وجاءت ببعض النتائج المـــبهرة، لكـــنها تضـــر بالحيوانات فرفضت، ثم بدأت التجارب بالتعريض للحرارة مع تزايد درجاتهـــا كلما أخفقوا فى تحقيق نتائج إيجابية، حتى وصلت إلى أرقام كبيرة بدأت معها بعض النـــتائج المبشرة لكنها تزيد كثيراً من تكلفة الإنتاج فتم رفضها كذلك، إلى أن توصلوا إلى أشعة اللـــيزر، حيـــث يتم استخدامها بعد تصميم البرامج التى تمكن الكمبيوتر من تحديد البراعم بناء علـــى البرامج التى يتم تزويده بها، وجاءت النتائج مبهرة، حيث يتم القضاء عليها قضاءً مبرماً وبتكلفة مناسبة، وتم تجربة ذلك بنجاح، وبقى الدخول بها فى الإنتاج الكبير.

نجحت التجارب المتعددة لإنتاج حبوب البروتين على نطاق واسع، وبدأ استعمالها مع القطط والكـــلاب أولاً، وتـــم تسجيل إقبالهم عليها بنهم شديد دون أدنى أضرار جانبية، كما كانت نتائج تجربـــتها على الحيوانات آكلة اللحوم بحدائق الحيوانات مشجعة جداً، وقرر العلماء الدخول فى الإنـــتاج الواسع إلا أن مصطفى أرجأ ذلك إلى ما بعد عامين من التجارب مع حدائق الحيوانات بالـــيابان ومصـــر أولا، ثـــم حدائق الحيوانات فى الدول التى ترغب فى ذلك، ولما مر العامان ووردت تقاريـــر جميع حدائق الحيوانات سواء من داخل مصر واليابان أو من باقى الدول بعدم وجـــود مخاطـــر من استخدام هذه الحبوب، وأن التحاليل التى تتم على مخلفات الحيوانات تثبت خلوها من أية آثار للبراعم.. قرر مصطفى البدء فى الإنتاج الكبير لتزويد حدائق الحيوان ومربى الحـــيوانات آكلة اللحوم من هذه الحبوب بتكلفة تقل كثيراً عن تلك التى تتكلفها حدائق الحيوانات بإطعام الحيوانات باللحوم المتعارف عليها مهما كانت نوعيتها أو طبيعتها.

وأقــبل على شرائها الجميع وانتشرت فى جميع أنحاء العالم، فسارعت الشركات المالكة لمــزارع البروتيــن فـــى الغرب للتعاقد على حق شراء أو استغلال التكنولوجيا الجديدة التى تمكــنهم مـــن الاســتفادة بما تم زراعته من أشجار بروتين فى دولهم، وفوجئوا أن صاحب الشـــركة الــتى ســيتعاقدون معها هو مصطفى الخوجة، لكنهم رحبوا بذلك، وأيضا اشترط مصـــطفى أن يكـــون الإنتاج تحت إشراف شركتيه فى مصر واليابان، وبدأت عقود من نوع آخر تدخل العملات الأجنبية لمصر انطلاقاً من المشاعر القومية لعائلة الخوجة، وبدأ تصدير العمالة المصرية إلى تلك الدول جنباً إلى جنب مع اليابانيين.

إلا أن مصـــطفى الذى لا يزعجه أكثر من امتهان كرامة المواطن المصرى سواء داخل مصر أو خارجها، ويعلم تماماً أن كرامة المواطن المصرى تتناسب مع قوة الجنيه المصرى صـــعوداً أو هبوطاً، وهو لا يريد للجنيه المصرى إلا دوام الصعود، مع القوة فى الإنتاج كماً وكفـــاءة وجـــدارة، فبدأ التفكير فى إنتاج السلع الاستهلاكية المعمرة التى يتم تشغيلها بالطاقة الشمسية، وكان أول ما حظى باهتمامه هو إنتاج سيارة مصرية تعمل بالطاقة الشمسية، فسخّر كـــل إمكانيات شركتيه فى مصر وفى اليابان، وبمساعدة من كل من له خبرة فى هذا المجال مـــن علمـــاء باكستانيين أو سويديين أو غيرهم، وتم التوصل إلى إنتاج سيارة تسير بالطاقة الشمســـية بسرعة مناسبة ولا تحتاج إلى وقود أو صيانات مكلفة من تلك التى تكلف الآلاف، ممـــا يـــزيد عـــن قدرات العائلات محدودة الدخل فى دول العالم الثالث التى يستمر شروق الشمس فيها ربما إلى أكثر من ١٨ ساعة فى اليوم، وهى طاقة مهدرة لم يفطن إليها إلا قدماء المصـــريين، الذيـــن اســـتغلوها فى جميع مناحى حياتهم العامة والخاصة والدينية، فلا يمكن تصـــور نحـــت تلك الجبال التى شيدت بها المقابر وزينت بألوان ما زالت تضارع ما ينتجه العالم حاليا من ألوان سواء من حيث النوعية أو العمر الذى يصل إلى آلاف السنين ومع ذلك فـــإن بـــريقها لا ينطفئ، لم يتم ذلك إلا باستخدام أنواع من الإضاءة تعتمد على الشمس، فمن غير المعقول أن يكون قدماء المصريين قد استخدموا المشاعل داخل هذه المقابر وإلا لظهرت آثـــار مخلفات تلك المشاعل على ما قاموا برسمه من أعمال، كذلك فإنه من غير الواضح أو المعلـــن أن قدماء المصريين قد توصلوا إلى توليد الكهرباء، كما أن استعمال المشاعل يحتاج إلـــى أكســـجين، ولا يمكـــن تصور أن الأكسجين فى تلك الأماكن كان من الممكن أن يكفى



المهندســين والفنيين والفنانين والعمال الذى يعملون داخل هذه الأماكن التى يصل بعضها إلى عمق سحيق ومسافات طويلة داخل الجبال أو تحت الأرض.

وبــدأ مصـــطفى مـــع فــريق علمائه فى محاولة إنتاج نوعيات من المعدات والمصابيح والأفــران والمواقد التى تعتمد على الطاقة الشمسية فى إنتاج الحرارة أو الضوء، وبدأ الإنتاج فـــى مصانع شيدت فى اليابان وفى مصر، مما خفض من التكلفة كثيرا، ومما ساعد مصر على الــنهوض باقتصـــادياتها بعــيداً عن الاقتراض من دول العالم أو البنوك الدولية، وبدأ المواطن المصـــرى يشعر ببعض الراحة، فقل لهثه وراء لقمة العيش، وبدأت تتحقق له بعض الفوائض النقدية التى يساهم بها فى عملية الاستثمار، فالعقلية الضيقة التى توارثتها بعض الحكومات من هيمـــنة الحكومـــة على وسائل الإنتاج وانفرادها بالتنمية دون أفراد الشعب والتى كان لها أكبر الأثـــر فـــى تخلفنا عن ركب التقدم، كان يجب تصحيحها بأساليب عملية وليس بكلام جرائد أو أبحـــاث، وبدأت محاربة مصطفى لشركات الاحتكار الحكومية التى تحتكر تشغيل بعض مرافق الدولة، مثل شركات إنتاج وتوزيع الكهرباء، وشركات الخدمة الهاتفية وشركات الغاز الطبيعى، وبــدأت التجارب على إنتاج أنواع من مولدات الكهرباء التى تعتمد على الطاقة الشمسية لإنارة المـــنازل والشـــوارع وتشـــغيل بعــض الأجهزة الكهربائية، والتى يمكن لأى مواطن اقتنائها لانخفـــاض سعرها، وتكلفة تشغيلها وصيانتها التى لا تكاد تذكر، وبالتالى قلت الحاجة لاستخدام الغـــاز بجمـــيع أشكاله، مما قلل من أهمية النفط الذى تتصارع الدول الكبرى على تملك الدول الضعيفة التى تملك آبار النفط وذلك بالسيطرة السياسة أو العسكرية.

وتدخل مصطفى فى عملية التكافل الاجتماعى الذى تتولى الشركات أو الهيئات الحكومية تطبيقه فى مصر بخصم ما يزيد على ٤٠% من الأجر أو الراتب، وفى الغالب لا يستفيد من عوائـــده إلا القلة وربما لمدة محدودة، فمن هذا الذى يصل إلى سن الستين مع الفقر الذى لا يـــورث إلا المـــرض، وملاييـــن الحالات من الفشل الكلوى أو الفيروسات التى تصيب الكبد إصـــابات مميتة، التى يتجرعها المواطن المصرى مع المياه التى تصله من النيل، ذلك النيل الذى كان تلويثه يعتبر الجناية ما قبل الرقم واحد فى قانون الجزاء المصرى القديم، حيث كان الملـــك بمجـــرد اعتلائه العرش يقسم بكل المقدسات أنه لو ارتكب جميع الجرائم التى يعاقب عليها قانون الجزاء، لا يمكن أن يسمح أو يعمل أو يقوم بتلويث النيل.

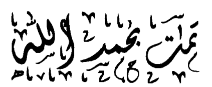
كما قام مصطفى بتأسيس بنك إسلامى يعتمد على المشاركة فى الأرباح أو الخسائر التى يحققهـا البـنك وذلك بمقدار المبالغ التى يودعها كل مودع للمدة التى تبقى فيها تلك الأموال بالبـنك، وحالمـا سـارع الجميع للمشاركة للإيداع فى هذا البنك حيث تطور لتصبح المبالغ المودعـة بالبـنك رصيدا تدفع عنه مبالغ شهرية لورثة المودع مع دراسة أحوالهم فإن كانت ضمن من يستحقون الزكاة، وكانت الأرباح المستحقة لهم تقل عن متطلبات الحياة، زادت تلك الأربـاح بمـا يعـوض الفرق من أموال الزكاة المستحقة على جميع أرباح البنك بعد حلول الحول عليها، فكانت الودائع استثماراً وتأميناً على الحياة بأسلوب إسلامى شجع الكثيرين ممن يـنظرون إلـى فوائـد البـنوك على أنها ربا من كل الدول الإسلامية التى تكثر بها البنوك التجارية التى تصمم على التعامل بالربا.

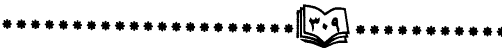
وهكـذا يكـون الفكر الإسلامى فى استثمار الأموال، أو فى المشاركة فى رفع المعاناة عن الشعوب.

بل إن مصطفى بدأ يرفض فكرة مساعدة الشعوب الفقيرة بالمعونات الغذائية أو الدوائية، وذلـك بتوسـيع نشـاط اسـتثماراته لتصل إلى تلك الشعوب، والعمل على إنتاج حاجة تلك الشـعوب من المواد الغذائية، وبدأ العلماء بشركته فى ابتكار وسيلة جديدة لتحلية مياه البحر باسـتخدام الطاقـة الشمسـية وبـدون تكلفة كـبيرة، ونجحت التجارب وبدأ الاستخدام فى الصـومال وجيـبوتى والدول المحيطة بالنيل العظيم، والتى كانت أكبر مصدر ماشيه للدول المجاورة لها ومنها مصر.

وانعكـس ذلـك سـلباً على نصيب الدول الغنية من نهبها لثروات تلك الشعوب، فبدأت العمل على كسر شوكة تلك الشركة العملاقة، لكن تلك الدول نسيت أن مصطفى كان يؤسس شـركات فـى الـدول الفقـيرة من أبناء تلك الدول لتتولى إنتاج ما يحتاجون إليه من مواد ومعدات، بحيث تنتفى حاجتهم لشركات مصطفى أو غيره، وكان ينفق على هذه الشركات من أمـوال الـزكاة التى تستحق على صافى حقوق الملكية الخاصة به فى شركاته، والمساهمات الـتى كـان يقدمهـا الميسورون فى تلك الدول، كما أن الوعى الذى يتزايد حاليا فى الدول الإسـلامية بالقضـاء علـى الخونة الذين تدسهم بعض العناصر التى لا يهمها إلا استغلال

الشــعوب كبــيرها وصغيرها، كان أحد العناصر الهامة فى يقظة الشعوب، فتم القضاء على فكــرة القــيام بانقلابات أو ما يسمى ثورات لا يقصد بها إلا اعتلاء من لا يفهمون فى إدارة شئون البلاد للسلطة، فيصبحوا جلادين للشعوب بدلاً من منقذين لهم، وذلك بزيادة الوعى فى اختــيار ممثلى الشعوب فى المجالس النيابية، والحرص على أن تنشر بالجرائد السيرة الذاتية المؤيــدة بالمســتندات لكــل من يتقدم لشغل الوظائف العامة الإشرافية، أو المقاعد النيابية، وحرص الجميع على تطبيق هذه القواعد بدقة، فلا تصدر قوانين مخالفة للدستور المنبثق عن الشــرائع الســماوية، وأن يــأخذ كل ذى حق حقه ويطالب به حتى ولو كان فى فم أسد، بل ويجــب أن يســاعده الجمــيع على ذلك، وأن يؤدى كل عامل عمله بما يرضى الله سبحانه وتعــالى، وبذلك يتم القضاء على الرشوة والمحسوبية والبلطجة، وتصبح الدول الفقيرة دولاً غنية بفضل الله سبحانه وتعالى.





فهرس

* صدر للمؤلف *

١- رواية زفاف بالملابس السوداء من جزئين.
(موافقة إدارة الرقابة على المصنفات الفنية رقم ٢٥٤ بتاريخ ١٩٩٧/٣/١٩)

٢- الجزء الأول والثانى من رواية أشجار البروتين.
(موافقة إدارة الرقابة على المصنفات الفنية على فكرة وملخص الرواية رقم ٤٧ التاريخ ٢٠٠٠/١١/١٨)

للمؤلف تحت الطبع

مقبرة الأحياء | غريب فى بلدى | دائماً المرأة
العذاب الأسود | الملك القرصان | خزعبلات
أغنياء ولكن فقراء | لحظات الندم | جرائم قدرية

الثمن ٢٠ جنيهاً

مطابع الشرطة للطباعة والنشر والتوزيع